العمارة الإسلامية في مصر

تأليف

د. كمال الدين سامح

أشرف على الطبع

أ.د. محمد سامح كمال الدين

أستاذ ورئيس قسم العمارة

كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة

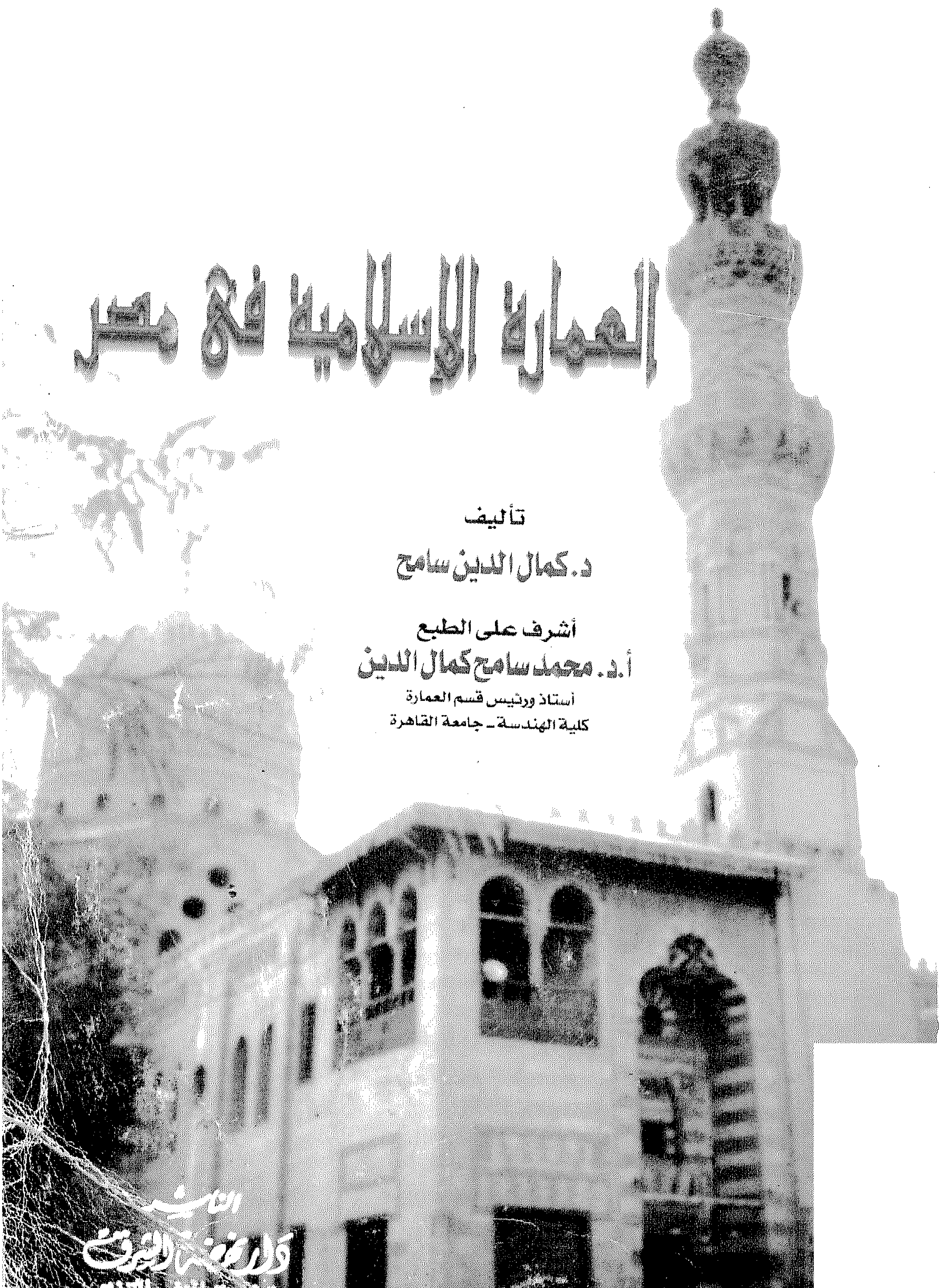

الناشر
دار نهضة الشرق

العمارة الإسلامية

في مصر

تأليف

د. كمال الدين سامح

أشرف على الطبع

أ.د. محمد سامح كمال الدين

أستاذ ورئيس قسم العمارة

كلية الهندسة - جامعة القاهرة

الناشر

دار نهضة الشرق

للطباعة والنشر والتوزيع

الكتـــاب: العمارة الإسلامية في مصر

المؤلـــف: د. كمال الدين سامح

رقم الطبعة: الطبعة الأولي

تاريخ الإصدار: ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

حقوق الطبع والنشر: محفوظة للناشر

الناشر: دار نهضة الشرق - جامعة القاهرة - ت ١٢٢٢٥٩٧٨٨.

ملتزم التوزيع داخل مصر وخارجها: دار النشر للجامعات ١٤ ش عمارات العبور - الدور الثاني - صلاح سالم ص. ب ١٣٠

محمد فريد ١١٥١٨ القاهرة تلفاكس: ٢٦١٣١٦٠

رقم الايداع: ٢٠٠٠/٣٥٠٨

الترقيم الدولي: 1- 130- 245 -977

بسم الله الرحمن الرحيم

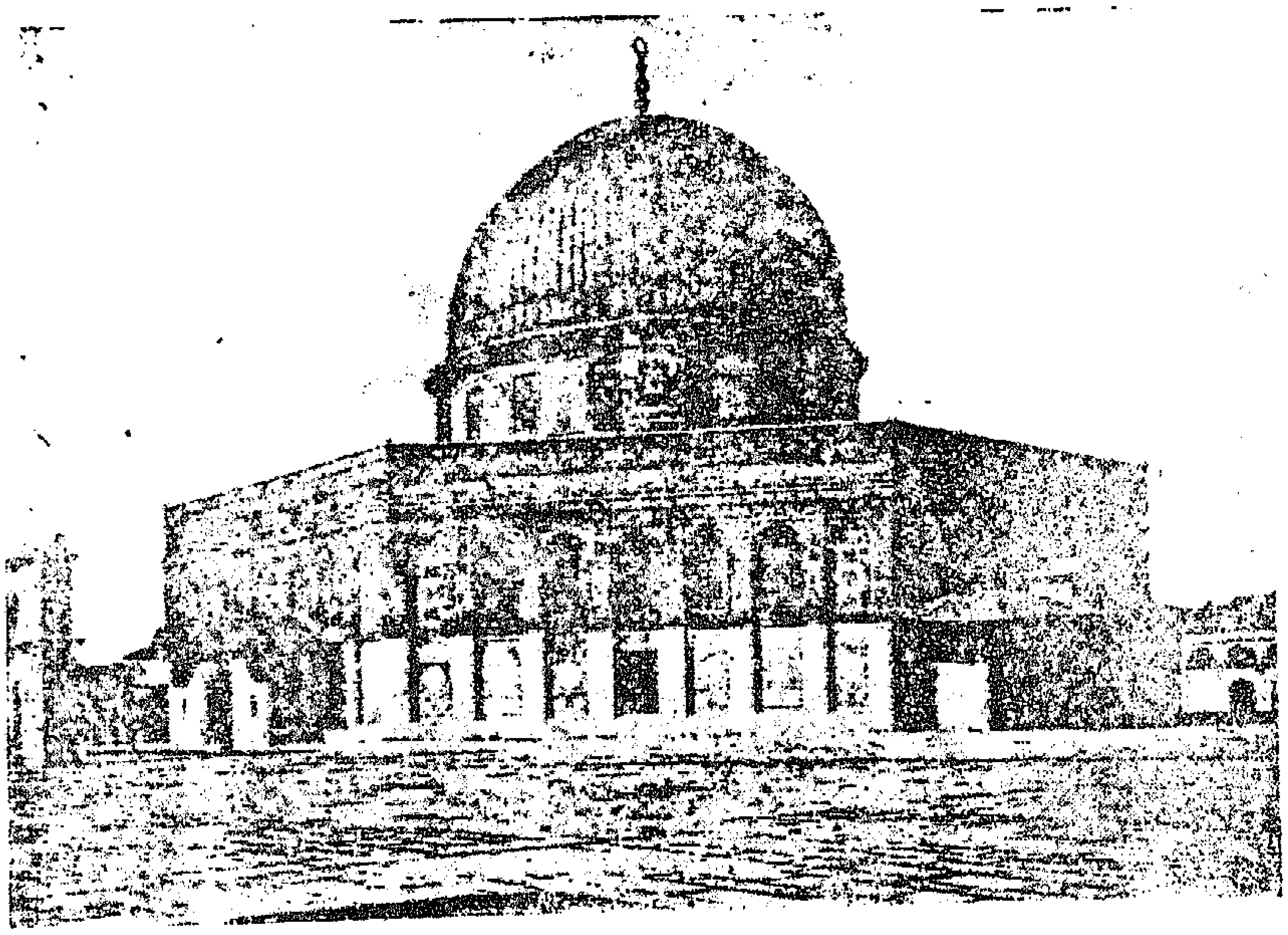

(شكل ١) واجهة قبة الصخرة ببيت المقدس من الخارج (عن كريزول)

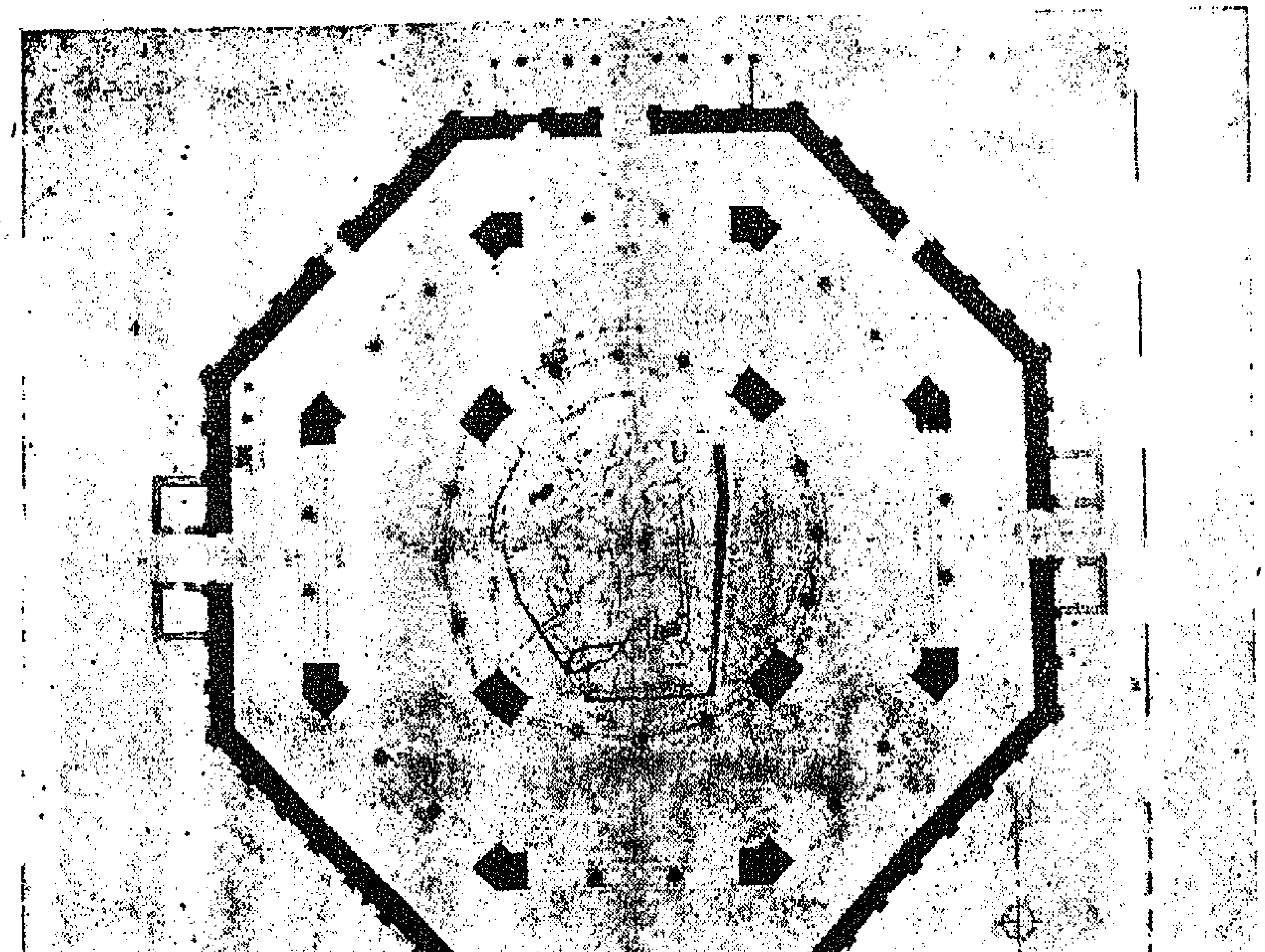

(شكل ٢) مسقط أفقى لقبة الصخرة (عن كريزول)

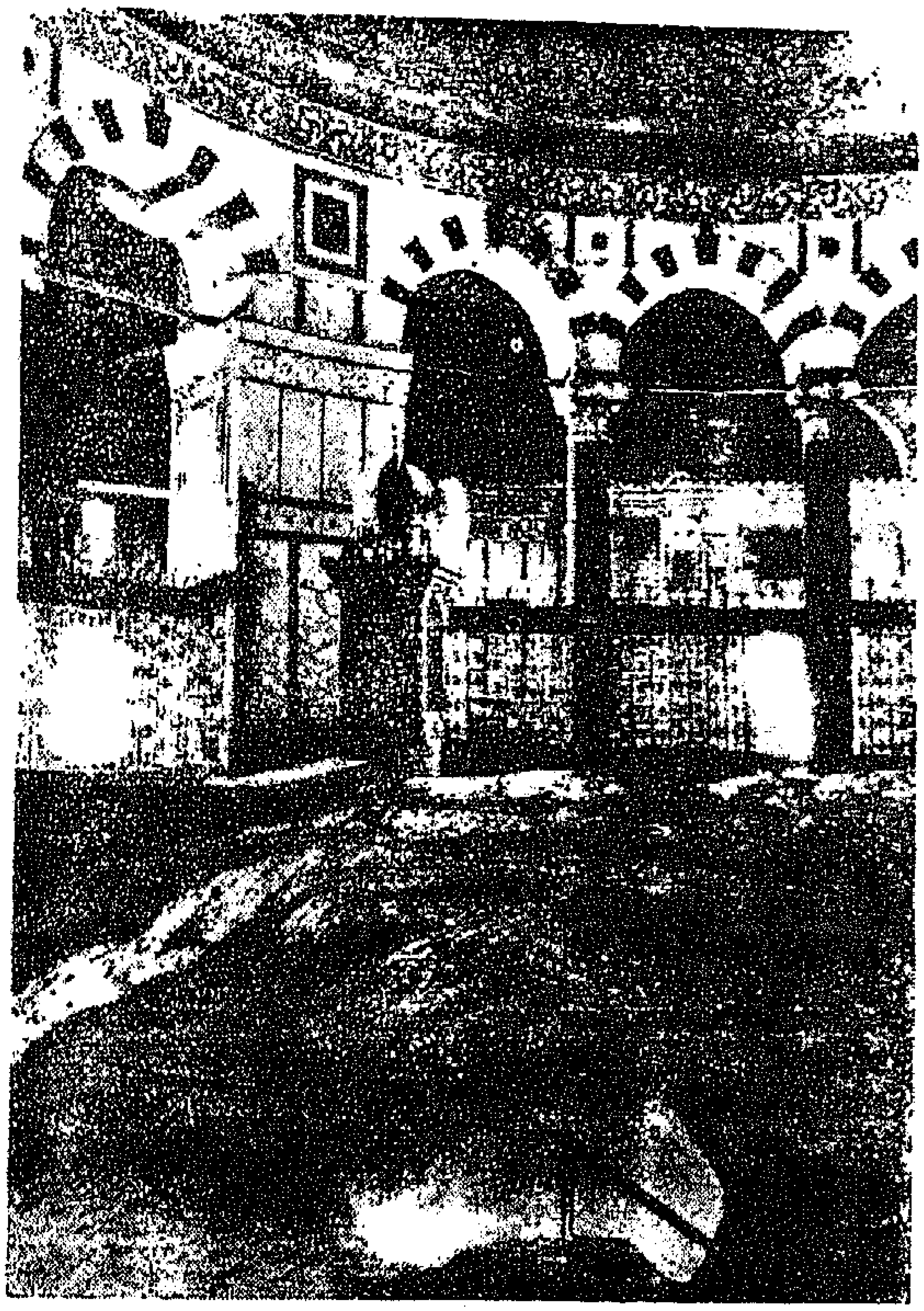

(شكل ٣) الصخرة المقدسة وسط قبة الصخرة (عن كريزول)

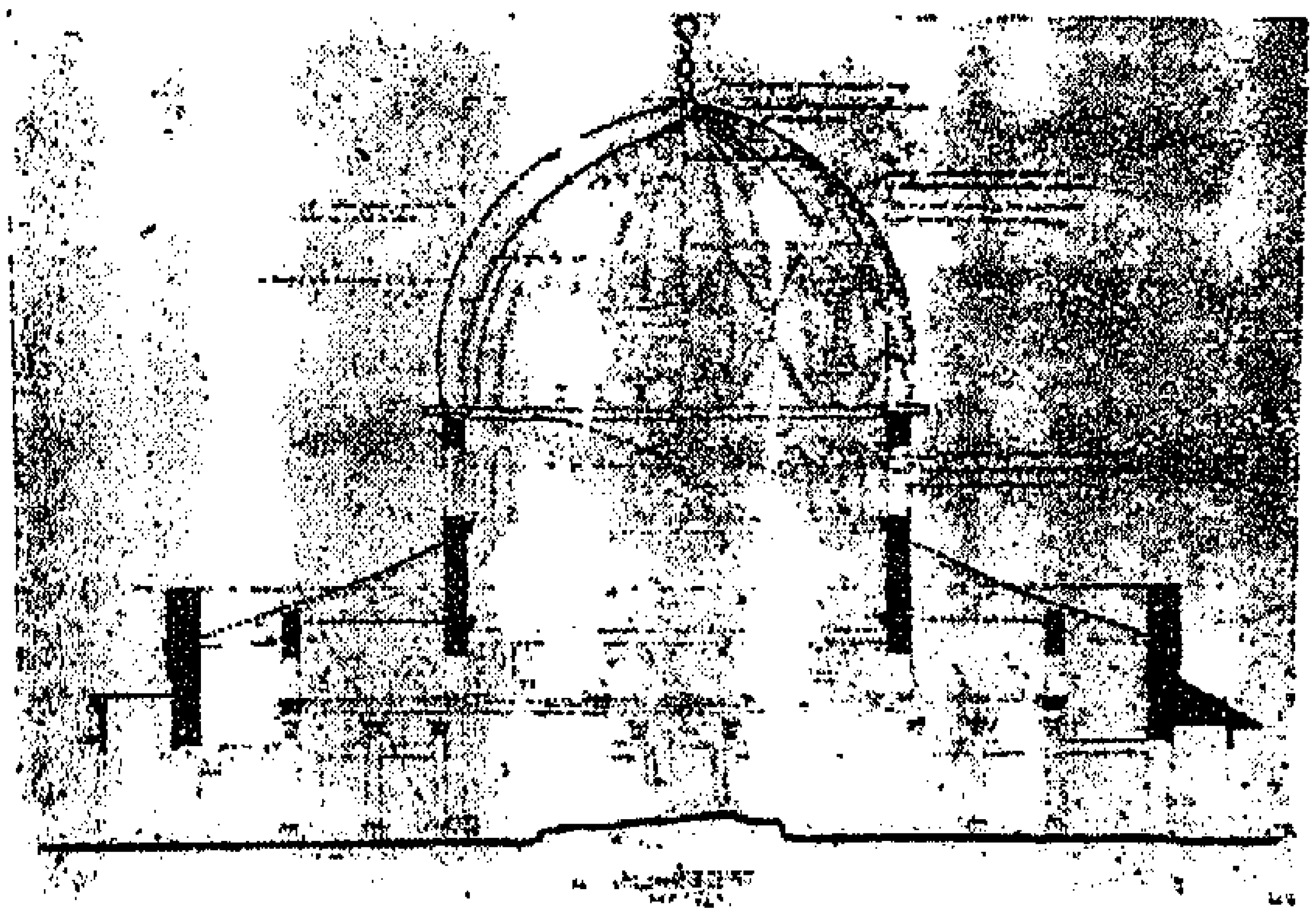

(شكل ٤) قطاع رأسي في قبة الصخرة (عن كريزول)

الباب الأول

مقدمة

لعل فن العمارة الاسلامية ، من أهم وأقدم الفنون التى عرفها العالم فقد نشأ الفن الاسلامى فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ونما حتى بلغ مرحلة الشباب فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ثم دبّ اليه الضعف منـذ القرن الثامن عشر بعد أن تأثر المسلمون بفنون الغـرب .

ويعتبر فن العمارة الاسـلامية من أوسع الفنـون انتشارا ، فقد امتـدت الامبراطورية الاسلامية من الهند وآسيا الوسطى شرقا الى الأندلس وبلاد المغرب غربا ومن جنوب ايطاليا وصقلية شمالا حتى بلاد اليمن جنوبا . ومن الطبيعى أن الأساليب المعمارية فى الامبراطورية الاسلامية الواسعة لم تكن ذات طراز معمارى واحد فى القرون الطويلة التى ازدهر فيها الفن الاسلامى ، فهى تختلف وتتميز عن بعضها فى كل اقليم فى العصور المختلفة ، فالمنشئات المعمـارية تختلف فى مواد العمارة نفسها وفى أنواع الأعمدة وتيجانها والعقود وفى المآذن والقباب والدلايات أو المقرنصات وفى أنواع الزخارف الهندسية والنباتية والخطية وكذلك فى المواد التى تغطى بها الجدران كالجص والقاشانى .

وقد كان الغالب على الجماعة الاسـلامية الناشئة فى عصر النبى وفى عصر الخلفاء الراشدين من بعده ، البساطة وخشونة العيش والجهاد فى سبيل الله . ولم يعرف عن العمارة فى ذلك العهد سوى دار الرسول وبعض مساجد ذات جدران من اللبن وأسقف من رعف النحيل ، بسيطة فى تخطيطها ، محاطة بجدران أربعة ، وقد تحاط فى بعض الأحيان بخندق محفور كما هو الحال فى مسجدى

الكوفة والبصرة • وكان السقف مقاما على أعمدة مصنوعة من جذوع النخل أو من الأعمدة الحجرية المأخوذة من المعابد والكنائس القديمة فى الأقطار التى فتحها العرب • وعلى أثر استيلاء الأمويين على الخلافة وانتقال عاصمة الدولة الاسلامية من المدينة الى دمشق قام الفن الاسلامى الأ... وظهر الطراز الأموى الذى يعتبر أول الطرز المعمارية الاسلاميه • وقد بنى المسلمون فى ذلك العصر عدة آثار معمارية لا تزال قائمة الى الآن وأهمها قبة الصخرة ببيت المقدس والمسجد الأموى بدمشق وعدة قصور بناها الأمويون فى بادية الشام كقصير عمرا ، وقصر المشتى وقصر الطوبه ، وقد كان يأوى الأمراء اليها للصيد أو حين تنتشر الأمراض فى المدن كما فى قصير عمرا • وكان البعض يشبه الحصون الصغيرة ، ويزين جدران وأسقف تلك القصور نقوش آدمية ذات ألوان زاهية يظهر فى أساليبها المؤثرات البيزنطية وفى بعضها تظهر التقاليد الايرانية •

وبظهور الدولة العباسية انتقلت العاصمة الى « ... » وتغيرت أساليب العمارة وغلبت الأساليب الفنية الساسانيه على الفنون الاسلامية • وقد شيد الخليفة المنصور سنة ٧٦٢ م مدينه بغداد ذات التخطيط المستدير على نهر دجلة وفى وسطها القصر والجامع ويحيط بها الأسوار الخارجية وكان للمدينة أربعة مداخل هى باب الشام وباب خراسان وباب الكوفة وباب البصرة • وفى سنة ٨٣٦ م شيد الخليفه المعتصم مدينه سامرا أو « سر من رأى » على الضفة اليمنى من نهر دجلة شمال بغداد • وقد نشأ أحمد بن طولون فى مدينة سامرا ويرجع اليه الفضل فى نقل أساليب العمارة العراقية الى مصر بانتقاله اليها وتأسيسه الدولة الطولونية فيها • وقد بنى ابن طولون جامعه المشهور على نمط مسجد سامرا بالعراق وهو يمتاز بمئذنته الفريدة فى مظهرها وهى من غير شك متأثره بمئذنه المسجد سامرا المعروفة « بالملوية » •

وفى عصر الفاطميين أنشئت مدينة « القاهرة » وشيدت الأسوار الحربية للدفاع عنها ويكتنفها أبراج للدفاع وبوابات منها باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة المعروفة • الى جانب ذلك بنى الجامع الأزهر وعدة مساجد أخرى كجامع الحاكم وجامع الأقمر وجامع الصالح طلائع •

وقد امتاز عصر الدولة الأيوبية فى مصر بالعمارة الحربيه ولا سيما القلعة وبانشاء المدارس الكبيرة لتدريس المذاهب الاسلاميه الأربعة ، ومن أهم المنشآت المعمارية ضريح الامام الشافعى ويمتاز بقبته الجميلة المحمولة على المقرنصات .

ومن أمثلة العمارة فى عصر المماليك بعد ذلك ضريح المنصور قلاوون ومدرسة السلطان حسن ومدرسة قايتباى وغيرها .

وفى المغرب والأندلس ظهر الطراز الأسپانى المغربى فى القرن الثانى عشر الميلادى ويمتاز بعقوده على شكل حدوة الفرس . وقد شيد المسلمون كثيرا من العمائر الشهيرة فى الطراز المغربى كجامع الكتبية فى مراكش وكالچيرالدا (منارة جامع اشبيلية) . ويرجع قصر الحمراء فى مدينة غرناطة الى عصر بنى نص ويعتبر سيد العمائر المغربية على الاطلاق .

وتمتاز المساجد التركية بمآذنها الرفيعة والطويلة ذات الرءوس المدببة المخروطية وبها عدة شرفات ، وتصميمها يشبه تصميم كنيسة أيا صوفيا فهى ذات قاعة مربعة تعلوها قبة مستديرة ويحيط بها أنصاف قباب صغيرة ومن أشهرها جامع سلطان أحمد ومسجد السليمانية فى مدينة استامبول ، وقد بنى الاتراك كثيرا من القصور والأسبلة والمساجد التى تغشيها بلاطات من القاشانى الملون . وكان للعمارة التركية الاسلامية أثرها على العمارة الاسلامية فى مصر وذلك أيام محمد على كما هو واضح فى مسجده بالقلعة وفى عصر الباشوات الأتراك من قبله فى مسجد الملكة صفية بشارع محمد على ومسجد سنان ببولاق .

أما العمائر فى الطراز الفارسى فتمتاز بتكسيتها ببلاطات القاشانى الملونة ، تلك الألوان التى نبغ الفرس فى تكوينها ، ويعتبر عصر الأسرة الصفوية (فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى) من أزهى العصور فى العمارة الايرانية ، ومن مميزات العمارة فى هذا الطراز العقد الفارسى المدبب والمآذن الاسطوانية الشكل التى تكتنف واجهات المداخل ويعلو تلك المآذن شرفات كالفنار .

وتمتاز العمائر الهنديه باستخدام العمود الفارسيه ذات الفصوص وبالمآذن الاسطوانية ، وفى بعض الأحيان تكون مضلعة الشكل تتخذ شكلا مخروطيا فى أعلاها ، كما تمتاز القباب بأشكالها البصلية وبزخارفها الدقيقة .

ومن أهم المنشئات المعمارية الهندية ضريح تاج محل الذى شيده الامبراطور شـاه جهان فى أجـرا لزوجته ممتـاز محل بين (١٠٣٩ — ١٠٥٨ هـ) (١٦٣٠ — ١٦٤٨ م) ، ومن المساجد الهندية المشهورة فى العمارة الاسـلامية « المسجد الجامع » فى دلهى بالهند فى القرن (١ ١١ م) .

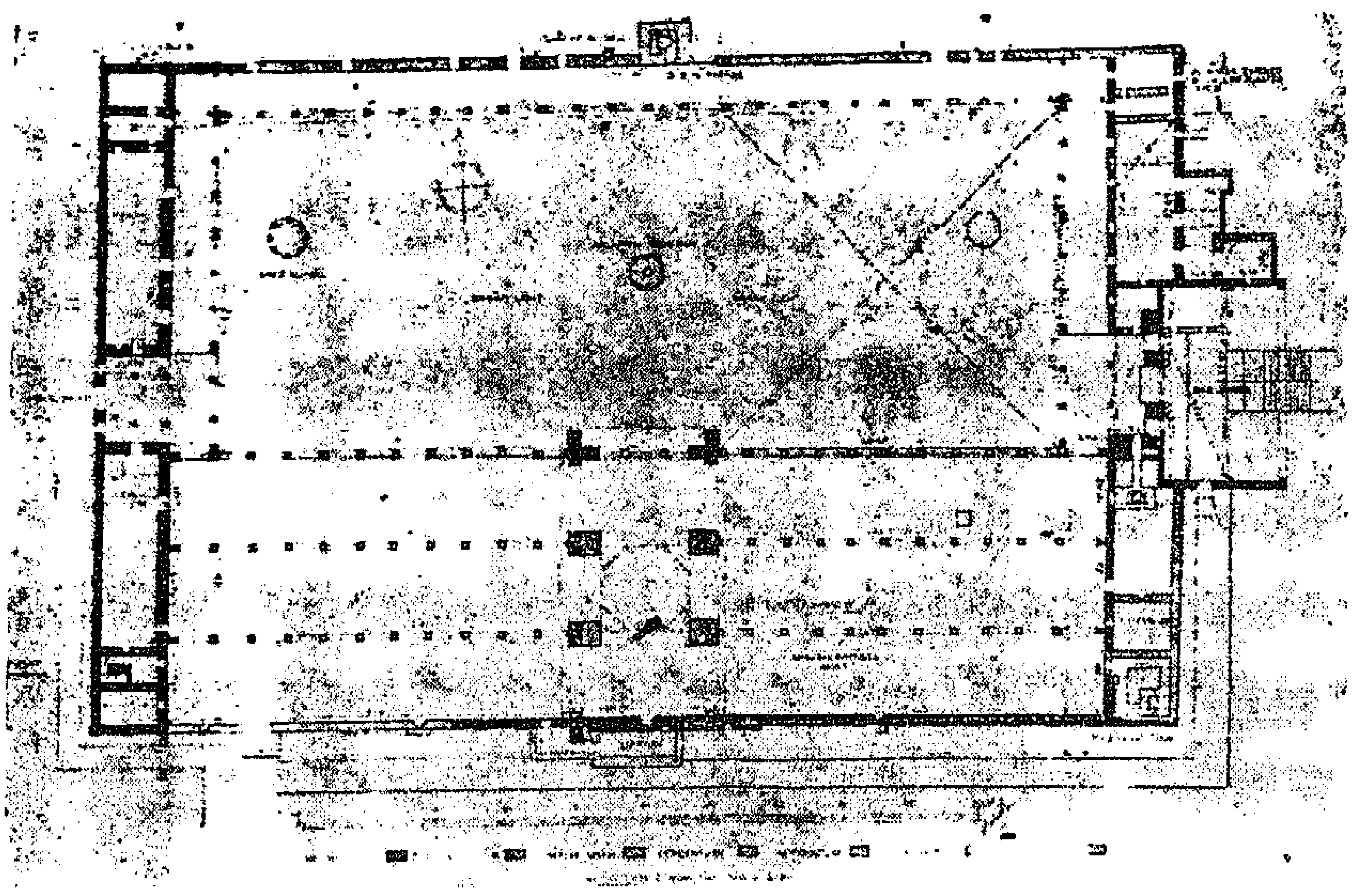

(شكل ٥) مسقط الأفقي للمسجد الأموي بدمشق (عن كريزول)

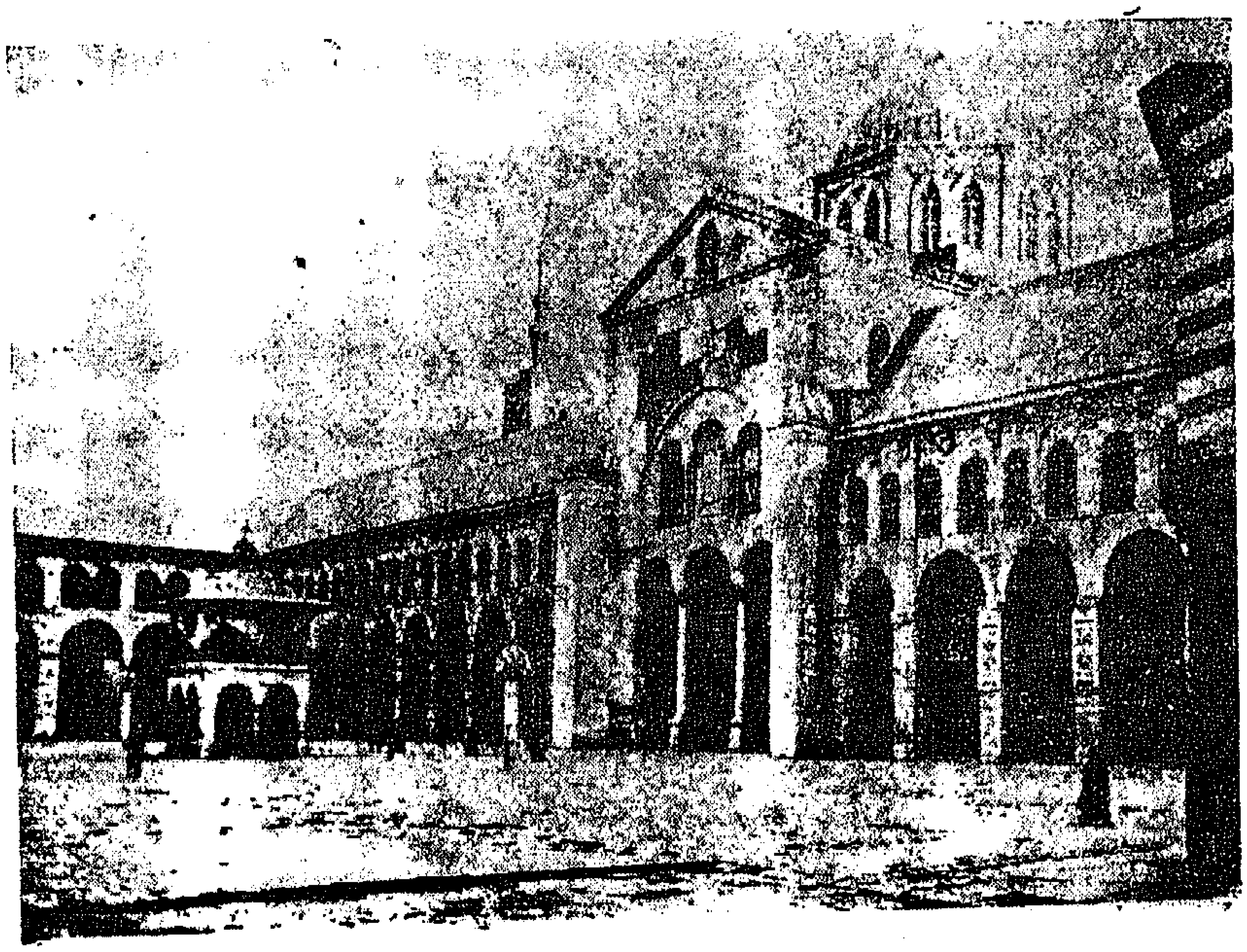

(شكل ٦) واجهة رواق القبلة المشرفة على صحن المسجد الأموي بدمشق (عن كريزول)

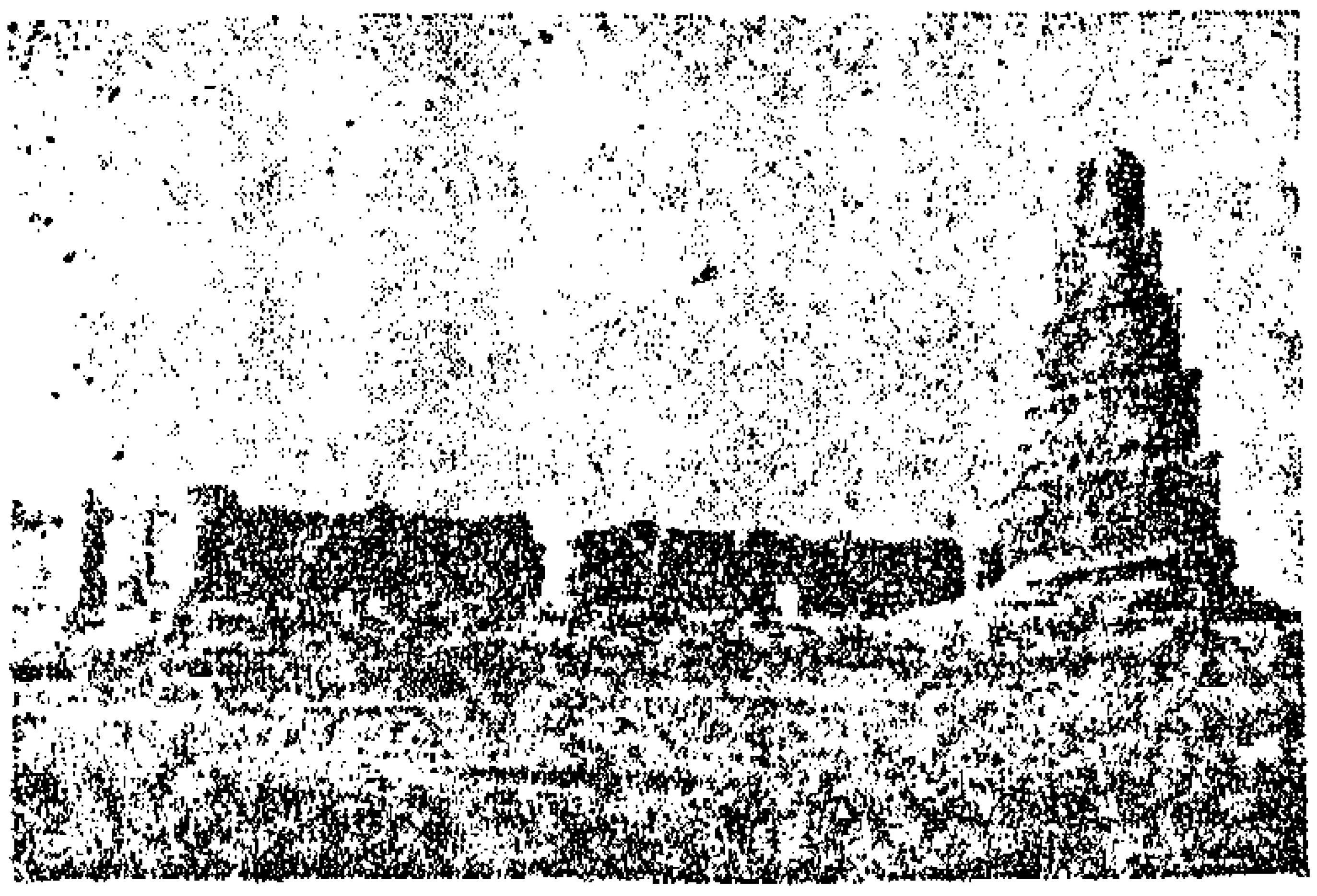

(شكل ٧) منارة الملوية
بمسجد سامرا

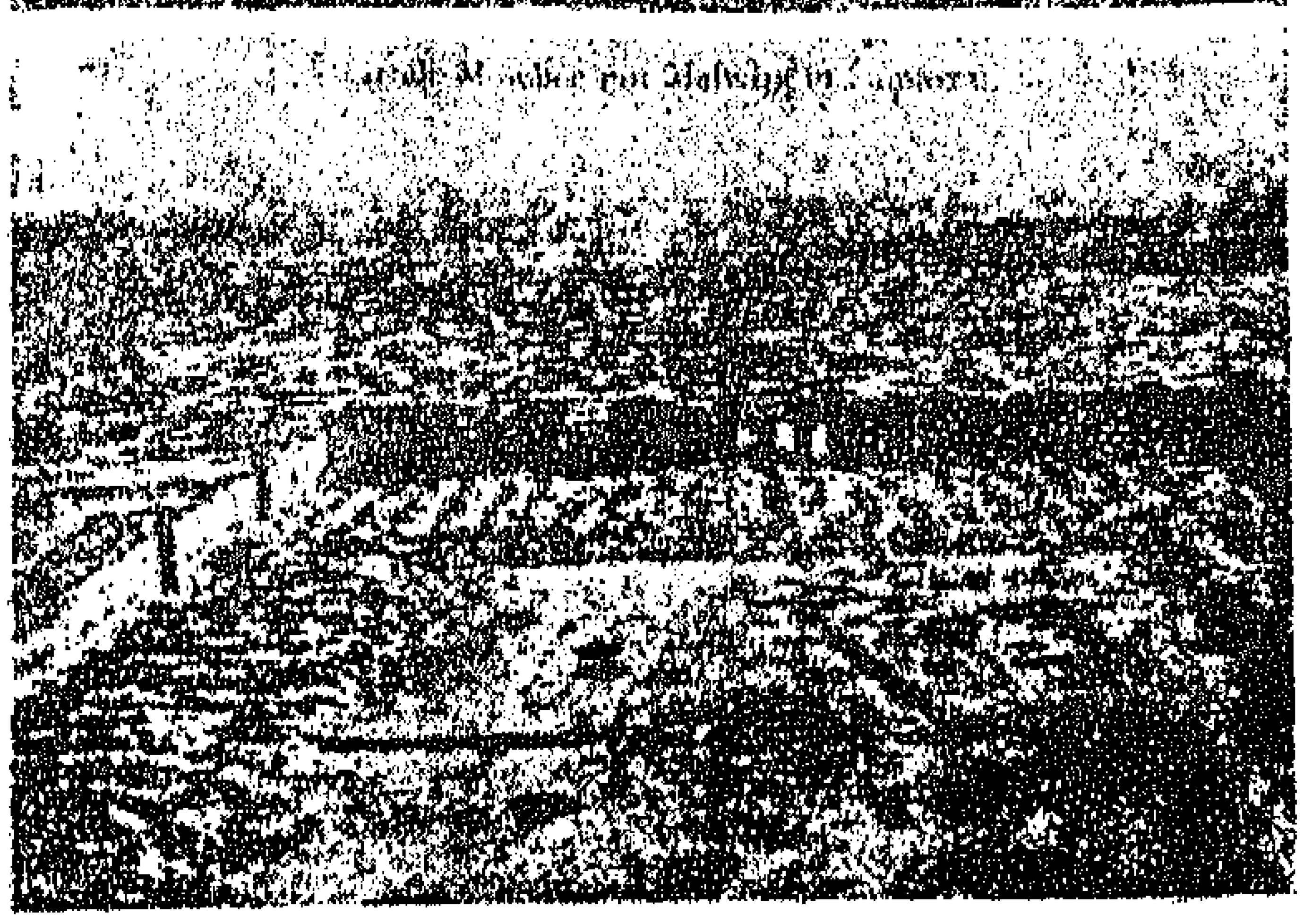

(شكل ٨) منظر من الجو لأطلال
مسجد سامرا

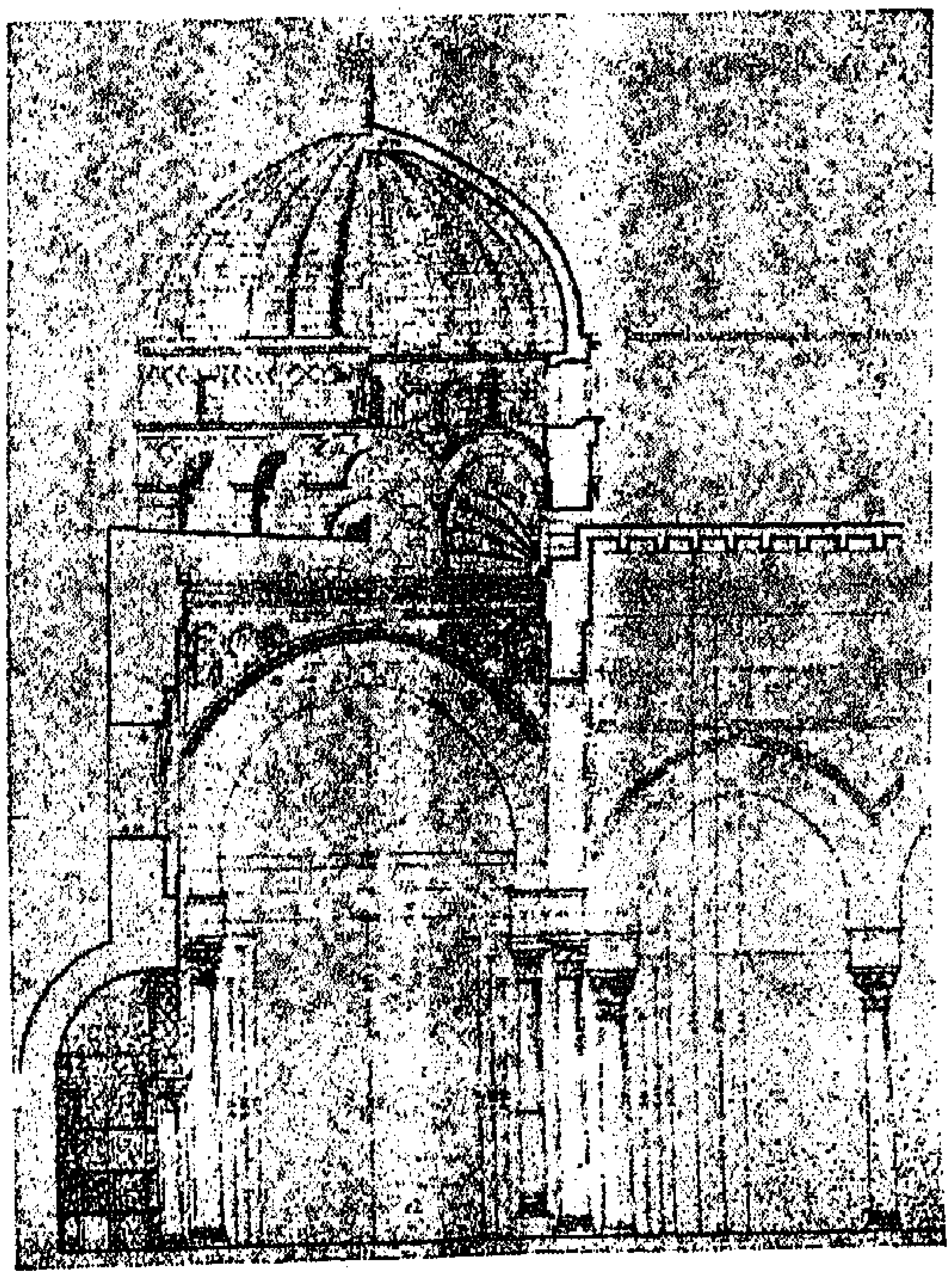

(شكل ٩) القبة الموجودة أمام محراب
مسجد القـيروان
(عن كريزول)

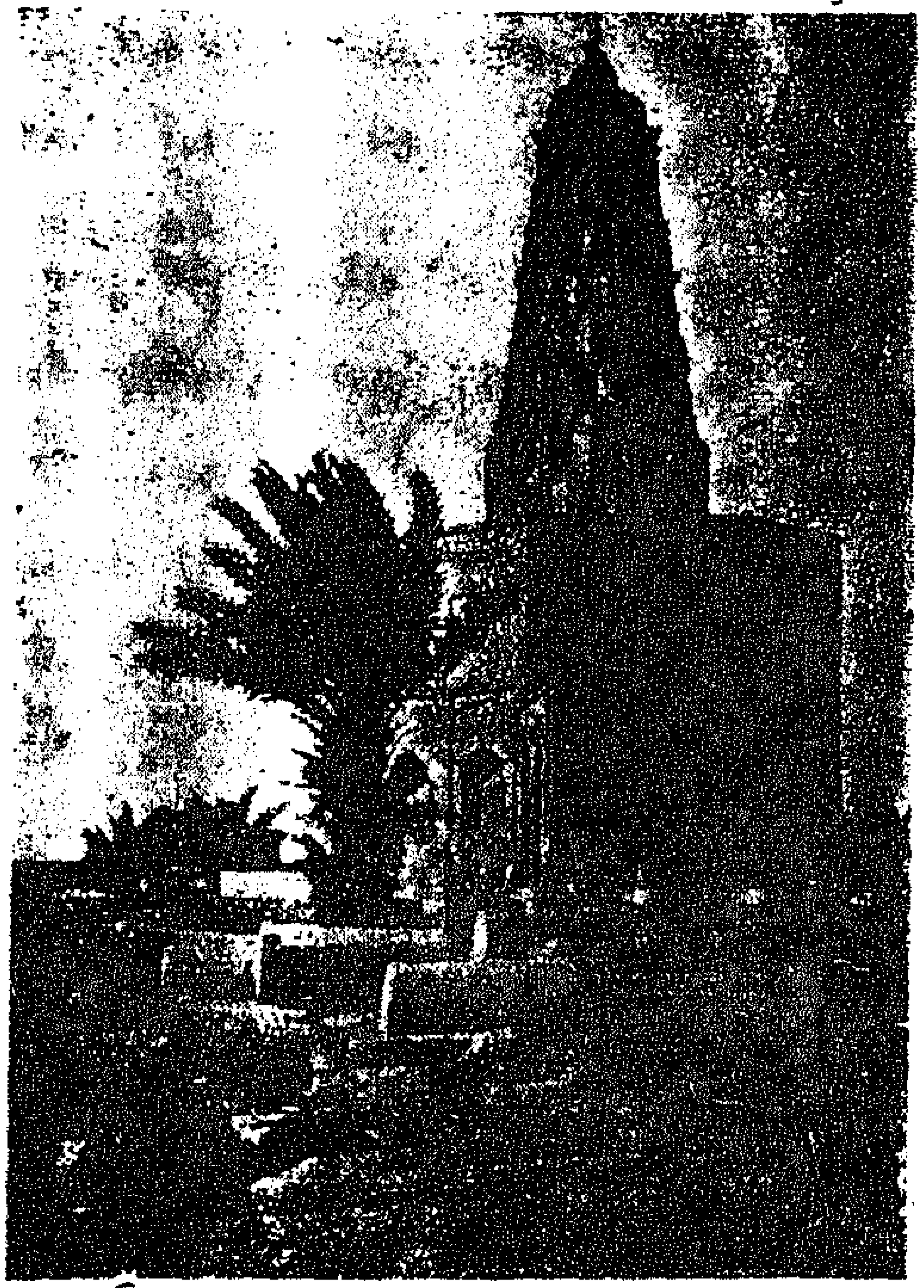

(شكل ١٠) ضريح زبيدة فى بغداد

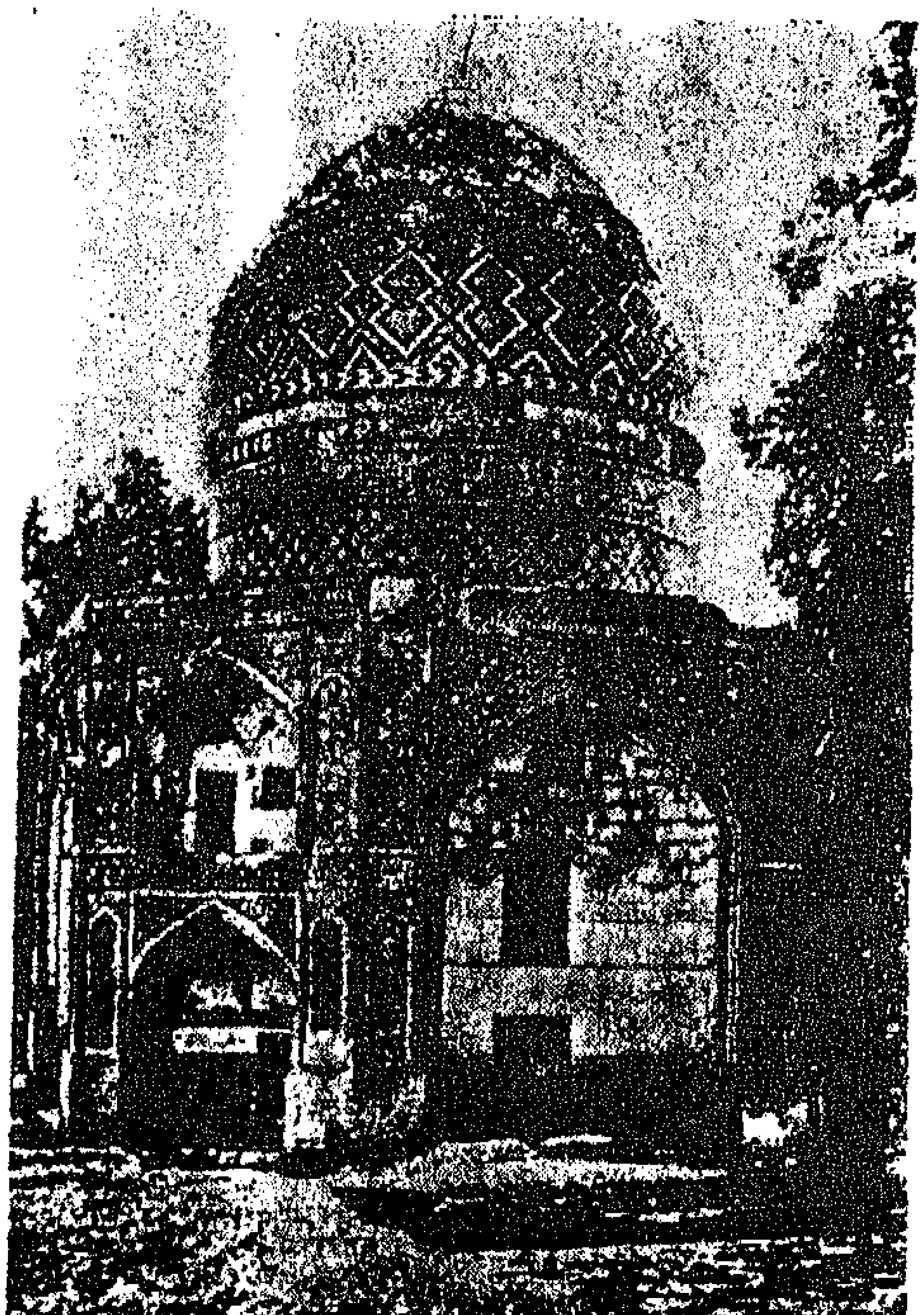

(شكل ١١) ضريح قدم جاه بمدينة
نيسابور من القرن (١١هـ-١٧م)
(عن پوب)

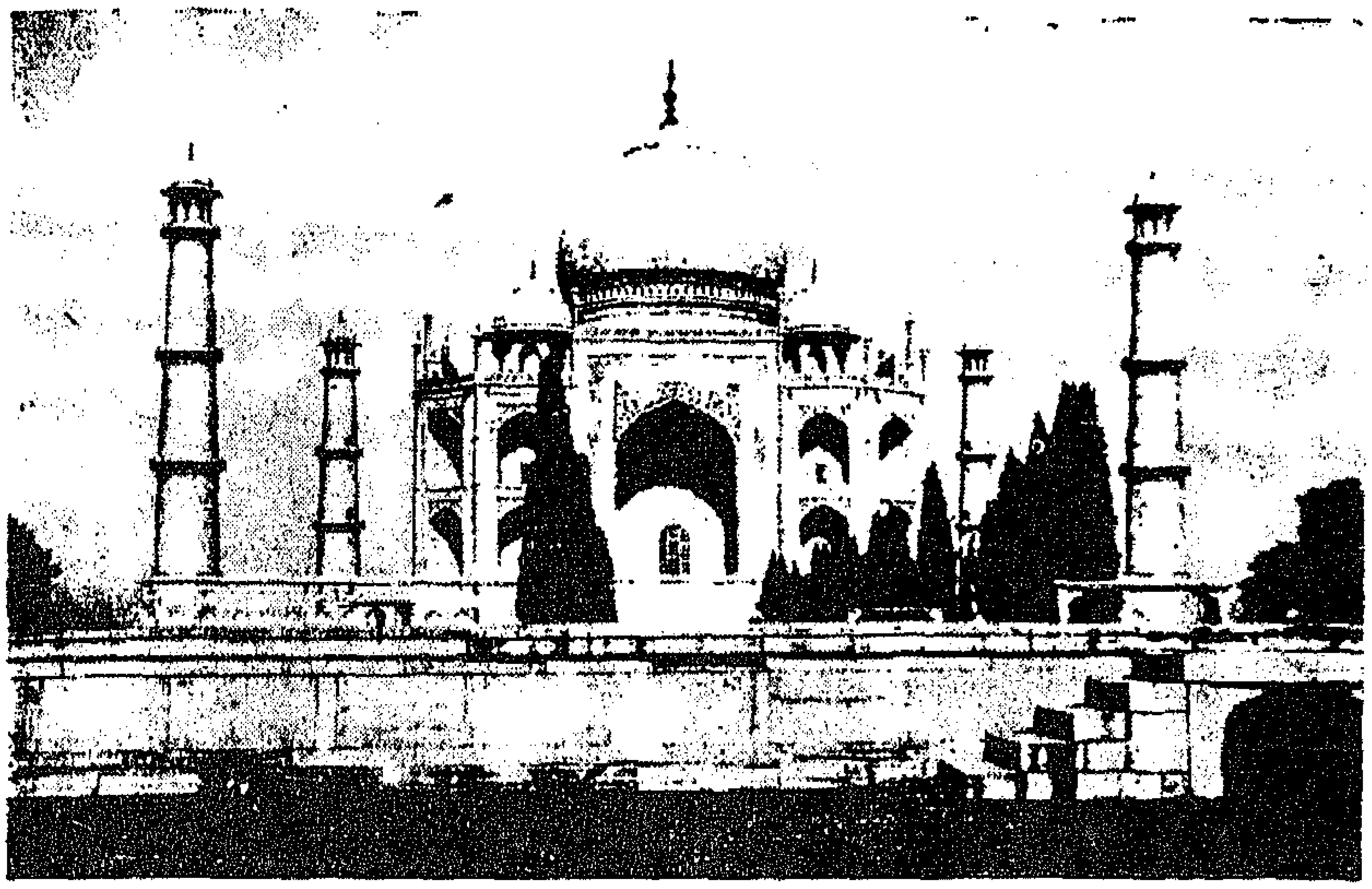

(شكل ١٢) منظر تاج محل بمدينة أجرا فى الهند (عن ديز)
(١٠٣٩ - ٥٨ ﻫ) (١٦٣٠ - ٤٨ م)

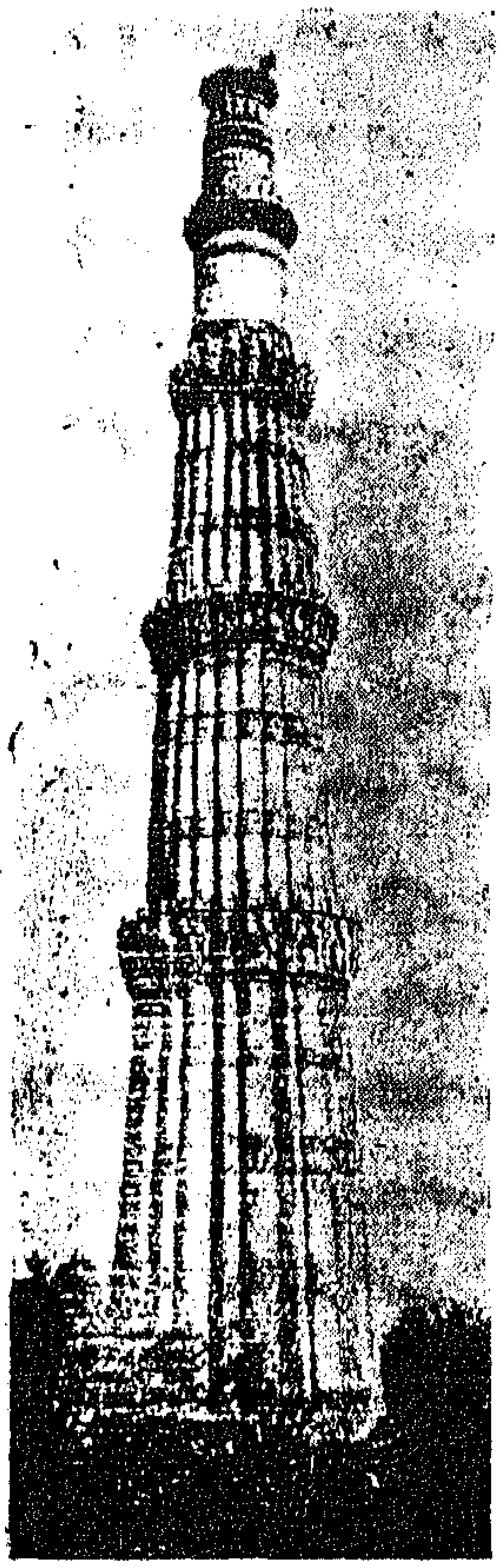

(شكل ١٣) مئذنة « قطب مينار » فى دلهى بالهند

نوع العمائر الاسلامية فى مصر

ظفرت مصر بما تخلف فيها من مجموعات معمارية وطرف فنيــة تمثلت فيها مختلف الحضارات المتعاقبة على حكمها فى مختلف العصور الاسلامية من الفتح الاسلامى سنة ٦٤١م الى سنة ١٨٧٨م • وتشاهد هذه الآثار ممثلة لكافة الأغراض المنشأة من أجلها ما بين مساجد ومدارس ومستشفيات وخوانق وأسبلة وكتاتيب وأحواض لشرب الدواب وقناطر لتوصيل الميــاه وقصــور وحمامات ووكالات للتجارة وقلاع وأسوار •

المسجد : ــ مكان لاقامة شعائر الدين والصلاة •

الضريح : ــ مكان يدفن فيه المسلمون ، وكانت بعض الأضرحة على شكل قاعة مربعة لها باب فى كل حانب كما فى أضرحة السبع بنات وتعلوها قبة وقــد أخذ المسلمون هدا التصميم عن أول صريح وجد فى الاسلام بهدا الشكل وهو فنة الصليبية فى سامرا • وكانت المقابر فى ايران على أشــكال أبراج أسطوانية وفد يعلوها فى بعض الأحيان سقف مخروطى الشكل •

المشهد : ــ يطلق على المكان الذى يدفن فيــه الشهيد وأحيانا يوضع فيه نصب تذكارى ويطلق على المشهد فى بعض الأحيان اسم « المزار » • وقد شوهد لأول مرة فى الاسلام فى « قبة الصخرة » تصميم المشهد الذى بناه عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ ــ ٦٩٢م) •

الرباط : ــ نوع من المبــانى العسكرية كان يسكنه المجــاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام بحد السيف ، وأهمها فى شمال أفريقيــة ومعظمها اسية مستطيلة الشكل وتوجد فى أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن الأربطة صفاتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية •

مبان عسكرية : ـ كالقلاع والأسوار وأغلبها فى مصر والشام وايران والمغرب الأقصى .

الخوانق : ـ جمع خانقاه أو « خانكاه » وهى كلمة فارسية أطلقت على البيوت التى أقيمت منذ القرن الخامس الهجرى لايواء الصوفية ثم أنشئت فى عهد الأتراك العثمانيين (التكايا) جمع تكية لايواء الدراويش المنقطعين للعبادة .

السبيل والكتاب : ـ كان السبيل فى الأصل ملحقا فى أحد أركان المسجد للشرب ، وفى أغلب الأحيان كان يعلوه مكان لتحفيظ الأطفال القرآن يعرف بالكتاب ثم أصبحت هذه الأبنية بعد ذلك منفصلة كما هو الحال فى سبيل عبد الرحمن كتخدا المعروف بالنحاسين .

البيمارستانات : ـ ومعناها بيوت المرضى أو المستشفيات بوجه عام وليست مستشفيات الأمراض العقلية فقط ، كما هو مفهوم فى الوقت الحاضر ، ومن أمثلتها بيمارستان قلاوون ضمن مجموعته المعمارية الشهيرة بالنحاسين التى ضمت ضريحه ومدرسته ومسجده .

الخانات والوكالات : ـ الخانات أو الفنادق أما الوكالات كانت أبنية ضخمة يأوى اليها المسافرون والقوافل ، وكانت فى العادة تحتوى على مداخل مشيدة من الأبراج والعقود الشاهقة مما يكسبها عظمة وفخامة . وكان للخان فناء تربط فيه دواب المسافرين ، وفى الدور الأرضى غرف مفتوحة على الفناء أو الصحن تودع فيها المتاجر وأخرى تطل على الشارع الخارجى وتؤجر كحوانيت للتجار تعلوها غرف للسكنى .

الأسواق أو القياسر : ـ فى بعض المدن الاسلامية كانت الأسواق مظهرا من مظاهر العمارة وامتازت بأقبيتها العظيمة وعقودها الفخمة وفى بعض الأحيان كانت تسمى قياسر (جمع قيسارية) ومثال موجود فى القاهرة ودمشق وحلب وتونس وفاس وأصفهان واستامبول .

الحمامات : ـ روعى فى تصميم الحمامات وجود ثلاث قاعات : باردة ثم دافئة فساخنة حتى لا يؤذى المستحم من الانتقال من الجو البارد الى الحار أو العكس ، وتسخن القاعات بواسطة مد أنابيب النار تحت أرضيتها ، وكانت

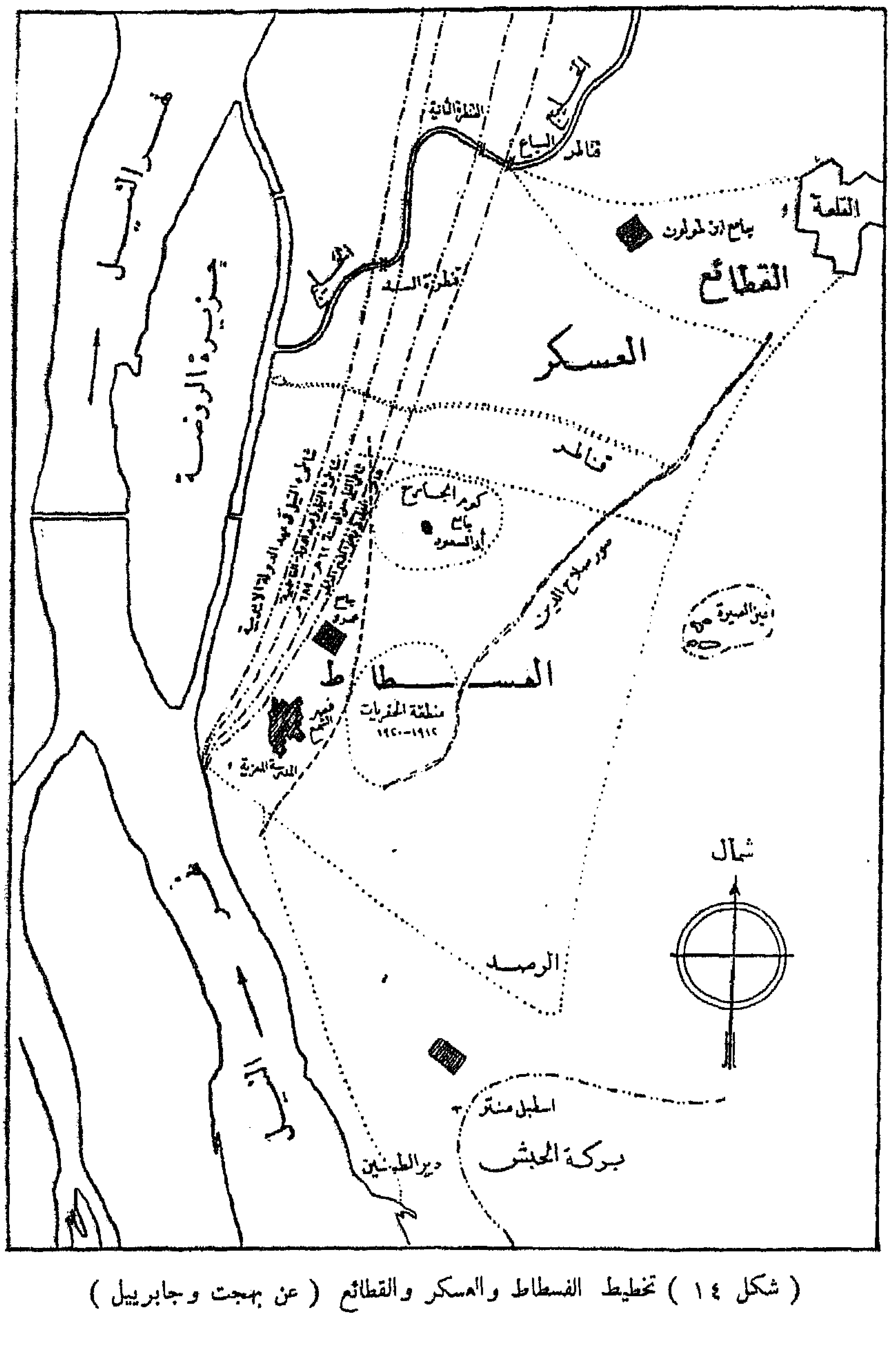

(شكل ١٤) تخطيط الفسطاط والعسكر والقطائع (عن بهجت وجابرييل)

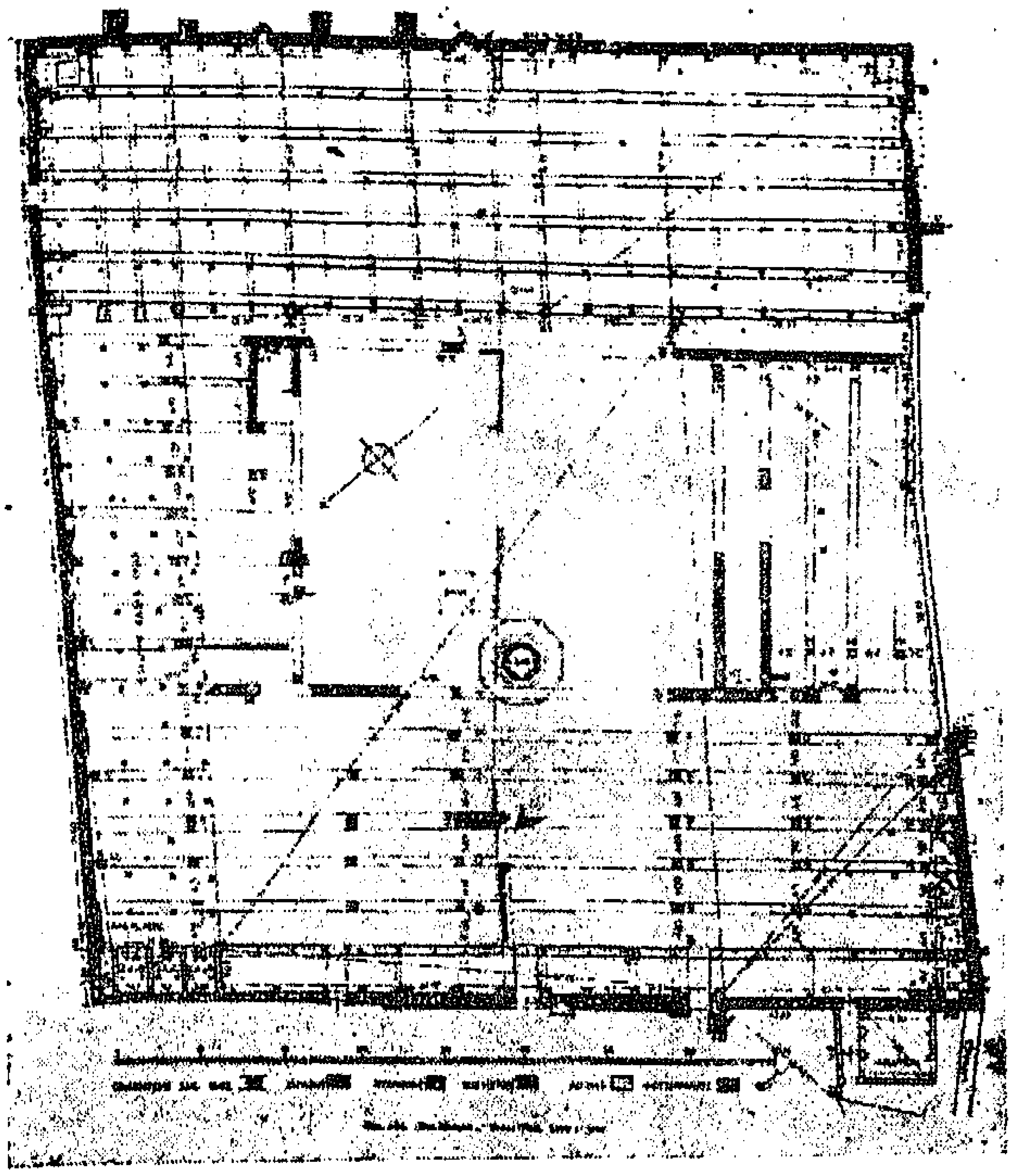

(شكل ١٥) مسقط أفقى
لجـامع عمرو بن العاص
(عن كريزول)

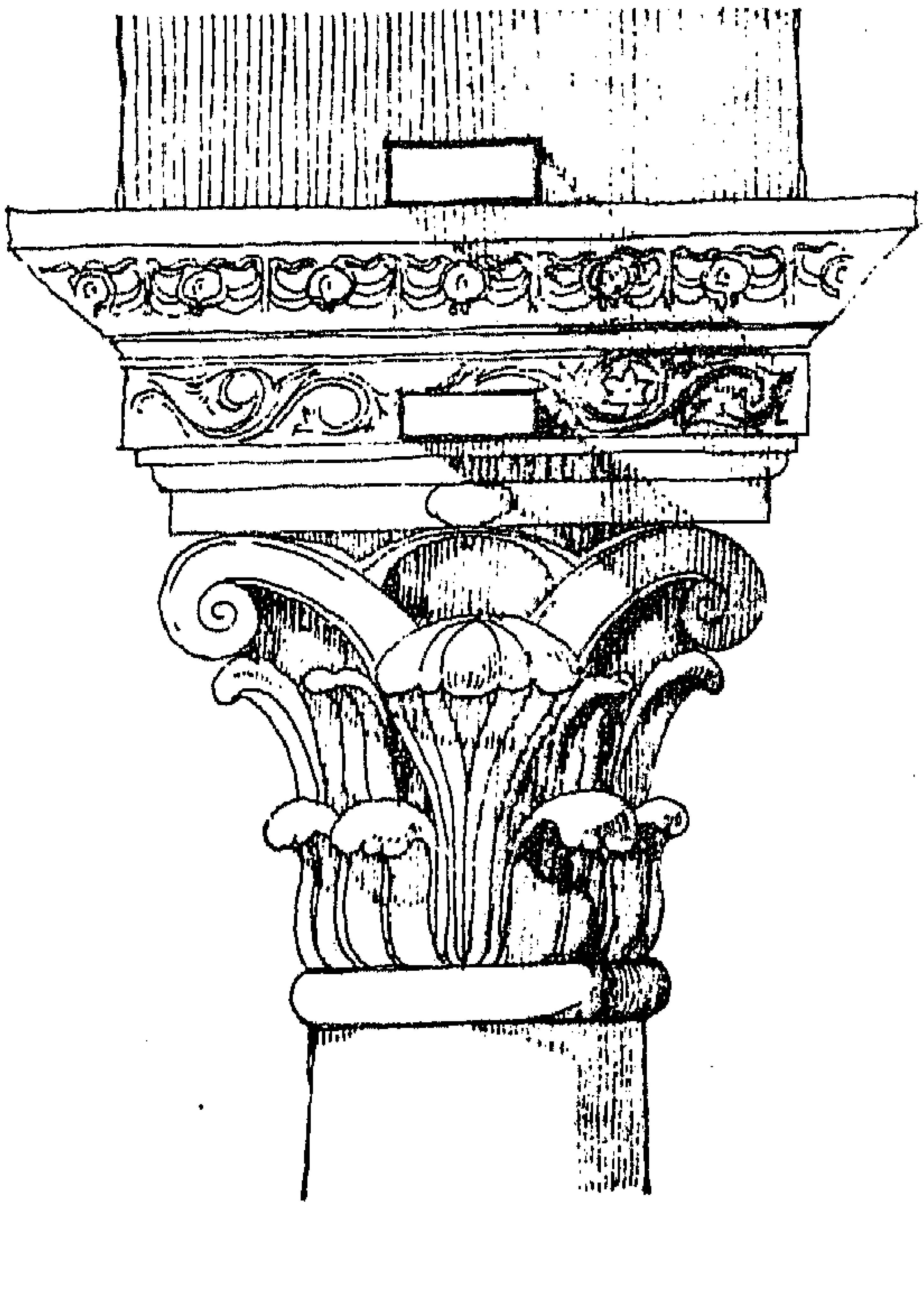

(شكل ١٦) أحد تيجان الأعمدة
برواق القبلة بجامع عمرو بن العاص

مواسير الماء الحار والبارد تجرى فى جدران تلك الحمامات وتحت أرضيتها ، ومن الأمثلة المبكرة فى الاسلام لتلك الحمامات ما شوهد فى قصير عمرا وفى حمـام الصرخ فى بادية الشـام •

القصور : ــ عنى المسلمون بتشييد عدد كبير من القصور فى أغلب بقـاع العالم الاسلامى ، وقد كانت البيوت الكبيرة والقصور فى عهد المماليك والأتراك فى مدينة القاهرة ، تشمل طابقا أرضيا للرجال (سلاملك) وطابقا علويا للحريم (حرملك) كما لوحظ أن أغلب القاعات المهمة التى كانت فى الطابق الأول تطل على الجهة البحرية لاستقبال النسيم عند اشتداد الحر صيفا •

نشأة الفنون الاسلامية
وقيام الفن الاسلامى فى مصر

قامت الفنون الاسلامية على أكتاف بعض الفنون القديمة التى كانت سائدة فى أقاليم سوريا وايران والعراق ومصر ، ثم تكونت الحضارة الاسلامية ونما فن اسلامى له طابع خاص ، وانتشر فى جميع بلاد الامبراطورية الاسلامية وجمعتها وحدة فنيــة .

واذا أريد تعرف الأســس التى قامت عليها الفنون والعمارة الاسلامية اتجهت الأنظار الى مصادر ثلاثة وهى :

١ ــ الفنون المسيحية الشرقية .

٢ ــ الفن الساسانى فى ايران والعراق .

٣ ــ الفن القبطى فى مصر .

أما الفنون المسيحية فى الشرق فقد تأثرت بأساليب الفنون الهيلينية وكان مركزها سوريا ، وقد كانت بلاد الشام عامرة بالمبانى التى ترجع الى الطــراز الهلينى ، فنقل عنها المســلمون بعض أساليب العمــارة والزخرفة ، كمــا كانت الأساليب الفنية الهلينية والايرانية منتشرة فى أقاليم الشرق الأدنى قبل ظهــور الاســلام بقرون طويلة . والواقع أنه كان هناك تمــازج بين الفنيين الايرانى والهلينى منذ فتح الاسكندر الأكبر الشرق الأدنى فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد فقــد تسربت اليه الأساليب الفنيــة الهلينيــة . وقامت فى اقليم بكتريا (أفغانستان حاليا) فنون مشبعة بالروح الهلينية الممزوجة بأساليب الفنين الهندى والساسانى .

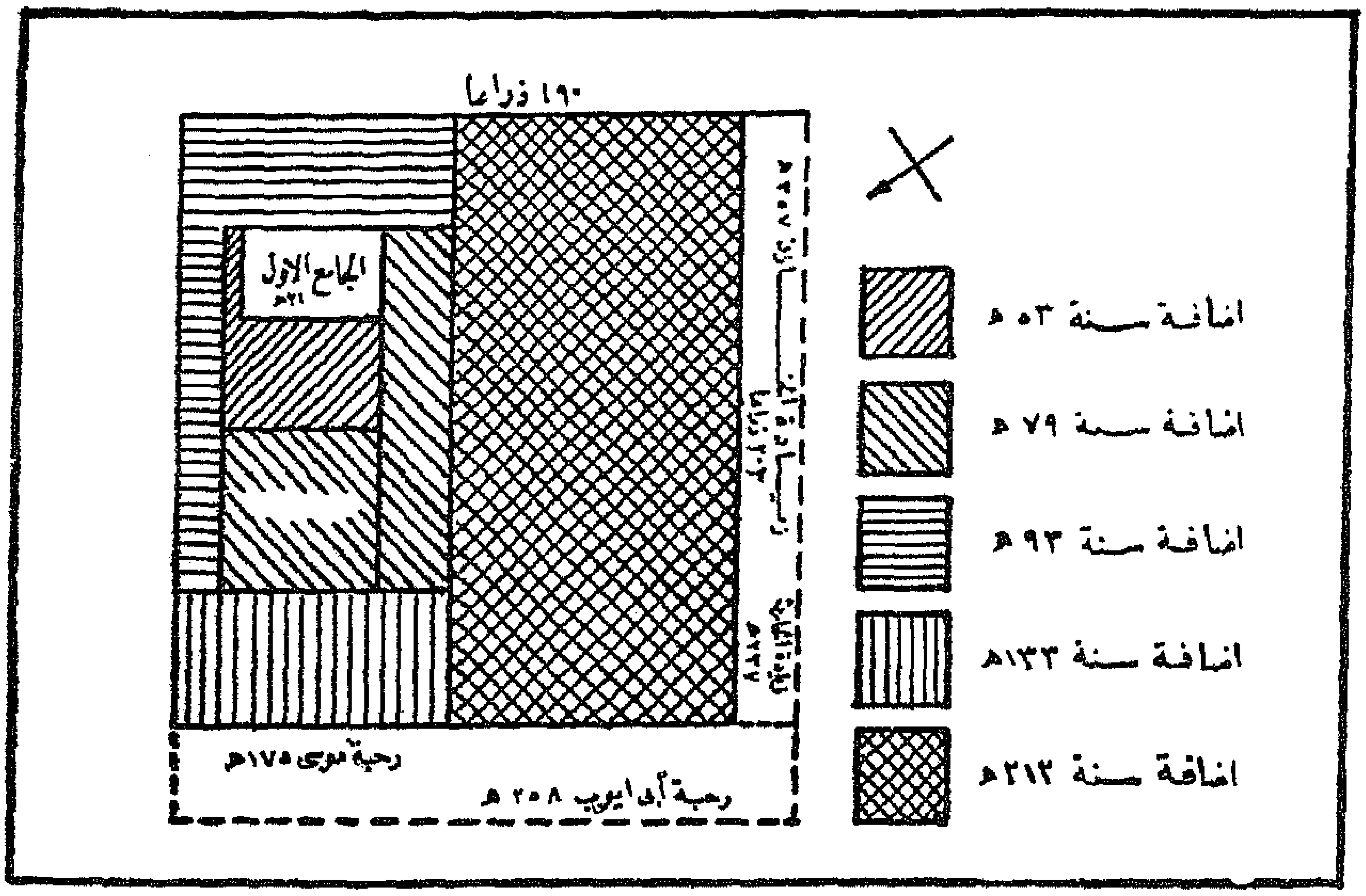

(شكل ١٧) الإضافات المتعاقبة التى طرأت على جامع عمرو بن العاص

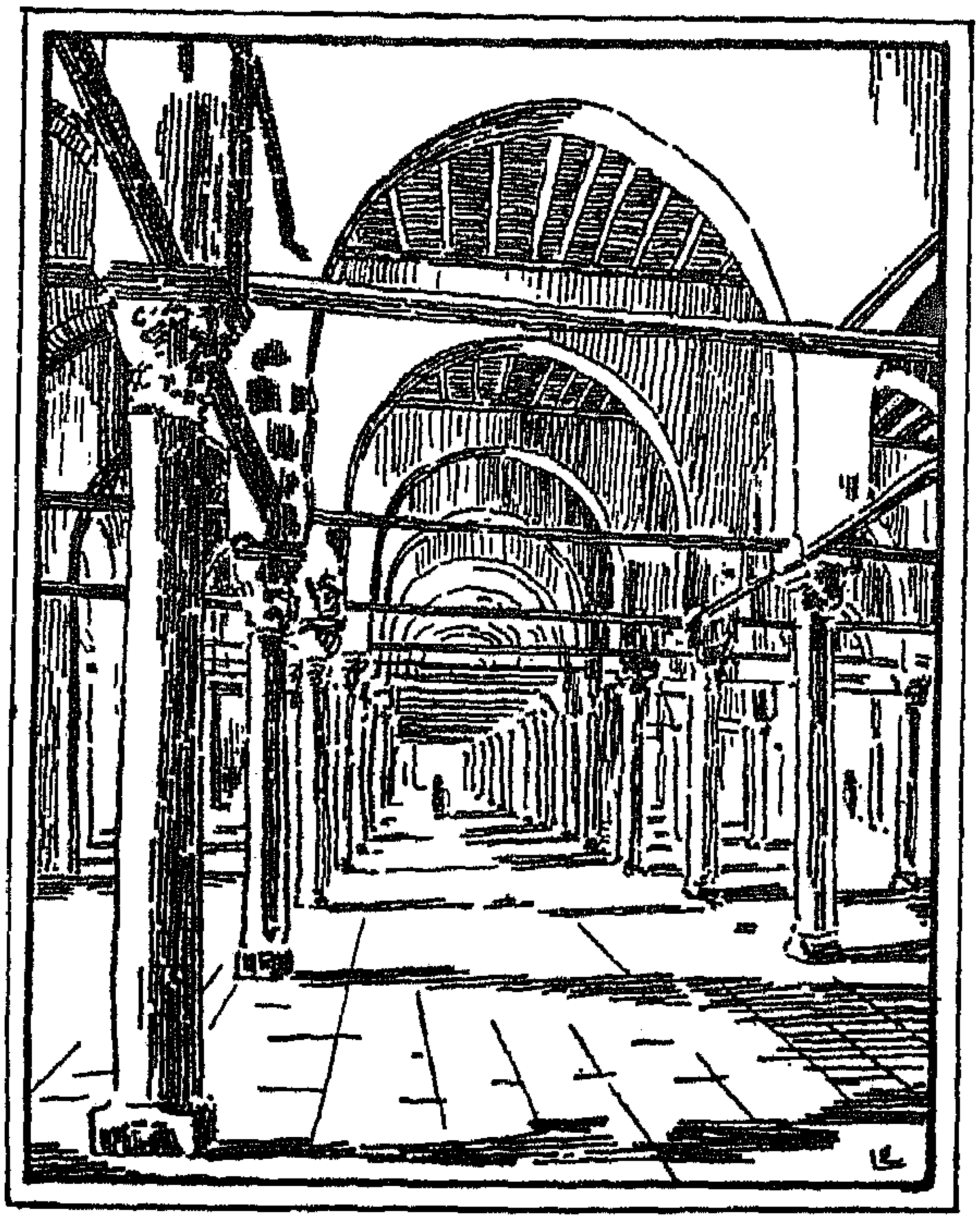

(شكل ١٨) رواق القبلة
بجامع عمرو بن العاص

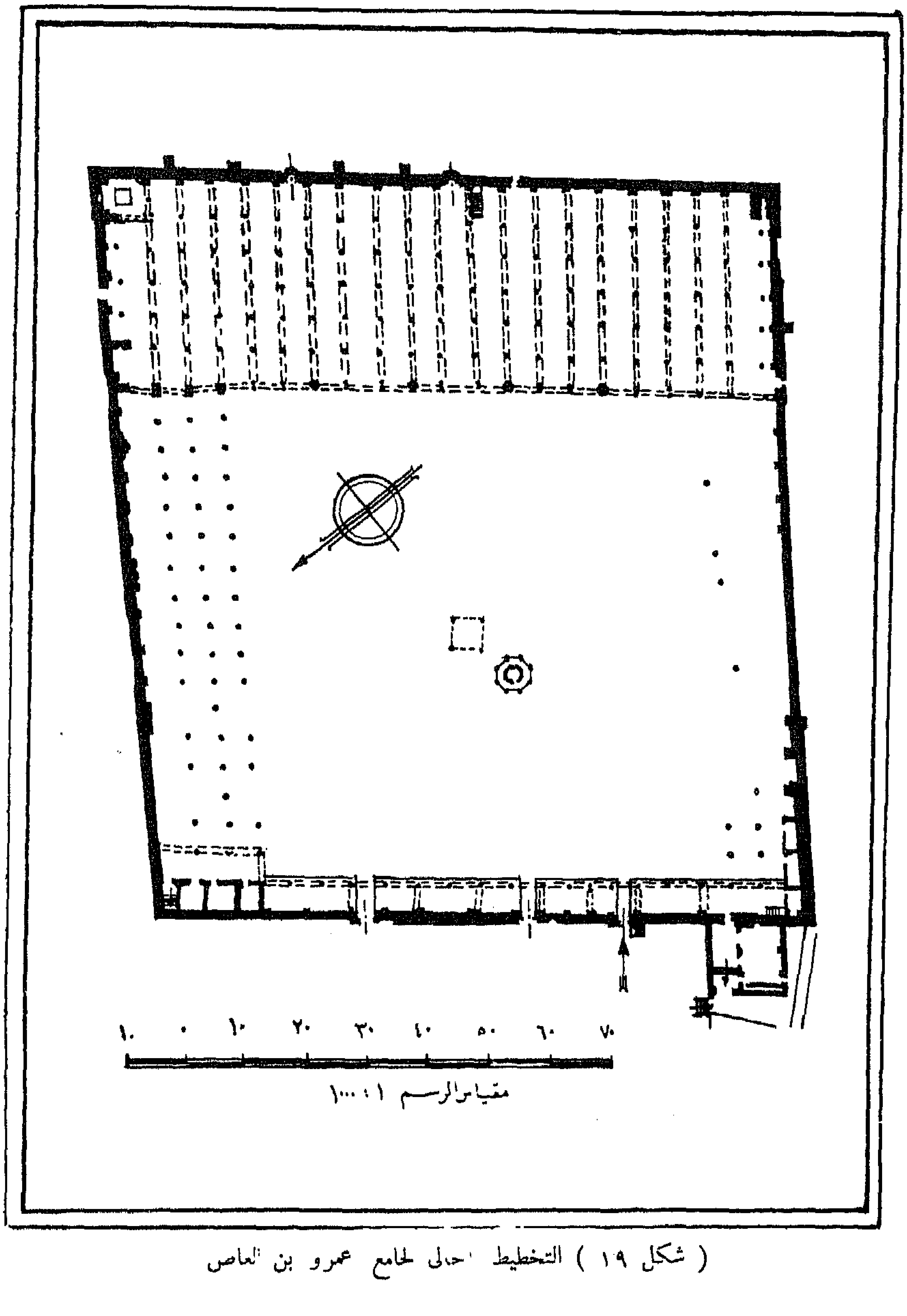

(شكل ١٩) التخطيط الحالى لجامع عمرو بن العاص

أما فى مصر فيرجع تراثها الفنى الخالد الى حوالى سنة ٤٤٠٠ ق ٠ م حيث قام الفن الفرعونى القديم من سنة ٤٤٠٠ الى ٣٣٢ ق ٠ م ثم ظلت مصر تحت حكم البطالسة من ٣٣٢ ق ٠ م ـ ٣٠ ق ٠ م ثم العصر الرومانى من ٣٠ ق ٠ م الى ٣٩٥ م ، فالدولة البيزنطية من ٣٩٥ الى ٦٤٠ م ٠

وقبل فتح العرب لوادى النيل كان الفن القبطى مزدهرا فى مصر وهو كما نعرفه مدرسة أو طراز من طرز الفن البيزنطى ـ ولما حل العرب فى مصر وظلوا مدة قرن أو أكثر من الزمان حريصين على الاشتغال بالأمور الحربية والدينية دون سواها تركوا الصناعة والتجارة لأهل البلاد وظلت الفنون والصناعات فى أيديهم حتى تدرجت أساليبهم الصناعية شيئا فشيئا وأصبحت فى العصر الفاطمى فنا اسلاميا الى حد كبير ٠

وقد كان نصيب العرب فى قيام الفنون الاسلامية روحيا فقط ، ومن الصعب تحديدم ولكنه يتلخص فى أنهم جمعوا شتى الأساليب الفنية القديمة وطبعوها بطابع دينهم الجديد وأنشأوا فنا اسلاميا متميزا عن غيره من الفنون ٠

وقد استمر العصر الاسلامى فى مصر من سنة ٦٤٠ الى ١٥١٧ م ، وأعقبه العصر العثمانى ، ثم تعرضت مصر بعد ذلك للحملة الفرنسية فى عام ١٧٩٨ وبعدها قامت أسرة محمد على فى سنة ١٨٠٥ ثم أصبحت البلاد تحت حكم الانجليز فى سنة ١٨٨١ واستقلت مصر فى عام ١٩٢٣ ٠

وفى ٢٦ يوليـة سنة ١٩٥٢ قامت الثورة المباركة على يد رئيسها جمال عبد الناصر الذى نرجو للبلاد الخير على يديه ليصبح عهده عهد رخاء ويسر ، كما نرجو أن تزدهر العمارة الاسلامية فى أيامه وتعود الى سابق عزها قوية مزدهرة ٠

أثر المناخ والبيئة على العمارة الاسلامية فى مصر

هناك بعض عوامل كان لها أثرها فى تصميم العمائر الاسلامية فى مصر ، فمناخ الاقليم المصرى الذى يمتاز بقلة سقوط الأمطار شتاء وبشدة الحرارة صيفا ، قد صرف النظر عن جعل سقوف المنشئات المعمارية مائلا فبدت أفقية مستوية . كذلك روعى ايجاد مساحات مظللة لتلطيف درجة الحرارة ، ونظرا لشدة الضـــوء فقد جعلت الفتحات ضيقة نسبيا بالنسبة لمساحات الحوائط الخارجية . وقد وجد الملقف فى تصـــميم الدور فى مصر الاسلامية كوســـيلة لتكييف هواء الغــرف الداخلية فيدخل الهواء من فتحات للتهوية ويستقبل النسيم من الجهة البحرية ، كما روعى وضع الغرف حول فناء مكشوف تتوسطه نافورة للميـــاه لترطيب الجـــو .

وكان لطبيعة التربة المصرية أثر واضح فى طريقة البناء اذ استعمل الحجـــر الجيرى المستورد من تلال المقطم والطوب والرمل لسهولة الحصول عليها . أما الأخشاب فقد استخدمت فى تسقيف الغرف والقاعات وعمل الأعتاب والميدات ــ ولعل أحسن طرق البناء فى عصرنا الحالى هى مادة الخرسانة لوفرة خاماتها ، وهى المكونة من الأسمنت والزلط والرمل .

الباب الثانى

تاريخ العمارة الاسلامية فى مصر

على أثر استيلاء العرب على بيت المقدس فى سنة (١٧ هـ ــ ٦٣٨ م) اتجه عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لفتح مصر فى سنة (١٨ هـ ــ ٦٣٩ م) • وفى سنة ٢١ هـ بنى عمرو لنفسه منزلا بالفسطاط عاصمة مصر ، كما تلقى فى الوقت نفسه أمرا من الخليفة ببناء أول مسجد جامع بمصر وهو « جامع عمرو بن العاص » الذى عرف باسم الجامع العتيق • وكانت مساحته ٥٠ × ٣٠ ذراعا أو (٢٨ر٩٠ × ١٧ر٣٤ مترا) وبقى عمرو أميرا على مصر يحكمها باسم الخليفة ثم توفى فى سنة ٤٣ هـ •

وكان جامع عمرو وقتئذ مشرفا على النيل ، ومجرى النيل يقع شرقى مجراه الحالى • وكان المسجد فى بادىء الأمر مغطى بالجريد ومشيدا على قوائم من جذوع النخل وتم تنسيقه وتجديده فى عهود مختلفة وتمت أكبر الاضافات فى عهد « عبد الله بن طاهر » الوالى العباسى سنة ٢١٢ هـ وبلغت مساحته (١١٢ر٥٠ × ١٢٠ر٥٠ م) • أى بزيادة ١٦ مرة قدر مساحته الأولى •

وهكذا كان للمسجد نصيب كبير من الاصلاح والاضافة ، حتى ظهر بمظهره الحالى الذى لا يعبر عن عمارته الأولى فى عهد منشئه الأول عمرو ابن العاص ويرجع انشاء الأعمدة والعقود الموجودة فى رواق القبلة الى عهد « مراد بك » سنة ١٧٩٧ م • وكذلك المئذنتان والمنبر والقبة فى زاويته الشرقية البحرية التى يدعى خطأ وجود قبر « عبد الله بن عمرو » تحتها •

واتسعت مدينة الفسطاط فى أيام الدولة الأموية وبقيت مقرا للأمراء الذين بعث بهم الأمويون الى مصر ، الا أن عبد العزيز بن مروان الذى كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك قد اتخذ له دارا تعلوها قبة مذهبة وكانت هـذه الدار فسيحة جدا حتى سميت « بالمدينة » .

وعلى أثر وفاة مروان الثانى أصبح « صالح بن على » حاكما على مصر فى سنة (١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م) وفى هذه السنة تم تأسيس مدينة « العسكر » الى الشمال من مدينة الفسطاط وبالقرب من جبل « يشكر » وبنى قصرا جديدا للامارة لأن القصر الذهبى (دار عبد العزيز) كانت قد دمرته الحرائق التى سببها مروان أثناء هربه . واستمرت الدار الجديدة مقرا للحكم حتى أنشأ أحمد بن طولون قصر الميدان فى سنة (٢٥٧ هـ ـ ٨٧١ م) .

وسكن ابن طولون فى أول أيام ولايته دار الامارة بالعسكر ولكنها كانت تضيق بعسكره وحاشيته فبنى قصرا كبيرا بميدان الرميلة سنة (٢٥٩هـ ـ ٨٧٢م) وأقام فى السهل الممتد من قصره الى جبل يشكر ميدانا للعب الكرة والصولجان حتى أصبح القصر نفسه يعرف باسم « الميدان » .

واختط ابن طولون لكل أمير ولعسكره خطة حول الميدان ، وامتدت حتى التصقت بخطط الفسطاط وسميت كل خطة باسم الأمير الذى ينزل فيها أو باسم طائفة العسكر التى تسكنها ، ومن هـذه الخطط تكونت المدينة الثالثة « القطائع » . ثم بنى ابن طولون فوق جبل يشكر جامعه المعروف فى وسط القطائع فى سنة (٢٦٣ هـ ـ ٨٧٦ م) . وأطلق على مجموعة المدن الثلاث (الفسطاط والعسكر والقطائع) اسم مصر أو الفسطاط ، وتميزت به فيما بعد عن القاهرة التى أنشأها جوهر القائد شمالى الفسطاط .

وكانت دار الامارة التى أنشأها بن طولون مجاورة للجامع الطولونى فى الجهة القبلية منه ، ولها باب فى جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر ، وكان ينزل بها اذا ذهب لصلاة الجمعة ، فقد كانت تجاه القصر والميدان ؛ فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه .

وبقيت دار امارة ابن طولون حتى قدم المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب وفى عهده تم تأسيس مدينة القاهرة .

مقياس النيل بالروضة : (٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م) .

يقع هذا الأثر قبلى جزيرة الروضة وقد أنشىء فى عهد الخليفة المتوكل على الله العباسى سنة (٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م) ويتكون من عمود رخامى مدرج يتوسط بئرا مربعة من الحجر ، مساحتها ٦٫٢٠ مترا مربعا وبها درج يوصل الى القاع ، يجرى حول حوائطه الداخلية . ويتصل المقياس بالنيل بواسطة ثلاث فتحات تجرى بالقرب من القاع وهى على شكل عقود مدببة ترتكز على أعمدة متصلة ذات تيجان كورنثية وقواعد رمانية مقلوبة . ونقشت على جدران البئر من الداخل وفوق عقوده آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفى ، وهى تناسب ما يتصل بالزرع والماء . وتعتبر هذه الكتابات أقدم أمثلة للكتابة الكوفية المؤرخة على الآثار فى مصر الاسلامية ، كما أن العقود المدببة تعتبر أقدم أمثلة من هذا النوع فى مصر أيضا .

والعمود المدرج عليه كتابات بالخط الكوفى وأعلاه مدون عليه رقم « تسع عشرة » ذراعا ـ وقطاع العمود مثمن وتاجه من الطراز المركب الرومانى ، وثبت العمود فى وسط البئر بواسطة عقدين يرتكزان على حوائط البئر من الداخل وكان مثبتا قبل ذلك بواسطة كمرة أفقية عليها كتابات بالخط الكوفى باللونين الأزرق والذهبى . وقد قام أحمد بن طولون باصلاح هذا المقياس فى عهده وأزال بعض الكتابات ووضع اسمه عليها ولكنه ترك عليها التاريخ الأصلى .

وفى سنة ١٩٢٥ م حدث هبوط فى العمود بقدر ثلاثة سنتيمترات ثم زاد الهبوط الى ستة فقامت مصلحة المبانى وتفتيش رى الجيزة بالاشتراك مع لجنة حفظ الآثار العربية باتخاذ الاحتياطات اللازمة لايقاف الهبوط عند هذا الحد ،

كما أقيم فى السنوات الأخيرة غطاء هرمى الشكل للمقياس من الخارج وعملت كذلك بعض الاصلاحات له من الداخل ، ولا يستخدم هذا المقياس حاليا لقياس الفيضان .

احمد بن طولون :

ولد أحمد بن طولون ببغداد فى سنة (٢٢٠ هـ — ٨٣٥ م) وتلقى علومه ونشأ وترعرع فى مدينة سامرا .

دخل مصر سنة (٢٥٤ هـ — ٨٦٨ م) ، وفى سنة (٢٥٩ هـ — ٨٧٢ م) عهد اليه الخليفة المعتمد على الله بأمر الخراج على مصر والولاية على الثغور الشامية ، وظلت البلاد خاضعة له ولذريته من بعده حوالى ثمان وثلاثين سنة وتوفى سنة (٢٧٠ هـ — ٨٨٣ م) حيث دفن بالقرافة الصغرى ومن أهم أعماله :

١ — تأسيس مدينة القطائع فى سنة (٢٥٦ هـ — ٨٧٠ م) .

٢ — انشاء قصر الميدان بميدان الرميلة .

٣ — انشاء دار الامارة التى كانت ملاصقة لحائط القبلة لمسجد ابن طولون .

٤ — البيمارستان (المستشفى) سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ — ٨٧٣ م) بمدينة العسكر .

٥ — قناطر البساتين لنقل المياه من النيل جنوبى الفسطاط الى مدينته الجديدة .

٦ — مسجد ابن طولون سنة (٢٦٣ — ٢٦٥ هـ) (٨٧٦ — ٨٧٩ م) .

٧ — انشاء ميناء عكا فى سنة (٢٦٤ — ٢٦٩ هـ) (٨٧٨ — ٨٨٢ م) .

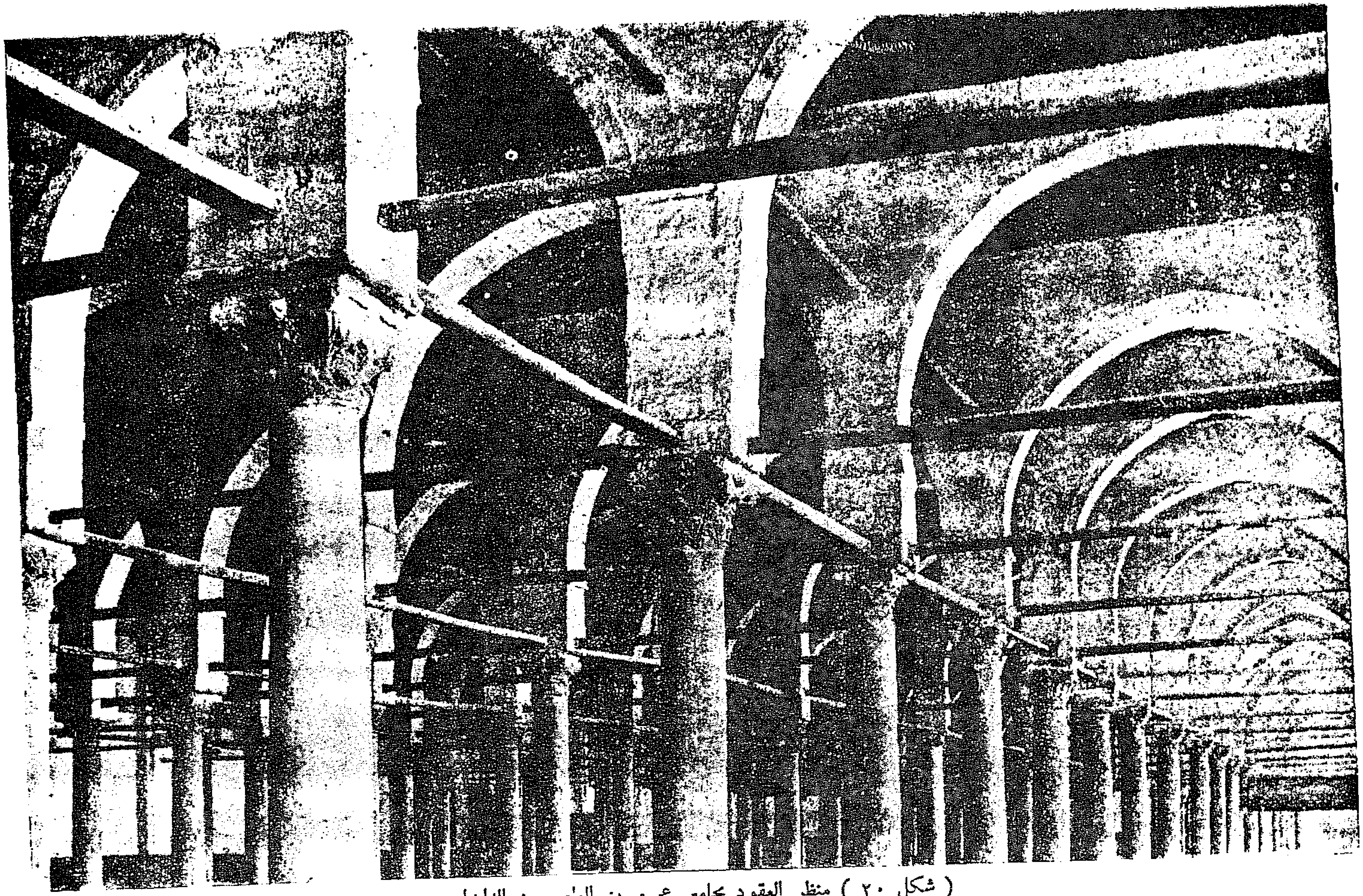

(شكل ٢٠) منظر العقود بجامع عمرو بن العاص من الداخل

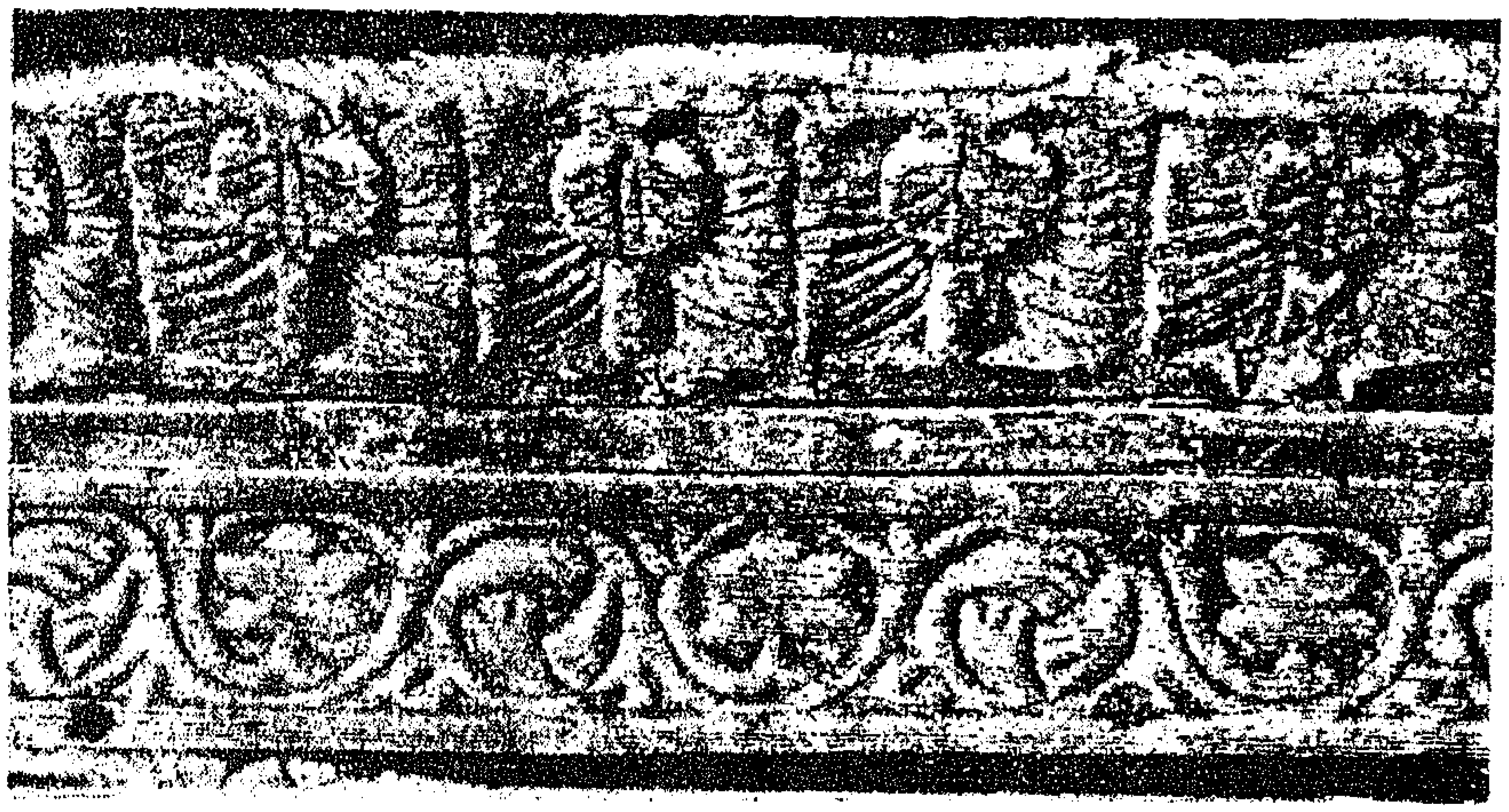

(شكل ٢١) جزء من كورنيش خشى من القرن الثالث الهجرى بجامع عمرو بن العاص
(عن كريزول)

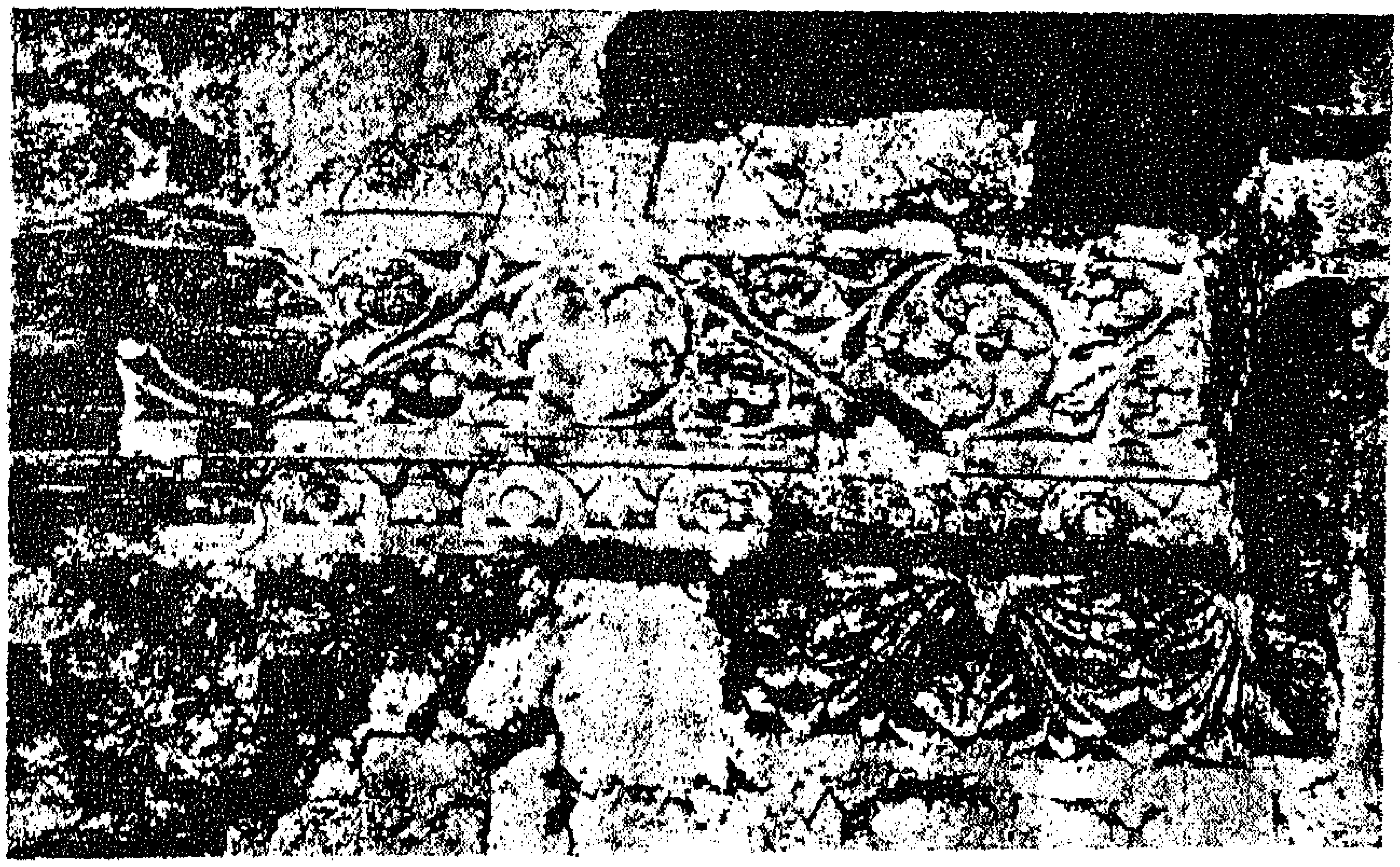

(شكل ٢٢) جزء من تكنة خشبية من القرن الثالث اضجرى بجامع عمرو بن العاص
(عن كريزول)

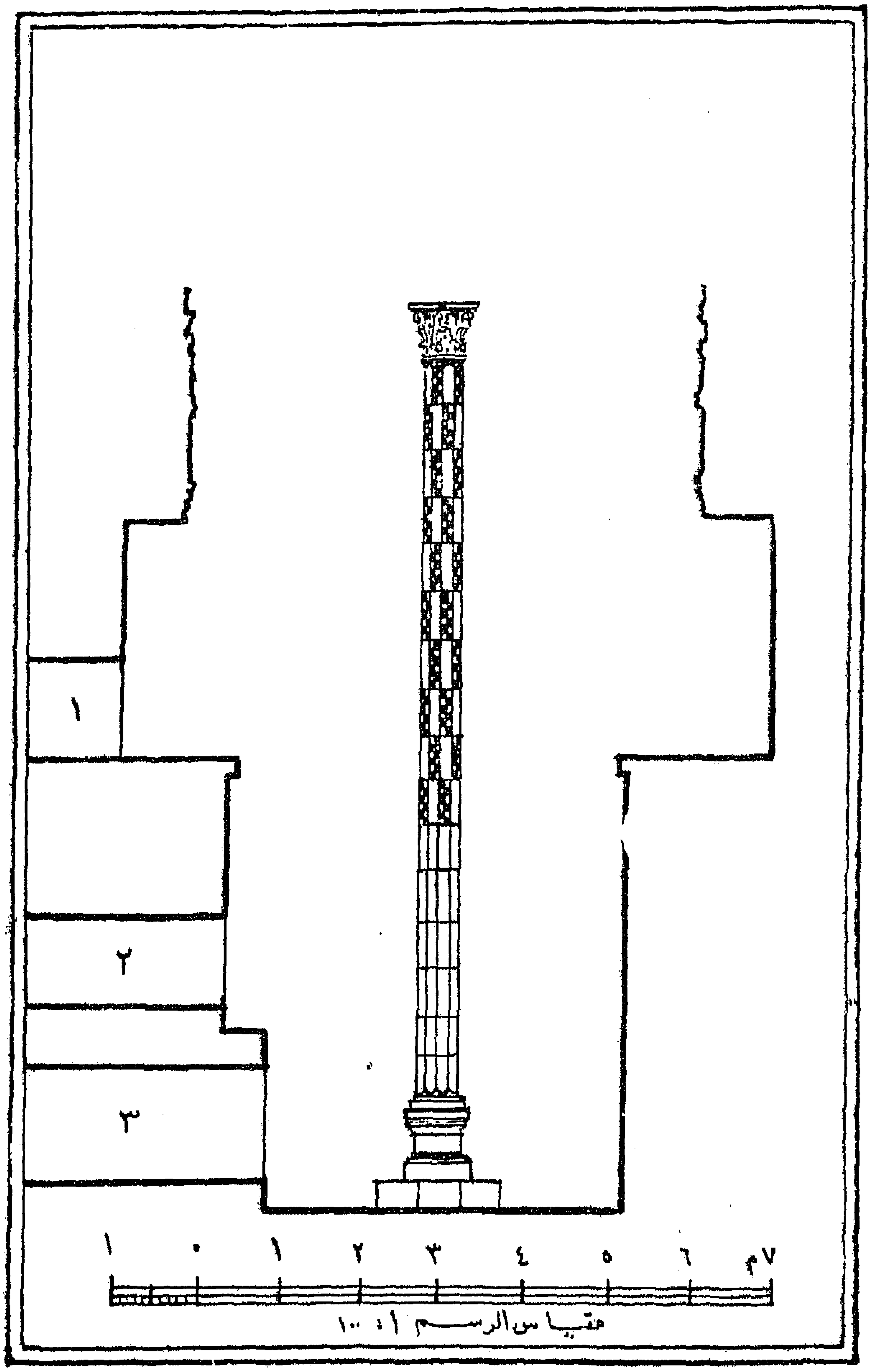

(شكل ٢٣) قطاع فى بئر مقياس الروضة

(شكل ٢٤) منارة الجامع الطولونى

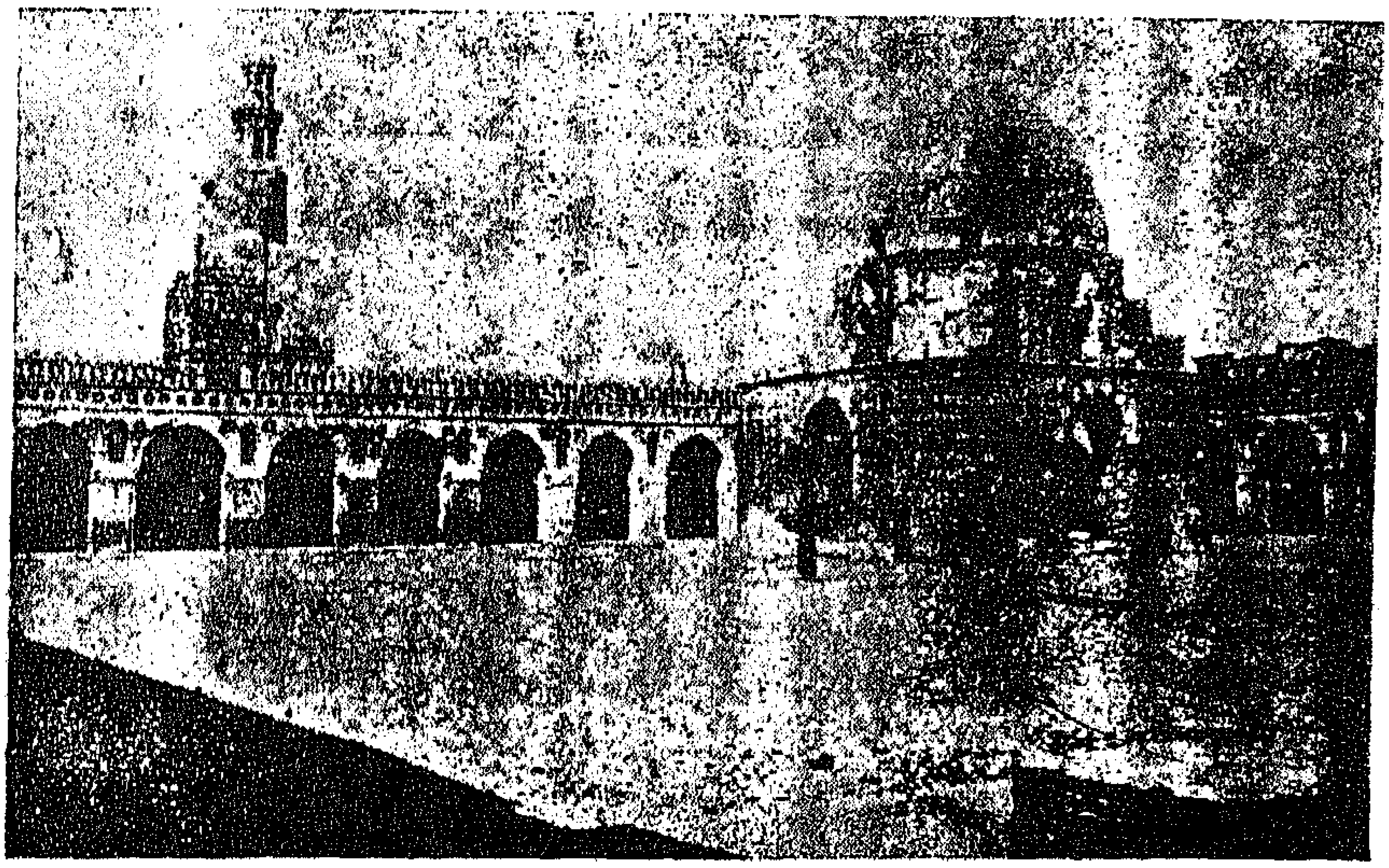

(شكل ٢٥) منظر من داخل صحن الجامع الطولونى

الجامع الطولونى :

سنة (٢٦٣ ــ ٢٦٥ هـ) (٨٧٦ ــ ٨٧٩ م) .

أنشأ أحمد بن طولون مدينة جديدة تمتد من المقطم الى جبل الكبش سماها « القطائع » وبنى قصره تحت القلعة واتخذ غربيه ميدانا فسيحا كان انشـاؤه سنة (٢٥٥ هـ ــ ٨٧٠ م) ثم بنى دارا جديدة للامارة تلاصق الجامع من الجهـة الشرقية الجنوبية .

ويعتبر جامع ابن طولون ثالث جامع أنشىء بمصر الاسلامية بعد جامع عمرو بن العاص وجامع العسكر الذى زال من الوجود بزوال مدينة العسكر (منطقة زين العابدين والمذبح) .

وقد أنشأ أحمد بن طولون مسجده ليكون مسجدا جامعا للاجتماع بالمسلمين فى صلاة الجمعة ، وتبلغ مساحته حوالى ستة أفدنة ونصف وكان لنشأة ابن طولون فى العراق أثرها فى نقل الأساليب المعمارية العراقية الى مصر فى عهـده وظهور تلك المؤثرات على عمارة المسجد سواء من ناحية التصميم أو من ناحية التخطيط والزخرفة . ويوجد بالرواق الشرقى جزء من لوحة رخامية تضمنت اسم المنشىء وتاريخ انشاء المسجد مكتوبة بالخط الكوفى .

ويتكون المسجد من صحن مربع فى الوسط وهو فناء مكشوف مســاحته حوالى ٩٢ مترا مربعا وتحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذى يتكون من خمس بلاطات وكل من الأورقة الثلاثة الباقية يتكـون من بلاطتين فقط . ويحيط بالمسجد من الخارج زيادات من ثلاث جهات عدا حائط القبلة التى كانت تلاصقها دار الامارة التى أنشأها أحمد بن طولون ومســاحة المسـجد بدون الزيادات (١٢٢ر٢٦ × ١٤٠ر٣٣م) وبالزيادات تبلـغ أبعاده (١٦٢ر٠٠ × ١٦٢ر٤٦م) . والمسجد مبنى بالطوب الأحمر وتغطيه طبقة سميكة من الملاط تعلوها طبقة أخرى بيضـاء من الجص بها زخارف جميلة محفورة .

والعقود المكونة للمسـجد مدببة الشكل ، وترتكز على دعائم مستطيلة القطاع فى أركانها أعمدة متصلة ذات تيجان رمانية الشكل ، وتعلو الدعائم فتحات معقودة مدبية لتخفيف الثقل عليها ، كما يعلو الواجهات من الخارج وكذا حول الصحن شرافات مسننة .

ويتوسط الصحن فسقية داخل بناء مربع التخطيط تعلوه قبة محمولة على صفوف من المقرنصات ، ويعلو العقود من داخل الأروقة افريز زخرفى من الجص يعلوه ازار خشبى يحيط بأروقة الجامع كتبت عليه كتابات قرآنية بالخط الكوفى البارز ، والسقف مكون من كمرات أفقية من جذوع النخل مسمر من جانبيها ومن أسفلها ألواح خشبية .

وتوجد فى بطون العقود وحول النوافـذ والعقود زخارف جصـية تمثل الزخارف الجصية فى العصر العباسى التى وجد ما يشبهها فى مدينة سامرا موطن أحمد بن طولون الأصلى ، وذلك فى الجوسق الخاقانى وهو قصر الخليفة المعتصم فى سامرا والنوافذ ذات فتحات معقودة مدببة وبها زخارف هندسية ونباتيـة محفورة وتمثل أقدم الأمثلة من نوعها فى مصر الاسلامية .

ومحراب المسجد يكتنفه عمودان وهو على شكل تجويف نصف دائرى فى حائط القبلة ويغشى جدرانه فسيفساء رخاميـة يعلوها شريط من الزخـارف الزجاجية عليه كتابات بالخط النسخى ويرجع الى الأعمال التى تمت فى عهـد السلطان لاجين المنصورى سنة (٦٩٦ هـ ــ ١٢٩٦ م). وعدا المحراب الكبير توجد خمسة محاريب جصية أخرى مرسومة على الجدران أحدها محراب جصى فاطمى الطراز أمر بعمله الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى حوالى سنة ١٠٩٤م والمحاريب الأربعة الأخرى بها بين طولونية وفاطمية ومملوكية ، ويعلو المنطقة التى تتقـدم المحراب قبة صغيرة من الخشب محمولة على مقرنصات وتنسب للسلطان لاجين أيضـا .

(شكل ٢٦) أشرطة الزخارف حول العقود وفوق تيجان الأعمدة بالجامع الطولونى (عن كريزول)

(شكل ٢٧) زخرفة باطن أحد العقود بالجامع الطولونى (عن كريزول)

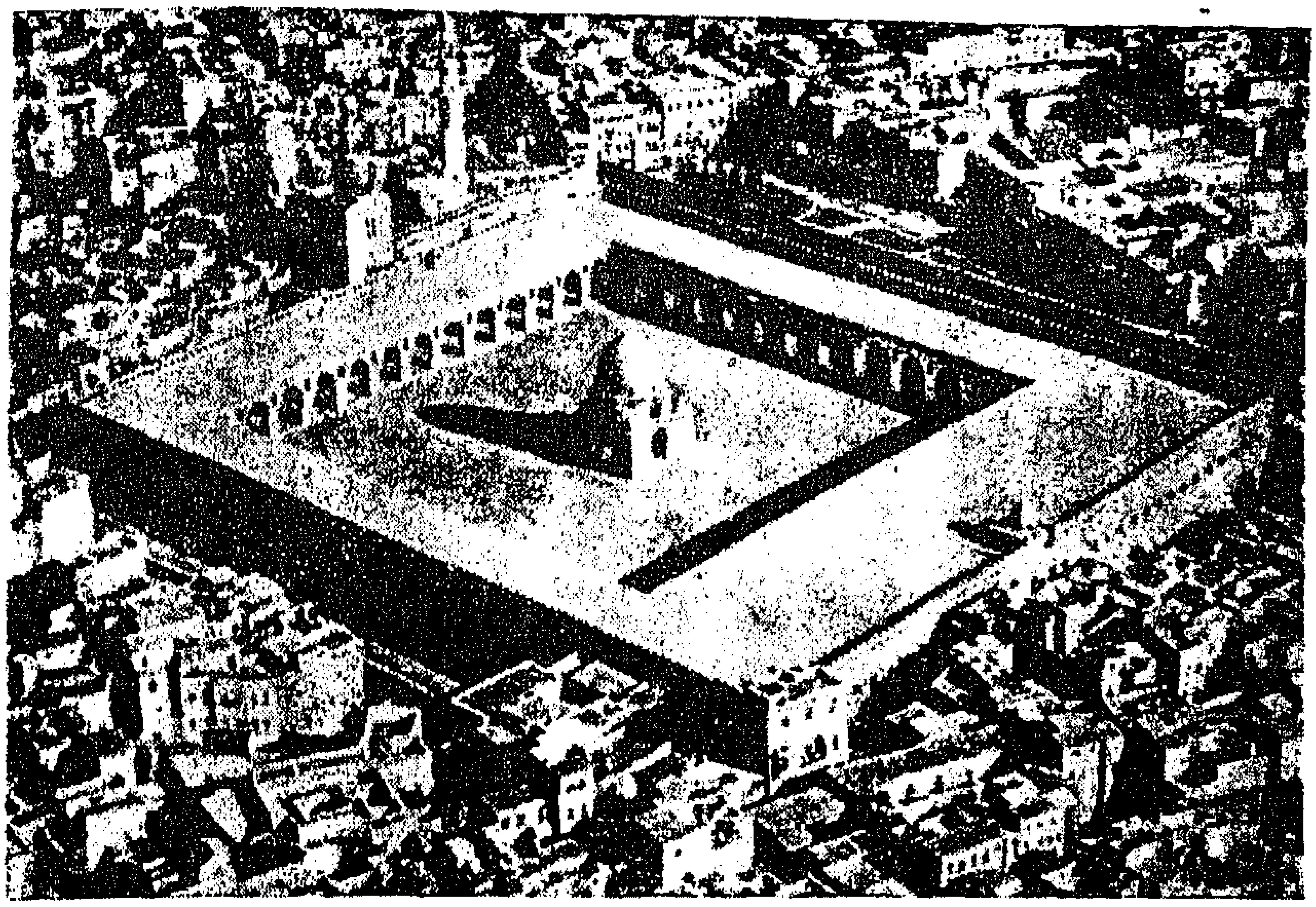

(شكل ٢٨) منظر من الجو لجامع أحمد بن طولون

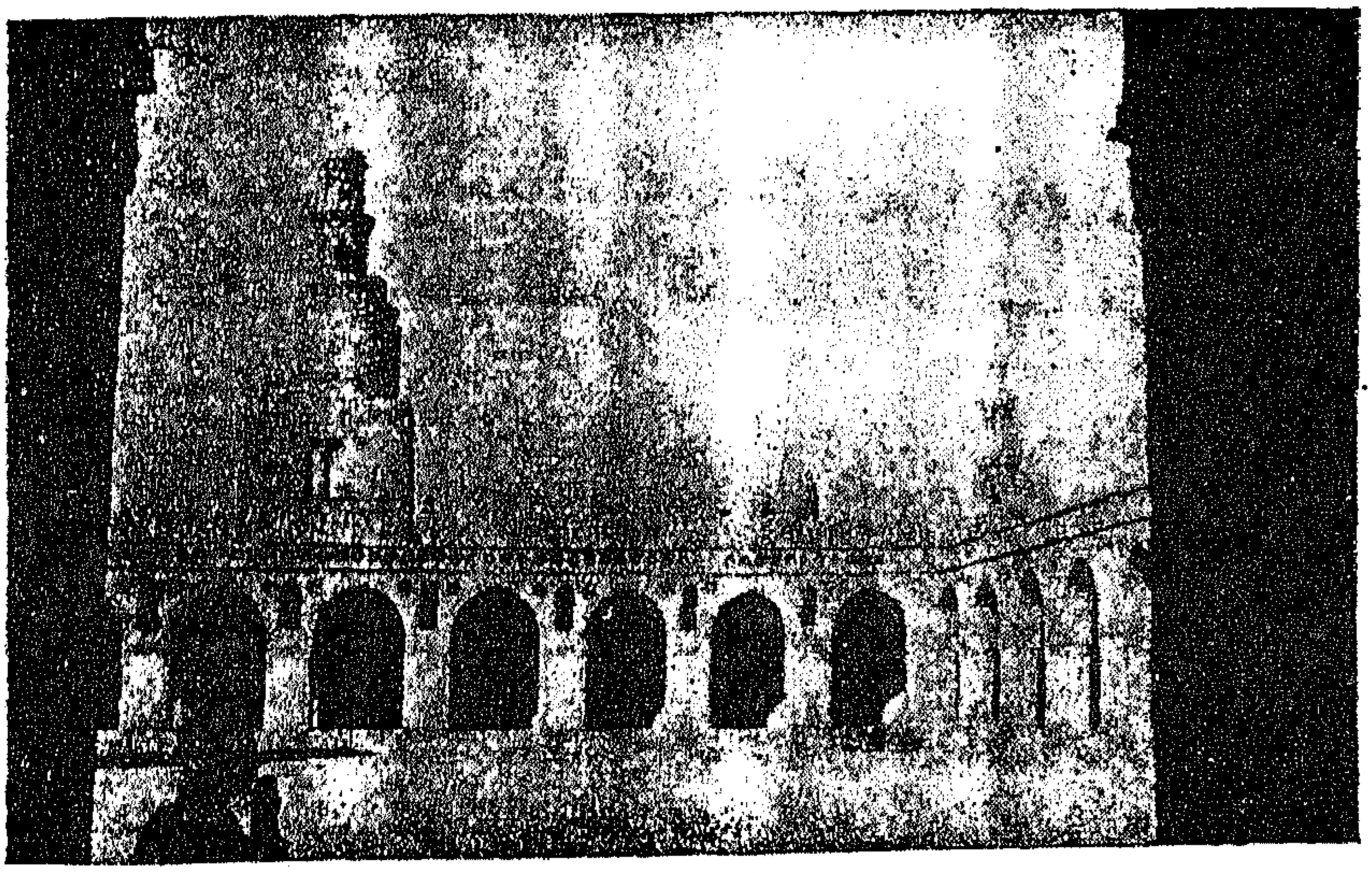

(شكل ٢٩) منظر للمئذنة داخل صحن جامع ابن طولون

والسلطان لاچين هو الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاچين المنصورى ولى مصر بعد خلع الملك العادل كتبغا فى سنة (٦٩٦ هـ ـ ١٢٩٦) • وهو الذى قام بعمارة كبيرة فى الجامع تناولت اصلاحه اصلاحا شاملا وذلك وفاء نذره لتعمير هذا الجامع ، حينما اختفى فى منارته وهو خرب فى فتنة قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون وقد وفى بنذره وعهد باجراء هذه الأعمال الى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى •

وتوجد فى الزيادة الشمالية الغربيـة الى الشرق قليلا من محور المسـجد « المئذنة » وهى من غير شـك متأثرة الى حد كبير بمئذنة مسـجد سـامرا المعروفة « بالملوية »وهى تتكون من قاعدة مربعة أضيفت للمئذنة فى عهـد السلطان لاچين ويعلوها منطقة متوسطة اسطوانية يجرى حولها من الخارج درج يوصل الى المنطقة العلوية التى تتكون من مثمنين العلوى أصغر من السفلى وفى قمة المئذنة توجد طاقية مضلعة على شكل المبخرة ، ويبلغ ارتفاع المئذنة عن سـطح الأرض ٤٤ر٤٠ مترا ، ويـربط المئـذنة بحـائط المسـجد الشـمالى الغربى قنطرة على عقدين من نوع حـدوة الفرس وتنسب هذه القنطـرة الى السلطان لاچين المنصورى •

وذكر المقريزى وابن دقماق أن المنارة كان عليها « عشارى » وهى على شكل سفينة من البرونز يأكل منها الطيور الحبوب ، وقد بقيت حتى سقطت فى سنة (١١٠٥ هـ ـ ١٦٩٣ م) •

ونظام واجهة المسـجد الخارجية مأخوذ من تصميم واجهة جامع عمرو بن العاص فى عهد عبد الله بن طاهر الوالى العباسى سنة ٢١٢ هـ •

ويرجح أن يكون مهندس الجامع عراقيا لأن نشأة ابن طولون كانت فى سامرا عاصمة العباسيين ومنها نقل الى وادى النيل أساليب العراق فى العمارة والفنون • أما الصناع والبناءون فيرجح أنهم كانوا من أهل مصر ويغلب على الظن أن يكون بينهم عراقيون •

وقد أجريت بالجامع عدة اصلاحات فى عصور مختلفة منها عمارة بدر الجمالى الوزير الفاطمى سنة (٤٧٠ هـ ــ ١٠٧٧ م) وذلك مثبت فى لوح رخامى فوق باب سور الزيادة البحرية ، وعمارة السلطان لاچين المنصورى وهى أهم عمارة وأكبرها أجريت بالمسجد سنة (٦٩٦ هـ ــ ١٢٩٦ م) وأثبتت تاريخها فى لوح خشبى فوق القبـــة ٠

وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العربية باصلاح المسجد منذ سنة ١٨٨٢ م ٠ حتى الآن ٠

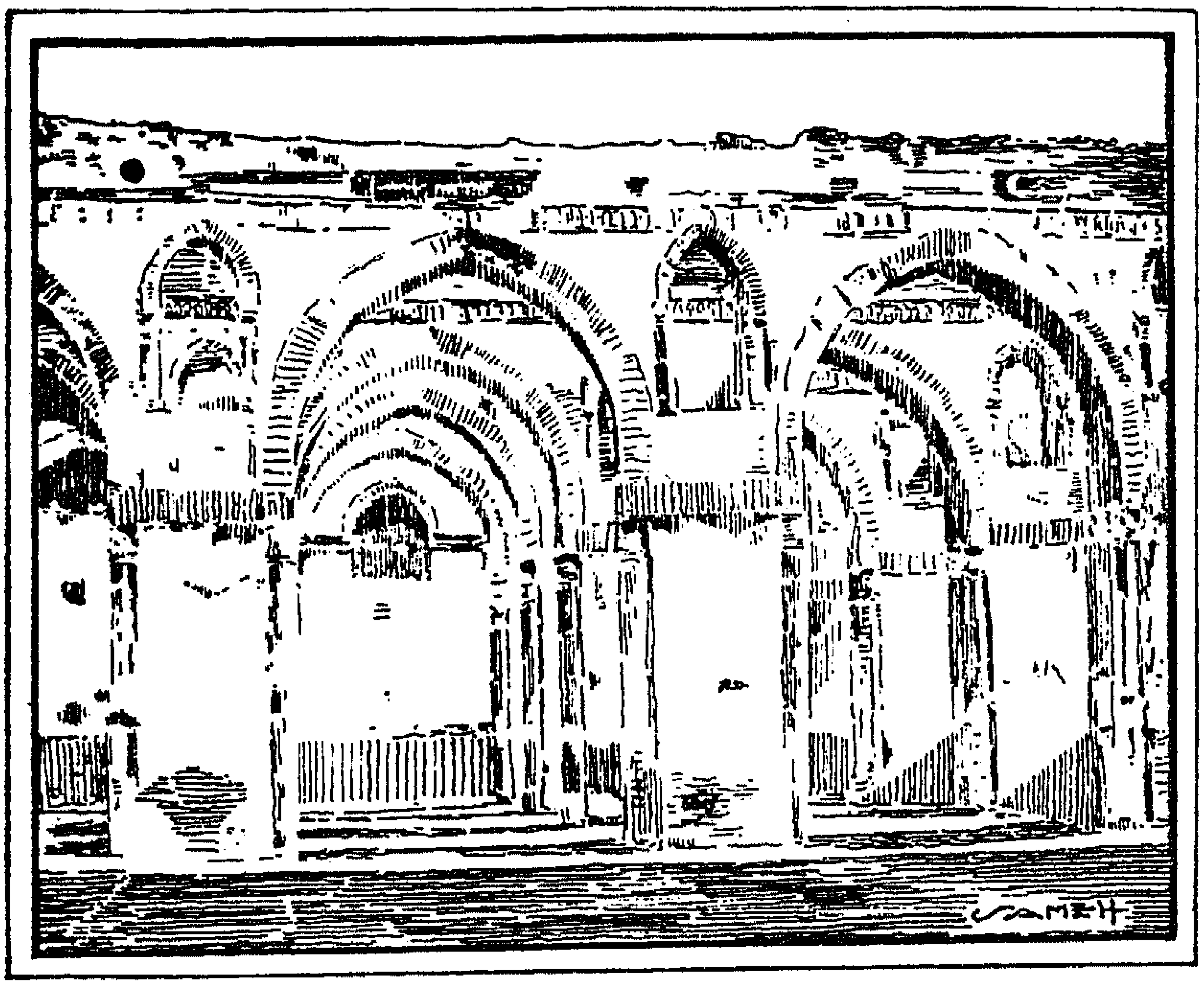

(شكل ٣٠) منظر لبائكات رواق القبلة بالجامع الطولونى

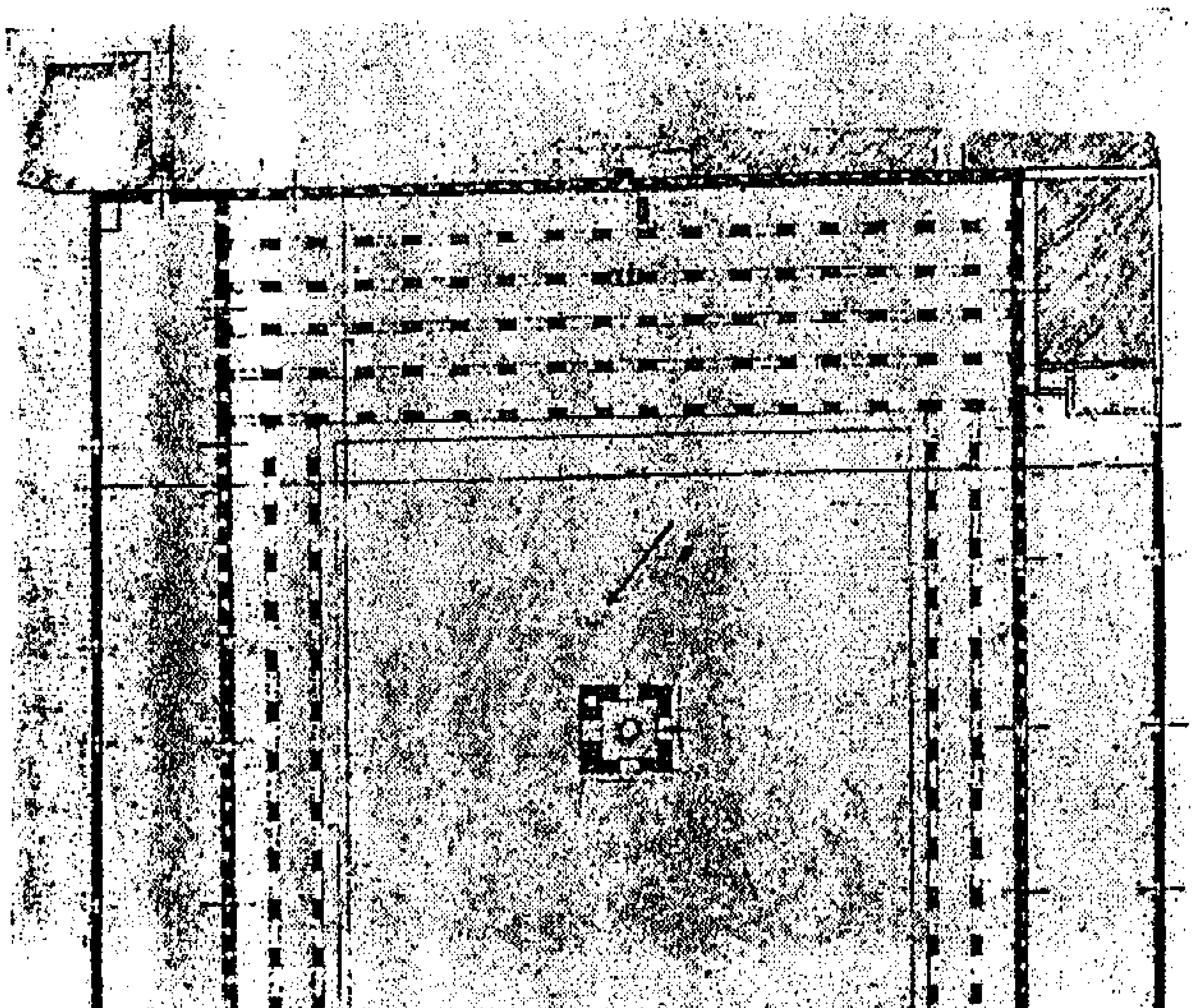

(شكل ٣١)
مسقط أفقى للجامع
الطولونى

العمارة الاسلامية فى مصر فى العصر الفاطمى

(٩٦٩ـ ١١٧١ م)

فى عام (٣٥٨ هـ ـ ٩٦٩ م) أرسل الخليفة المعز لدين الله الخليفة الفاطمى جيشا على رأسه قائده جوهر الصقلى من مدينة القيروان لفتح مصر ، فوصل الجيزة وعبر النيل وسلمت الفسطاط ثم اختط جوهر مدينة القاهرة وكان تخطيطها على شكل مربع تقريبا يواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية ٠ ويتجه الجانب الشرقى نحو المقطم والغربى يسير بمحاذاة الخليج والبحرى يتجه نحو الفضاء الواقع فى الشمالى والقبلى يواجه الفسطاط ، وطول كل ضلع من أضلاع المدينة ألف ومائتى متر ومساحة المدينة ثلاثمائة وأربعون فدانا ، وقد كان هذا السور مبنيا من الطوب اللبن ويتوسط المدينة قصران ، القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى وبينهما ميدان لاستعراض الجند ، وزاد السور الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى فى مساحة المدينة ستين فدانا ، وقد بنى هذا السور من الحجر ٠ وأصبحت القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية التى امتدت من المغرب الى الشام وحكمت الحجاز يوما ما ٠

وقد كان بسور القاهرة عدة أبواب لم يبق منها الآن سوى بابى النصر والفتوح فى الشمال وباب زويلة فى الجنوب ، وهى تمثل العمارة الحربية فى العصر الفاطمى ، كما تعبر عن الهيبة والعظمة لذلك العصر ٠ وتم انشاؤها فى عصر بدر الجمالى (٤٨٠ ـ ٤٨٤ هـ) (١٠٨٧ ـ ١٠٩١ م) ٠ ويظهر فى تصميمها أثر العمارة الأجنبية اذ وضع تصميمها ثلاثة أخوة من المهندسين من أرمينيا ٠

وقد اختلف باب النصر عن باب الفتوح وباب زويلة فى البرجين القائمين أمام المدخل ؛ فبينما نجدهما مربعين فى الأول نراهما مستديرين فى الثانى والثالث . كما يؤدى المدخل فى الأول الى ساحة مغطاة بقبو متقاطع بينما فى الثانى والثالث مغطاة بقبة منخفضة محمولة على أربعة مثلثات كروية . كذلك يحلى المدخل فى الأول رسوم تمثل الآلات الحربية وفى الثانى كوابيل بعضـــها على هيئة رأس كبش ، ويربط بابا النصر والفتوح سور المدينة الشمالى ويشتمل باطنه فى الثلث العلوى منه على سراديب مقبية بها مزاغل وأبراج تساعد على الدفاع عن المدينة وتشاهد أسماء قواد الحملة الفرنسية مكتوبة على أبراج النصر والفتوح تشهد على اقامتهم بمصر واستخدامهم لتلك الحصون أثناء حملتهم على مصر . أما باب زويلة فى الجنوب فقد أنشىء سنة ١٠٩١ م ، وهو أقرب الشبه فى تصميمه الى باب الفتوح ويعلو برجيه المســتديرين مئذنتا جامع المؤيد المجـاور له والمنشـأ فى سنة ١٤٢١ م . ويتصل بباب زويلة من الشرق قسم هام من سور بدر الجمالى محتجب خلف منزل الألايلى وبعض المنازل المجاورة له .

ومن أهم الآثار الفاطميـــة فى مصر : الجامع الأزهـــر (٣٥٩ ــ ٣٦١ هـ) (٩٧٠ ــ ٩٧٢ م) وجامع الحاكم (٣٨٠ ــ ٤٠٣ هـ) (٩٩٠ ــ ١٠١٣ م) وأضرحة السبع بنات (٤٠٠ هـ ــ ١٠١٠م) وجامع الجيوشى ٤٩٨هـ وجامع الأقمر (٥١٩هـ ــ ١١٢٥م) ومشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ ومسجد الصالح طلائع (٥٥٥هـ ــ ١١٦٠ م) .

الجامع الأزهر (٣٥٩ ــ ٣٦١ هـ) (٩٧٠ ــ ٩٧٢ م) :

يقع هذا الجامع فى ميدان الأزهر وهو أول أثر فاطمى فى مصر ، أنشأه القائد جوهر الصقلى بأمر مولاه أمير المؤمنين المعز لدين الله وقد أقيم هذا الجامع فى أول الأمر ليكون مسجدا جامعا للقاهرة الفاطمية وليقوم مقام الجامع الطولونى فى القطائع وجامع عمرو بالفسطاط . ولكنه أصبح بعد ذلك مدرسة يتلقى فيها

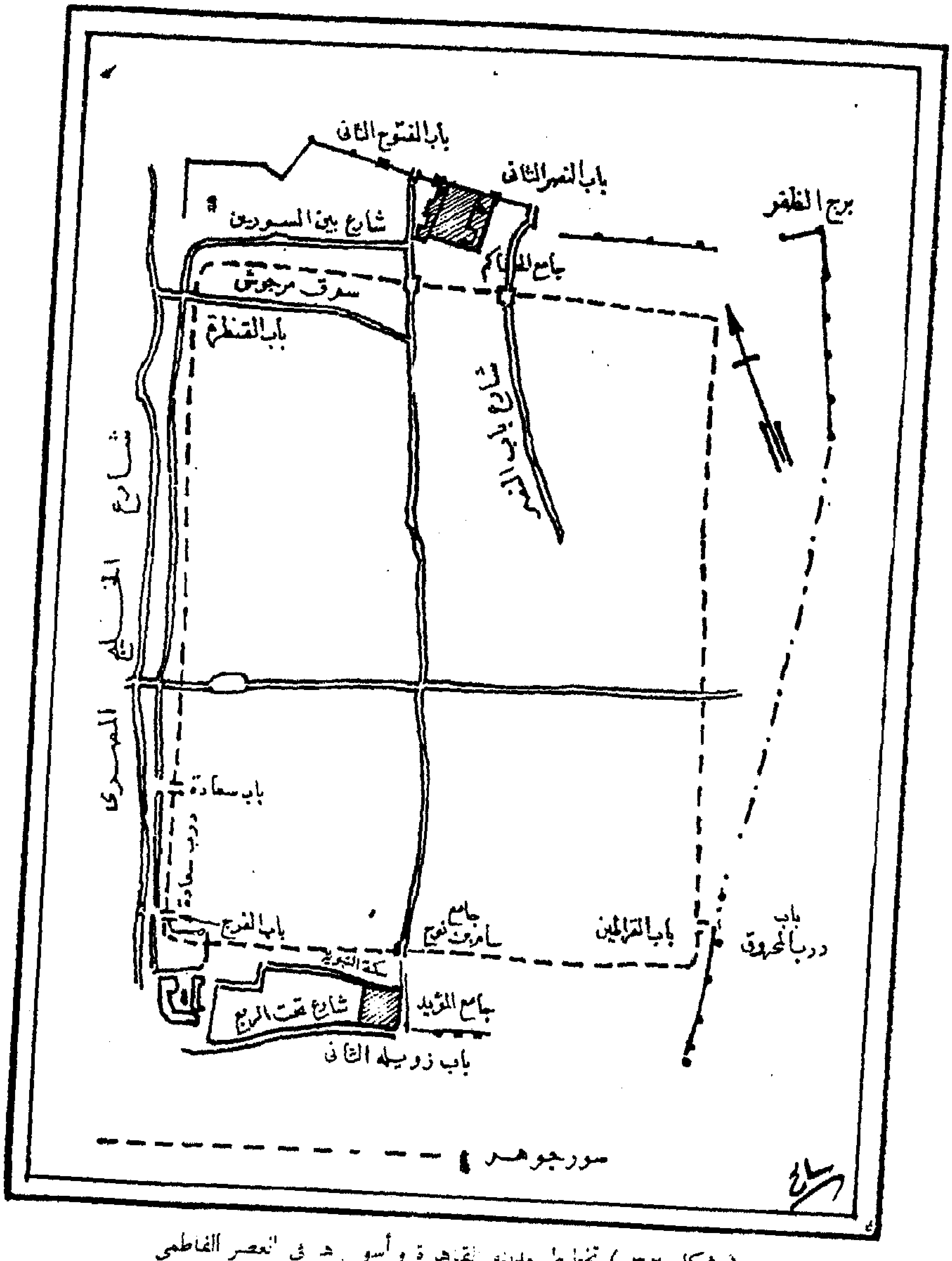

(شكل ٣٢) تخطيط مدينة القاهرة وأسوارها فى العصر الفاطمى

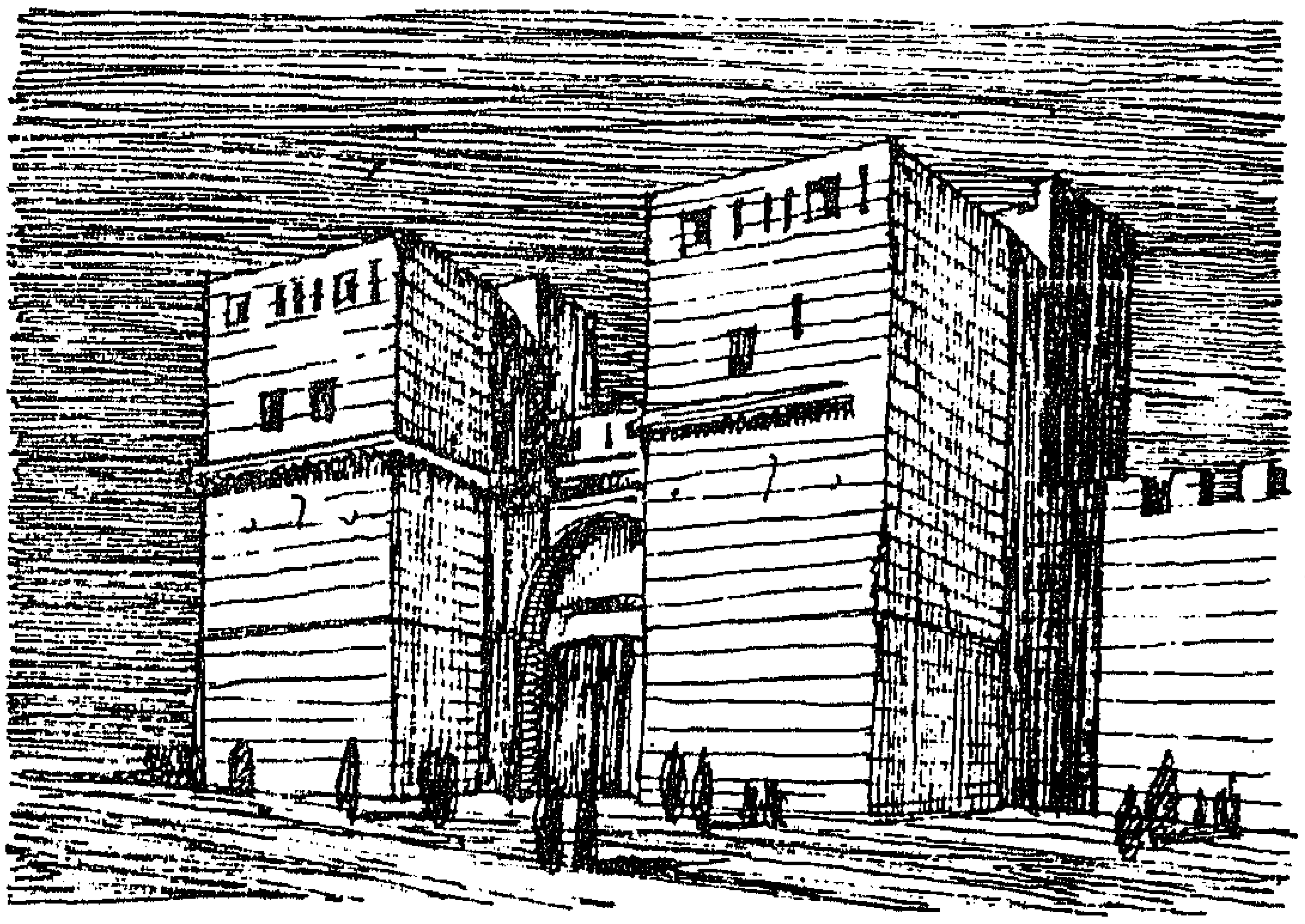

(شكل ٣٣) مدخل باب النصر

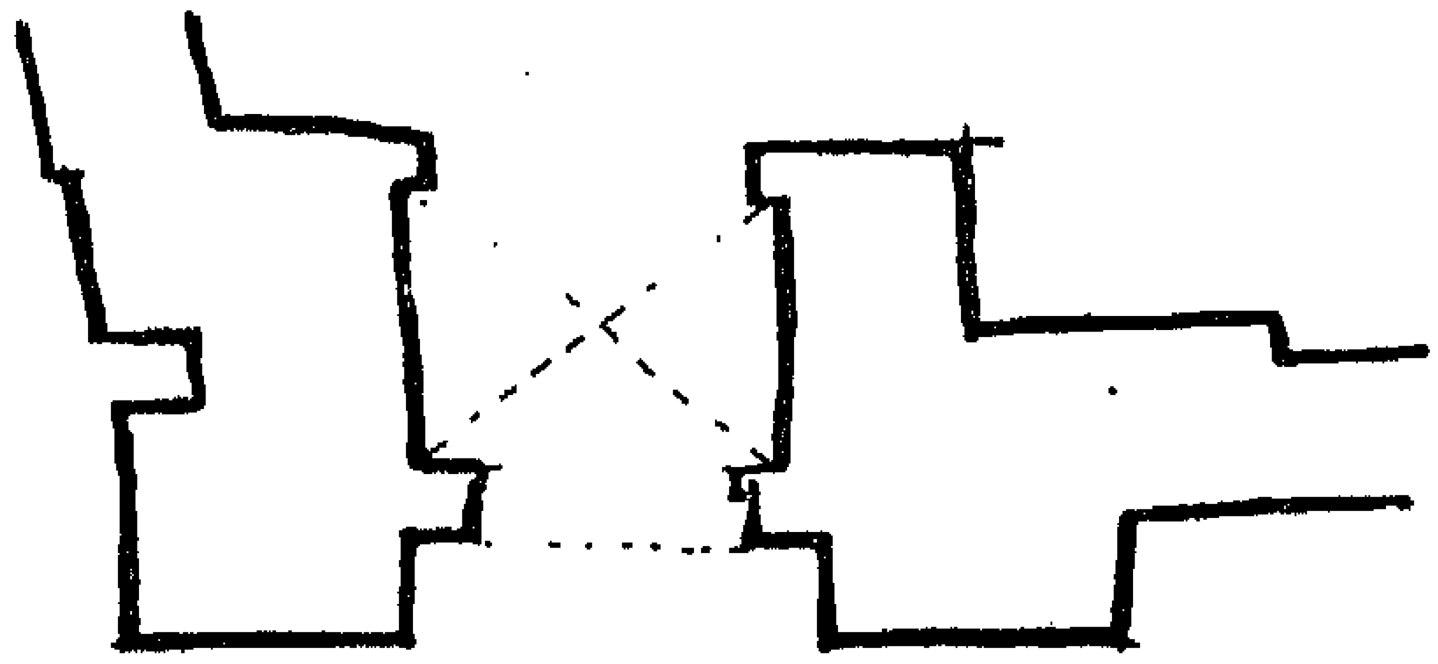

(شكل ٣٤) مسقط أفقي لمدخل باب النصر

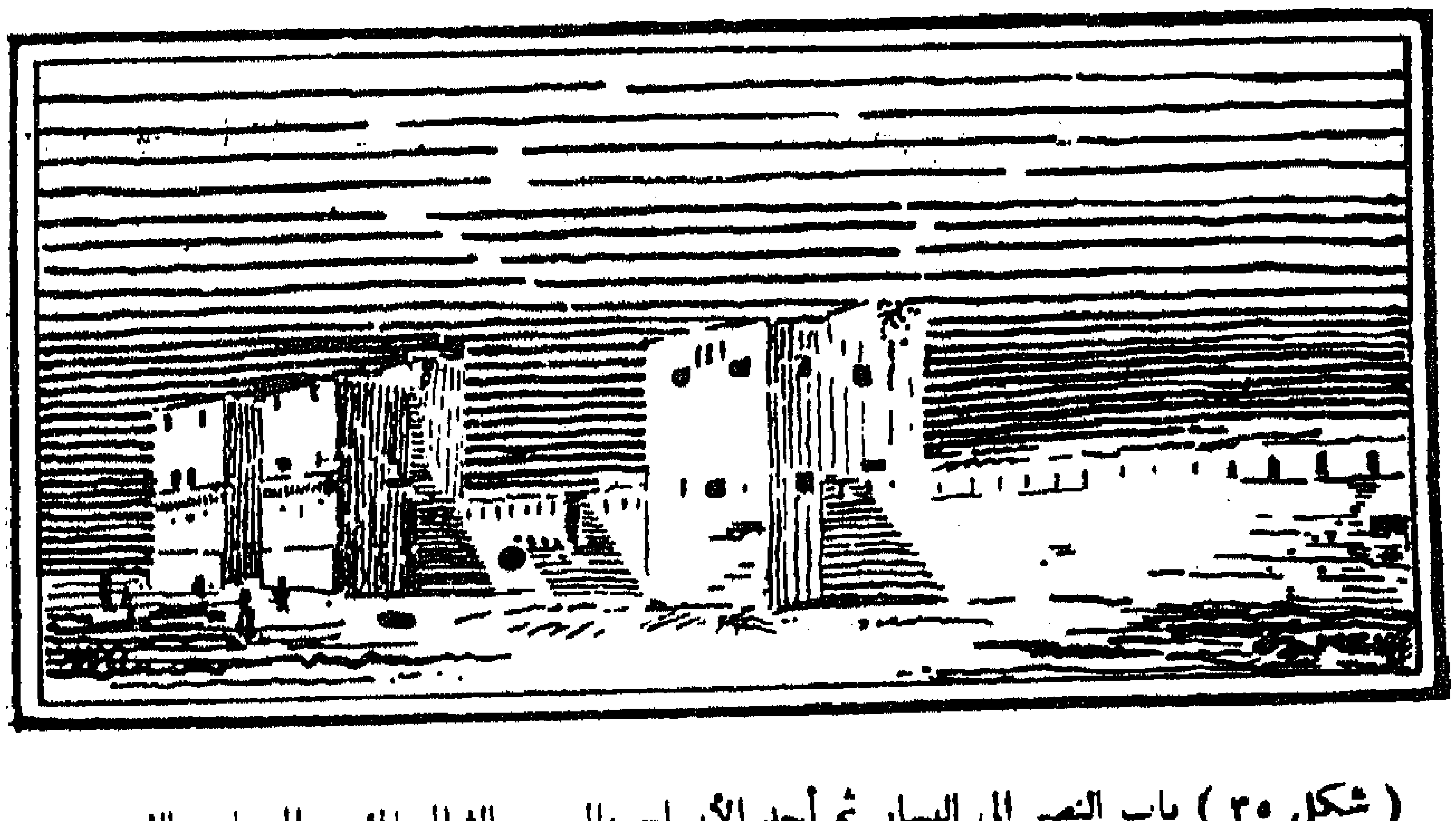

(شكل ٣٥) باب النصر إلى اليسار ثم أحد الأبراج بالسور الشمالي المؤدي إلى باب الفتوح

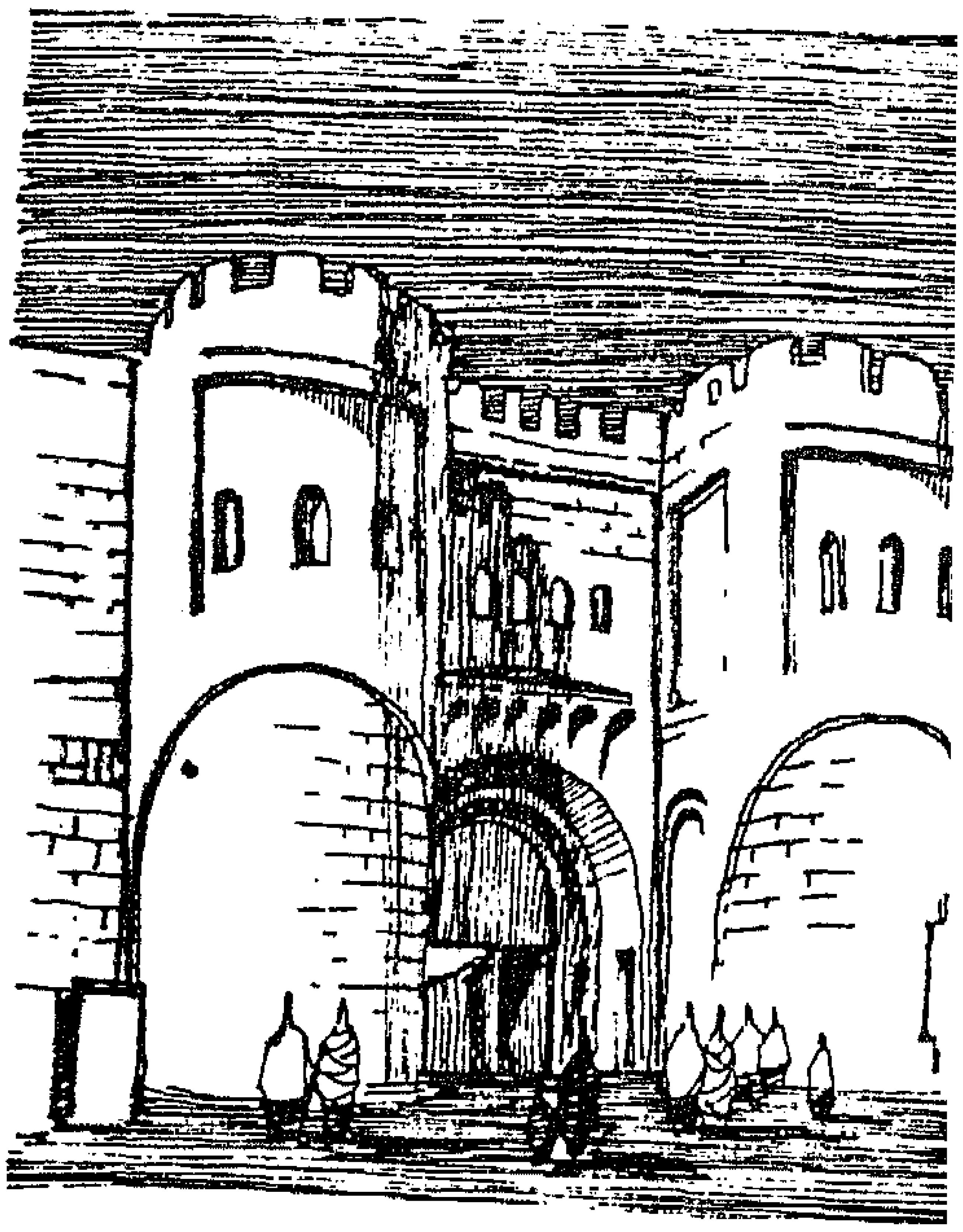

(شكل ٣٦) مدخل باب الفتوح

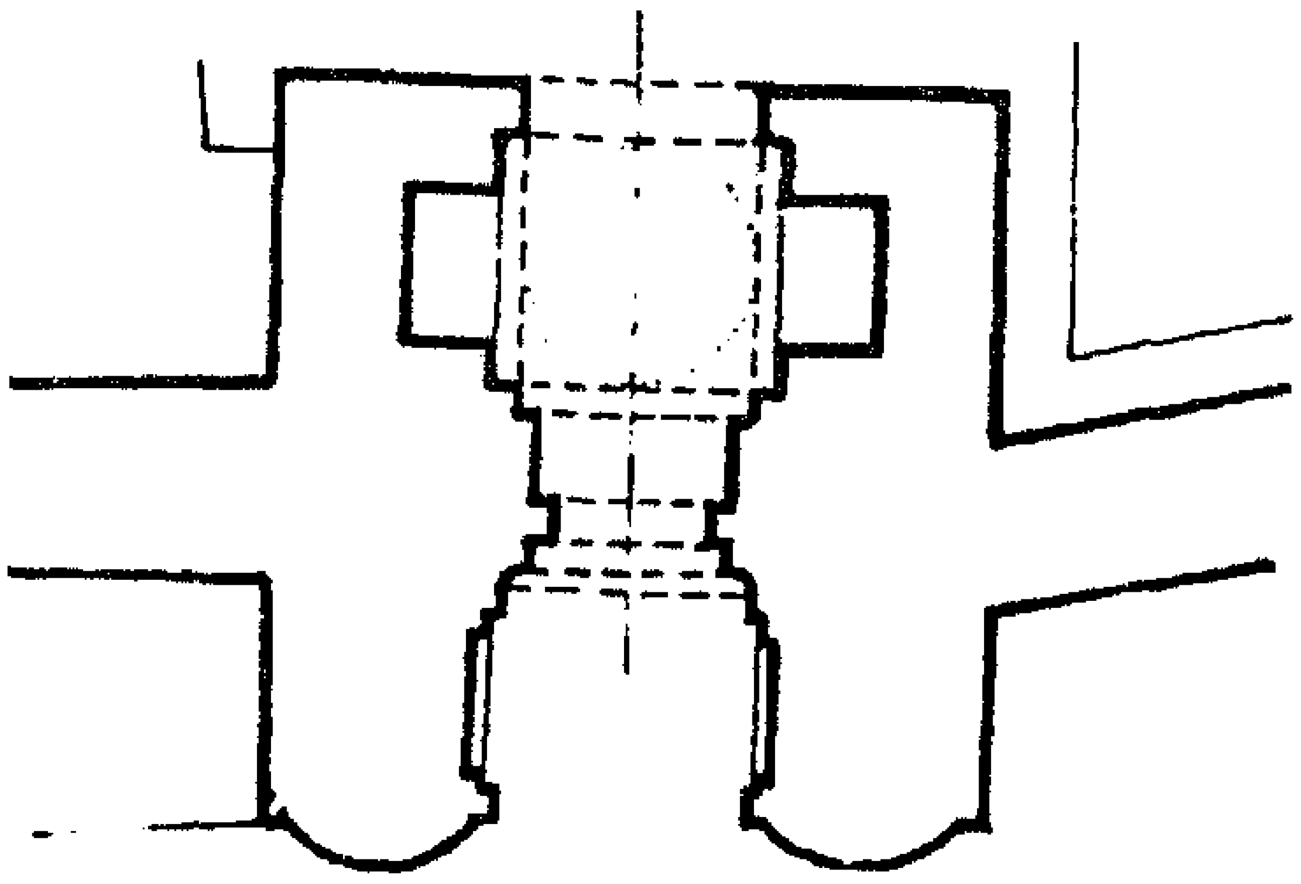

(شكل ٣٧)المسقط الأفقى لباب الفتوح

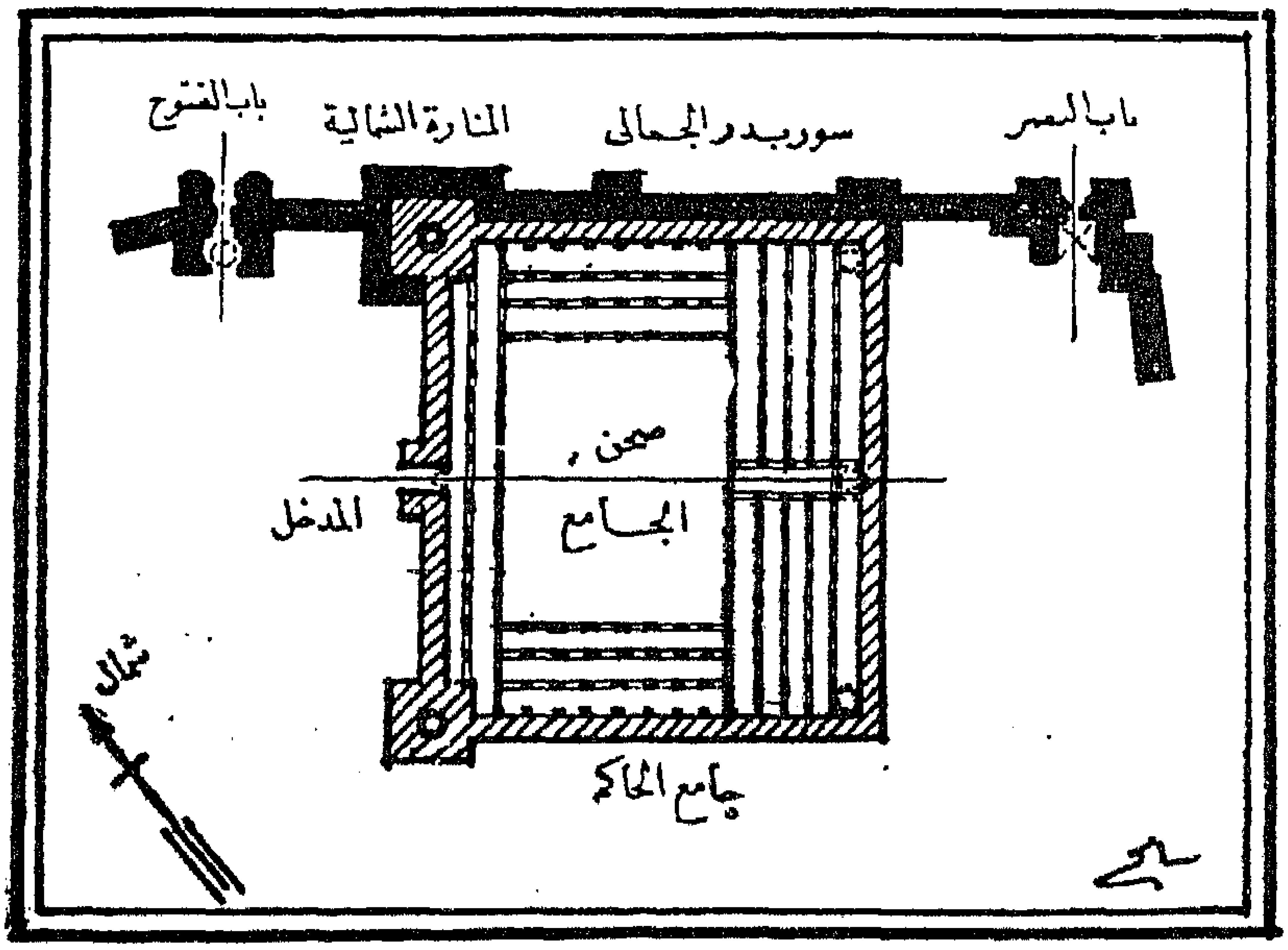

(شكل ٣٨) سور بدر الجمالى الشمالى وجامع الحاكم

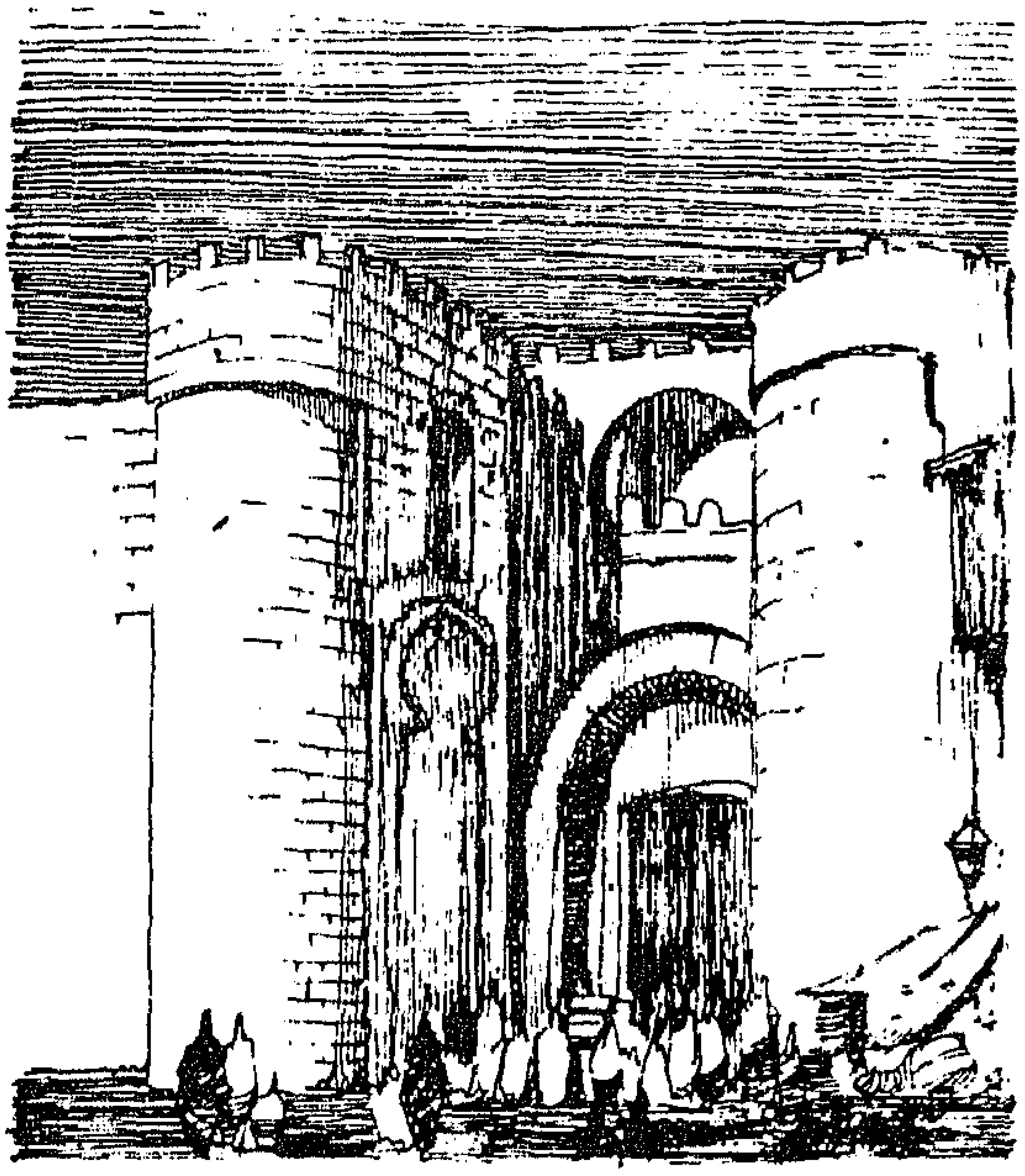

(شكل ٣٩) مدخل باب زويلة

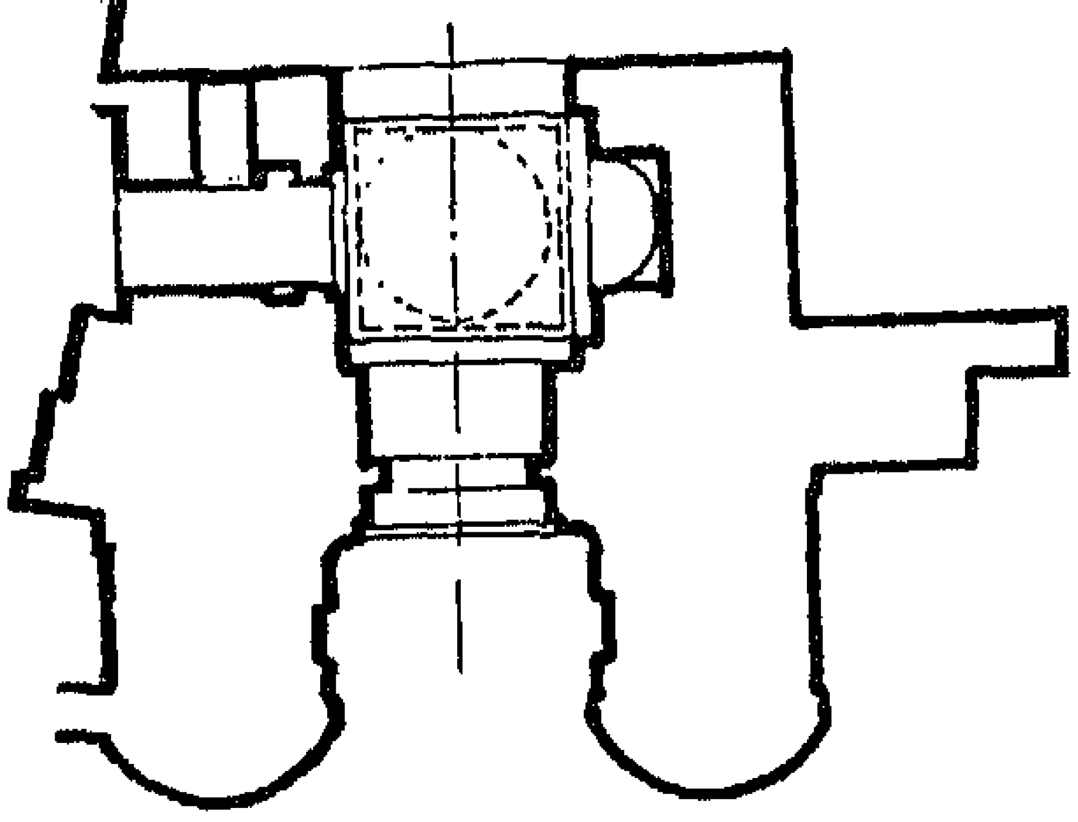

(شكل ٤٠) المسقط الأفقي لباب زويلة

(شكل ٤١) باب زويلة - أحد مداخل القاهرة فى العصر الفاطمى

(شكل ٤٢) مئذنة مسجد المؤيد
فوق أحد برجى باب زويلة

الطلاب أصول المذهب الشيعي « مذهب الفاطميين » • غير أن صلاح الدين الأيوبى عطله لأنه كان يدين بالمذهب السنى ، ولما جاءت دولة المماليك البحرية ازدهر ثانية وبعد ذلك صار أشهر جامع فى البلاد الاسلامية بل صار معهدا اسلاميا يقصد اليه وفود الطلاب من جميع الأقطار الاسلامية •

ومساحة الجامع الأول تقرب من نصف مسطحه الحالى ، ولقد أضيفت اليه زيادات فى أزمنة مختلفة حتى وصل الى تصميمه الحالى ، ويتوسطه صحن مكشوف تحيطه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ـ وعقود الأروقة ترتكز على أعمدة من الرخام مختلفة الطرز ، والعقود من الطراز المدبب الا ما كان منها حول الصحن فهى مثلثة الشكل ويرجع تاريخها الى أواخر الدولة الفاطمية وبداية العصر الأيوبى •

وليس بالجامع مئذنة ترجع الى العصر الفاطمى ، والمآذن الحالية تنسب للسلطان قايتباى والسلطان الغورى وللأمير عبد الرحمن كتخدا أحد أمراء القرن الثامن عشر • ويقطع رواق القبلة مجاز قاطع يجرى عموديا ويتجه من الصحن الى المحراب وسقفه مرتفع عن سقف الرواق وبه نوافذ علوية جانبية للاضاءة الداخلية والتهوية ، كما أن به بعض النقوش الجصية التى تنسب للعصر الفاطمى • وهنا نجد أول مثال للمجاز فى مصر الاسلامية •

وقد كانت هناك ثلاث قباب احداها فى المنطقة التي تعلو المحراب الأصلى وواحدة فى كل من ركنى رواق القبلة ، وقد شوهد هذ التصميم بعد ذلك بوضوح فى مسجد الحاكم فى رواق القبلة •

ويمثل الجامع الأزهر بشكله الحالى مجموعة من المنشآت والزيادات ضمت اليه فى أوقات مختلفة ؛ اذ يقابل القادم اليه بابين كبيرين أنشأهما الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١٧٥٣ ويعرفان باسم « باب المزينين » والكتابة التاريخية التى تشاهد فوقه تثبت تاريخ الانشاء • كما نجد على يمين الداخل المدرسة الطيبرسية التى

أنشأها الأمير طيبرس العلائى سنة ١٣٠٩ م وجدد واجهتها الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وأمامها المدرسة الأقبغاوية التى أنشأها الأمير أقبغا عبد الواحد فى سنة ١٣٤٠ م التى تحتفظ الآن بمكتبة الأزهر التى أنشئت سنة ١٨٩٦ م .

يلى ذلك الباب الأوسط الذى جدد انشاءه السلطان قايتباى هو والمئذنة الرشيقة بجواره سنة ١٤٦٨ م . ومن هذا الباب نصل الى الصحن المحاط بعقود مثلثة الشكل ترجع الى نهاية العصر الفاطمى أما باقى عقود الجامع فقد تجددت أكثر من مرة ، واكتشف المحراب القديم بزخارفه الجصية وكتاباته الكوفيــة سنة١٩٣٣ أما الزخارف الجصية التى تعلو المحراب فانها ترجع الى الاصلاح الذى قام به الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة ١٢٦٦ م .

ويوجد خلف المحراب القديم رواق آخر مرتفع عن القديم وهو من عمل الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة ١٧٥٣ م . وقد ألحق بنهايته القبلية مدفنا له ، ويوجد فى الجانب الشرقى البحرى المدرسة الجوهرية التى أضافها جوهر القنقبائى فى سنة ١٤٤٠ م . وهى عبارة عن مدرسة صغيرة وملحق بها قبة صغيرة دفن المنشىء تحتها . ويؤدى دهليز مدفن عبد الرحمن كتخدا الى باب الصعايدة وهو من عمله أيضا ويشبه الباب الرئيسى للمسجد وهو باب المزينين . كما يوجــد مدخل آخر خلف الرواق الجديد الذى أضافه عبد الرحمن كتخدا وهو أيضــا من انشائه ويعرف باسم « باب الشوربة » .

وفى أثناء القرن التاسع عشر تمت عدة اصلاحات وترميمات فى عهد محمــد على وخلفائه سعيد واسماعيل وتوفيق . أما المكتبة فقد أنشئت فى عهد عباس حلمى الثانى فى سنة (١٣١٤ هـ ــ ١٨٩٦ م) واختيرت لها المدرسة الأقبغاوية .

جامع الحاكم (٣٨٠ ــ ٤٠٣ هـ) (٩٩٠ ــ ١٠١٣ م) :

بدىء فى بنائه فى عهد العزيز بالله سنة ٩٩٠ م ، وقد تم فى عهد خلفه ابنــه الحاكم بأمر الله . وكان مبينا فى بادىء الأمر خارج باب الفتوح الأول ، ولمــا

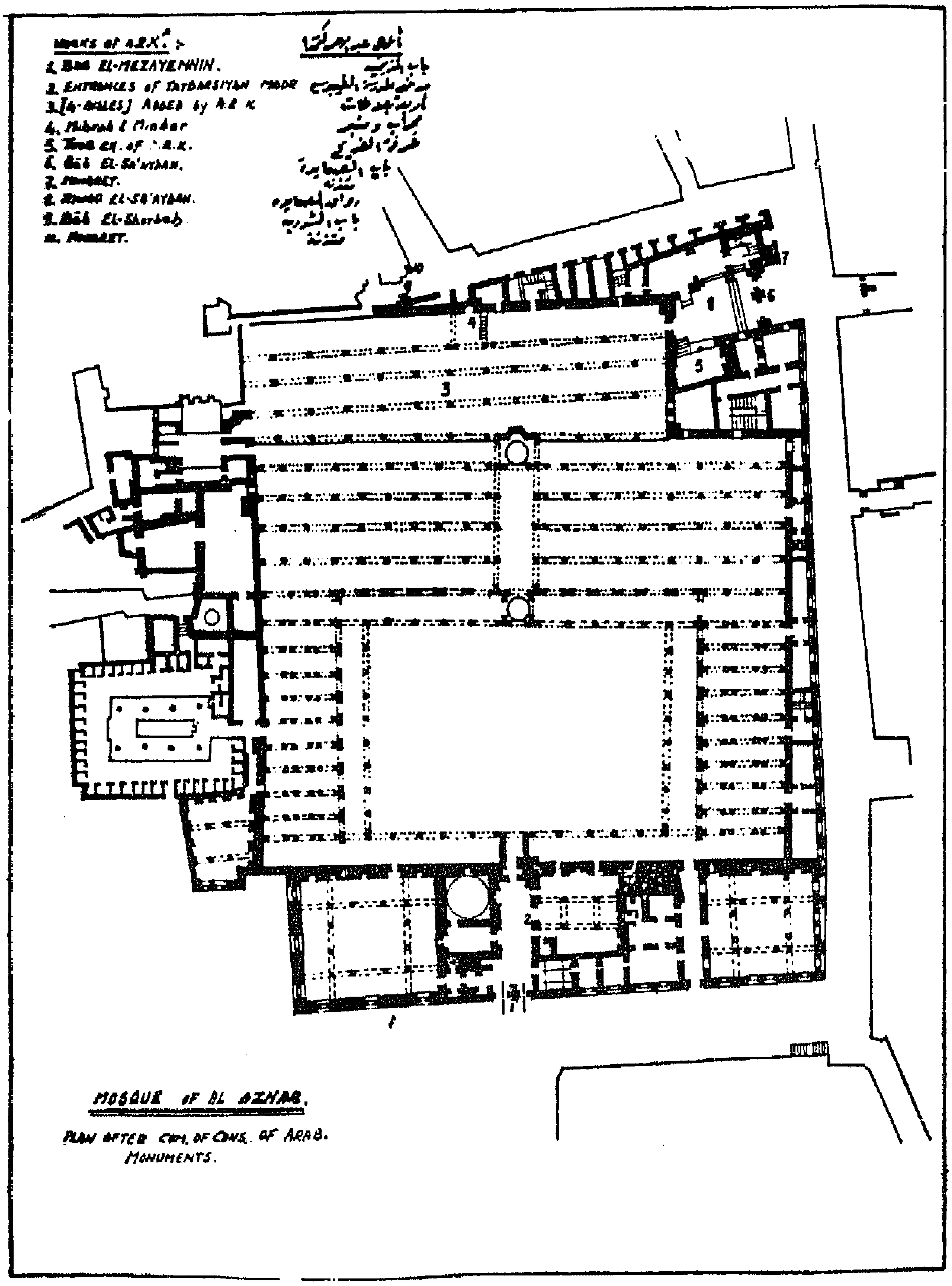

(شكل ٤٣) تخطيط أفقى للجامع الازهر مبيناً أجزائه المختلفة التى أضيفت فى الأزمنة المتعاقبة

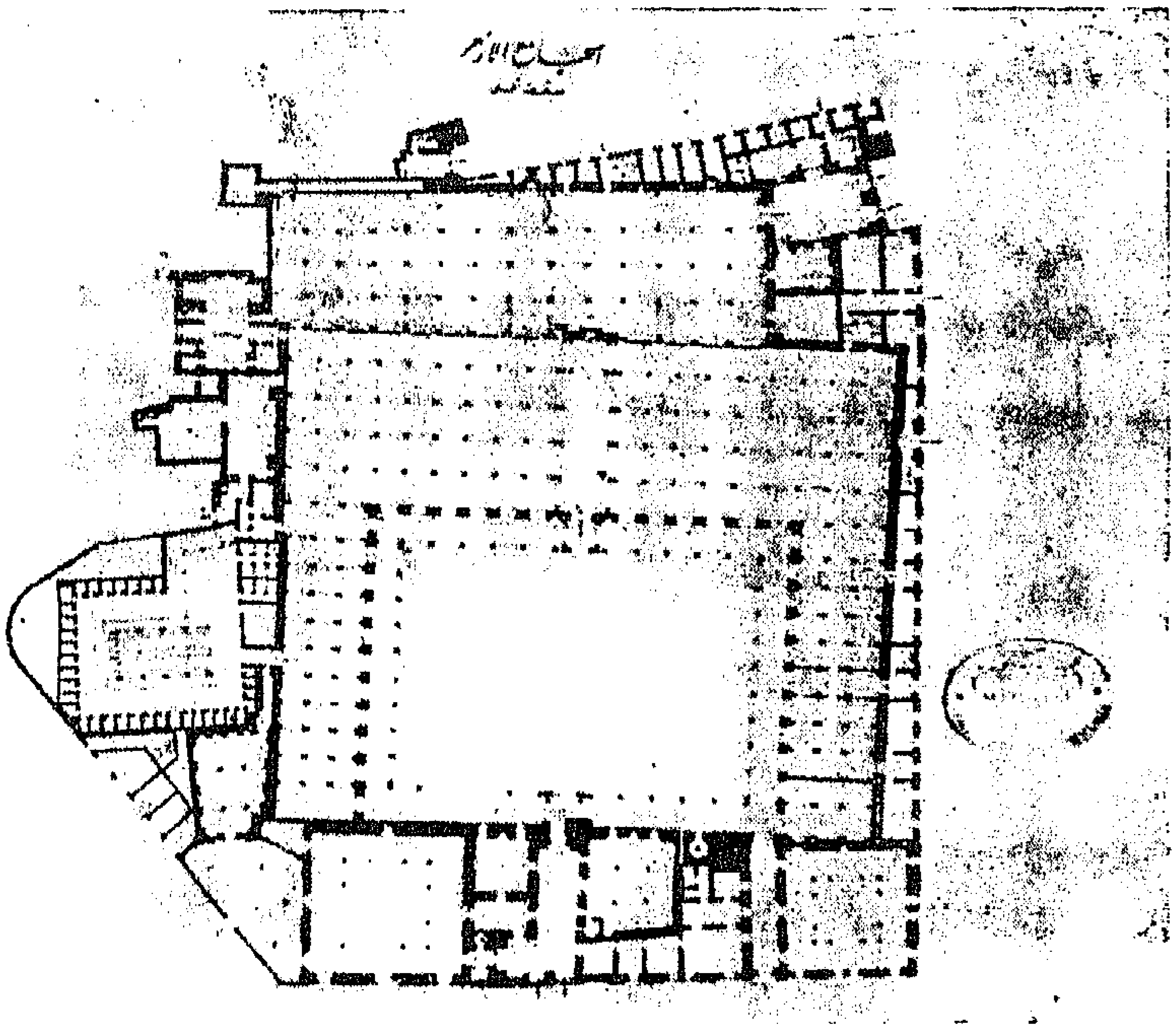

(شكل ٤٤) تخطيط المسقط الأفقى للجامع الأزهر (عن إدارة حفظ الآثار العربية)

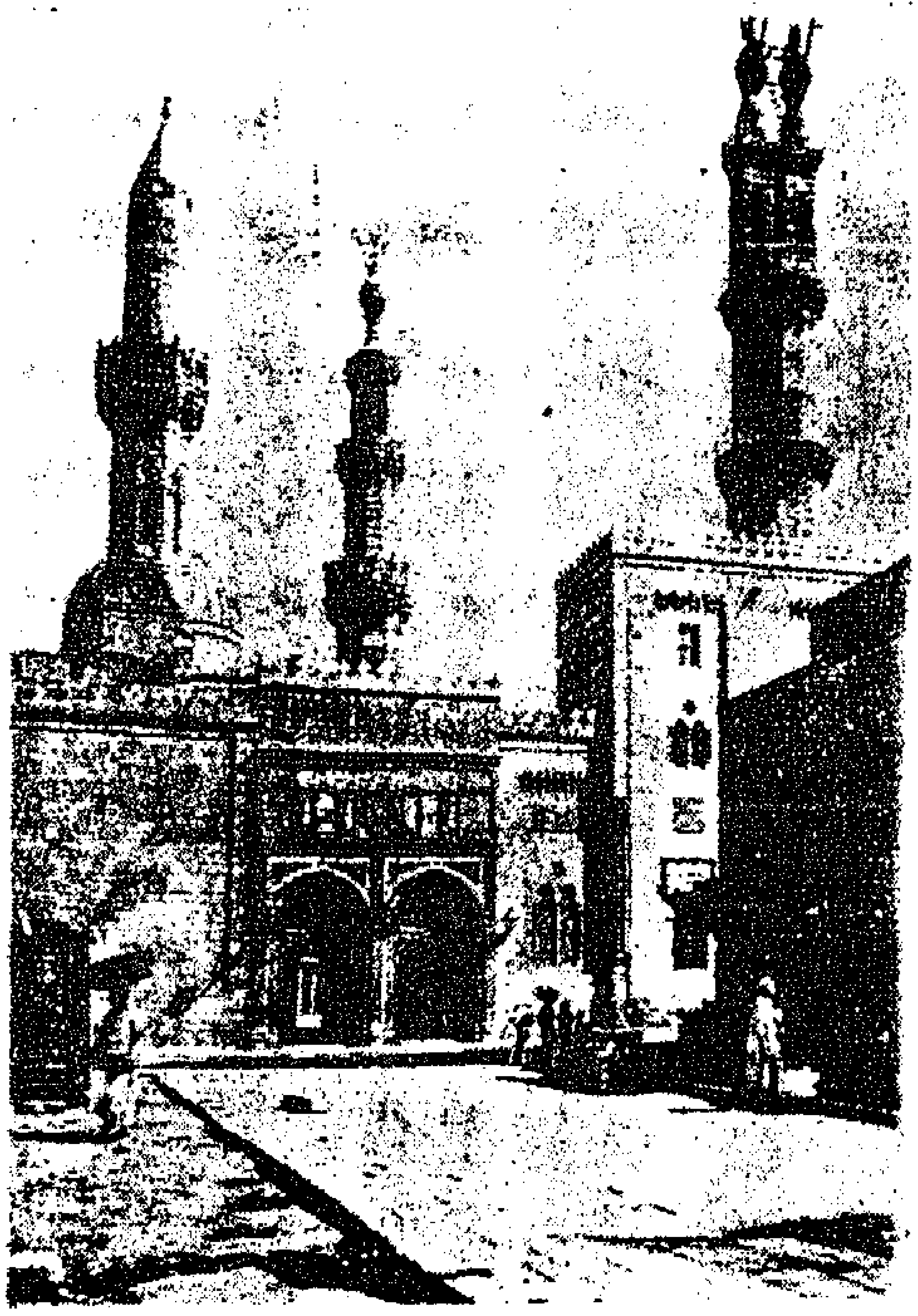

(شكل ٤٥) مدخل الجامع
الأزهر (باب المزينين)

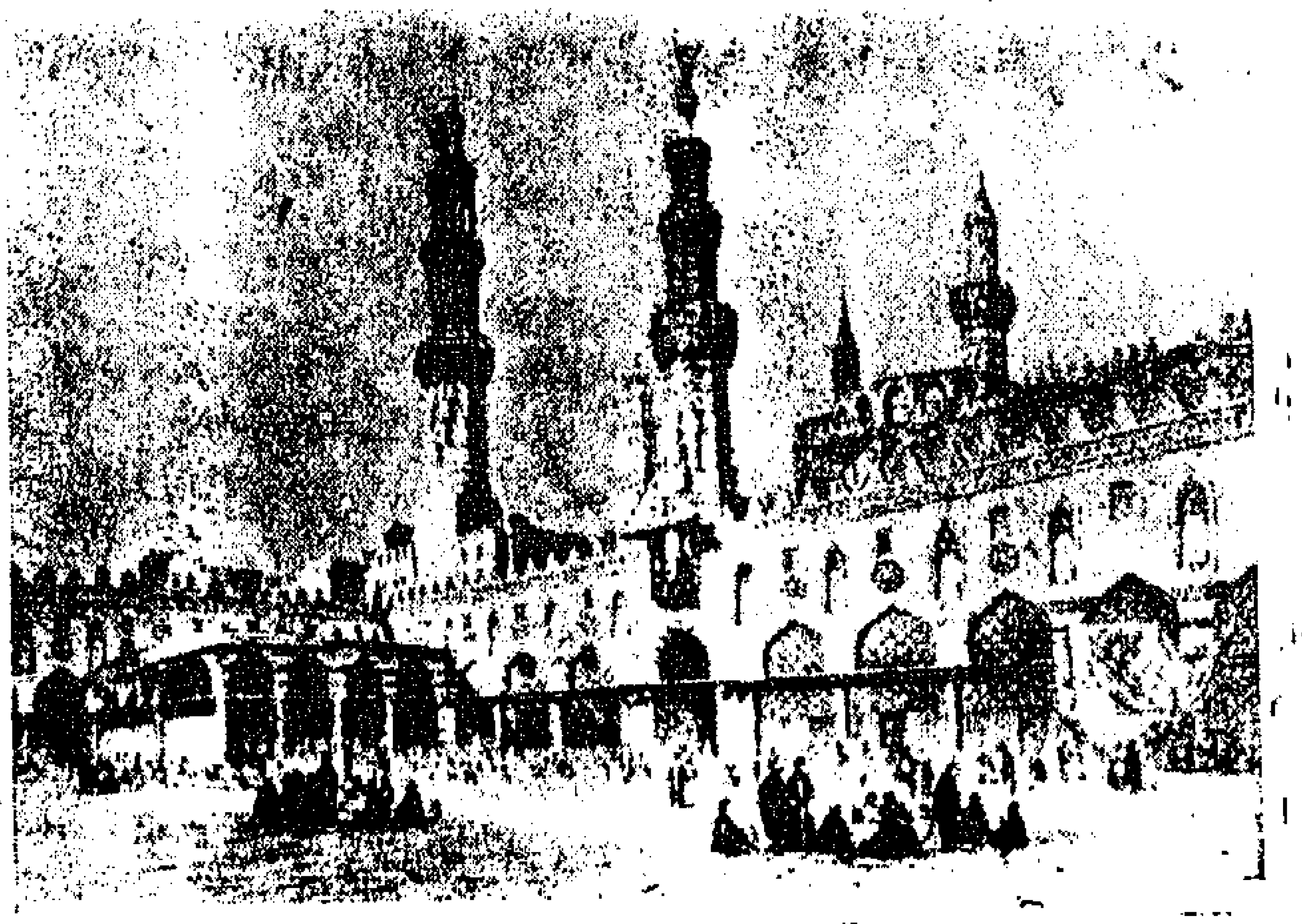

(شكل ٤٦)
منظر البائكات حول
صحن الجامع الأزهر
ومآذن الغورى وقايتباى
وعبد الرحمن كتخدا
من اليسار إلى اليمين

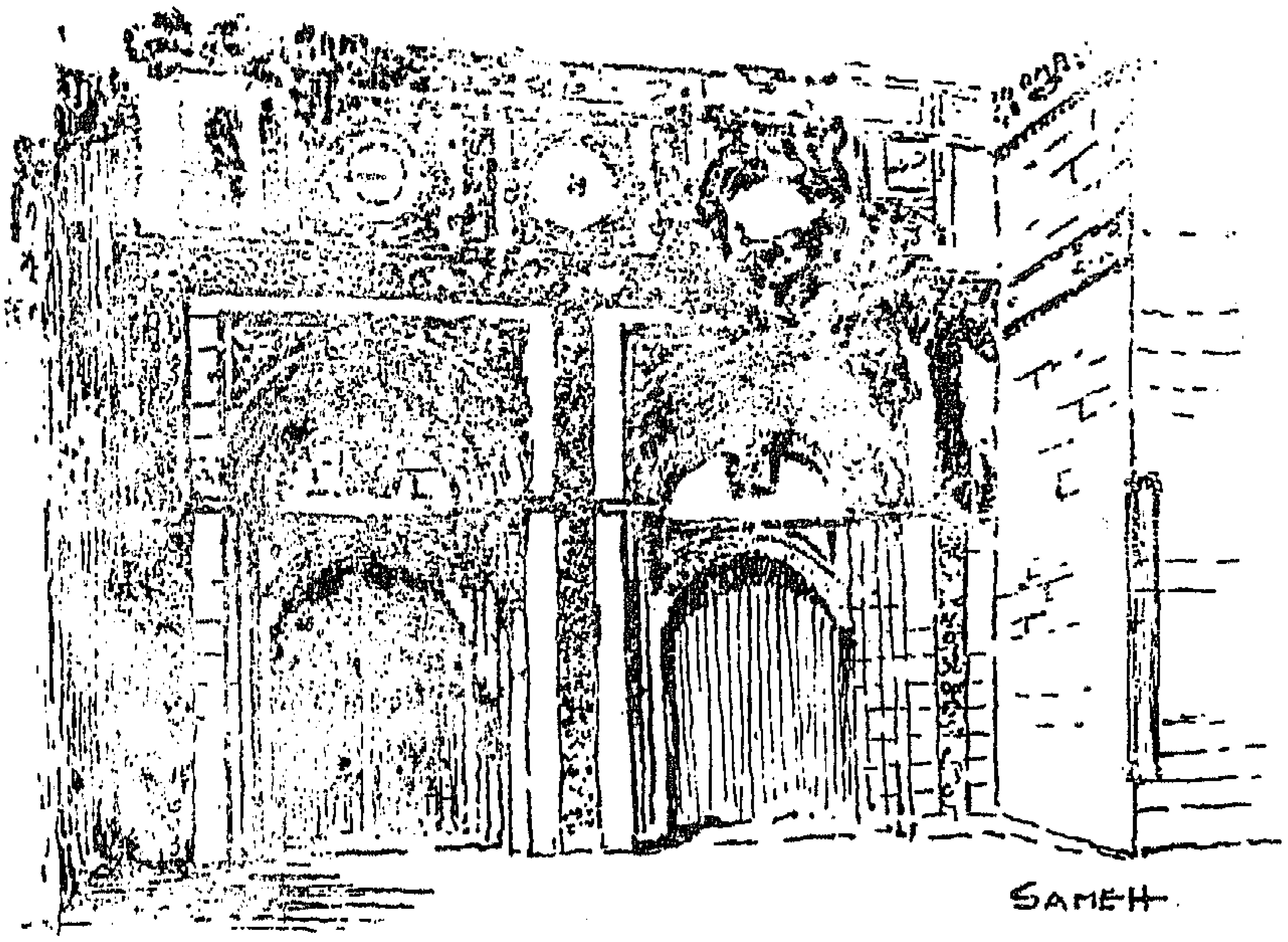

(شكل ٤٧) مدخل باب الصعايدة بالجامع الأزهر (القرن ١٨ م)

نقل بدر الجمالى سور القاهرة الى الشمال أحاط السور الجديد بحائط المسجد وأصبح فى داخل المدينة الجديدة .

ويتوسط الجامع صحن مكشوف تحيطه أربعة أروقة ترتكز عقودها على دعائم من الآجر كما هو الحال فى جامع ابن طولون . ويقطع رواق القبلة مجاز ، كما يوجد ثلاث قباب برواق القبلة مثل تصميم رواق القبلة الأول فى الجامع الأزهر . وتوجد فى ركنى الواجهة منارتان ولكل منهما قاعدة هرمية ناقصة حول المئذنة أقيمت لتدعيمها ، أما قمتاهما العلويتان فهما من أثر عمارة الأمير بيبرس الجاشنكير للجامع سنة ١٣٠٣ م . والمدخل الرئيسى بارز عن الواجهة وهو أول مثال من هذا النوع للمداخل التذكارية ، أخذ الفاطميون فكرته من شمال أفريقية عن مسجد المهدية فى تونس .

ويتجلى جمال الزخارف الفاطمية وتطور الكتابة الكوفية فى شريط الكتابة تحت السقف وفى المئذنتين وفيما بقى من النوافذ الصغيرة الموجودة بالقبة التى تعلو المحراب والعقود مدببة وتربطها روابط خشبية ، وتوجد على بعضها زخارف نباتية فاطمية الطراز .

ويلاحظ أن طريقة انتقال القبة من المربع الى الدائرة فى قباب رواق القبلة كانت باستعمال المحاريب الركنية التى أخذها المسلمون عن الساسانيين وقد كانت معروفة منذ القرن الثالث الميلادى .

ويلاحظ أن عدد بلاطات رواق القبلة فى هذا المسجد خمس بينما يتكون كل رواق من الأروقة الثلاثة الباقية من ثلاثة الى اثنين . وحالة المسجد الداخلية مخربة وأغلب العقود المكونة للأروقة قد سقطت بعد انشائها فى السنين المتعاقبة .

أضرحة السبع بنات (٤٠٠ هـ ـ ١٠١٠ م) :

فى السهل قبلى خرائب الفسطاط وعلى بعد نحو نصف ميل الى غرب ضريح الامام الليث توجد أربعة أضرحة صغيرة ، فقدت كل منها قبتها وبعضها فقد أيضا بعض أجزاء من حوائطه ، وكان عدد هذه القباب فى الأصل سبعا .

وترجع أهمية هذه الأضرحة الى أنها أمثلة للأضرحة المبكرة الموجودة فى العمارة الاسلامية ، والقبة هى الغطاء الذى لم يتغير للأضرحة فى الاسلام ، اذ كانت المصطبة أو الهرم هو التصميم المفضل للأضرحة قبل ذلك فى مصر .

وقد بنيت هذه الأضرحة لسبعة أشخاص من أسرة المغربي الذى قتله الحاكم سنة (٤٠٠ هـ ــ ١٠١٠ م) وتعتبر طريقة تحول القبة فى هذه الأضرحة نقطة البداية فى طريقة تطور القبة من المحاريب الركينة الى المقرنصات .

وهنا نرى أن المنطقة المربعة قد تحولت الى منطقة مثمنة من الداخل بواسطة المحاريب الركنية ، تعلوها رقبة مثمنة ثم قبة على منطقة دائرية .

جامع الجيوشى ٤٩٨ هـ :

هو زواية صغيرة تقع على حافة جبل المقطم خلف القلعة . والمدخل يعلوه مئذنة فريدة فى شكلها ، ولها أهمية خاصة بالنسبة لتطور المآذن فى مصر ؛ فهى تتكون من برج مربع ينتهى من أعلاه بشرفة حافتها مكونة من المقرنص وقد استخدمت فيها لأول مرة ثم يعلو البرج المربع منطقة مكعبة أصغر حجما من السفلى وبها فتحات معقودة من كل جانب ثم توجد بعد ذلك منطقة مثمنة بكل ضلع فتحة معقودة أيضا وتنتهى المئذنة من أعلاها بقبة صغيرة مضلعة .

والمدخل يؤدى الى ردهة صغيرة على يمينها سلم يؤدى الى المئذنة وعلى يسارها غرفة مغطاة بقبو متقاطع ، ومن الردهة يتجه الداخل الى صحن صغير مكشوف مربع التخطيط يكتنفه من جهتيه غرفة مستطيلة ومغطاة بقبو نصف اسطوانى . ومحور الصحن يؤدى الى مدخل رواق الصلاة وهو يتكون من ثلاثة فتحات معقودة أكبرها الوسطى ويفصلها مجموعتان من الأعمدة كل منها يتكون من عمودين صغيرين . أما رواق القبلة فيتكون من ست مناطق مربعة موضوعة فى صفين ، المنطقة التى تتقدم المحراب تعلوها قبة ، أما الخمس الباقية فمغطاة بأقبية متقاطعة . ومنطقة القبة قد تحولت من المربع الى المثمن بواسطة محاريب ركنية وتعلوها رقبة مثمنة ، بكل ضلع من أضلاعها الثمانية فتحة معقودة بعقد مدبب الشكل والجزء العلوى قبة مستديرة . وكل من حائط القبلة والقبة من الداخل مغطى بزخارف فاطمية الطراز وبأشرطة من الكتابات الكوفية ، ويعتبر المحراب قطعة فنية نادرة المثال تمثل دقة الزخارف الجصية فى العصر الفاطمى .

جامع الأقمر (٥١٩ هـ ــ ١١٢٥ م) :

يقع هذا الجامع بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقا) ، وقد أنشأه الخليفة الآمر بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى بالله وأشرف على انشائه وزيره

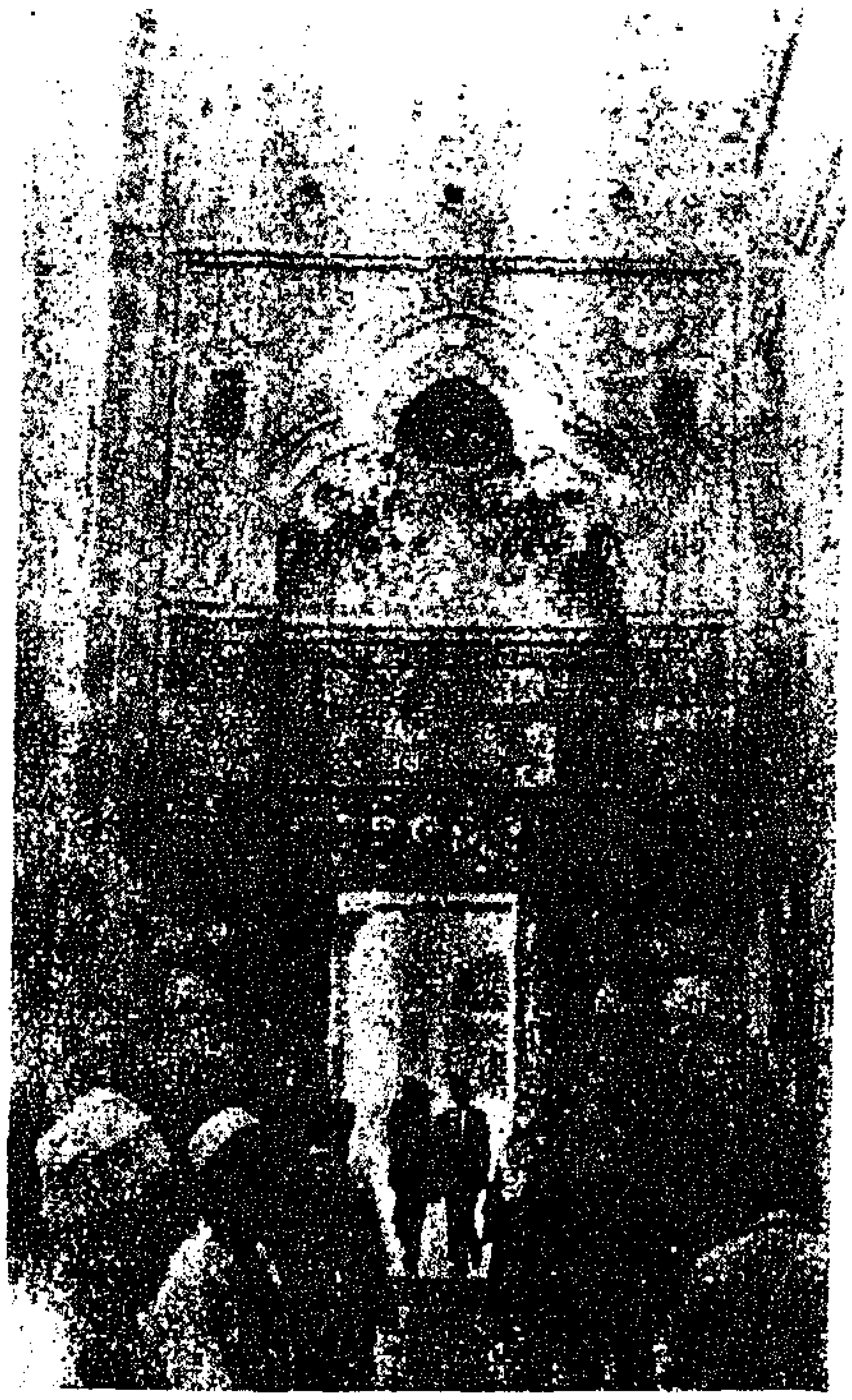

٤٨) باب قيتباى ، وهو المدخل
ى المدخل الرئيسى لجامع الأزهر

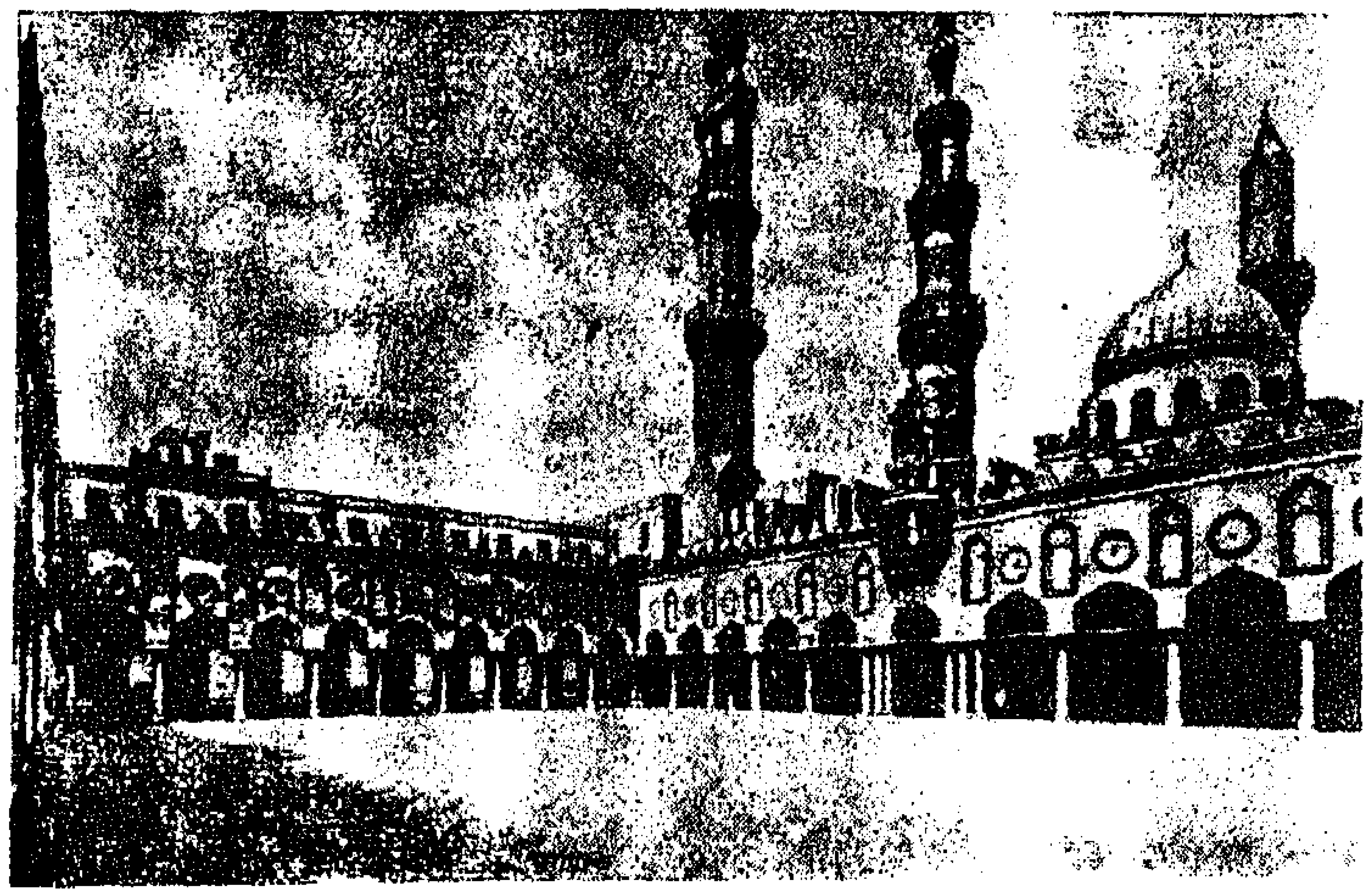

(شكل ٤٩) منظر من وسط صحن الجامع الأزهر

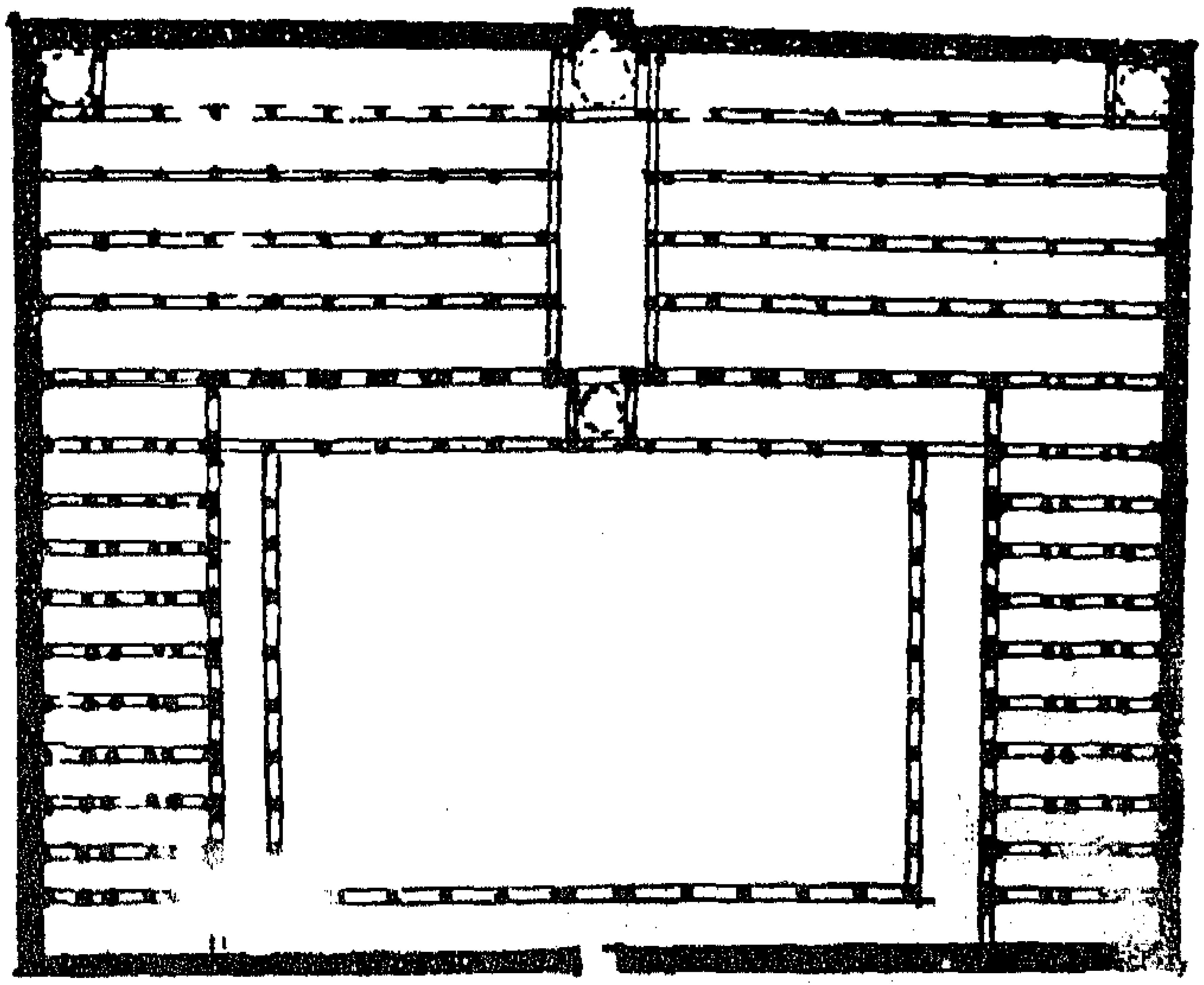

(شكل ٥٠) مسقط أفقى للجامع الأزهر فى أيام الفاطميين

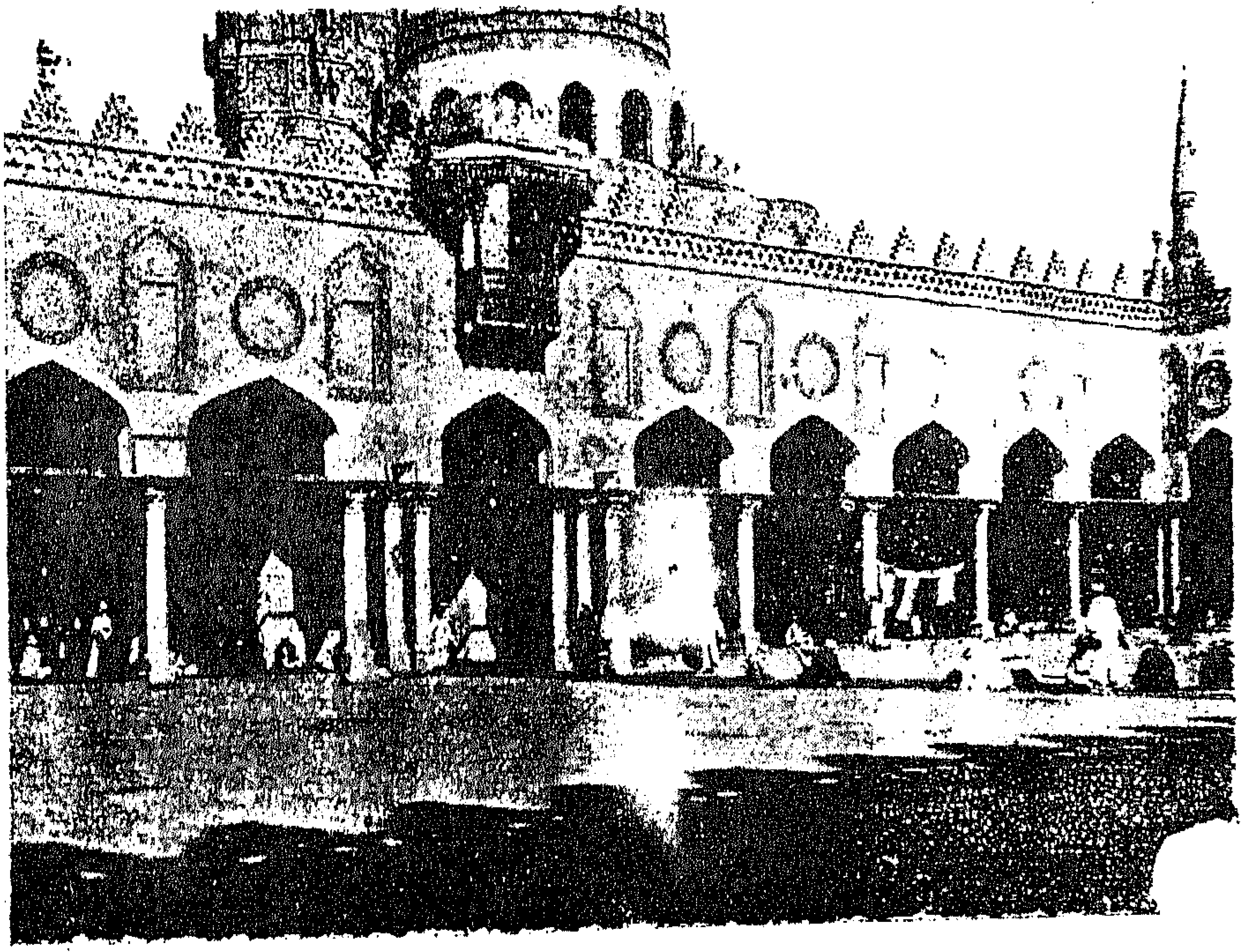

(... ـية لصحن الأزهر

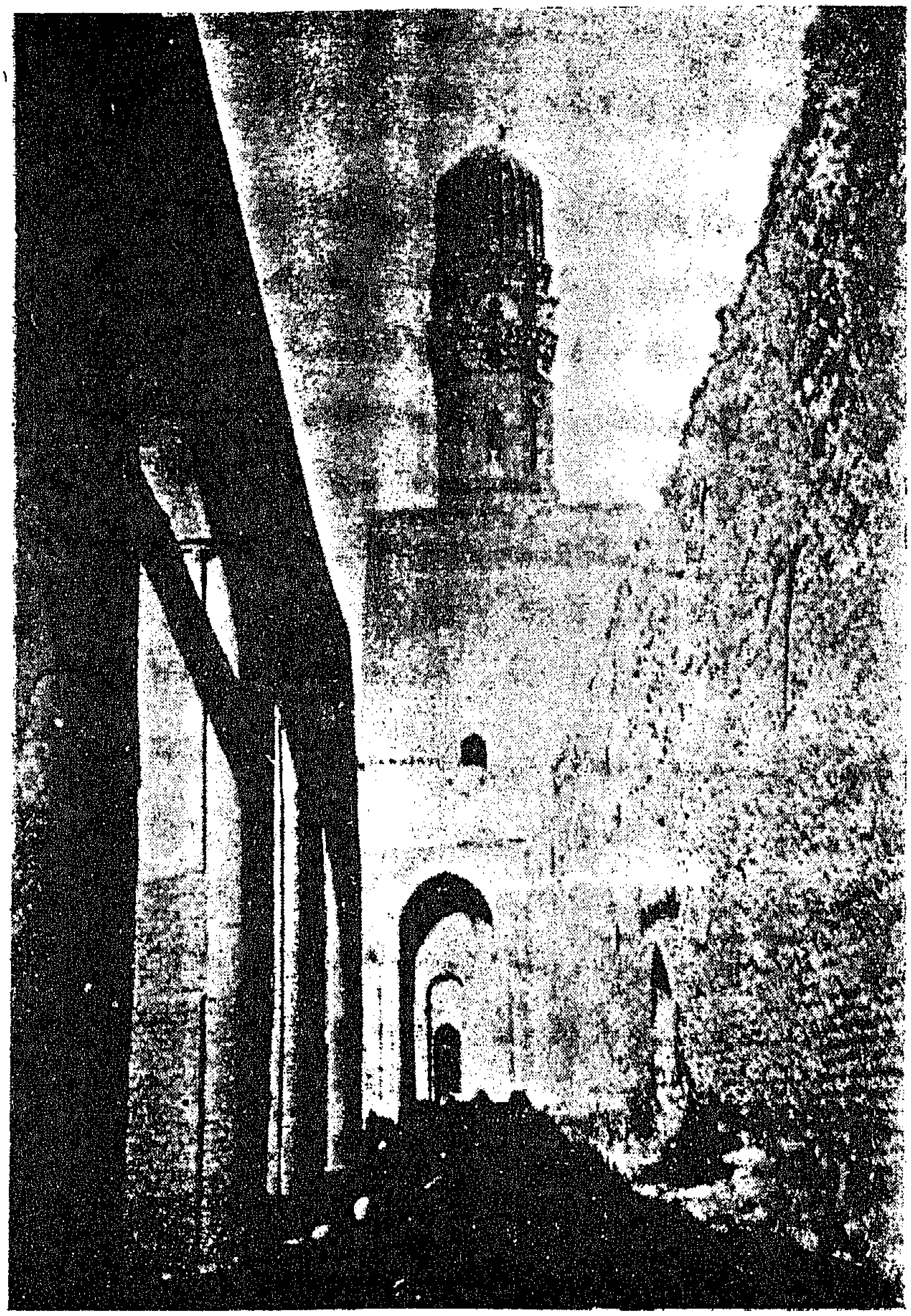

(شكل ٥٢) المئذنة الشمالية لجامع الحاكم

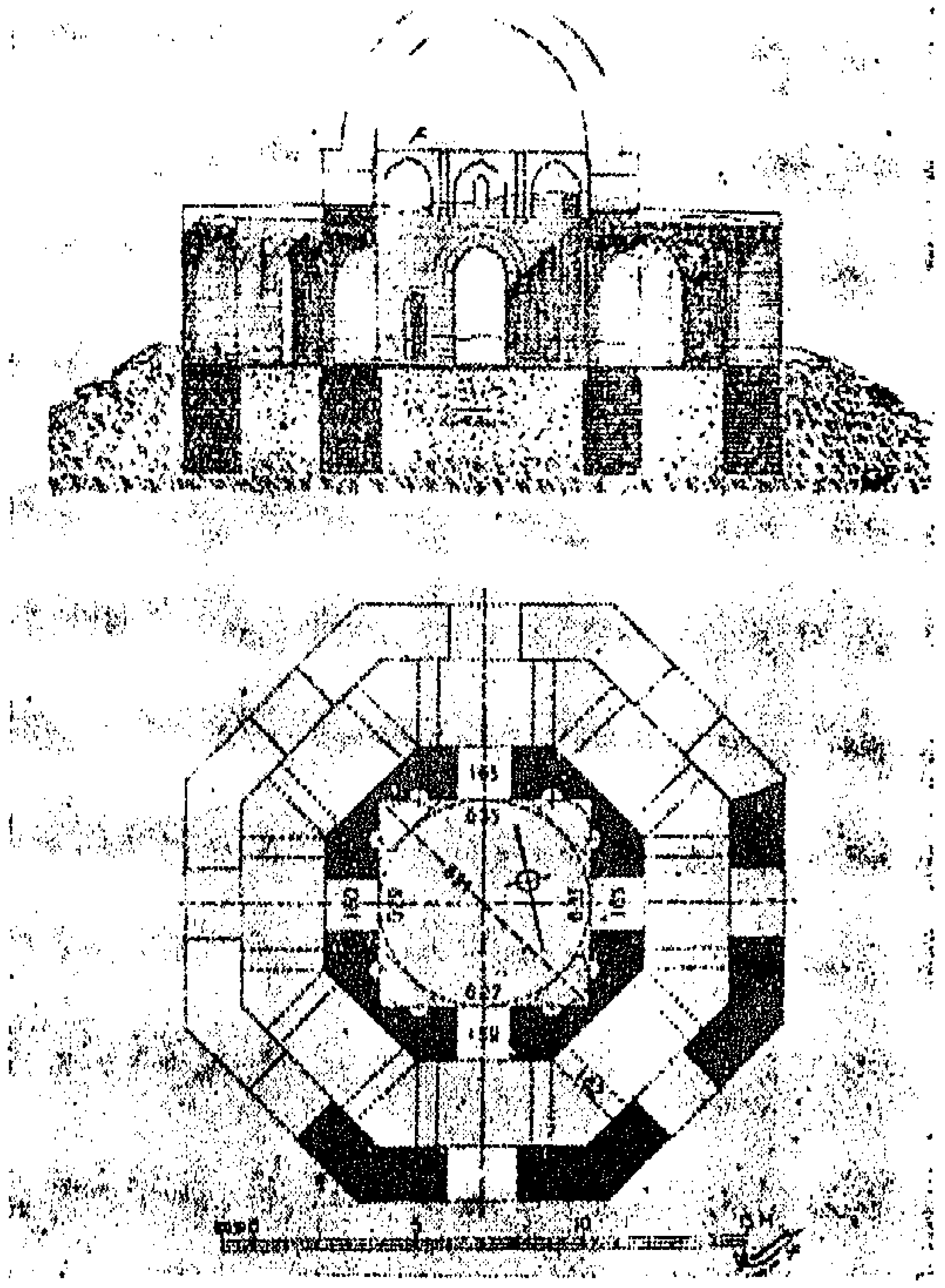

(شكل ٥٣) قبة الصليبية
فى سامرا (عن كريزول)

(شكل ٥٤)
أضرحة السبع بنات
(عن فييت)

(شكل ٥٥) منظر
عام لجامع الجيوشى

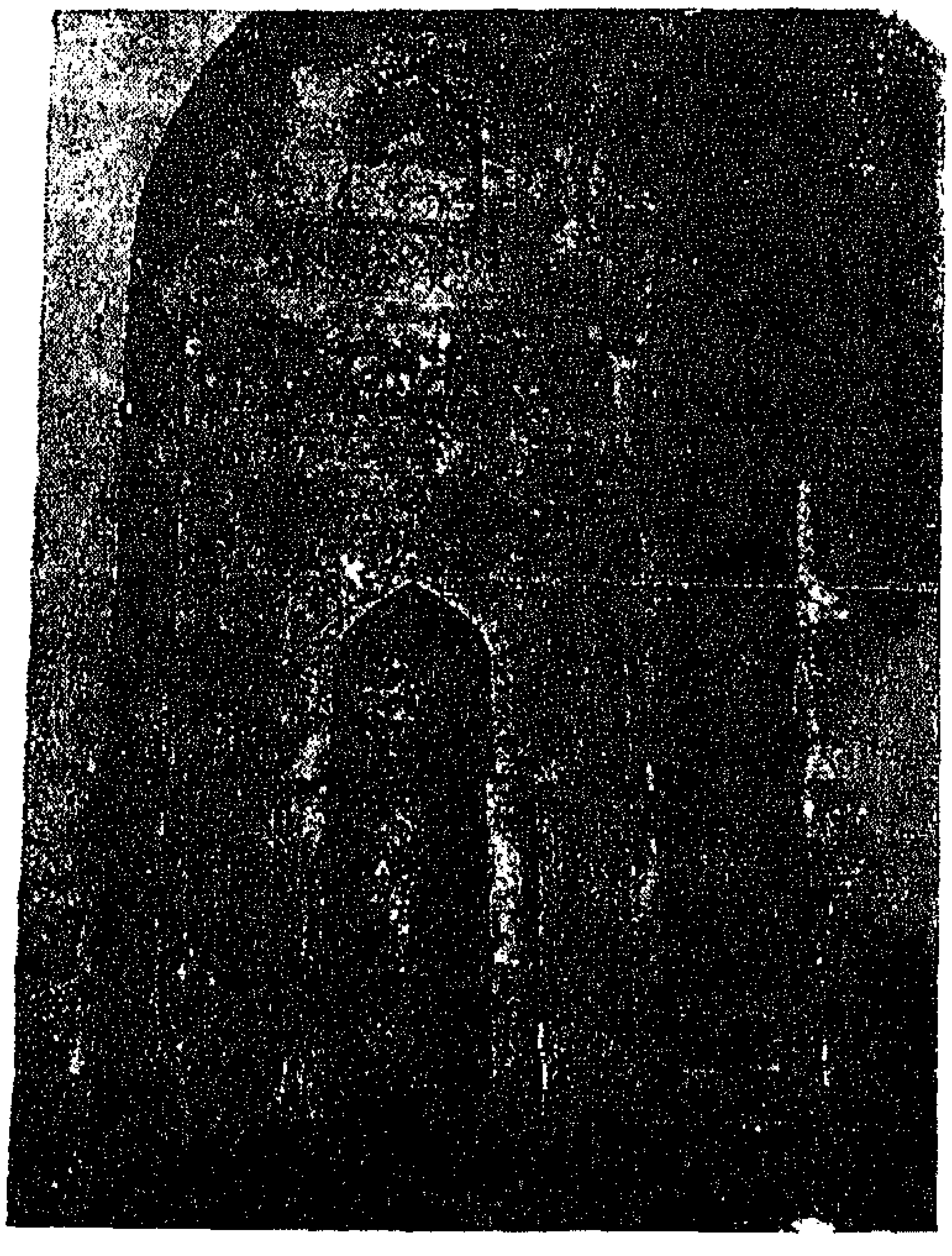

(شكل ٥٦)
محراب جامع الجيوشى

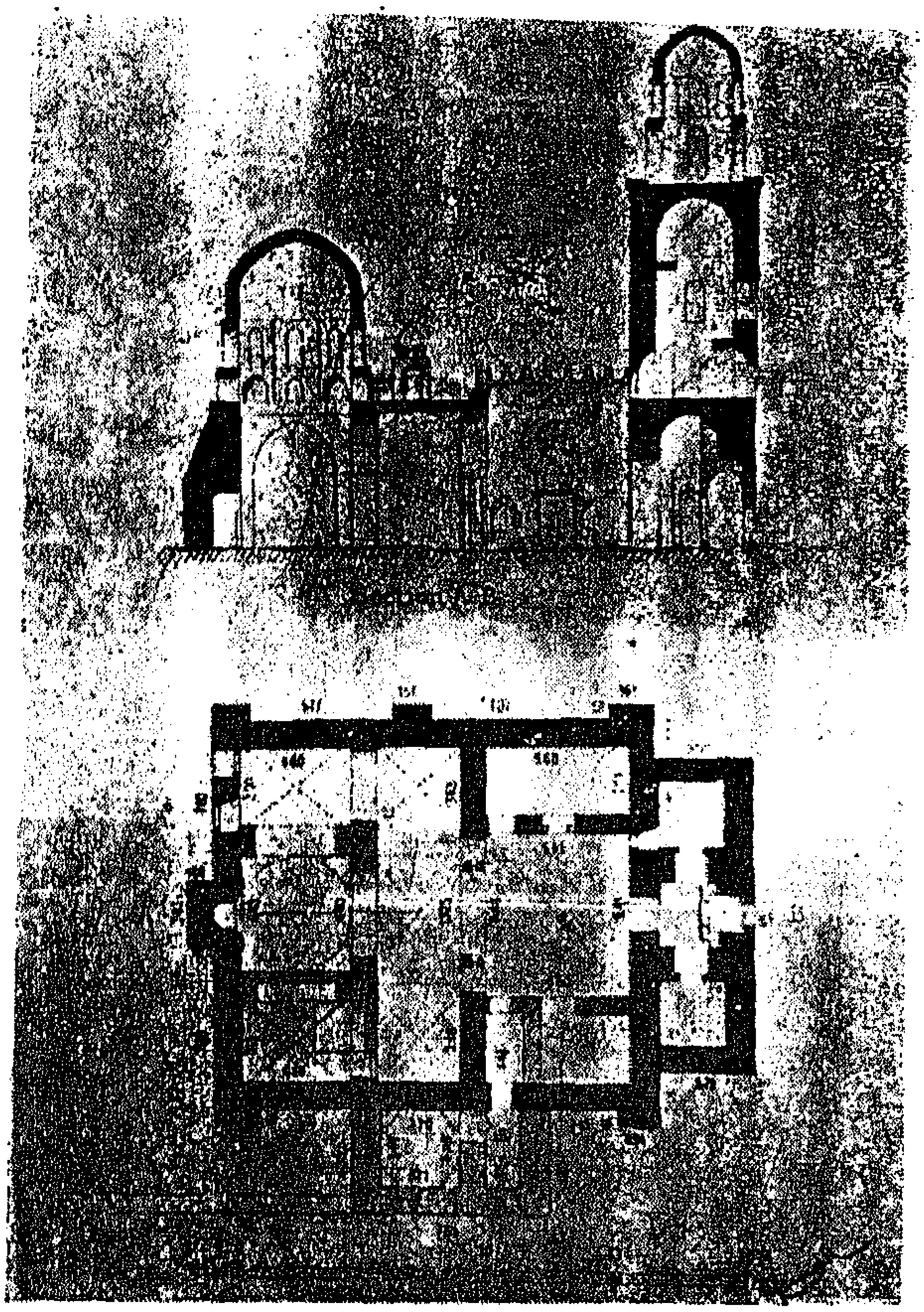

(شكل ٥٧) مسقط
أفقى وقطاع رأسى
فى جامع الجيوشى
(عن كريزول)

أبو عبد الله محمد بن فاتك ، ودون اسمه مع اسم الآمر فى النصوص التاريخية التى كتبت على واجهة المسجد ، وقد حل محل نصف الواجهة اليمنى منزل نزعت ملكيته ادارة حفظ الآثار العربية وكانت من غير شك متماثلة مع النصف المتبقى الموجود على يسار المدخل .

ويعتبر جامع الأقمر من أجمل المساجد الفاطمية على الاطلاق ويمتاز بجمال زخرفة واجهته التى تعتبر أول واجهة مزخرفة فى المساجد المصرية وهى مبنية من الحجر ، أما بناء المسجد من الداخل فمن الطوب ، كما أن الواجهة منحرفة بالنسبة لاتجاهات واجهات الصحن مثلها فى ذلك واجهة مسجد السلطان حسن بالقلعة ، ويشاهد فى واجهة الجامع أول استعمال للمقرنصات كعنصر من عناصر الزخرفة الاسلامية .

ويوجد داخل المسجد صحن تحيط به أربعة أروقة مكونة من قباب منخفضة محمولة على مثلثات كروية ، ويظهر هنا حلقة جديدة فى كيفية تطور تغطية الأروقة فى المساجد فى مصر ، كما يظهر التأثير البيزنطى واضحا فى طريقة تشييد القبة .

وقد عنيت ادارة حفظ الآثار العربية باصلاح هذا الجامع فى سنى (١٩٠٢ — ١٩٢٨) .

المشهد الحسينى بالقاهرة :

دفن به رأس الامام الحسين بن على بن أبى طالب بعد نقله من عسقلان الى القاهرة وذلك بعد انشاء قبة المشهد الذى أنشىء خصيصا له فى سنة (٥٤٩ هـ — ١١٥٤ م) .

وفى سنة (٦٣٣ هـ — ١٢٣٥ م) بدأ أبو القاسم يحيى بن ناصر السكرى بانشاء منارة على باب المشهد أتمها ابنه فى سنة ١٢٣٦ م وهى المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق الباب المعروف بالباب الأخضر والباقى منها قاعدتها المربعة وعليها لوحتان تذكاريتان ، وفى سنة ١٢٤٨ م حصل حريق بالمشهد .

وممن عنى بالمشهد بعد ذلك والى مصر من قبل الدولة العثمانية السيد محمد باشا الشريف الذى تولى الحكم مابين سنتى(١٥٩٥ ــ ١٥٩٧م) كذلك عنى به الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفى المتوفى سنة (١١٢٤هـ ــ ١٧١٢م) فقد وسعه وزاد فيه. وفى عهد الخديو اسماعيل سنة (١٢٧٩هـ ــ ١٨٦٢ م) أمر بتجديده والزيادة فيه وتم بناؤه فى سنة (١٢٩٠ ــ ١٨٧٣ م) ومنارته فى سنة (١٢٩٥ هـ ــ ١٨٧٨م).

ولم يبق من المشهد الفاطمى سوى أحد أبوابه وهو المعروف بالباب الأخضر، وهو باب مبنى بالحجر على يساره دائرة مفرغة بزخارف وتعلوه بقايا شرفة جميلة، وتخلف من المنارة الأيوبية التى أنشأها فوق هذا الباب أبو القاسم السكرى القسم الأسفل منها وهو المربع الذى يحتوى على زخاف جصية نادرة وتاريخ انشائها. أما التابوت الخشبى فهو أيوبى الطراز أيضا، ويعتبر تحفة نادرة تمثل طراز الحفر على الخشب فى العصر الأيوبى.

جامع الصالح طلائع : (٥٥٥ هـ ــ ١١٦٠ م).

أنشأه الصالح طلائع بن رزيك فى سنة (٥٥٥هـ ــ ١١٦٠م) ويقع فى ميدان باب زويلة فى مواجهة أحد أبواب القاهرة الفاطمية الذى أنشأه بدر الجمالى وزير الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، وفوقه منارتا الجامع المؤيدى المنشأ فى (٨٢٢ ــ ٨٢٣هـ) (١٤١٩ ــ ٢٠م)، وتقع أمامه زاوية فرج بن برقوق المنشأة سنة (٨١١ هـ ــ ١٤٠٨ م) وقبليها منازل وقصبة رضوان المنشأة سنة (١٠٦٠ هـ ــ ١٦٥٠ م).

وجامع الصالح طلائع هو آخر أثر للفاطميين فى مصر وقد بنى مرتفعا عن سطح الأرض بنحو أربعة أمتار وبأسفله من جهة الواجهة توجد حوانيت، ويطلق على هذا الطراز من المساجد اسم المساجد المعلقة. والواجهة مكونة من خمسة عقود مثلثة الشكل تكون سقيفة تتقدم المسجد وهو أول مثال لها فى المساجد

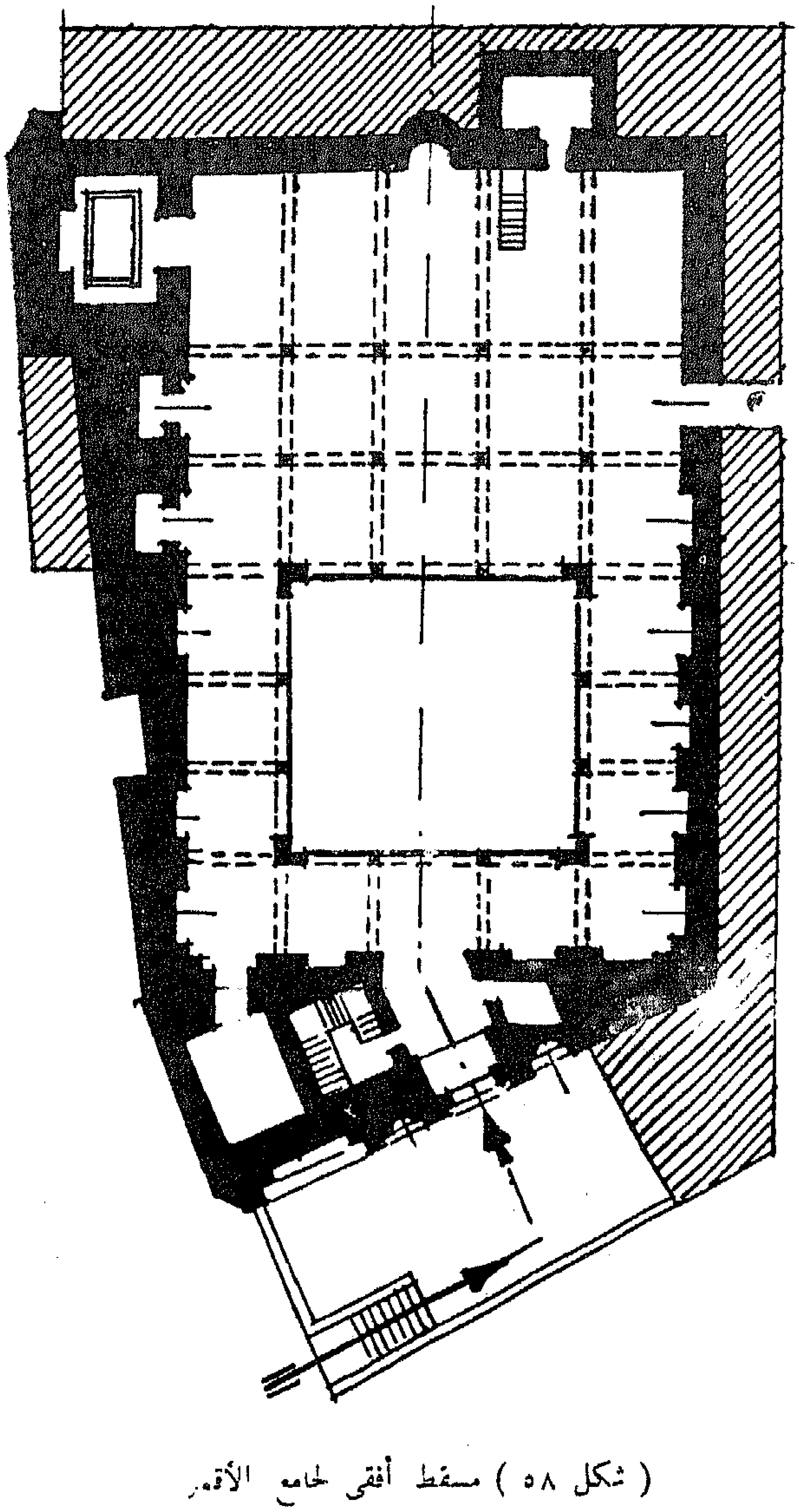

(شكل ٥٨) مسقط أفقى لجامع الأقمر

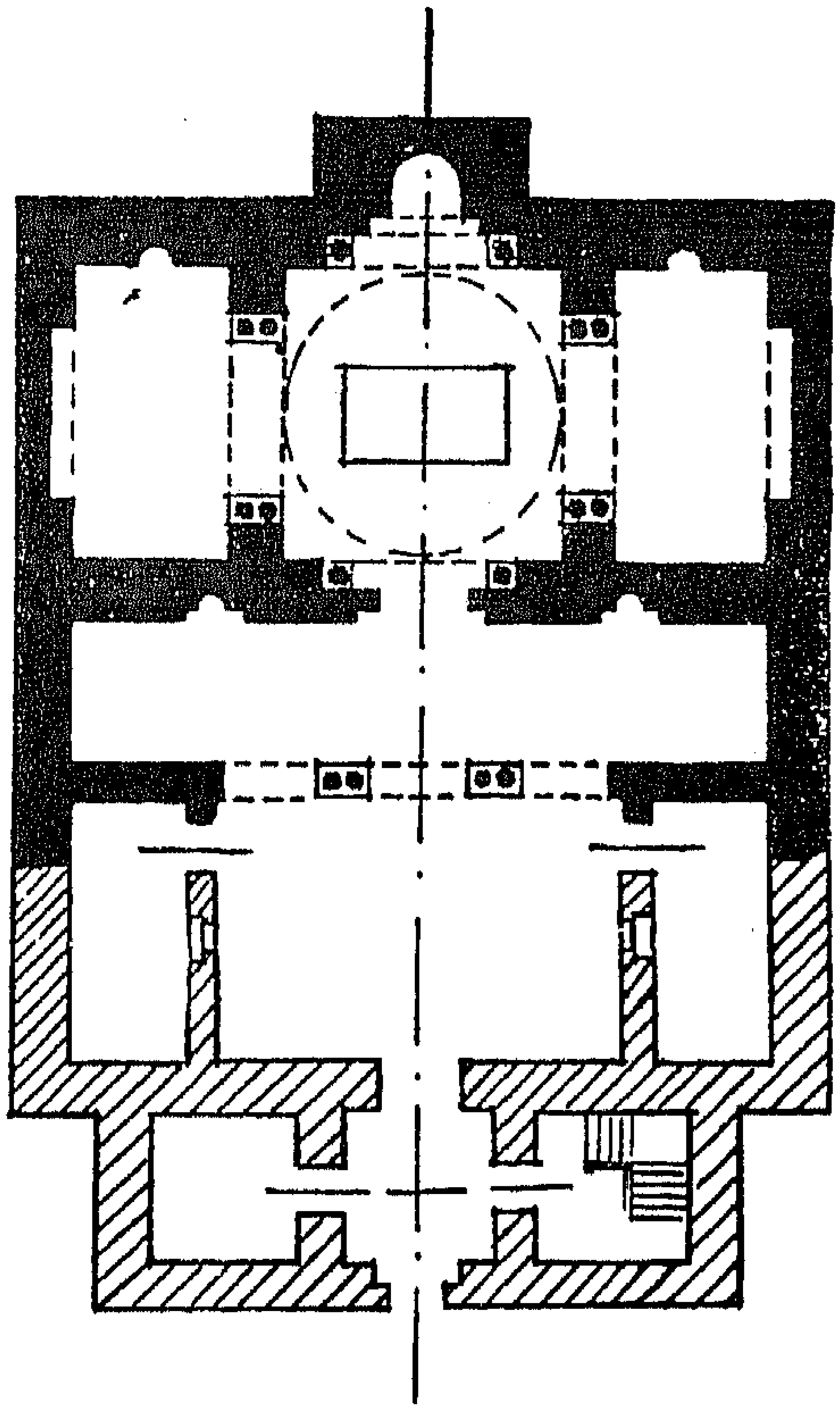

(شكل ٥٩) مسقط أفقى لمشهد السيدة رقية روعى فيه تكملة البناء

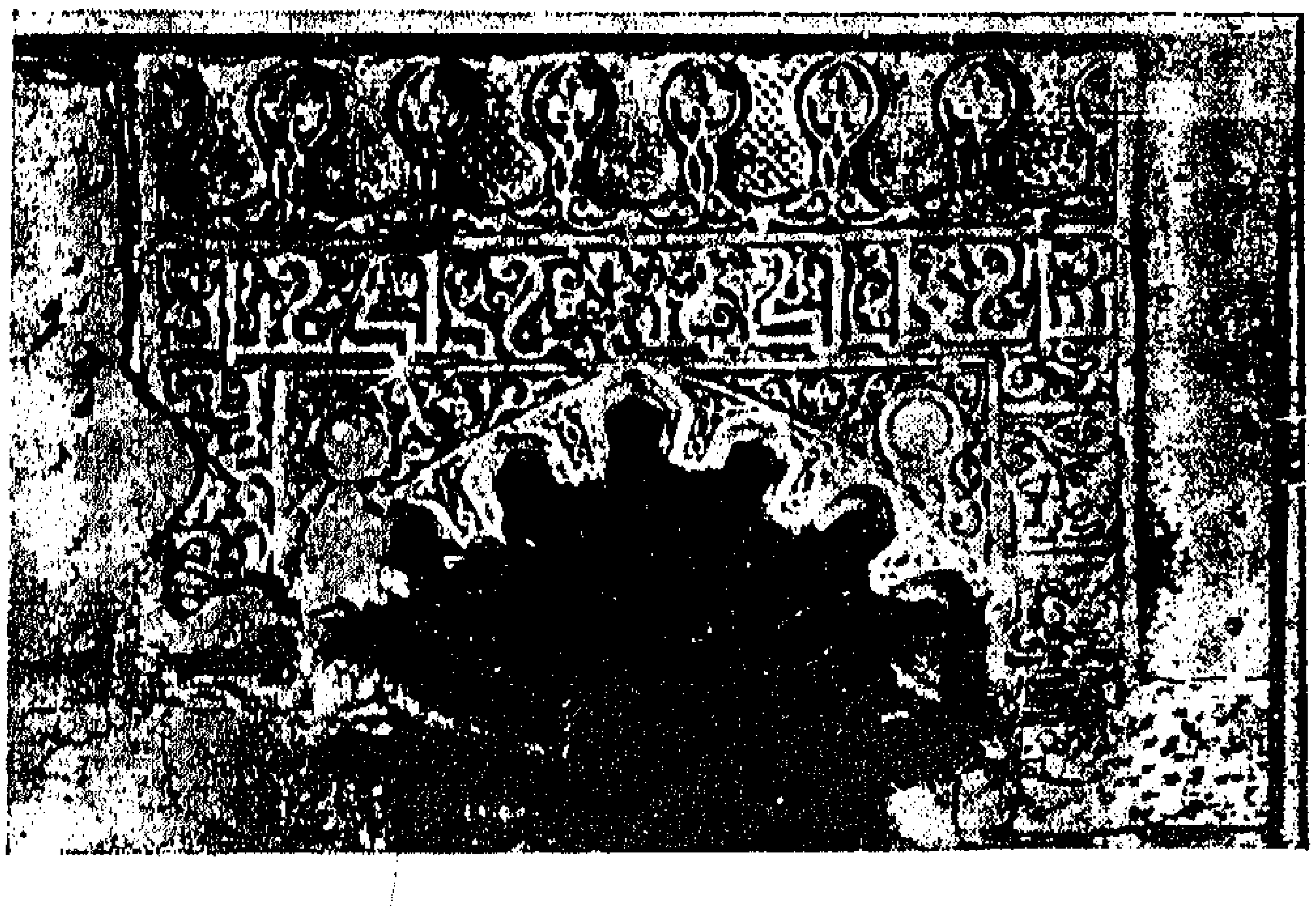

(شكل ٦٠) محراب السيدة رقية (من العصر الفاطمى)

المصرية اقتبسها الفاطميون من جامع أبى فتاته بسوس فى شمال أفريقية ، كما أن للمسجد ثلاثة مداخل محورية وهى فكرة سورية الأصل وجدت قبل ذلك فى المسجد الأموى بدمشق •

وتصميم المسجد يتكون من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الموجودة به منبر خشبى عليه زخارف مكونة من حشوات هندسية بداخلها زخارف نباتية تمثل حلقة الاتصال من الزخارف الفاطمية الى الأشكال الهندسية المتعددة الأضلاع القريبة من الأشكال النجمية ، وهى المميزة للطراز المملوكى • وهذه الزخارف الموجودة بالمنبر تشبه الى حد كبير زخارف العصر الأيوبى •

والمحراب يسوده البساطة ويكتنفه عمودان من الرخام الأحمر وعلى يمين المحراب يوجد المنبر وقد جدد فى سنة ١٨٩٨ م • ولا شك أن منبره الأصلى كان من الطرف النادرة ويرجح ذلك منبر الصالح طلائع الكامل فى مسجده بقوص •

وأدركت لجنة حفظ الآثار العربية الجامع ، وكانت حالته سيئة جدا ، وتم اصلاحه بحالته الراهنة •

العمارة الاسلامية فى العصر الأيوبى

(٥٦٧ – ٦٤٨ هـ) (١١٧١ – ١٢٥٠ م)

استطاع صلاح الدين الأيوبى أن يخلع الخليفة الفاطمى وأن ينهى عهد الوزراء الأقوياء فى الدولة الفاطمية . وبالرغم من أن مصر كانت خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاما الا أنه يلاحظ ازدهار العمارة والفنون الاسلامية فى هذا العصر ؛ فقد ظهرت المدارس الاسلامية وازدهرت العمارة الحربية ولاسيما القلاع والأسوار ، كما كان هذا العصر بداية لظهور الخط النسخى على العمائر وغيرها من التحف ، واتخذ أساسا للنصوص التاريخية واستعمل الخط الكوفى بجانبه للآيات القرآنية .

ومن مميزات الطراز الأيوبى فى العمارة تطور المئذنة التى أخذت شكلا خاصا يعرف « بالمنخرة » وكذا القبة اذ تعددت فيها حطات المقرنص وبناء الايوان مفردا فوق القبور بدل القباب ـ كما ظهر بناء الخوانق لاقامة الصوفية .

وكان لملك مصر صلاح الدين يوسف الأيوبى أكبر الفضل فى انشاء المدارس وانتشارها فى أنحاء مصر ، وقد عمل على القضاء على مذهب الشيعة وانعاش مذاهب أهل السنة فبنى المدارس لفقهائها وكان لمذهب الشافعى الحظ الأكبر من عناية فخص به القضاء لكونه مذهب الدولة .

وكانت المدرسة الناصرية أولى هذه المدارس التى أنشأها وكان مقرها بجوار جامع عمرو . وحين أصبح سلطانا لمصر أمر بانشاء المدرسة الصلاحية فى سنة (٥٧٢ هـ ـ ١١٧٧م) بجوار قبر الامام الشافعى وتنسب له أيضا المدرسة السيوفية التى حل محلها الآن مسجد المطهر بالصاغة وخصصت لفقهاء الحنفية ، وفى بعض الأحيان كان يلحق بعد ذلك بالمدرسة سبيل وكتاب وكذا مدفن للمنشىء .

وقد ظهرت فى بادىء الأمر المدرسة ذات الايوانين ثم ذات الأربعة مذاهب وبعد ذلك تطور التصميم الى الشكل المتقاطع المتعامد وهو نقطة هامة فى شكل تخطيط المساجد بعد ذلك .

ومن أهم العمائر التى تنسب للعصر الأيوبى مدرسة وضريح الصالح نجم الدين أيوب وتتكون المدرسة من جزئين رئيسيين يفصلهما ممر وتعلو مدخله مئذنة ، كما أن كل جزء تكون من ايوانين متقابلين بينهما فناء ، وملحق بالمدرسة ضريح بجوار الايوان الغربى وتعلوه قبة من الطوب وحوائط الضريح من الحجر . وطريقة تحول القبة من المربع الى الدائرة استخدمت فيها ثلاثة صفوف من المقرنصات .

وتمتاز الواجهة المطلة على الشارع بالزخارف الحجرية الموجودة فى النوافذ وبأعتابها وكذا فوق المداخل وفى الحنايا المعقودة وفى الصنجات المزررة وفى أشرطة الكتابة التى تمثل دقة صناعة الحفر على الحجر ، كما يمتاز هذا الأثر من الداخل بتكسية جدرانه بالرخام الملون ويرجع تاريخ انشاء القبة الى زوجة الصالح نجم الدين أيوب وهى ملكة مصر شجرة الدر فى سنة ١٢٤٩ م .

ومن أمثلة العمارة الأيوبية قبة الامام الشافعى (٦٠٨هـ ـ ١٢١١م) وقبة الخلفاء العباسيين خلف المشهد النفيسى وقبةشجرة الدر التى تقع بشارع الخليفة تجاه مشهد السيدة رقية .

قبة ومسجد الامام الشافعى :

يقع هذا الأثر فى شارع الامام الشافعى، وقد شرع صلاح الدين الأيوبى فى سنة (٥٧٢هـ ـ ١١٧٦ م) فى بناء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الشافعى وكان الفراغ منها فى سنة (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) وكانت خاصة بالفقهاء أصحاب الشافعى ومعقلا لنشر هذا المذهب وقد تخلف من المدرسة الصلاحية الكتابة التاريخية المكتوبة بالنسخ الأيوبى المبينة لتاريخ انشائها وهى مودعة بمتحف الفن الاسلامى بميدان أحمد ماهر . وتم تجديد المسجد فى عهدالخديوى توفيق فى سنة(١٣٠٩هـ ـ ١٨٩١ م) على ما هو عليه الآن . وبقى من عمارة صلاح الدين الأولى لقبر الشافعى تابوت فاخر من الخشب غطاؤه هرمى الشكل عليه نقوش وكتابات

بالخط الكوفي والنسخي ، وزخارفه عبـــارة عن وحدات نباتية دقيقــة داخل مناطق هندســية .

وأنشئت القبة في سنة (٦٠٨ هـ ــ ١٢١١ م) في عهد السلطان الملك الكامل محمد بن العادل عندما دفنت أمه هناك وهذه القبة خشبية ومكسوة بالرصاص وكسيت جدرانها من الداخل بالرخام وفي جدارها الشرقي ثلاثة محاريب ، طواقيها خشبية منقوشة ثم محراب رابع أحدث لتصويب القبلة . وبالقبة تابوت آخــر فوق قبر أم الملك الكامل لا يقل في أهميته عن تابوت الشافعي .

وتعتبر قبة الامام الشــافعي من أجمل القباب في مصر الاســلامية وتنتهي القاعدة المربعة من الخارج من أعلاها على ارتفاع ١٠ر٦٢ أمتار بشرفة ارتفاعها ١ر٨٠ متر بها شرافات مسننة جميــلة بأسفلها محاريب محاربة ذات عقود مثلثة محلاة بزخارف جصية وفوق هذه القاعدة المربعة توجد القبة الخشبية بعد أن تبعد قليلا عن الشرفة من الداخل وارتفاع القبة ١٦ر٧٨ مترا من سطح الأرض . ومقرنص القبة مكون من ثلاث حطات مخوصة مزخرفة وهنا يبدأ تعدد طاقات المقرنص اذ كان قبل ذلك يتكــون من حطتين في نهاية العصر الفاطمي كما في ضريحي السيدة عاتكة ومحمد الجعفري وكذلك في مشــهد الســيدة رقية .

وفي قبة الشــافعي نجد أن الحطــة الســفلية مكونة من خمســة حنــايا تعلوها ســبعة في المنطقة الوسطى ثم ثلاثة في المنطقة العلوية . وبقمة القبة من الخارج يوجد قارب برونزي يعرف بالعشــاري كان يوضع فيه الحبوب لأكل الطيور وهي تشبه العشاري التي كانت موجودة فوق مئذنة الجامع الطولوني والتي سقطت سنة (١١٠٥ هـ ــ ١٦٩٣ م) .

وفي سنة (٨٨٥ هـ ــ ١٤٨٠ م) أمر السلطان قايتباي باصلاح القبة وكذلك جددها الملك الأشرف قانصوه الغوري ، كما أجرى على بك الكبير عمارة كبيرة في سنة (١١٨٦ هـ ــ ١٧٧٢ م) .

ومن آثار الأيوبيين أيضا قبة الخلفاء العباسيين التى تقع خلف المشهد النفيسى وتضم رفاة أفراد من الخلفاء العباسيين وكذا أولاد الظاهر بيبرس البندقدارى ومقرنص هذه القبة يتفق مع مقرنص قبة شجرة الدر المبنية فى العصر الأيوبى وتشبهها أيضا فى أشكال العقود المحارية الجصية الموجودة بقاعدة القبة من الخارج . وتقع قبة شجرة الدر بشارع الخليفة تجاه مشهد السيدة رقية-وقد أمرت بانشائها شجرة الدر المدفونة بها .

ومن الآثار الأيوبية التى زالت ولم يبق لها أثر قصر الصالح بجزيرة الروضة .

العمارة الاسلامية فى مصر فى عصر المماليك

(١٢٥٠ – ١٥١٦ م)

يعتبر عصر المماليك العصر الذهبى فى تاريخ العمارة الاسلامية فى مصر فقد زادت الرغبة فى تشـيـيد عـدد كبير من الأبنية من جوامع ومدارس وأضرحة وحمامات ووكالات وأسـبلة ، كما ذاع بناء المدافن الكبيرة فى عصر المماليك ،

ولعل أبدعها مدفن وخانقاه برقوق ومدفن قايتباى ومدفن بارسباى بمقابر المماليك (الصحراء الشرقية فى القاهرة) .

وزادت العناية فى هـذا العصر بواجهات المسـاجد وذلك بتتابـع طبقات أو مداميك أفقية من أحجار صفراء وأخرى حمراء داكنـة أوفى عمل تجاويف أو حنايا عمودية قد تفتح فيها نوافذ وقد تنتهى فى أعلاها بزخارف معمارية من المقرنصـات وتظهر ذلك فى أشرطة الزخارف والكتابات القرآنية أو التاريخية وفى شرافات مسننة تتوج بها الواجهة .

وامتازت المآذن المملوكية برشاقتها وجمال نسبها ومعظمها ذات قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن ثم دورة علوية اسطوانية الشكل . أما أبواب المساجد فقـد امتازت بزخارفها الفنية ودقة صناعتها . وكثرت فى هذا العصر زخرفة الوزرات والأرضيات بالرخام الملون وبعض المحاريب قد زخرفت بالفسـيفساء الرخاميـة والصدف كما هو الحال فى جامع الماردانى ومدرسة السلطان حسن .

ومن أهم العمائر المدنية غير القصور والمنازل التى لا تزال باقية ، مدخل وكالة الأمير قوصون ومدخل وكالة قايتباى بباب النصر ومقعد ماماى المعروف باسم بيت القاضى فى القاهرة . وهذا المقعد جزء من دار كبيرة شـيدها الأمير ماماى الصيفى أحد أمراء السلطان قايتباى .

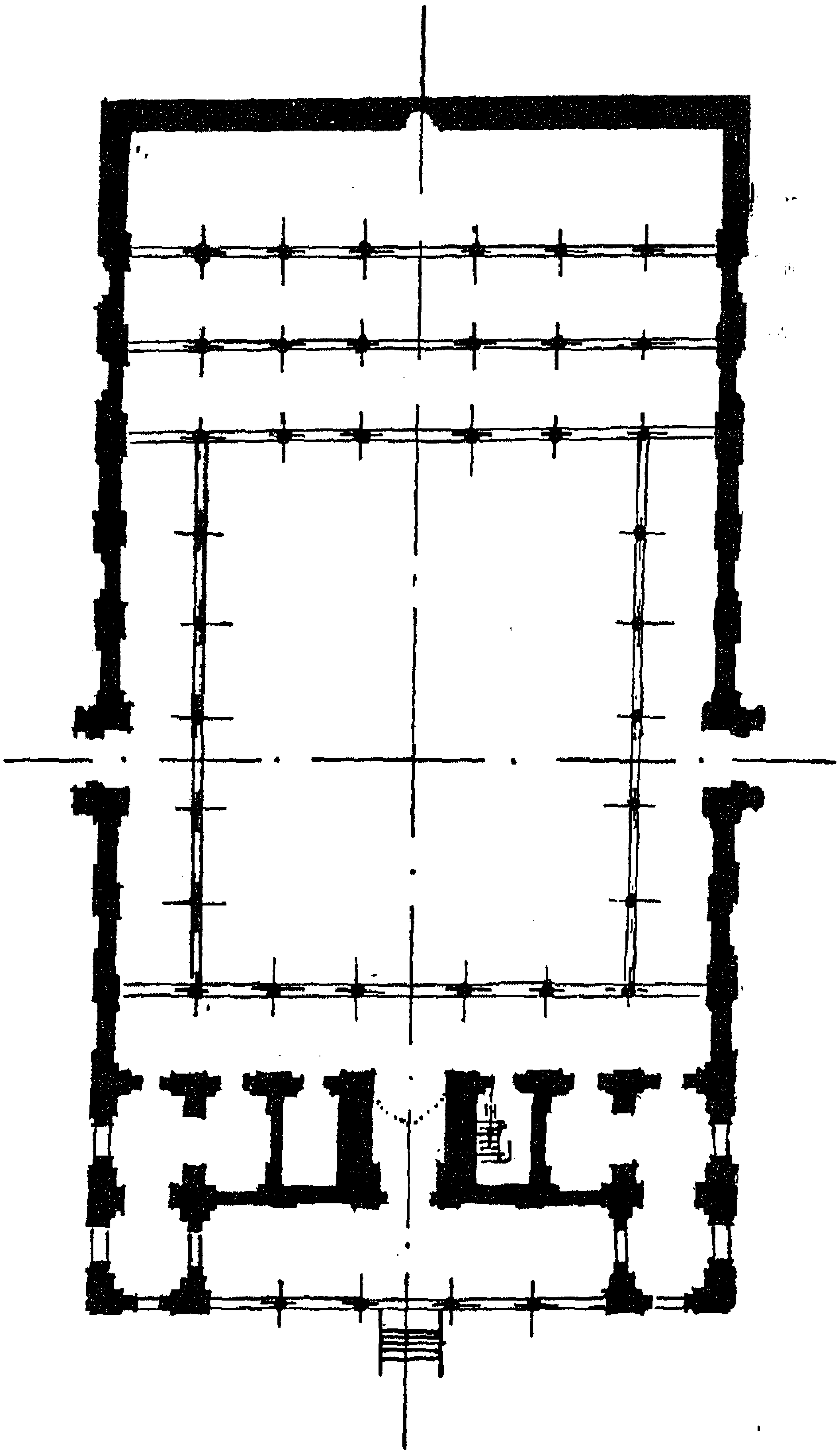

(شكل ٦١) مسقط أفقى لجامع الصالح طلائع

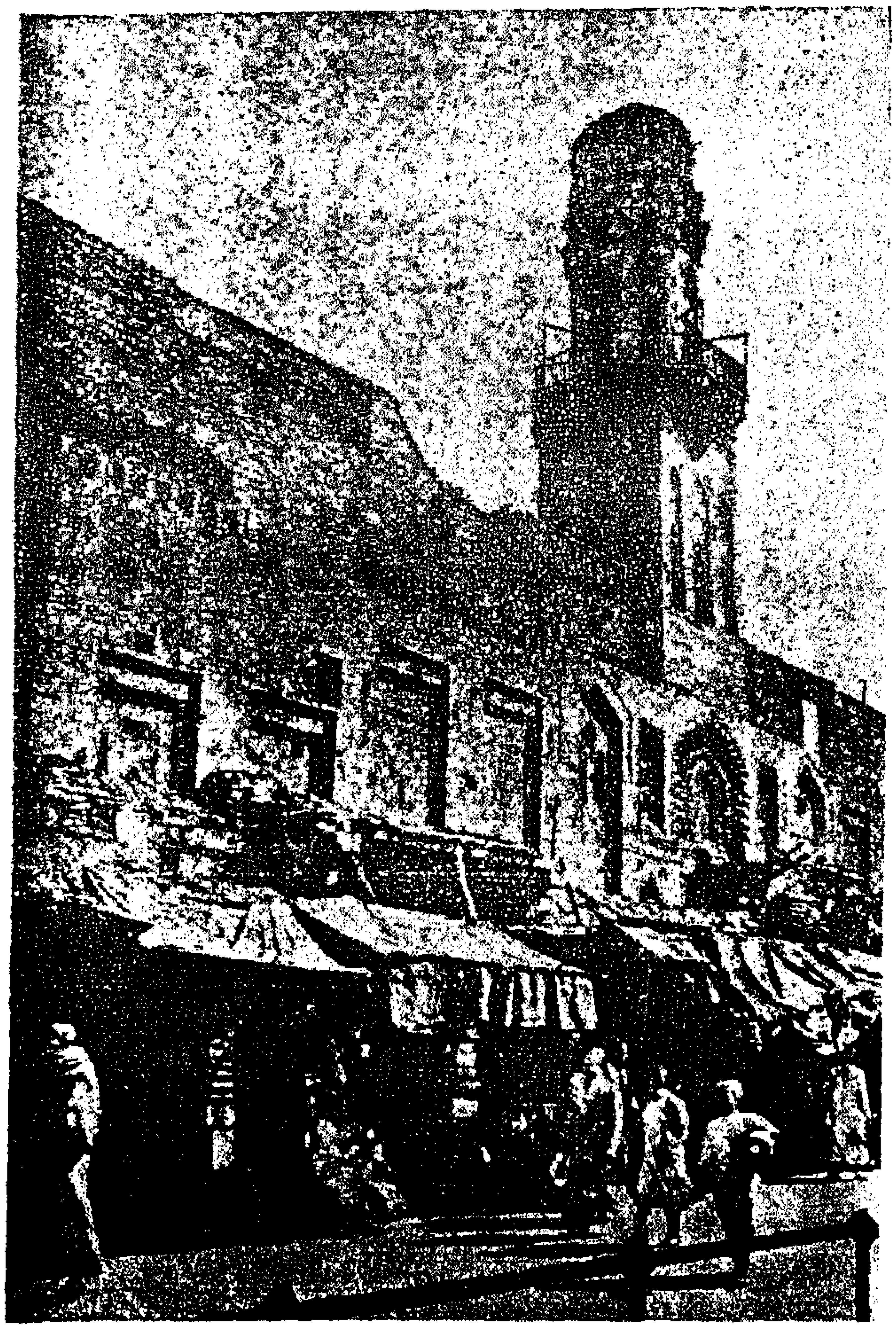

(شكل ٦٢) مدرسة وضريح الملك الصالح نجم الدين أيوب
(١٢٤٩ - ١٢٥٠ م)

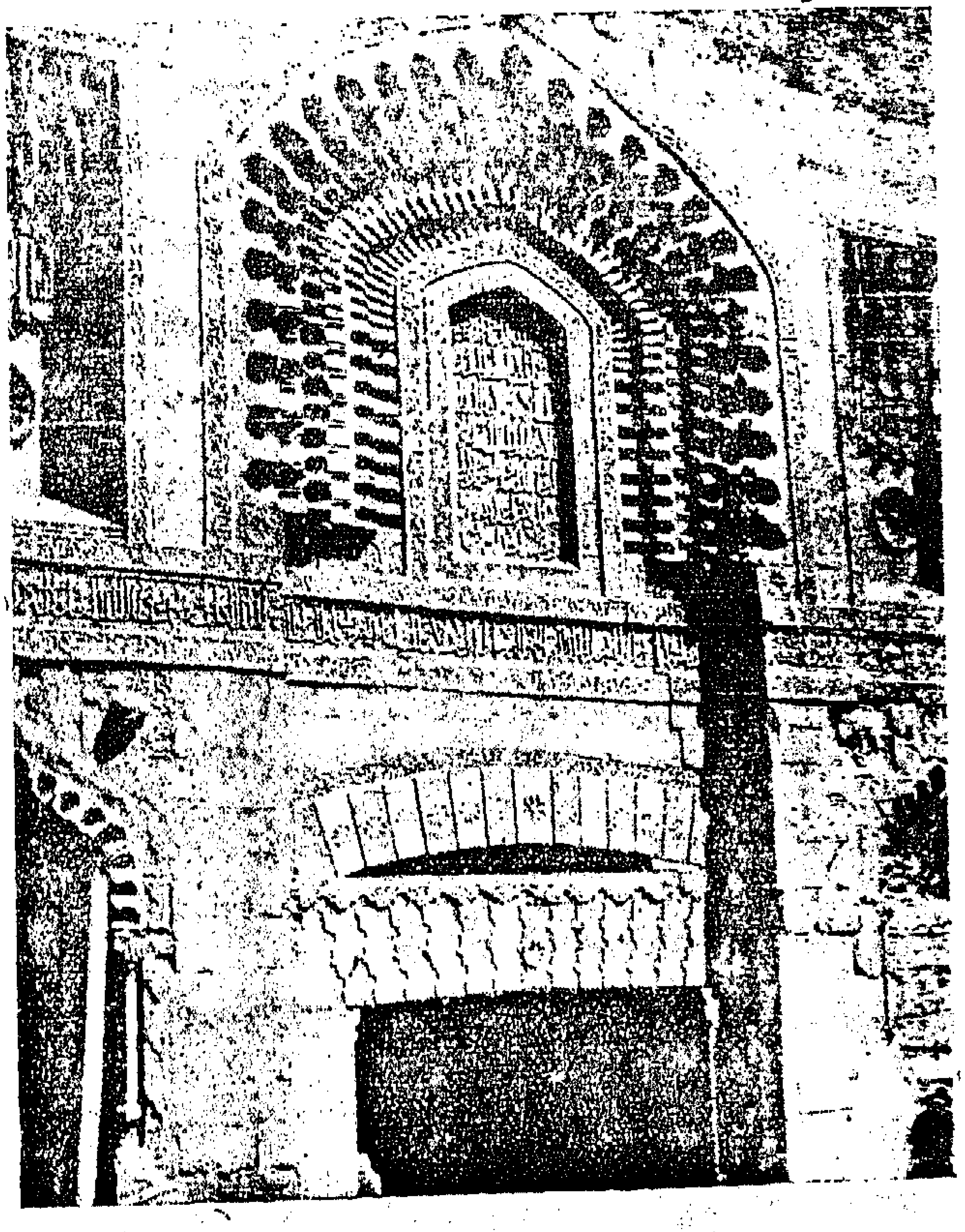

(شكل ٦٣) مدخل مدرسة الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة .

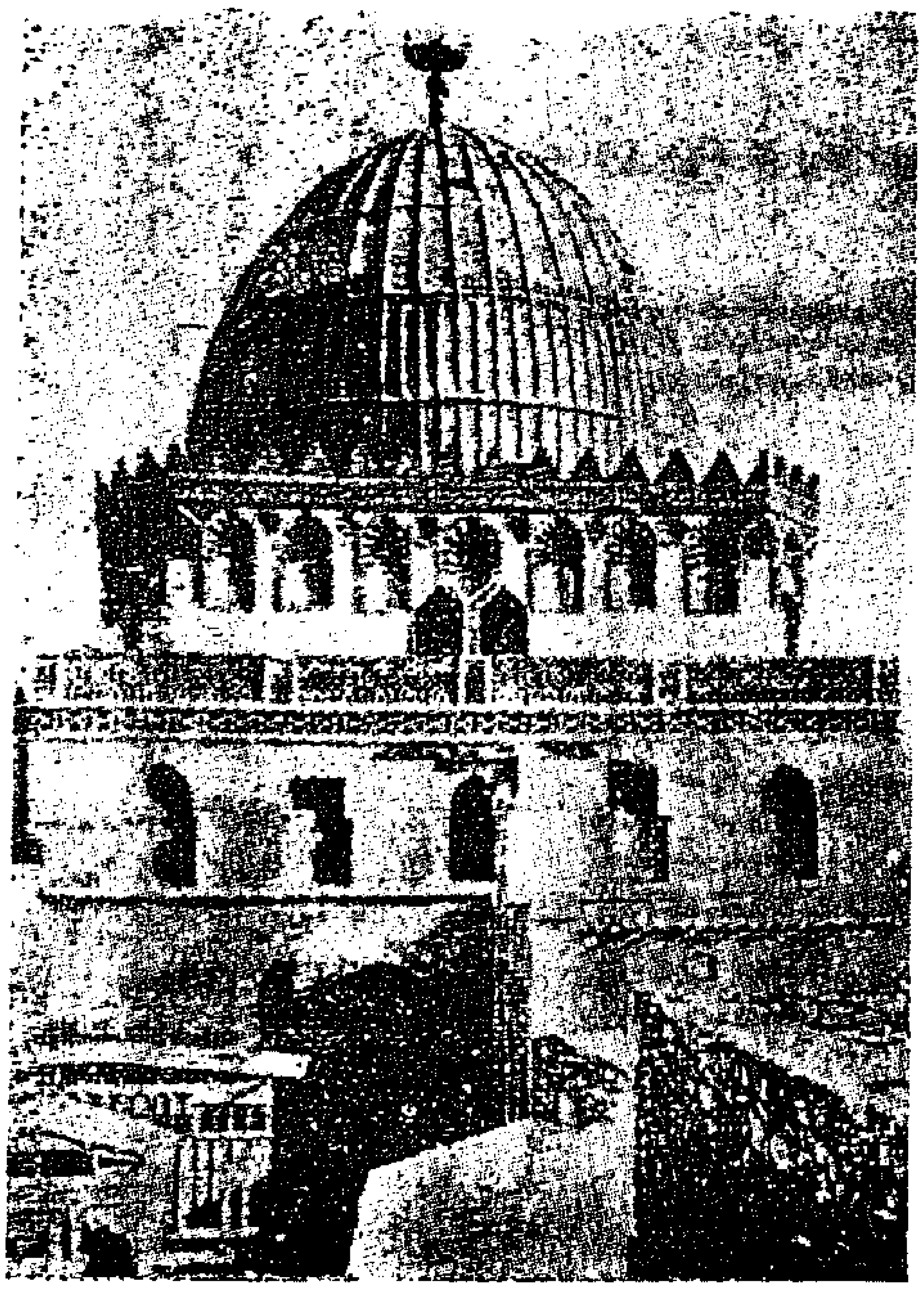

(شكل ٦٥) قبة الإمام الشافعى
من الخارج (عن كريرول)

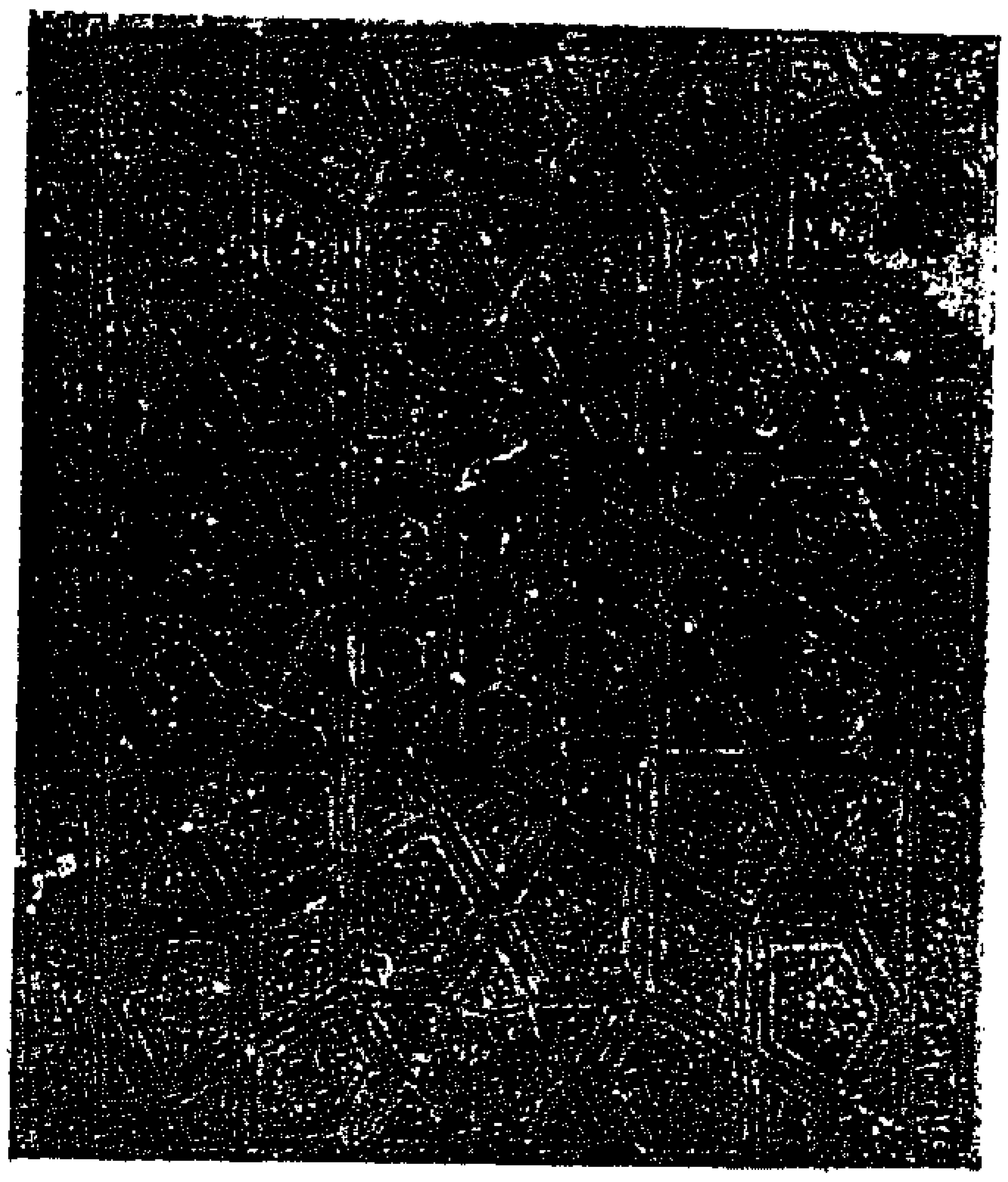

(شكل ٦٦) تابوت من
الخشب بالإمام الشافعى

(شكل ٦٧) قبة الإمام
الشافعى - مقرنص القبة من
الداخل (عن فييت)

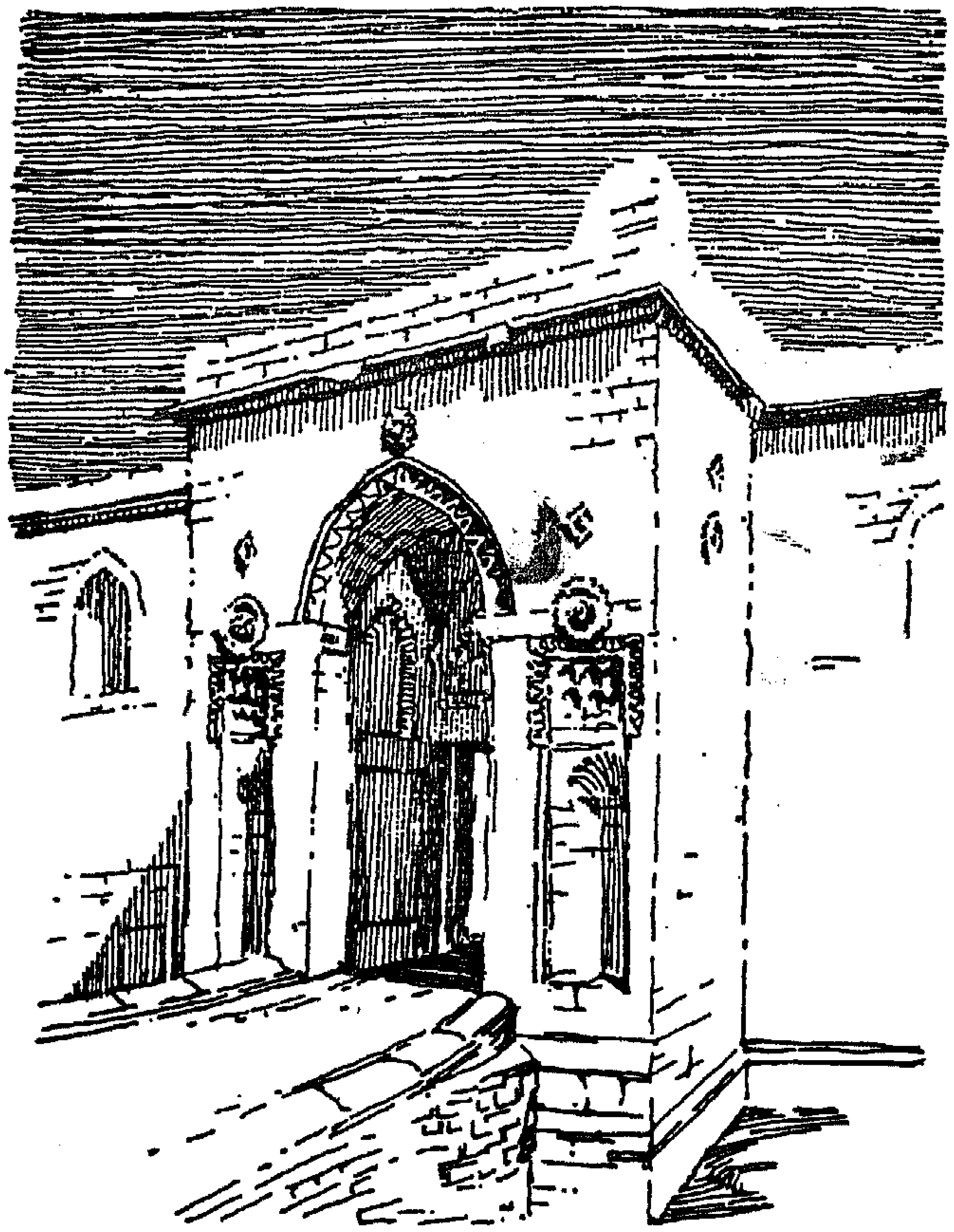

(شكل ٦٨) الواجهة الجنوبية الغربية لمسجد الظاهر بيبرس (١٢٦٦ -١٢٦٩م)

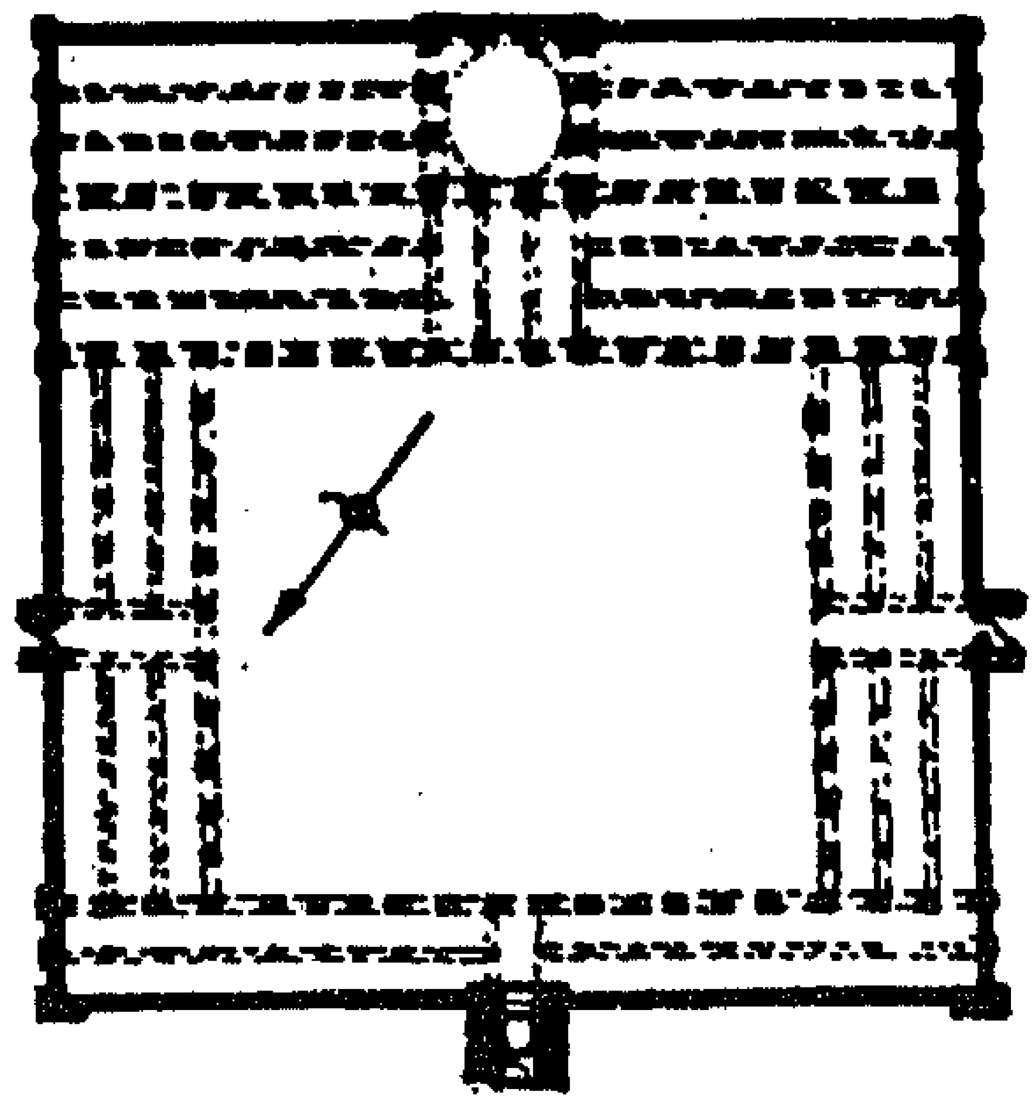

(شكل ٦٩) المسقط الأفقي لمسجد الظاهر بيبرس (١٢٦٦ - ١٢٦٩م)

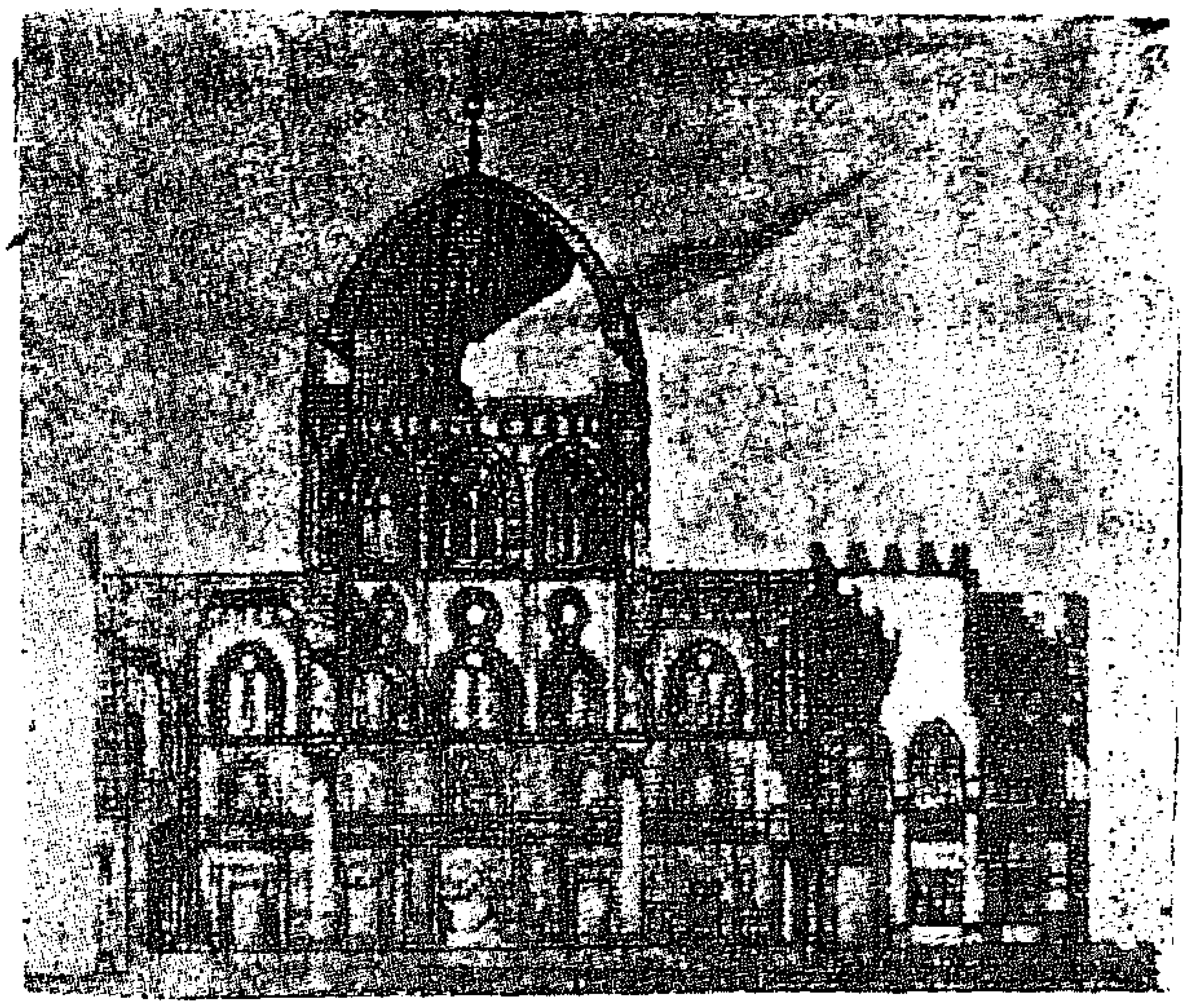

(شكل ٧٠) قطاع رأسى فى
قبة المنصور قلاوون بالنحاسين

(شكل ٧١) قناطر « أبو المنجا » - (عن كريزول)

وقد كان المماليك عبيدا للسلطان الأيوبى كما كانت شجرة الدر زوجة ومملوكة للسلطان الصالح قبل أن تتوج ملكة على مصر • وبوفاتها انتهى عصر الدولة الأيوبية وقامت دولة المماليك الذين قوى بيدهم الأمر واستطاعوا أن يقيموا دولة جديدة ، وينقسم عصر المماليك الى فترتين : الأولى عصر الأتراك أو المماليك البحرية (١٢٥٠ — ١٣٨٢ م) ، والثانية عصر المماليك الشراكسة أو البرجية (١٣٨٢ — ١٥١٦ م) •

عصر المماليك الأتراك (البحرية) :

جامع الظاهر بيبرس : (١٢٦٦ — ١٢٦٩ م) :

يقع هذا الجامع بميدان الظاهر بالقاهرة ويشبه فى تخطيطه الى حد كبير مسجد أحمد بن طولون ، فهو يتكون من صحن محاط بأروقة من جهاته الأربع ورواق القبلة يتكون من ست بلاطات بينما يتكون الجانبين من ثلاث والشمالى الغربى من اثنين فقط • ويلاحظ أن المجاز مقسم الى ثلاثة ممرات عمودية على حائط القبلة ويشغل ثلاث بلاطات من رواق القبلة وينتهى عند القبة المقامة فوق المربع الذى يتقدم المحراب ، ويلاحظ هنا أيضا كبر مساحة القبة اذ يشغل الثلاث بلاطات الباقية من رواق القبلة أى أن مساحتها ثلاث بلاطات مربعة ، ويمتاز المسجد أيضا بوجود ثلاثة مداخل محورية بارزة عن الداجهات الثلاث عدا المواجهة الجنوبية الشرقية ، والمدخل الرئيسى فى منتصف الواجهة الشمالية الغربية وهو معقود بعقد يكتنفه تجويفان ينتهيان بمقرنصات فى الجزء العلوى • والمدخل الرئيسى مغطى بقبة بينما الجانبيان بقبوين متقاطعين •

وينسب للظاهر بيبرس البندقدارى أيضا القناطر المعروفة باسم قناطر أبى المنجى المشيدة بالحجر وهى معقودة بعقود مدببة وبين كل عقدين رنك الظاهر بيبرس وتقع هذه القناطر فى بداية الطريق الزراعى الرئيسى عند قليوب •

مدرسة وضريح وبيمارستان قلاوون بالنحاسين : (١٢٨٤ — ١٢٨٨ م) :

تقع هذه المجموعة بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقا) وقد أقيمت على رفعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى الذى كشف عن بعض أجزائه حديثا •

وقد عين السلطان الملك المنصور قلاوون أحد مماليك الأتراك البحريين ملكا على مصر فى سنة (٦٧٨ هـ — ١٢٧٩م) وكان عصره عصر رخاء ويسر انتعشت فيه

الفنون وازدهرت العمارة وقد توفى سنة (٦٨٩ هـ — ١٢٩٠م) ودفن فى مقبرته التى أنشأها فى شارع بين القصرين .

وأهم ما يسترعى النظر فى هذه المجموعة المعمارية القبة التى تعلو الضريح . ويظهر التأثير السورى فى تخطيط قاعدتها فهى مقامة على قاعدة مثمنة مكونة من أربع دعائم مربعة وأربعة أعمدة مستديرة وهى موضوعة حسب الترتيب التالى : دعامتان ثم عمودان بالتبادل ، والأعمدة ضخمة من الجرانيت وذات تيجان مذهبة . أما الدعائم فبها أربعة أعمدة رخامية فى أركان كل منها وقد كسيت من الخارج بالرخام الدقيق المطعم بالصدف . وهذه الدعائم وكذا الأعمدة تحمل عقودا مدببة تعلوها رقبة مثمنة بها نافذة فى كل ضلع من أضلاعها ثم تعلو هذه الرقبة المثمنة قبة مستديرة تحولت اليها بواسطة تجويفات صغيرة فى أركان المثمن ، وقطاع القبة من الخارج على شكل عقد مدبب بيضاوى الشكل ويسندها أكتاف سائدة موضوعة فوق أركان المثمن الخارجى ، ويتوسط القبة من أسفلها قبر المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد بن قلاوون وحفيده علاء الدين اسماعيل وقد أعادت لجنة حفظ الآثار العربية بناء القبة فى أوائل القرن الحالى .

والواجهة الخارجية من الحجر الملون على شكل مربعات كطريقة «الشطرنج» وهى ملونة باللونين الأحمر والأبيض كما يمتاز البناء من الداخل بتكسية الحوائط بأشرطة مستطيلة تجرى رأسية وهى من الرخام الملون وذلك فى الجزء السفلى من الحائط . والمئذنة مكونة من ثلاثة أدوار ، السفليان منها مربعا الشكل والعلوى مستدير وجدد المئذنة الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٣٠٣ م .

وأمام باب القبة باب المدرسة المنصورية ويتوصل اليها الآن من بابين متقابلين لبابى القبة وقد كانت قد تخربت فعنيت ادارة حفظ الآثار العربية باصلاح الايوان الشرقى بها وانتهت الأعمال فيه فى سنتى ١٩١٦ — ١٩١٩ م . وهذا الايوان مكون من ثلاث بلاطات أكبرها الوسطى ويفصلها صفان من العقود بكل صف أربعة عقود محمولة على ثلاثة أعمدة ويعتبر محراب المدرسة أقل فخامة من محراب القبة الذى يعد من أكبر وأفخم المحاريب فى مصر الاسلامية ويكتنفه من كلا جانبيه ثلاثة أعمدة رخامية وبتجويفة أربع طبقات من تجاويف محارية مذهبة محمولة على أعمدة رشيقة والباقى من الرخام والصدف الدقيق .

وقد أولى عنايته الى هذه القبة المهندس هرتس باشا واستمر العمل فى اصلاحها من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١١ اذ جدد زخارفها وسقوفها ونوافذها ونجارتها وأقام قبتها •

أما الأجزاء الباقية من البيمارستان فتنحصر فى بقايا ايوانين كبيرين يرجعان الى عصر المنصور قلاوون كما عثرت ادارة حفظ الآثار العربية على أجزاء من سقوف خشبية فى القسم البحرى للبيمارستان وكانت موجودة أصلا فى مكان القصر الفاطمى الغربى ، وكلها فاطمية الطراز من حيث الزخرفة والصناعة ومحفوظة الآن فى المتحف الاسلامى • وقد ظل البيمارستان يؤدى وظيفته الى سنة ١٨٥٦ م وأقامت وزارة الأوقاف فى سنة ١٩١٥ م مكانه مستشفى لمعالجة أمراض العيون ولا يزال باقيا الى الآن •

عصر الناصر محمد بن قلاوون : ــ (١٢٩٣ ــ ١٣٤١ م) •

فى عهده أنشئت عدة عمائر مملوكية الطراز وينسب له مدرسة وضريح بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقا) ومسجده المعروف بالقلعة •

مدرسة الناصر وضريحه بالنحاسين : ــ (٧٠٣ هـ ــ ١٣٠٤ م) •

يمتاز بمدخله القوطى الطراز المبنى بالرخام والذى نقل من كنيسة سان چون بعكا على يد الأشرف خليل بعد أن فتحها سنة ١٢٩٠ م • ويعلو الباب منارة محلاة بزخارف جصية بديعة ودقيقة • كما يمتاز المبنى أيضا بالقبة ذات المقرنصات التى تعلو غرفة الضريح •

ويقع أمام المدرسة سبيل محمد على المنشأ فى سنة ١٨٢٨ م • وهو نموذج للأسبلة المنشأة فى ذلك العصر وقد كسيت واجهته بالرخام •

مسجد الناصر بالقلعة :

تخطيطه مربع الشكل ، وهو من التخطيط الأول للمساجد الذى يتكون من صحن محاط بأربعة أروقة ، ورواق القبلة يتكون من أربعة بلاطات والأخرى تتكون كل منها من بلاطتين فقط • أما القبة التى تعلو المحراب فتشغل ثلاث

بلاطات مربعة ، والواجهة بسيطة يعلوها صف من النوافذ ذات العقود المدببة كما أن للمسجد مدخلان معقودان وبارزان عن الواجهة .

وينسب للناصر محمد أيضا قناطر المياه المعقودة بعقوه مدببة والتى كانت تمتد من النيل حتى القلعة .

مسجد سلار وسنجر الجاولى : — (١٣٠٣ — ١٣٠٤ م)

يقع هذا الأثر على ربوة عالية بشارع مراسينة الموصل من ميدان السيدة زينب الى القلعة ، وهو عبارة عن خانقاه مبنية على الصخر مباشرة ومدخلها الرئيسى على ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف من مستوى الشارع والواجهة فريدة فى نوعها فهى تشتمل على قبتين وتجاورهما مئذنة ثم المدخل العمومى وتنتهى من أعلاها بشرافات مسننة والقبتان مبنيتان بالطوب وطريقة التحول داخلها من المربع الى الدائرة بواسطة أربعة صفوف من المقرنصات يعلوها افريز به كتابات كوفية وهذه ظاهرة من مميزات قباب نهاية القرن (السابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى) وبداية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كما شوهدت مثلها فى قبة زين الدين يوسف سنة (٦٩٧ هـ — ١٢٩٧ م) .

وتمتاز القبتان بشكلهما المضلع من الخارج وقطاع كل منهما من الخارج على شكل عقد مدبب ينزل رأسيا بعد بدء العقد والقبتان مبنيتان من الطوب المغطى بطبقة من الجص . أما المئذنة فمبنية من الحجر وقاعدتها مربعة يعلوها منطقة مثمنة ثم يليها منطقة أخرى مستديرة القطاع بها فتحات وبقمة المئذنة طاقية مضلعة ، وينتهى كل دور من الأدوار الثلاثة للمئذنة بصفوف من المقرنصات . ويوجد خلف الضريحين ممر مغطى بأقبية متقاطعة به فتحات من نوافذ مثقوبة بزخارف تمثل الأمثلة النادرة المثال للزخارف المملوكية المحفورة على الحجر فى ذلك العصر ، وتوجد فى نهاية الممر غرفة مربعة تعلوها قبة صغيرة من الحجر .

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بالعناية وباصلاح الخانقاه منذ سنة ١٨٩٢ م .

خانقاه بيبرس الجاشنكير : ـ (١٣٠٦ ــ ١٣٠٩ م)

تقع هذه الخانقاه حاليا بشارع الجمالية وقد كان موقعها جزءا من أرض دار الوزارة الكبرى الفاطمية التى أنشأها الوزير الفاطمى الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى. وقد بدأ فى انشائها الأمير بيبرس الجاشنكير فى سنة(٧٠٦ هـ ــ ١٣٠٦ م).

والخانقاه أو « الخانكاه » كلمة فارسية معناها كما ذكرنا دار للصـــوفية ، والداخل الى هذا الأثر يجتاز باب المدخل الى « دار كاه » مربعة على يسارها باب القبة وهى من القباب الكبيرة وقد فرشت أرضيتها بالرخام الأســـود والأبيض وقوام الزخـــرفة فيها شكل المحـــراب ، ويتوسط القبة من أســـفل قبر المنشيء وجـــدرانها مؤزرة بالرخام بارتفاع ٣٫٦٠ مترا . كتبت بالخط الكوفى المربـــع « محمـــد » مكررة ، والمحراب مكسو بالرخام الدقيق .

وتخطيط هذا الأثر من النوع المتقاطع المتعامد ويتكون من صحن حوله أربعة ايوانات والمدخل يعلوه عقد مستدير الشكل به صنجات صغيرة متقاربة وتعلوه المئذنة وهى من النوع المعروف بالمبخرة ويجاور المدخل الضريح الذى تعلوه القبة المحمولة على المقرنصات ، والواجهة من الحجر تقسمها تجويفات مستطيلة رأسية وتنتهى من أعلاها بصفوف من المقرنصات ، كما أن الواجهة تنتهى من أعلاها بصف أفقى من الشرافات المسننة .

وعنيت لجنة حفظ الآثار العربية بهذه الخانقاه منذ سنة ١٨٩٢ م . وامتدت يد الاصلاح اليها فى جميع أجزائها . كما أصلحت اللجنة « المنارة » وبذلك أمكن اقامة الشعائر الدينية فيهـــا .

مسجد الماردانى : (٧٤٠ هـ ــ ١٣٤٠ م) .

يقع هذا المسجد بشارع التبانة بالدرب الأحمر بالقاهرة ومنشئه الطنبغـــا الماردانى أحـــد مماليك الملك الناصر محمـــد بن قلاوون وقد شرع فى انشـــائه سنة (٧٣٨ هـ ــ ١٣٣٧ م) واحتفل بافتتاحه فى سنة (٧٤٠ هـ ــ ١٣٤٠م) كما هو ظاهر من الكتابة على جدران المسجد ومدخله وواجهته القبلية .

ويعتبر هذا المسجد من أجمل مساجد القاهره ويتكون من صحن مســـتطيل محاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذى يتكون من أربعة بلاطات وكل من

الثلاثة الأخرى يتكون من بلاطتين فقط . ويتقدم المحـراب قبة محمـولة على مقرنصات كما يتوسط الصحن ميفذأة تعلوها قبة من الخشب وللمسجد ثلاثة مداخل ، الرئيسى منها جانبى وبارز عن الواجهة التى تتكون من تجويفات رأسية تنتهى بعدة صفوف من المقرنصات وبأعلى الواجهة يوجد صف أفقى من الشرافات المسننة ، ومئذنة المسجد تمثل طريقة تطور المآذن من المربع الى المثمن ثم الدائرة .

ورواق القبلة حافل بالصناعات الدقيقة فعقوده محمولة على أعمدة من الرخام والجرانيت الأحمر والسقف به زخارف ملونة ومذهبة بألوان زاهية جميلة . كما كسيت الجدران الى ارتفـاع حوالى ثلاثة أمتـار بوزرة مكونة من أشرطة من الرخام ومن قطع صغيرة ودقيقة من الرخام والصدف بعضها يكون أشكالا هندسية والبعض الآخر به كتابات بالخط الكوفى المربع بالرخام الأخضر وتنتهى بافريز رخامى على شـكل شرافات .

ويعتبر المحراب من المحاريب الدقيقة بمدينة القاهرة ، فقد كسبت جدرانه بالرخام الدقيق والصدف فى أشكال هندسية جميلة وطاقيته من الرخام ذى الألوان الأسود والأحمر والفيروزى وبجواره منبر دقيق الصنع وقد سرقت بعض حشواته ثم أعادته لجنة حفظ الآثار العربية ، وتم ذلك فى سنة (١٣٢٠ هـ ـــ ١٩٠٢م) . ويعلو المحراب قبة كبيرة على ثمانية أعمدة من الجرانيت الأحمر ومقرنصاتها من الخشب المزخرف بألـوان زاهيـة .

أما دكة المبلغ فمن الرخام وهى محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام ، وتوجد كتابة تاريخية فى الجدار البحرى تحمل اسم المنشىء وتاريخ الفراغ من الأثر وهو سنة ٧٤٠ هـ وتوجد حول هذا الرواق نوافذ من النحاس تعلوها أخرى من الجص والزجاج أما باقى الأروقة فكل منها مكون من جناحين اثنين وكلهـا تشتمل على أعمدة تحمل عقودا .

وقد بدأ اهتمام لجنة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد منذ عام ١٨٨٤ م . فقد جددت بعض أجزائه وأصلحت المنبر والنوافذ والأبواب وأنشأت القبة فـوق

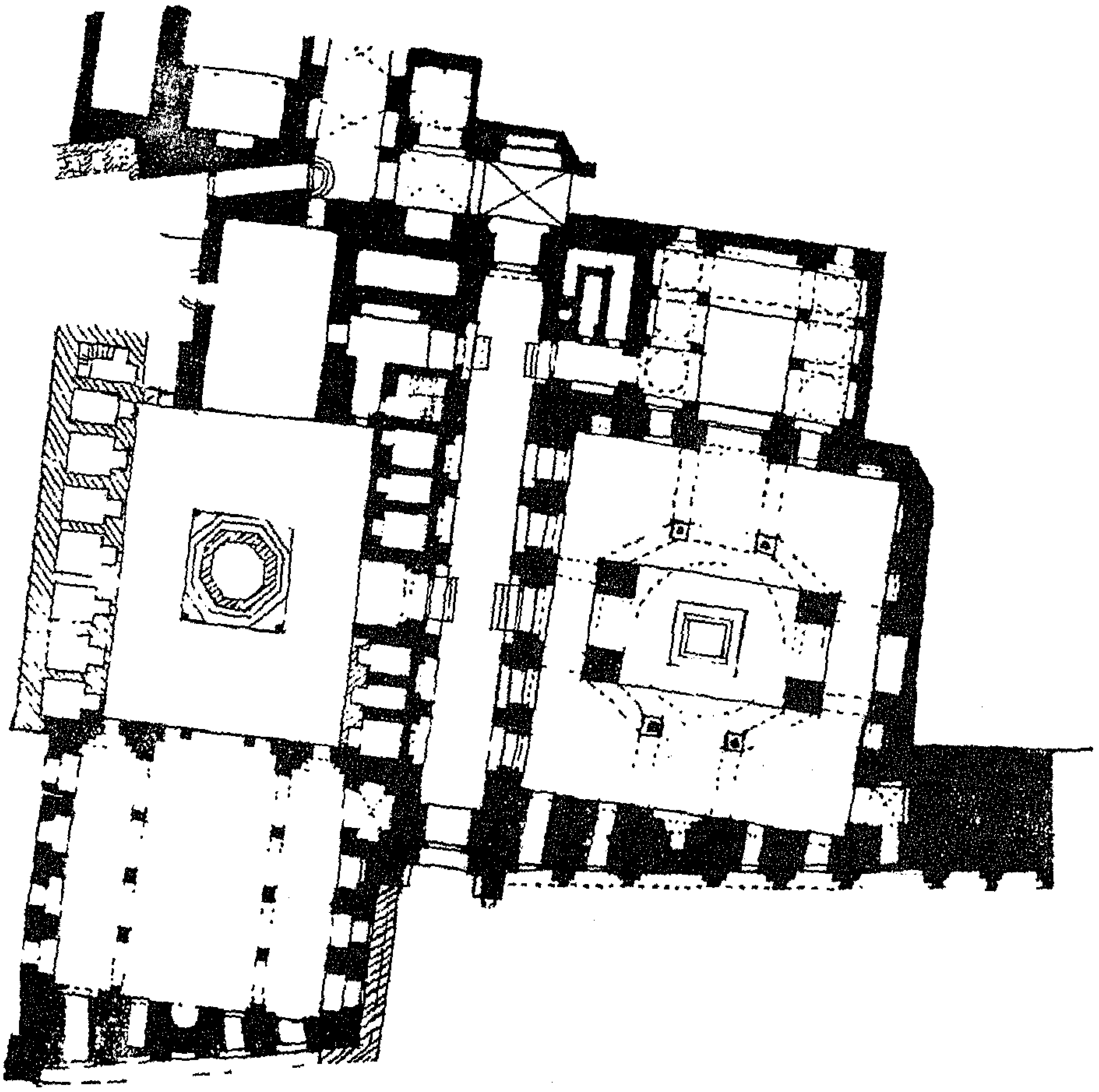

(شكل ٧٢) مدرسة وضريح وبيارستان قلاوون بالنحاسين

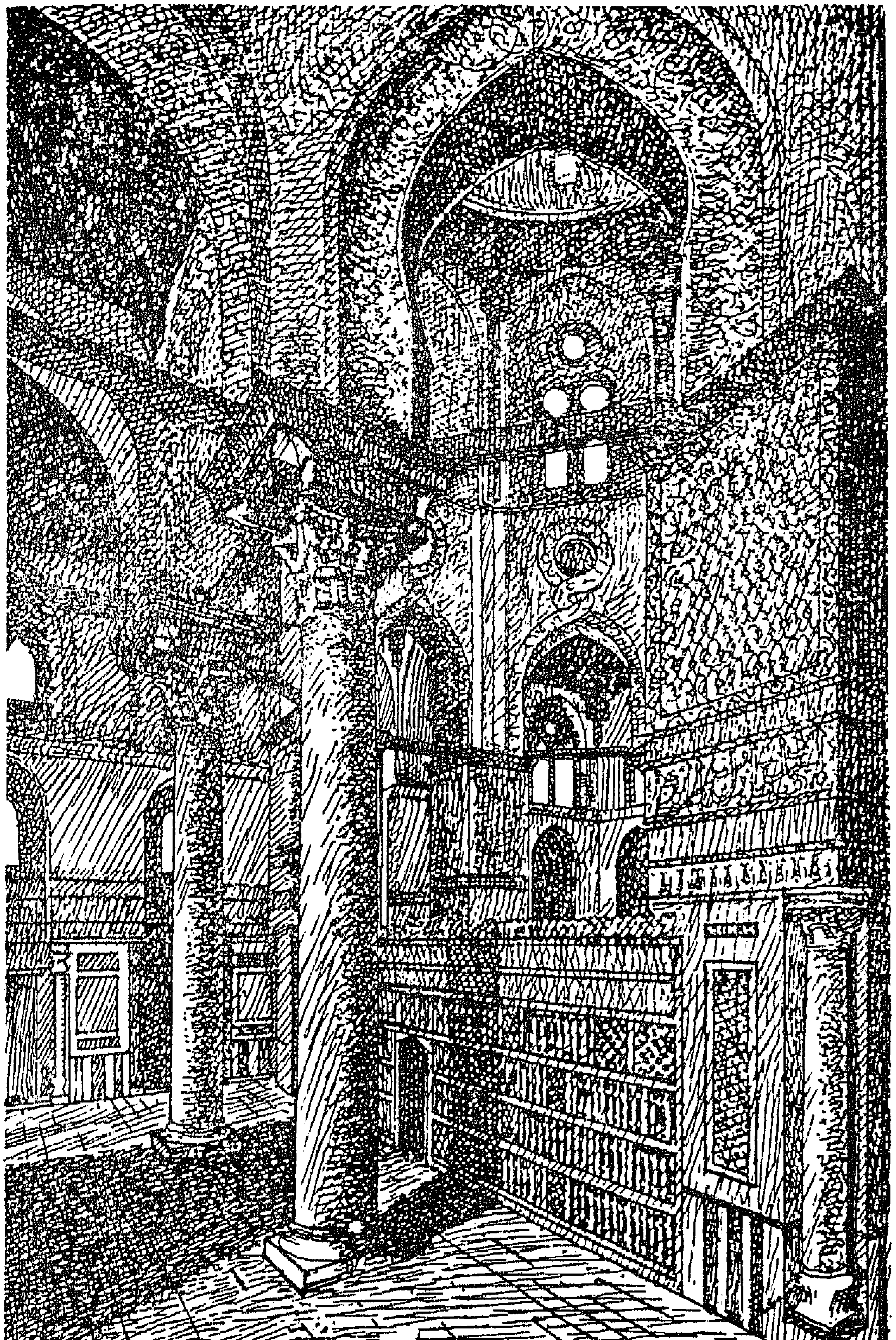

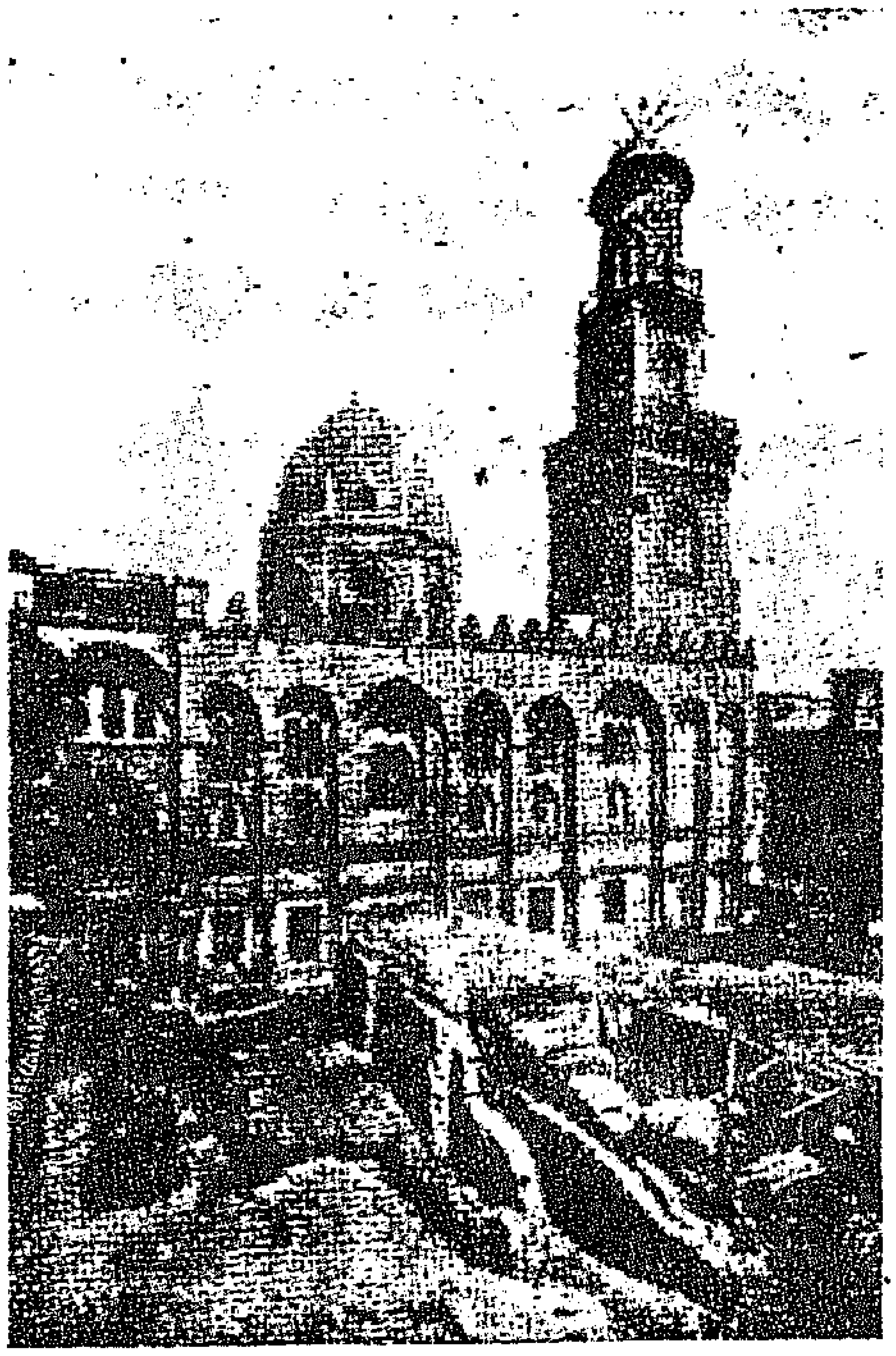

(شكل ٧٤) ضريح المنصور
قلاوون بالنحاسين (٦٨٣-٦٨٤هـ)
(١٢٨٤ - ٨٥ م)

(شكل ٧٥) مدخل مدرسة الناصر
محمد بن قلاوون بالنحاسين

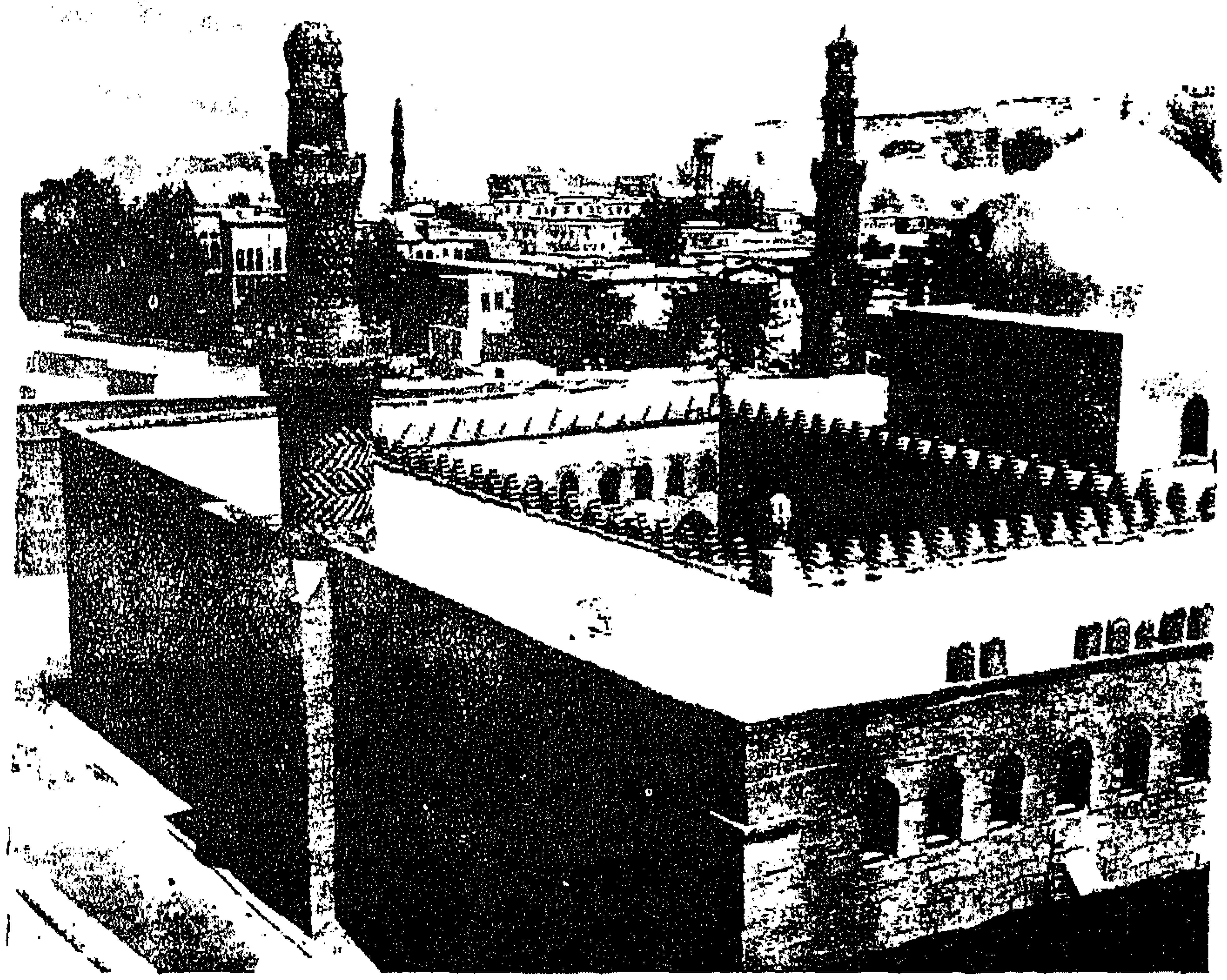

(شكل ٧٦) مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (سنة ٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م)

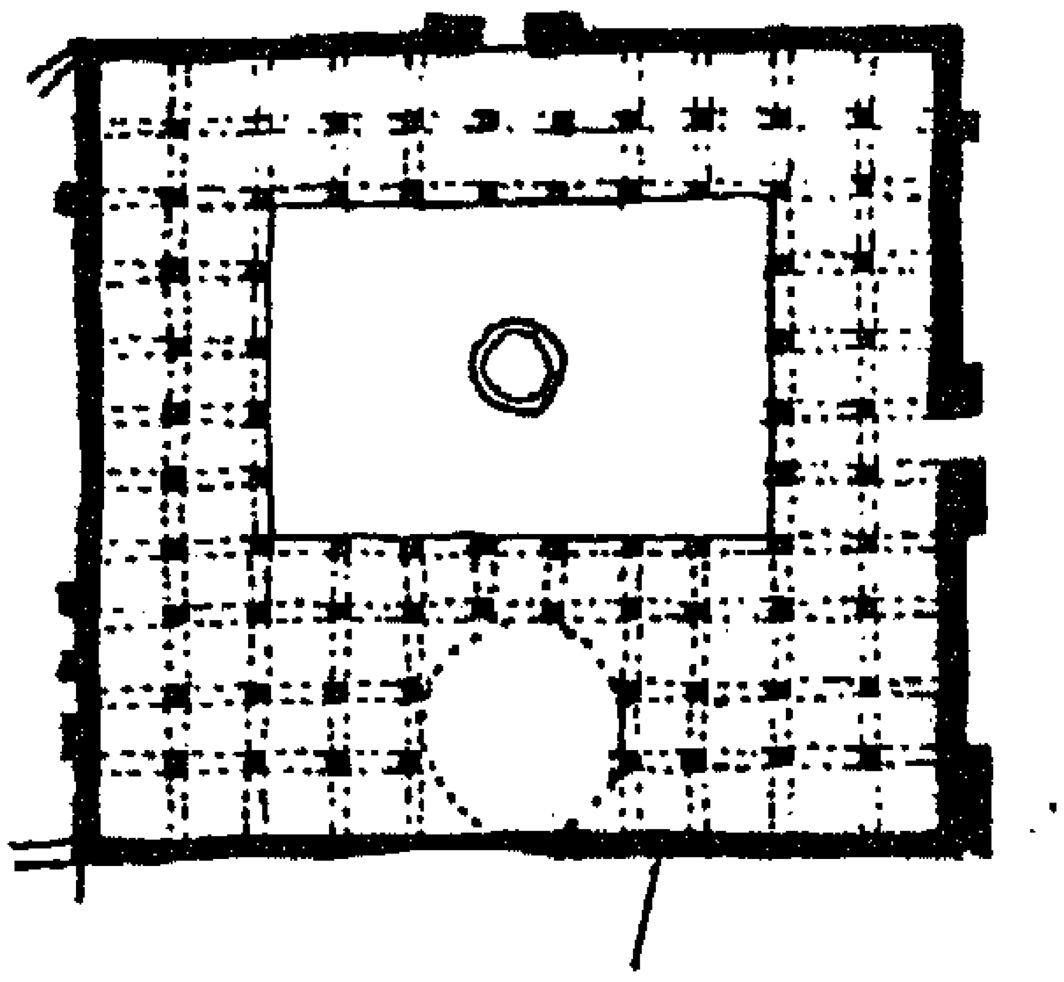

(شكل ٧٧) تخطيط مسجد الناصر محمد بالقلعة

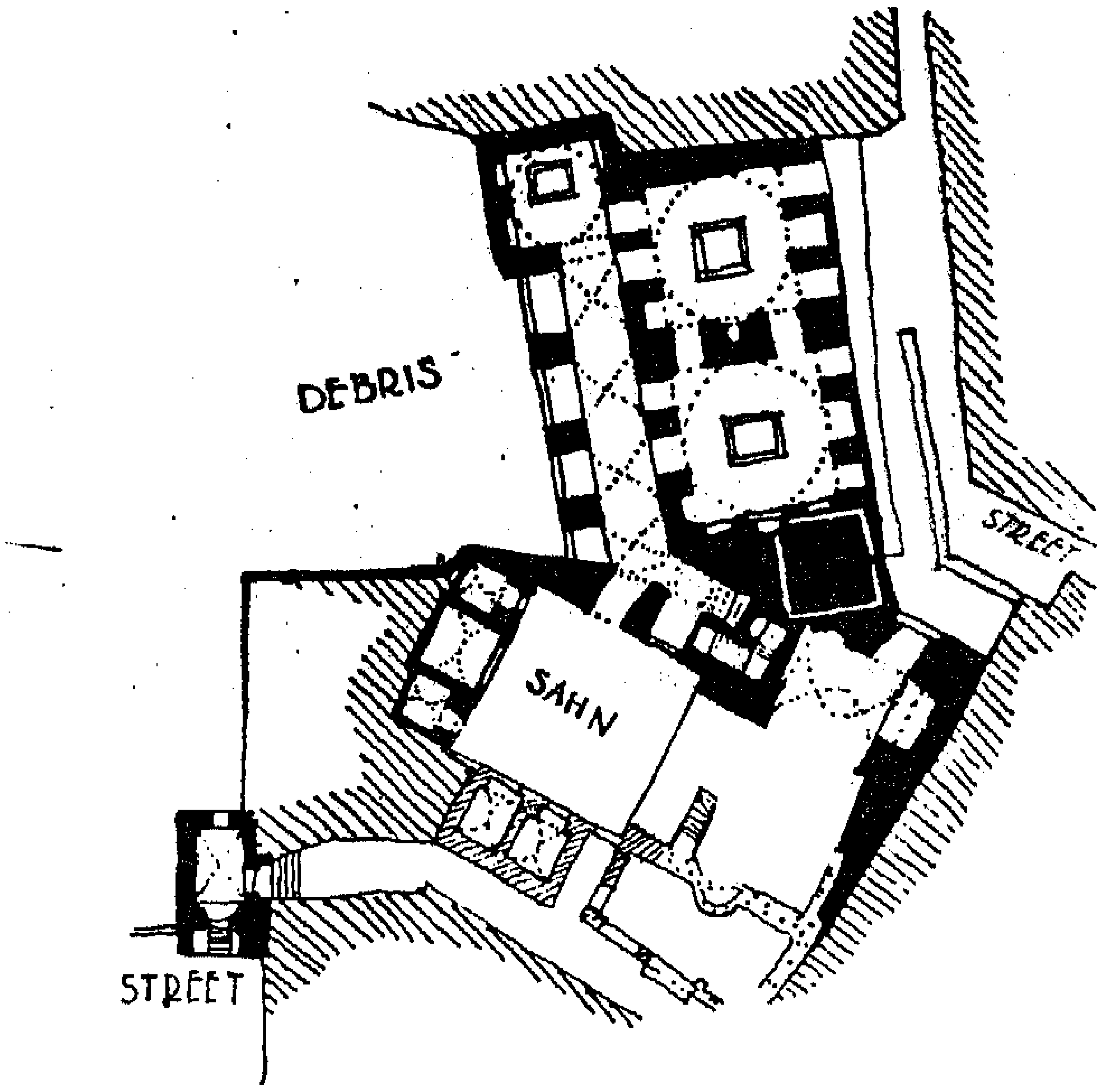

(شكل ٧٨) مسجد سلار وسجر الجاولى

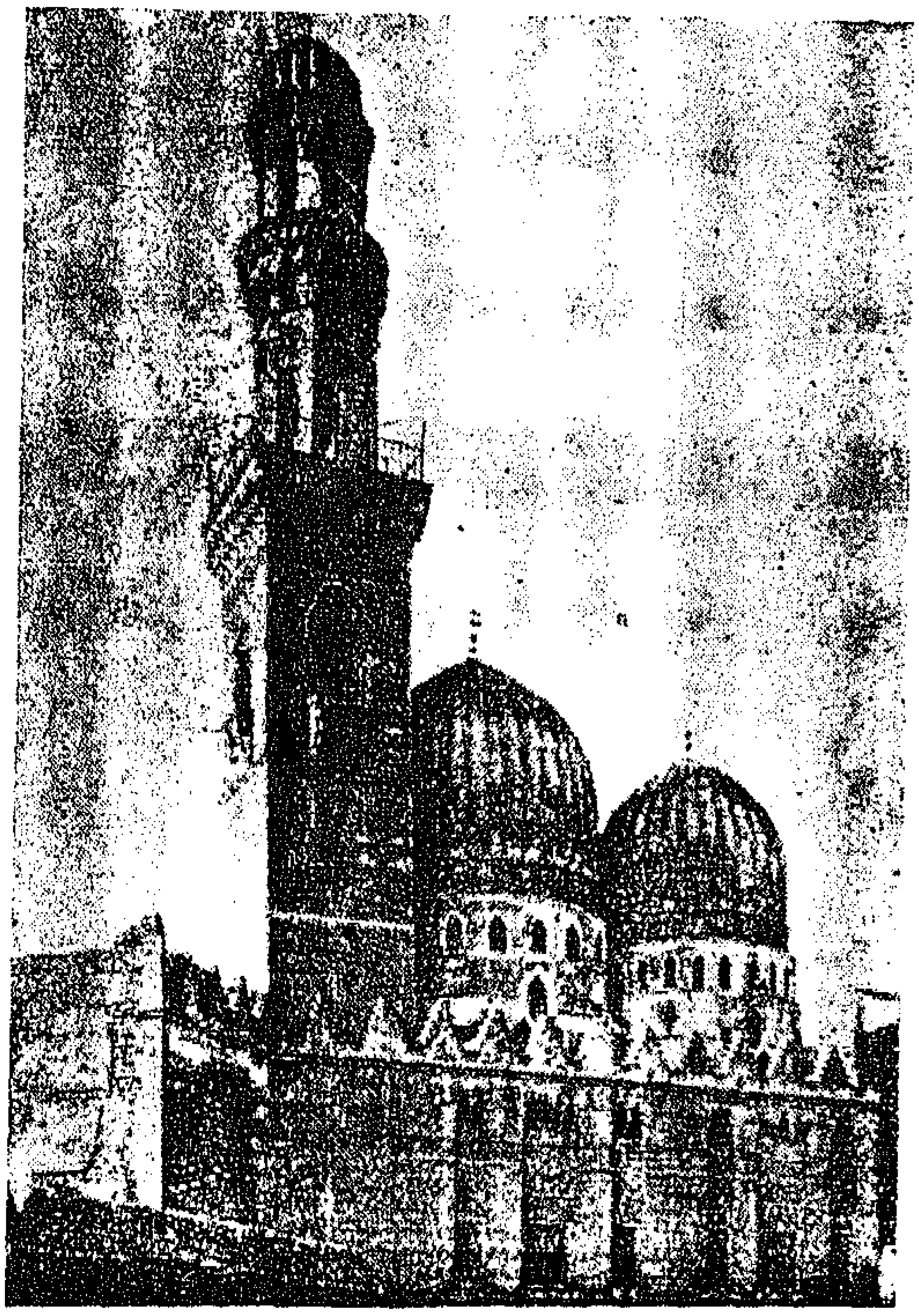

(شكل ٧٩) مدرسة سلار وسنجر الجاولى (١٣٠٣-١٣٠٤ م)

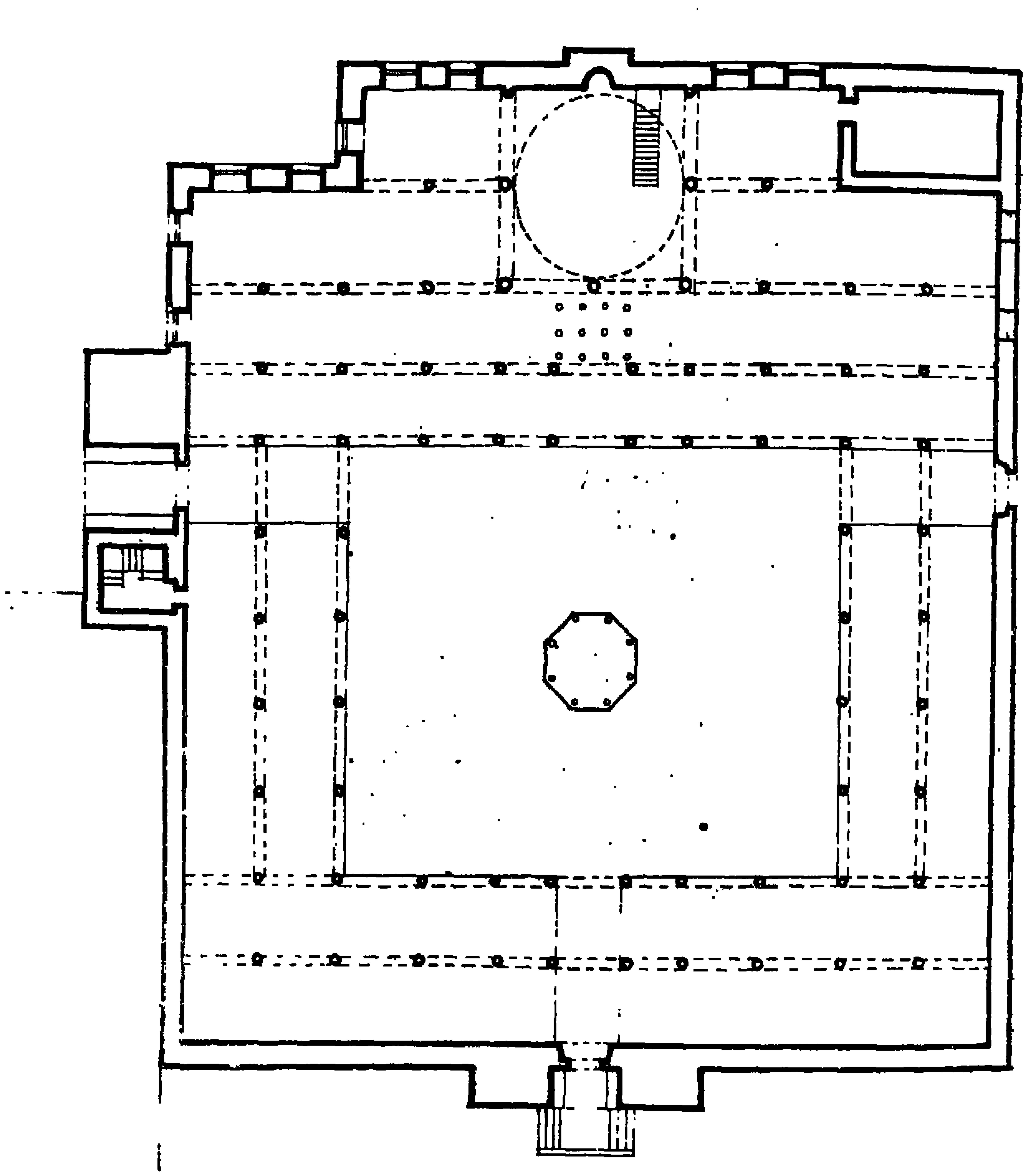

(شكل ٨٠) مسجد الماردانى (٧٤٠ ﻫ - ١٣٤٠م)

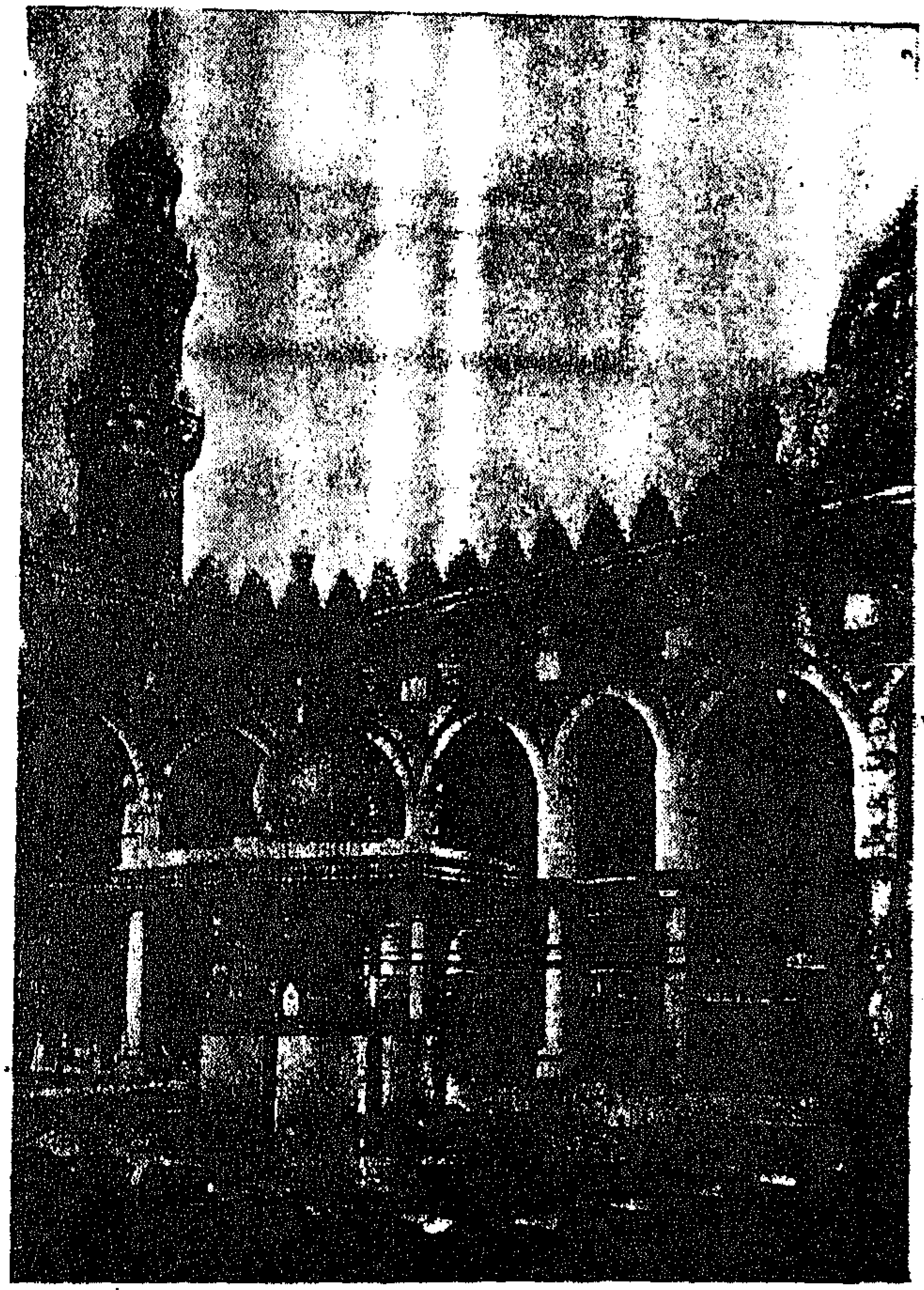

(شكل ٨١) مسجد الماردانى (٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م)

المحراب واستمرت كذلك حتى سنة ١٩٠٣ م وبعد ذلك عاد للمسـجد بهاؤه وجمـــاله .

وجميع المساجد المذكورة حتى الآن فى عصر المماليك تمثل العمـائر التى أنشئت فى عصر الناصر محمد بن قلاوون .

مدرسة السلطان حسن : ــ (١٣٥٦ ــ ١٣٦٢ م) .

يقع هذا الأثر بميدان صلاح الدين وقد أنشأه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون الذى ولد فى سنة (٧٣٥ هـ ــ ١٣٣٤م) . ويعرف موقع المدرسة قديما باسم سوق الخيل وكان به قصر وقد بقى حتى هدمه الملك الناصر حسن وبنى محله هذه المدرسة . وهى من أجمل الآثار الاسلامية فى مدينة القاهرة اذ أن مبانيها تجمع بين قوة البناء وعظمته ودقة الزخارف وجمالها .

وقد كان مقررا فى بادىء المشروع بناء أربع منارات : اثنتان تكتنفان القبة بالواجهـة الشرقية والثالثـة كانت على يمين المدخل الرئيسى وقد سـقطت فى سنة (٧٦٢هـ ــ ١٣٦١م) فلم يشرع السلطان حسن فى بناء المنارة الرابعة التى كان مقررا لها فى يسار المدخل الرئيسى واكتفى بالمنارتين .

وقد قرر السلطان حسن للمدارس الأربع مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات، كما قرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب . والمسـقط الأفقى تتكون من صحن مربع يتوسط المدرسـة ويحيط به أربعـة ايوانات على نمط التخطيط المتقاطع المتعامد ، وأكبر الايوانات ايوان القبلة ويوجد خلفه الضريح ويتكون من قاعة مربعة تعلوها قبة محمولة على ستة صفوف من المقرنصـات المصنوعة من الخشب المنقوش والمذهب ، ويكتنف جدار محراب المسـجد من الخارج مئذنتان رشيقتان أقدمهما الجنوبية . وارتفاعها ٨١٫٦٠ مترا . أمـا الشمالية فهى الأصغر وقد حدث هى والجزء العلوى من القبة سنة ١٦٧٢ م . عقب سقوطهما . والمدخل منحرف عن اتجاهات الايوانات الداخلة وقد حـل بطريقة سليمة بحيث لا تشعر الداخل الى المدرسة بوجود أى انحراف .

وقد كان البدء فى انشاء هذه المدرسة فى سنة ١٣٥٦ م • لتكون مسجدا ومدرسة للمذاهب الاسلامية الأربعة وقد ألحق بها مساكن للطلبة وقد توفى السلطان حسن سنة ١٣٦٢ م • قبل أن تكتمل ولم يدفن تحت قبتها بل دفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى سنة ١٣٨٦ م •

وتبلغ مساحة المدرسة حوالى ٧٩٠٠ متر مربع وارتفاع المدخل ٣٧٫٨٠ مترا ، أما مصراعا الباب فهما مغشيان بالنحاس المفرغ المزخرف بأشكال هندسية جميلة وقد نقلهما الملك المؤيد شيخ الى مسجده بجوار باب زويله •

ويحيط بالايوان الشرقى افريز من الجص عليه كتابات بالخط الكوفى الجميل المزخرف الحروف وهى تحوى آيات من سورة الفتح • وبهذا الايوان دكة المبلغ وهى من الرخام وتمتاز بجمال أعمدتها الرخامية ، كما يوجد محراب مصنوع من الرخام الدقيق وبجواره منبر رخامى يكتنفه بابان يؤديان الى قبة الضريح ، وبغرفة الضريح يوجد كرسى للمصحف الشريف دقت حشواته بالأويمة الدقيقة •

وقد بذلت لجنة حفظ الآثار العربية مجهودا جبارا فى اصلاح هذه المدرسة فأتمت بناء منارتيها وأصلحت جدرانها ونجارتها ورخامها وانتهت هذه الأعمال فى سنة ١٩١٥ م تحت اشراف المهندس « هرتس باشا » كبير مهندسى اللجنة •

دولة المماليك الجراكسة (البرجية)

مدرسة وخانقاه السلطان الظاهر برقوق بالنحاسين : ـــ

(٧٨٦ ـــ ٧٨٨ هـ) (١٣٨٤ ـــ ١٣٨٦ م)

يقع هذا الأثر بشارع المعز لدين الله (موقع بين القصرين) ويعتبر أول المنشئات المعمارية فى دولة المماليك الجراكسة وكان موضعه قبل انشائه يعرف بخان الزكاة • ويتوج الواجهة طراز من الكتابة عليها اسم المنشىء وألقابه وتاريخ الفراغ من العمارة سنة ٧٨٨ هـ •

وتخطيط المدرسة على نظام التخطيط المتقاطع المتعامد ويتكون من صحن مربع فى الوسط محاط من جهاته الأربع بايوانات أكبرها ايوان القبلة وهو مقسم الى

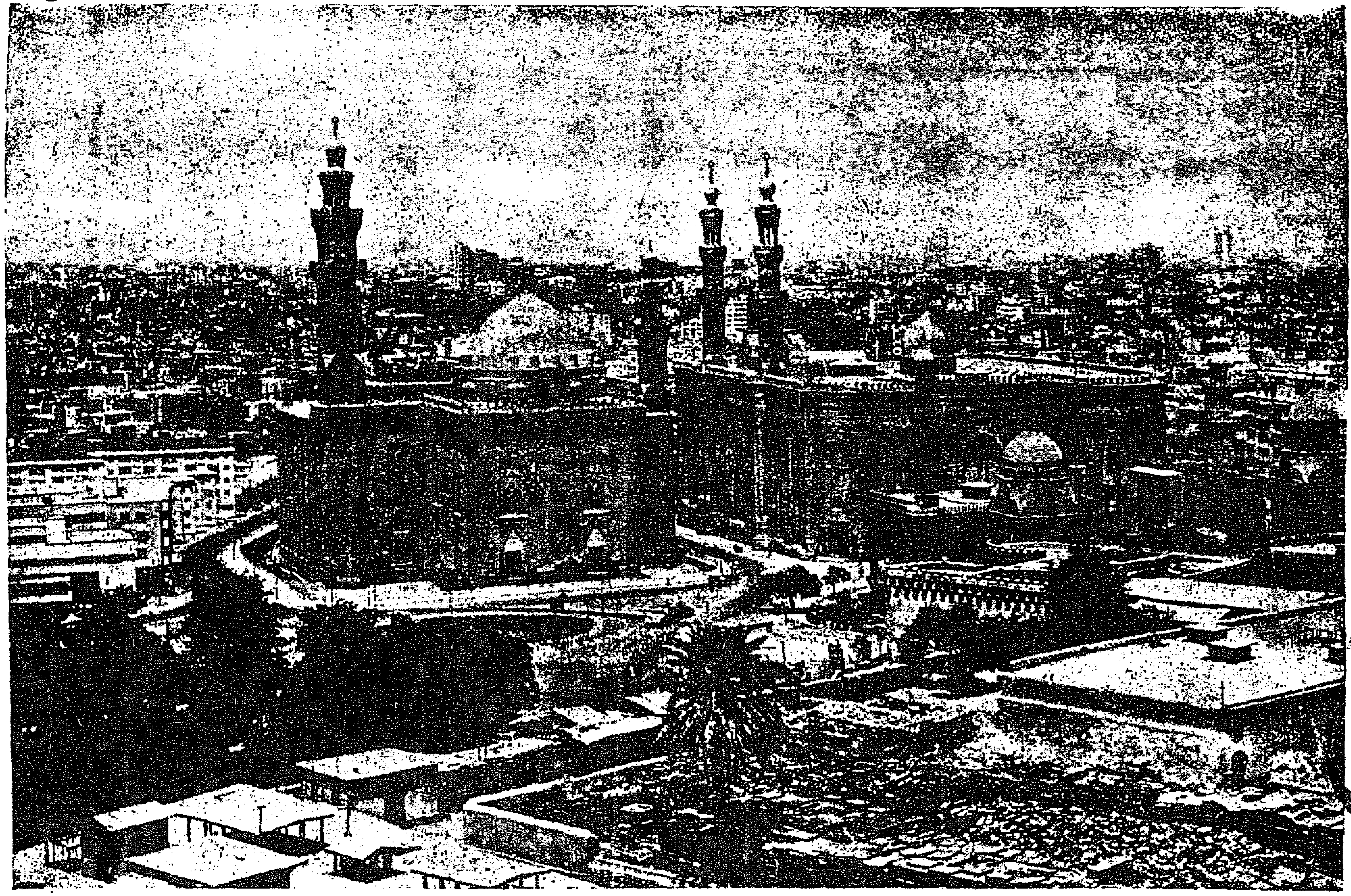

(شكل ٨٢) مدرسة السلطان حسن والرفاعى والمنطقة المحيطة بهما .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

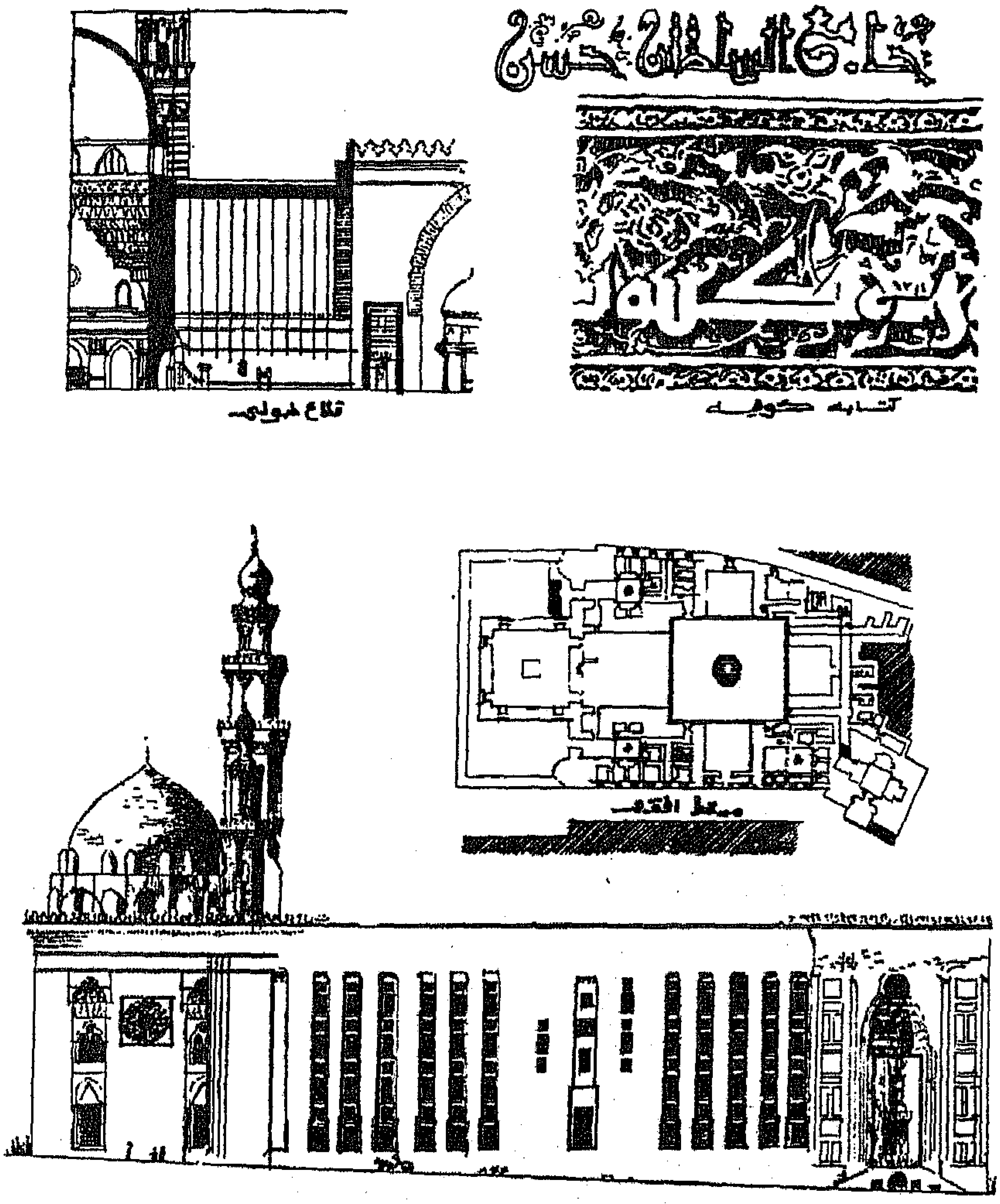

(شكل ٨٣) مدرسة السلطان حسن (١٣٥٦ – ١٣٦٢ م)

(شكل ٨٤) منظر مدرسة السلطان حسن من الجهة الجنوبية الشرقية

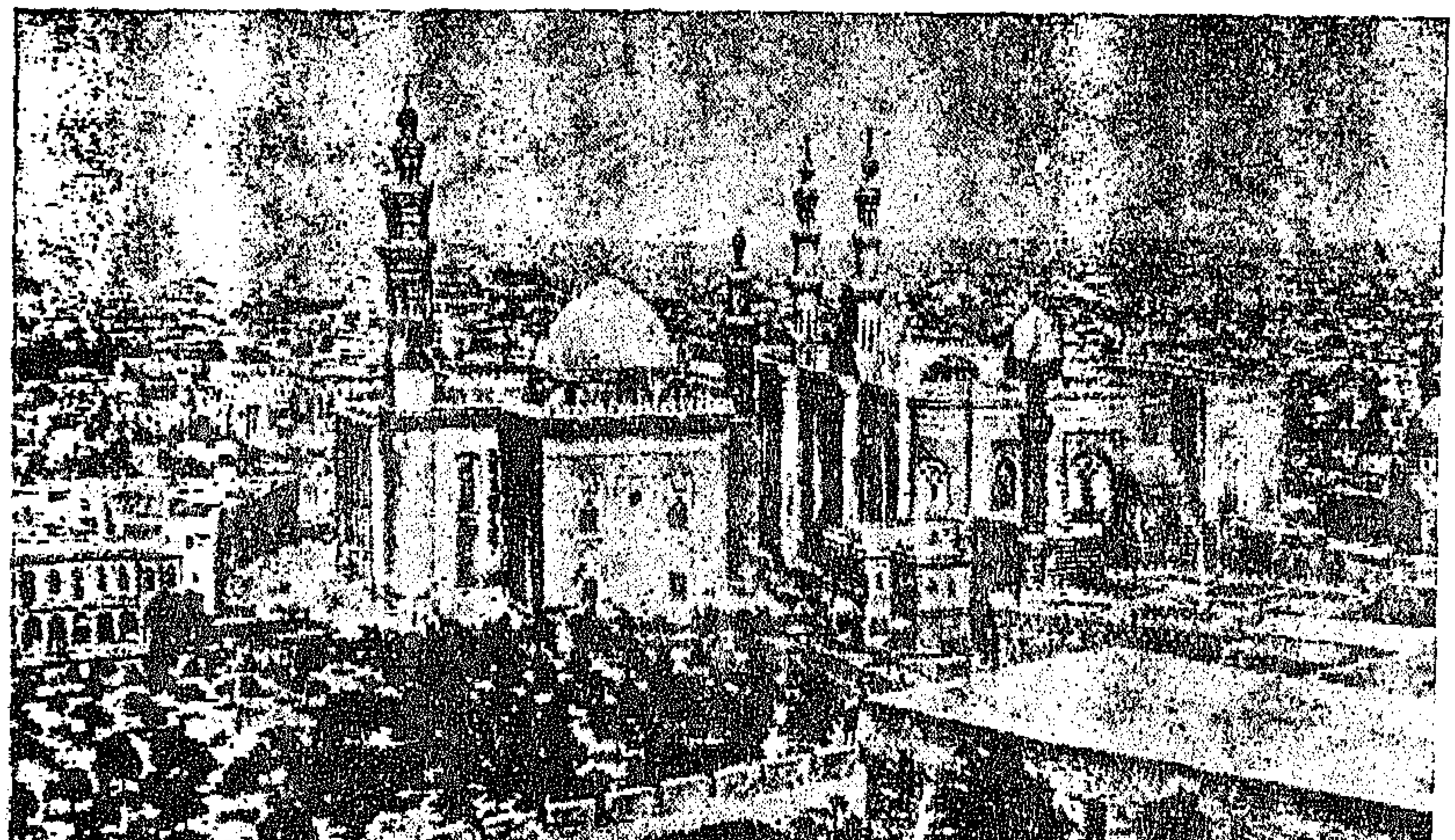

(شكل ٨٥) منظر من الجو – إلى اليسار مدرسة السلطان حسن وإلى اليمين مسجد الرفاعى

ثلاث بلاطات أكبرها الوسطى على شكل البازليكا ويفصلها عن الجانبيتين صفان من الأعمدة تحمل عقودا محمولة على أعمدة برفيرية ضخمة ذات تيجان مذهبة ، وسقفه الايوان أفقي ومحلى بنقوش مموهة بالذهب • وكل صف من العقود مكون من ثلاثة عقود على شكل نعل الفرس المدبب محمولة على عمودين ، والايوان المقابل لايوان الصلاة أعمق من الاثنين الباقيين والثلاثة مغطاة بأقبية مدبية ـ وبجوار الايوان الكبير من الجهة البحرية يوجد ضريح مغطى بقبة على مقرنصات وبه قبر بنت السلطان برقوق •

أما مدخل المدرسة فبارز عن الواجهة وينتهي بعقد ذي ثلاثة فصوص وطاقيته محمولة على مقرنصات ويتقدم المدخل سلم حجرى ، كما أن باقى الواجهة مقسم الى تجويفات رأسية تنتهى من أعلاها بزخارف من المقرنص ، وفى نهاية الواجهة من أعلاها يوجد صف أفقى من الشرافات المزخرفة ، وبنهاية الواجهة بجوار الضريح توجد المئذنة وهى تمثل شكل المئذنة فى عصر المماليك الجراكسة ولو أنها أقل رشاقة من مثيلاتها فى آثار قايتباي الا أنها أجمل من مثيلتيها فى مدرسة السلطان حسن •

وقد أصلحت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٣١١ هـ ــ ١٨٩٣م) • قبة المدفن واحتفظت بمقرنصها القديم المزدحم بالزخارف الملونة والمذهبة وملحق بهذه القبة بجدارها الشرقى مكتبة لحفظ المصاحف • كما أصلحت لجنة حفظ الآثار العربية قبة الميضأة الموجودة فى وسط الصحن فى سنة (١٣١٤هـ ــ ١٨٩٦م) •

ضريح وخانقاه برقوق وفرج بمقابر المماليك : ــ (١٤٠٥ ــ ١٤١٠ م) •

بدأ فى انشائها فرج بن برقوق وهى تقع فى الجزء البحرى من قرافة المماليك بجوار « قبة يونس الدوادار » ، والتخطيط العام على شكل مربع يتوسط صحن محاط بعقود مدبية محمولة على دعائم حجرية ، ويتكون رواق القبلة من ثلاث بلاطات والمقابل له من اثنتين أما الرواقان الجانبيان فيتكون كل منهما من بلاطة واحدة وفى كل حالة ترى البائكات تجرى فى اتجاهين متعامدين مكونة قبابا منخفضة من الطوب محمولة على مثلثات كروية • ويكتنف رواق الصلاة غرفتان مربعتان عبارة عن ضريحين ، الشرقية منهما بها رفاة كل من برقوق وابنه فرج

والمقابلة لها بها رفاة ثلاث سيدات من الأسرة المالكة فى ذلك الوقت ، وخلف كل من الرواقين الصغيرين وكذا فى الركن الغربى توجد غرف الخانقاه •

وبجوار المدخل الرئيسى المغطى بعقد طاقيته محمولة على مقرنصات يوجد سبيل يعلوه كتاب وقد أضيفا بعد انشاء هذا المبنى • وتوجد مئذنتان فى الواجهة الشمالية الغربية تتكون كل منهما من ثلاث طبقات السفلى مربعة والوسطى اسطوانية والعلوية مفرغة بأعمدة •

وتعتبر المجموعة المعمارية التى تتكون منها هذه الخانقاه من أكبر المجموعات التى أنشئت فى قرافات مصر لخدمة أغراض مختلفة فهى تجمع بين بناء مسجد لاقامة الشعائر الدينية فى مكان رواق الصلاة ، وخانقاه لاقامة الصوفية ومدافن للظاهر برقوق وأفراد أسرته ومدرسة لتلقى العلم وحفظ القرآن وسبيل للشرب ، وبرواق القبلة يوجد منبر حجرى نادر المثال أمر بانشائه السلطان قايتباى فى سنة ١٤٨٣ م •

خانقاه الأشرف بارسباى بالقرافة الشرقية :

كان الملك الأشرف بارسباى مملوكا للسلطان الظاهر برقوق وقد تولى سلطنة مصر فى سنة (٨٢٥ هـ ــ ١٤٢٢م) • وتوفى فى سنة (٨٤١ هـ ــ ١٤٣٨م) حيث دفن بمقبرته بالصحراء الشرقية •

ومن أعماله الجليلة حفره خليج الاسكندرية سنة (٨٢٦ هـ ــ ١٤٢٣م) وقد بقى من آثاره الكثيرة التى أنشأها بمصر : الخنقاه والتربة بالصحراء والمسجد بخانقاه سرياقوس ومدرسة بشارع المعز لدين الله (الأشرفية) •

والمجموعة المعمارية الموجودة بالقرافة تشتمل على خانقاه لاقامة الصوفية ثم حوش كبير فيه قبور وبقايا قبة وقبة كاملة لأخيه الأمير يشبك وأقاربه وبعض العلماء ، ومصلى لاقامة الشعائر الدينية ثم قبة حجرية عظيمة تظهر فيها عظمة القباب المملوكية الطراز ، وقد تم انشاء هذه المجموعة فى سنة (٨٣٥هـ ــ ١٤٣٢م) •

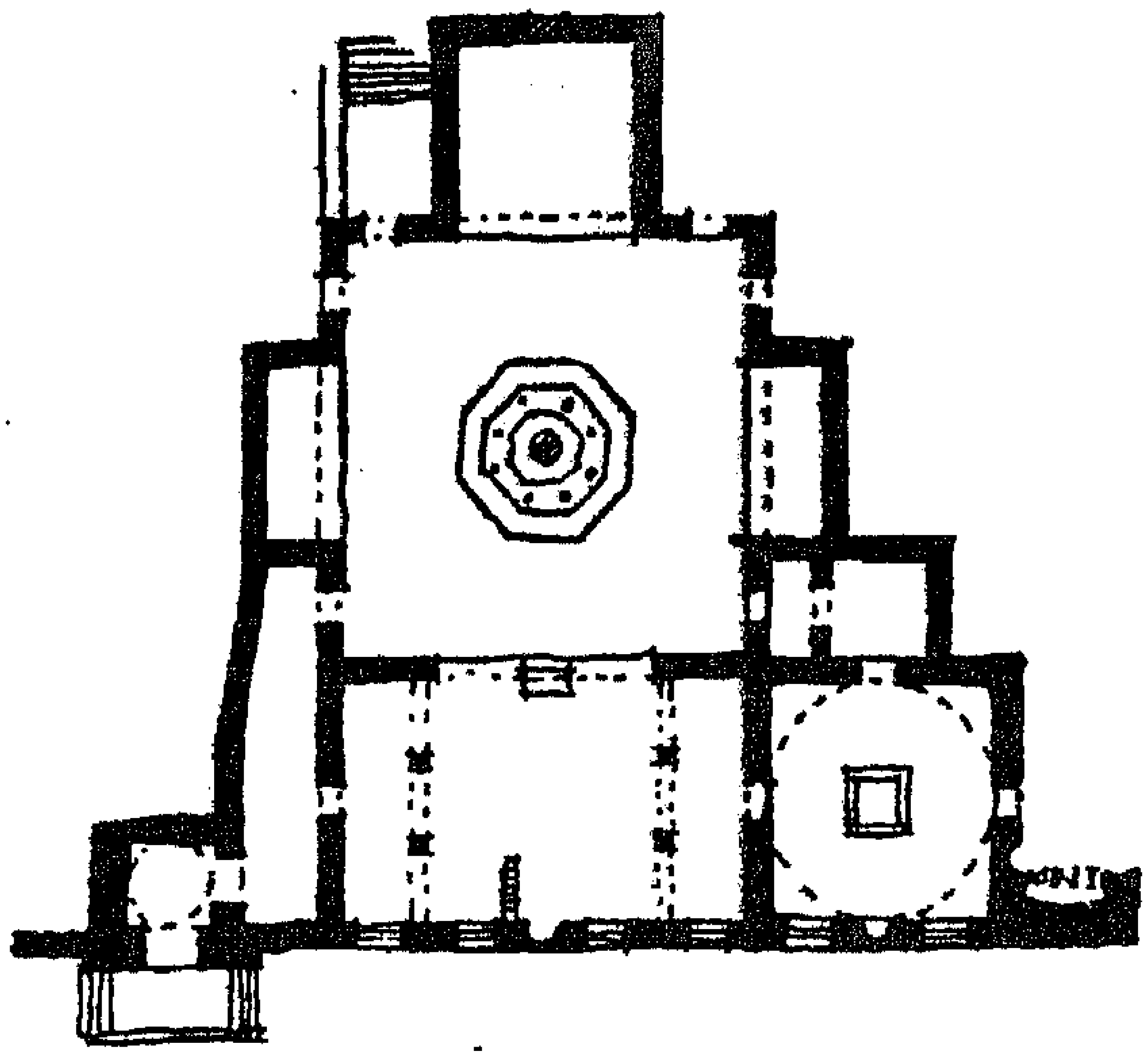

(شكل ٨٦) مدرسة وخانقاه برقوق بالنحاسين

(شكل ٨٧) مسجد برقوق بالنحاسين

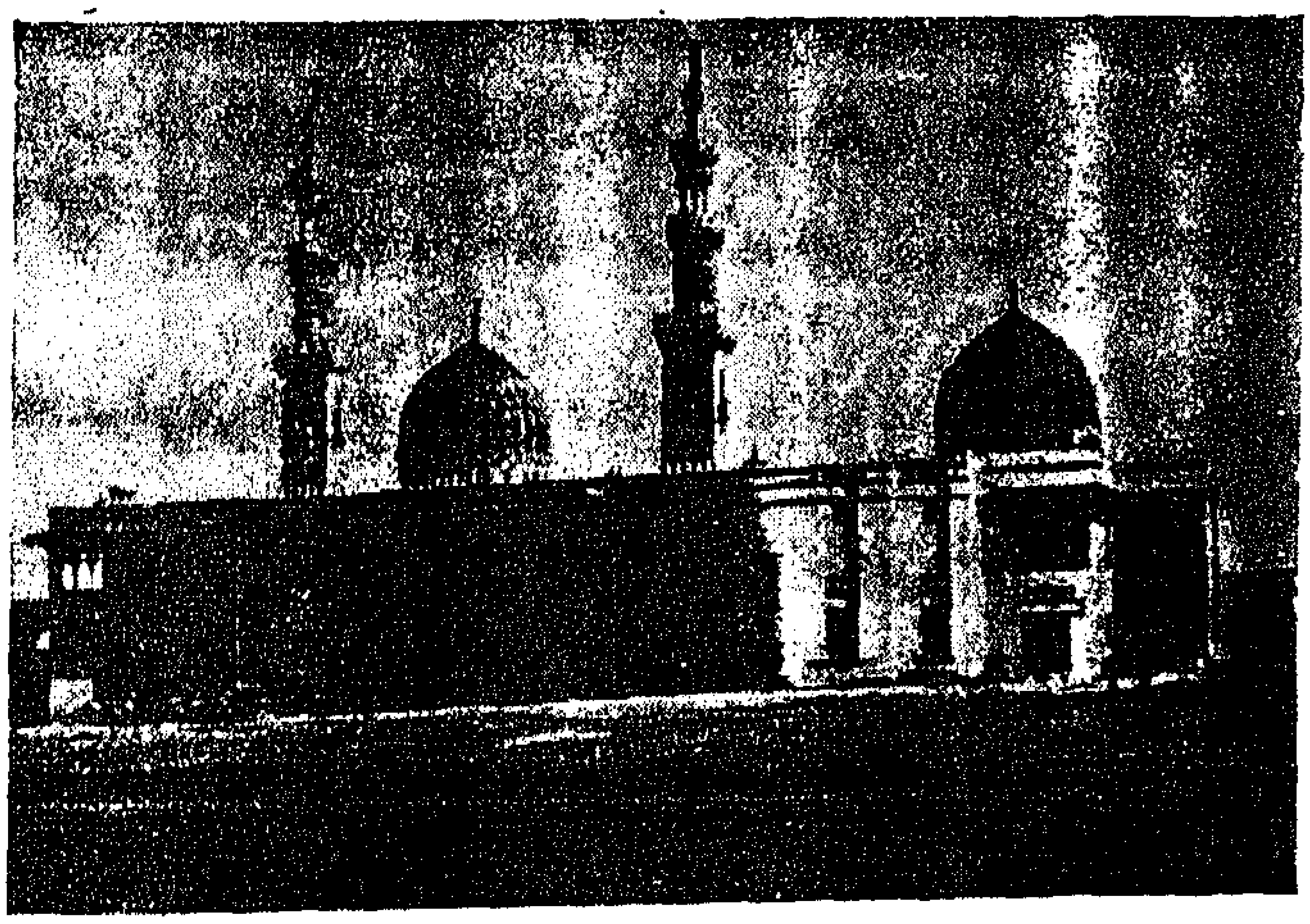

(شكل ٨٨) ضريح وخانقاه برقوق وفرج بمقابر المماليك (١٤٠٥ - ١٠ م)

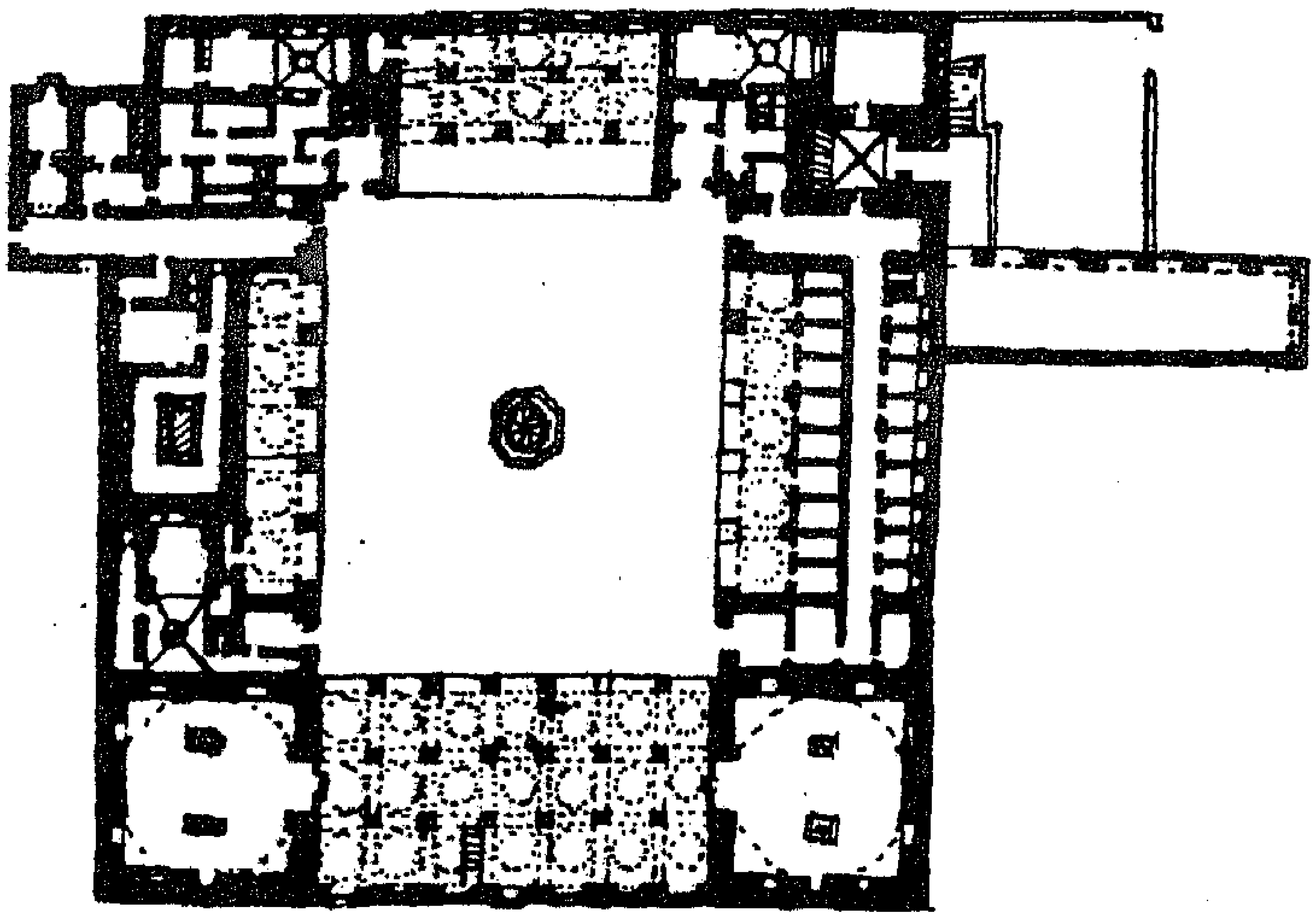

(شكل ۸۹) ضريح وخانقاه برقوق وفرج بمقابر المماليك (١٤٠٥ - ١٠ م)
(مسقط أفقى)

(شكل ٩٠) منظر داخل صحن خانقاه برقوق وفرج بمقابر المماليك

مدرسة وضريح السلطان قايتباى بالقرافة الشرقية (١٤٧٢ ــ ١٤٧٤ م) :

فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بدأ ملوك مصر وأمراؤها فى انشاء المساجد والخوانق بهذه المنطقة وألحقوا بها مدافن لهم، وفى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى كانت بها مجموعة قل أن توجد فى صعيد واحد ، اذ يرى فيها فن العمارة متجليا فى عصر المماليك . وقد عرفت هذه المنطقة خطأ باسم مقابر الخلفاء والأولى بها أن تعرف بمقابر المماليك .

والسلطان قايتباى هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى الجركسى، ولد فى سنة (٨٢٦ هـ ــ ١٤٢٣م) . وبويع بالسلطنة فى سنة (٨٧٢هـ ــ ١٤٦٨م). وقد ظل ملكا لمصر نحو ٢٩ سنة وأقام كثيرا من المنشآت المعمارية من مساجد ومدارس ووكالات ومنازل وأسبلة وقناطر للمياه كما عنى بالعمارة الحربية وبالحصون فأنشأ قلعة بالاسكندرية وأخرى برشيد وقد توفى فى سنة (٩٠١هـ ــ ١٤٩٦م) . وينسب اليه ما يزيد عن سبعين أثرا اسلاميا ما بين انشاء وتجديد .

وتعتبر مجموعة قايتباى بالقرافة الشرقية من أبدع وأجمل المجموعات المعمارية فى مصر الاسلامية وترجع أهميتها الى جمال تنسيق المجموعة مع بعضها وهى تتكون من مدرسة ومسجد وسبيل وكتاب وضريح ومئذنة وقد لعبت دقة الصناعة وكذا جمال النسب دورا هاما فى ابراز جمال هذا الأثر المعمارى القيم .

ويتكون المسقط الأفقى من صحن مربع محاط بأربعة ايوانات أكبرها ايوان القبلة ، الجانبيان منهما صغيران وايوان القبلة يشرف على الصحن بواسطة عقد مدبب من طراز نعل الفرس كما هو الحال فى ايوان القبلة بمدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين . ويكتنف المحراب من جهتيه نافذتان شكلهما من الخارج داخل تجويف مستطيل الشكل ومن الداخل يظهران معقودان ويعلوهما نوافذ مدببة تملؤها أجزاء من الزجاج الملون . وأسقف الايوان الرئيسى من الخشب المزخرف والمحلى بنقوش مذهبة ــ وقد كان الصحن فى بادىء الأمر بسقف من الخشب

يعلوه منور مثمن • وبجوار ايوان الصلاة الضريح الذى يبرز قليلا عن الواجهة الجانبية ومغطى من أعلاه بقبة حجرية محمولة على مقرنصات مزخرفة من الخارج بزخارف نباتية داخل مناطق هندسية محفورة على الحجر ـ والمدخل الرئيسى معقود بعقد ذى ثلاثة فصوص والى يمين المدخل ترى المئذنة وتعتبر من أجمل المآذن المصرية المعروفة بنسبها الجميلة وجمال زخرفتها • والى يسار المدخل يوجد السبيل ويعلوه الكتاب ويعلو الواجهة افريز من الشرافات النباتية •

وينسب لقايتباى آثار أخرى من أهمها مسجده المجاور لمسجد سلار وسنجر الجاولى ويشبه فى تخطيطه مسجده المذكور المقام بمقابر المماليك ، وقد أنشأ قايتباى أيضا عدة أسبلة ووكالات كما قام بعدة اضافات بجامع الأزهر •

وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العربية به منذ سنة ١٨٩٣ م • ولم تنته منه الا فى سنة ١٨٩٧ ثم تتابعت عليه الاصلاحات بعد ذلك حتى أصلح اصلاحا شاملا •

قلعة قايتباى بالاسكندرية :

أنشئت هذه القلعة على أساس منارة الاسكندرية القديمة ، وقد أنشأها الملك الأشرف قايتباى سنة (٨٨٤هـ ـ ١٤٧٩م) ، واشتملت على مسجد بقيت منارته الى ما بعد الاحتلال الفرنسى لمصر ـ وكان لحوادث الاسكندرية وخاصة سنة ١٨٨٢ أسوأ الأثر فى تخريب هذه القلعة وهدم أبراجها وقسم كبير من واجهاتها ـ وبقيت متخربة الى أن عنيت ادارة حفظ الآثار العربية فى السنين الأخيرة باصلاحها •

وقد أصلحت أبراجها وما يعلوها من آبنية بعد اعادتها لحالتها الأصلية وهى تبدو لزائر الاسكندرية من كل جهة •

ومن أهم أمثلة العمارة فى أيام المماليك الجراكسة عدا هذا مسجد المؤيد شيخ (١٤١٥ ـ ١٤٢٠ م) المجاور لباب زويلة والمؤيد جركسى الأصل ولد

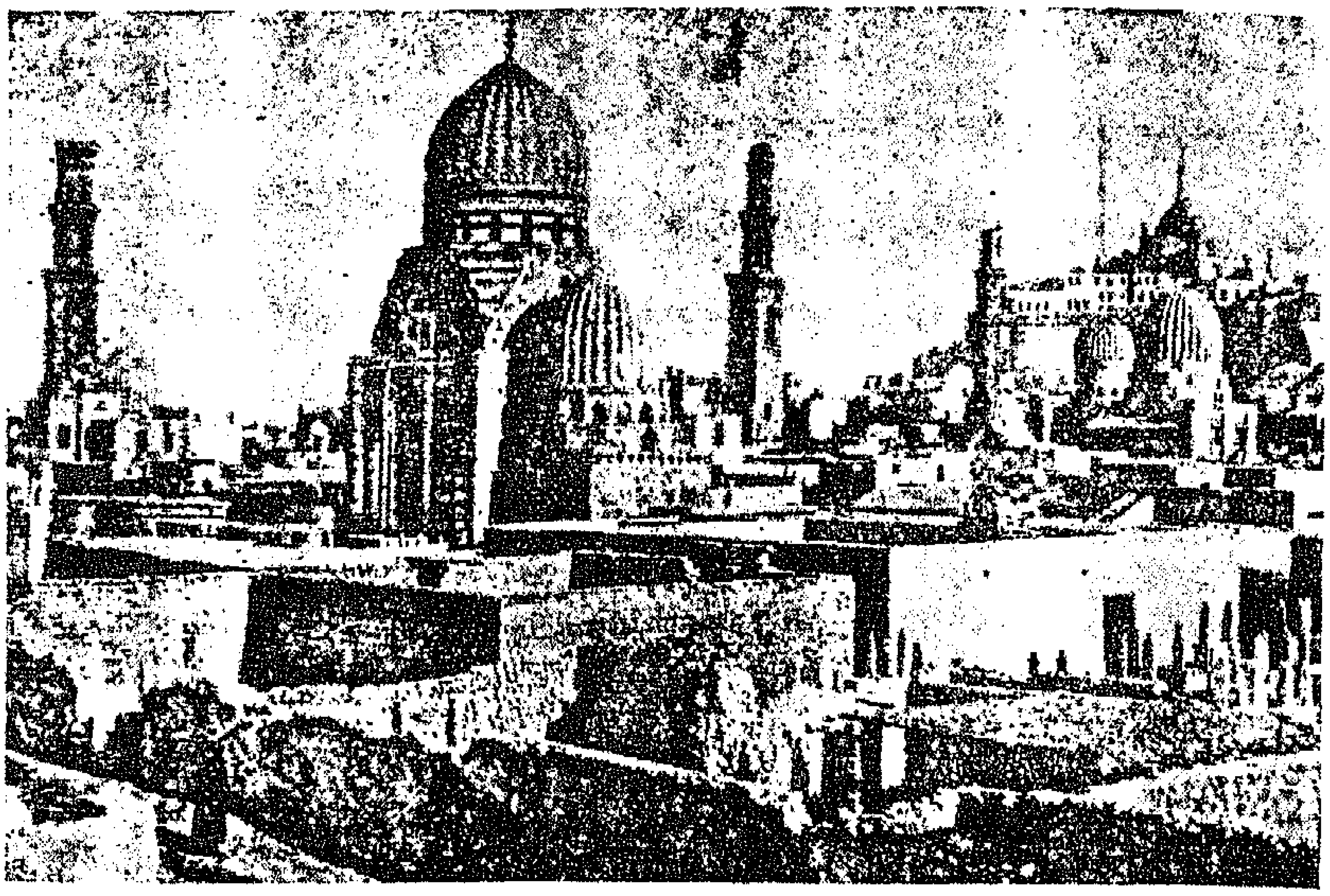

(شكل ٩١) مقابر المماليك بالصحراء وإلى اليمين منظر القلعة

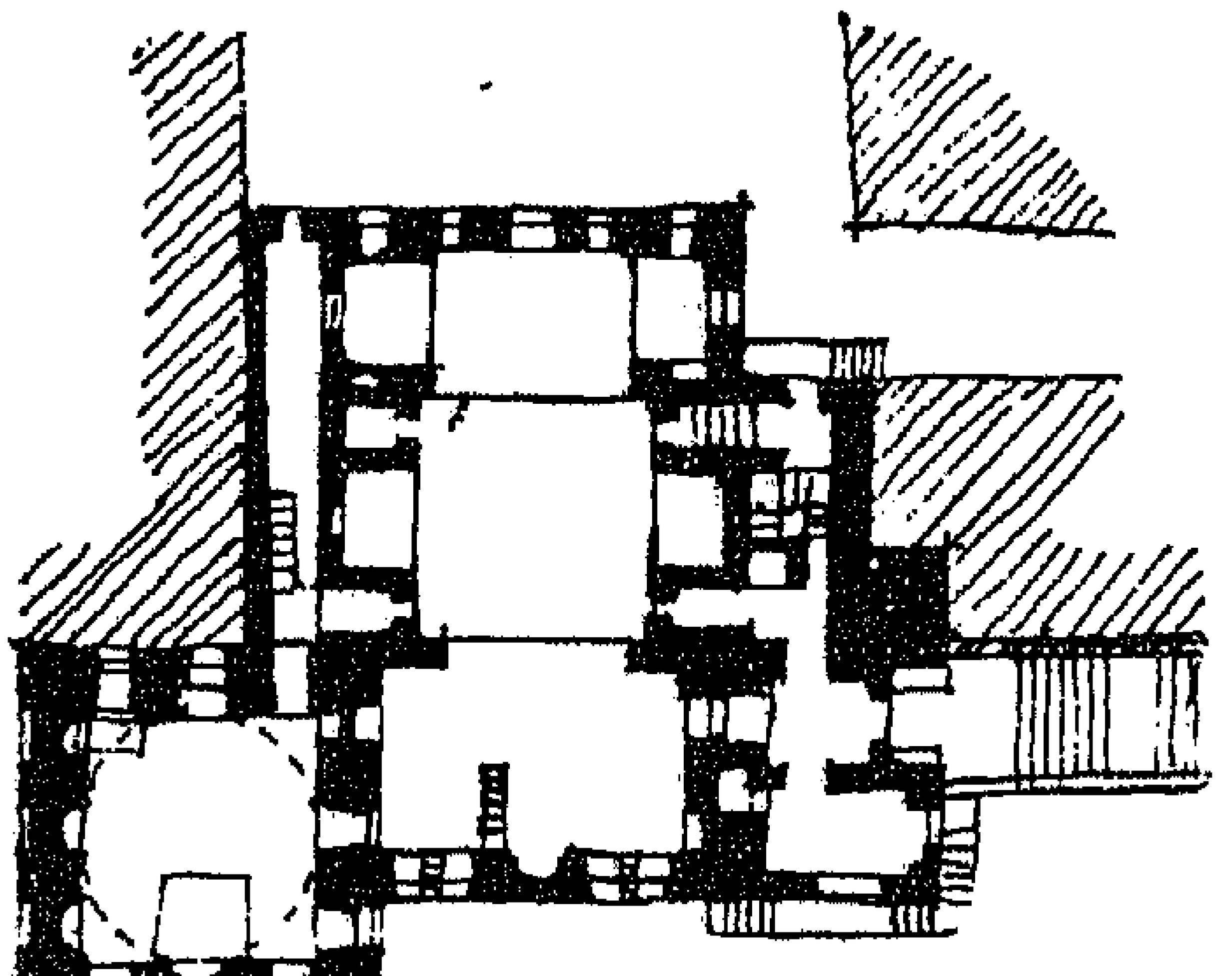

(شكل ٩٢) مدرسة وضريح السلطان قايتباى بمقابر المماليك

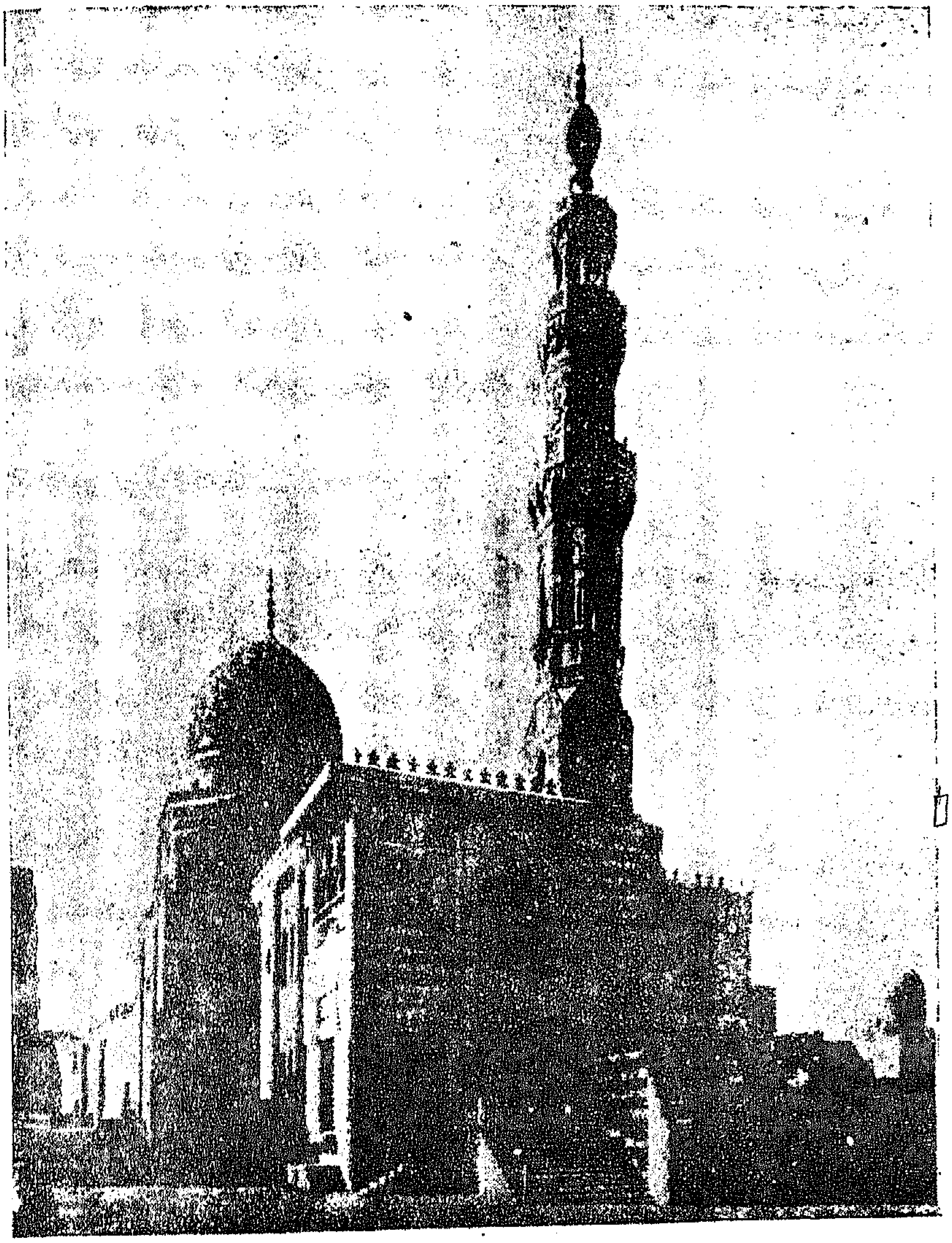

(شكل ٩٣) مدرسة وضريح السلطان قايتباى بالقرافة الشرقية (١٤٧٢ - ١٤٧٤ م)

سنة (٧٧٠هـ ــ ١٣٦٨م) • وقد ولى مصر فى سنة (٨١٥هـ ــ ١٤١٢م) وما زال سلطانا بها الى أن توفى فى سنة (٨٢٤هـ ــ ١٤٢١م) • وتخطيط المسجد على نظام الصحن المربع المحاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبلة وبجوار المدخل غرفة الضريح وتعلوها قبة تشبه فى شكلها الخارجى شكل القبتين بخانقاه برقوق بصحراء المماليك • أما المدخل فهو منقول من مدرسة السلطان حسن ، ومئذنتا المسجد أقيمتا فوق البرجين المكونين لمدخل باب زويلة •

وتوجد آثار أخرى مملوكية الطراز تتبع عصر المماليك الجراكسة ومنها خانقاه وضريح بارسباى بمقابر الخلفاء ١٤٣٢ م ومسجد القاضى يحيى زين الدين بشارع الأزهر (بين النهدين) وضريح ومدرسة اينال (١٤٥٠ ــ ١٤٥٦) المجاورة لمسجد الأمير الكبير بمقابر المماليك •

مسجد الغورى (١٥٠٣ ــ ١٥٠٤ م) :

يقع هذا المسجد بشارع المعز لدين الله بالغورية وهذه المجموعة الأثرية التى تقع الى يمين الداخل الى شارع الغورية من جهة شارع الأزهر تتكون من مسجد وضريح وسبيل وكتاب (١٥٠٤ م) والى اليسار من هذه المجموعة فى الجهة المقابلة من الشارع توجد مدرسة الغورى (١٥٠٣ م) •

والسلطان الغورى هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر الغورى الجركسى الأصل ولد فى سنة (٨٥٠هـ ــ ١٤٤٦م) • ونودى به ملكا على مصر فى (٩٠٦ هـ ــ ١٥٠١م) وقد قام فى عهده بعدة أعمال معمارية فقد أصلح قلعة الجبل وأبراج الاسكندرية ، كما غير مأخذ الماء الموصل الى القلعة فأنشأ السواقى على النيل وما يتصل بها من قناطر للمياه حتى تلاقت مع المجراة القديمة وجدد خان الخليلى وهو ينسب الى الأمير جركس الخليلى ــ أنشأه فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ثم آلت ملكيته الى السلطان الغورى الذى جدده فى سنة ١٥١١ م • ولا تزال بعض البوابات الحجرية التى أنشأها الغورى باقية الى اليوم • وتوجد وكالة أنشأها سليمان باشا السلحدار سنة ١٨٣٨ م وذلك فى مواجهة الباب الجنوبى لخان الخليلى •

وقد أصلح الغورى قبة الامام الشافعى ومسجد الامام الليث وأنشأ منارة للجامع الأزهر كما أنشأ أيضا عددا من القصـور والوكالات والخـانات وعمر المساجد ومن أهم أعماله المجموعة المعمارية المعروفة باسـمه والتى تتكون من وكالة وحمام ومنزل ومقعد وسبيل وكتاب ومدرسة وقبة ـ ثم مسجده المعروف بالغورية وتقع هذه المجموعة جميعها فى نهاية شارع الغورية عنـد تقـاطعه مع شارع الأزهر وانتهى من العمل فيها فى سنة (٩٠٩ ــ ٩١٠ هـ) (١٥٠٣ ــ ١٥٠٤م)، وتمتاز شكل مئذنته بقمتها المكونة من رأسين مربعين أو أربعة رءوس مربعة .

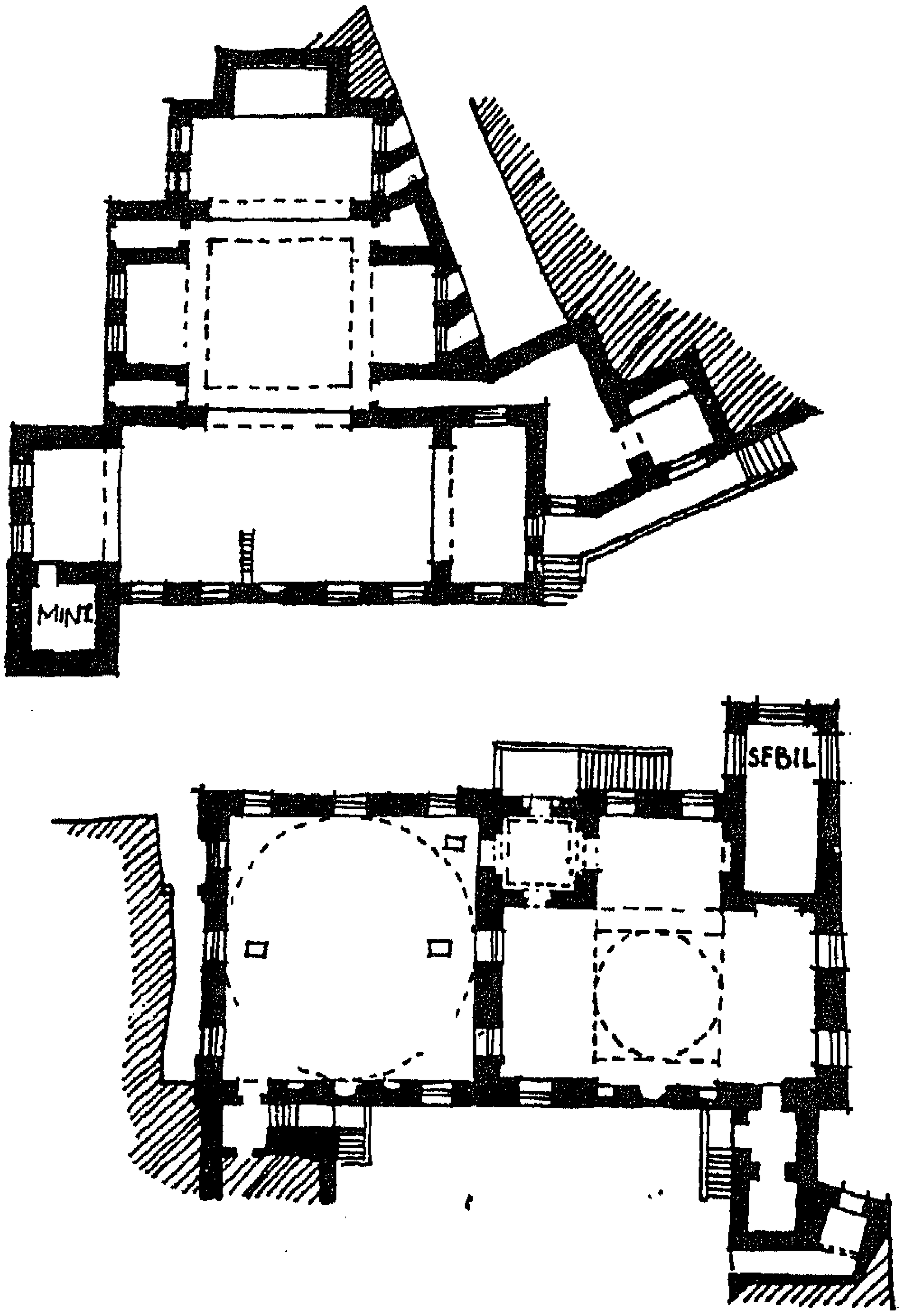

(شكل ٩٤) مدرسة وضريح الغوري (١٥٠٣ - ١٥٠٤ م)

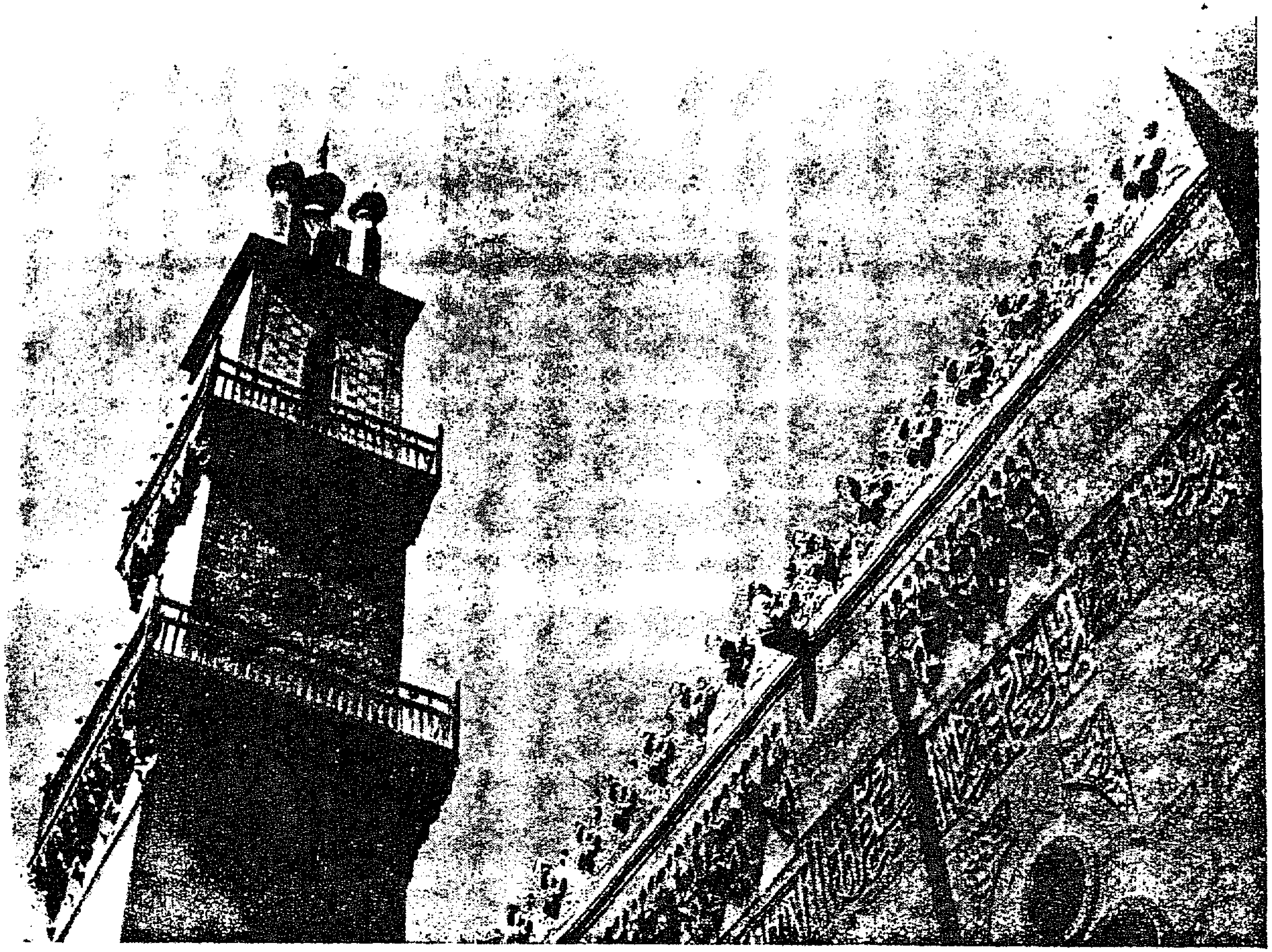

(شكل ٩٥) مسجد الغوري بالغورية

العمارة الاسلامية فى مصر فى العصر العثمانى

(١٥١٧ ـ ١٨٠٥ م)

لما قضى العثمانيون على دولة المماليك سنة (٩٢٣ هـ ـ ١٥١٧ م) فقدت البلاد استقلالها وقل منها ورحل عنها كثير من مهرة الصناع فيها وقل نشاط من بقى فيها من الفنيين وأصبح العصر التركى فى مصر عصر ركود فنى كما كان عصر ركود سياسى ، اللهم الا فى فترات قصيرة كالفترة التى شيدت فيها بعض المنشآت على يد عبد الرحمن كتخدا فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) .

وقد فقدت مصر أهميتها وأصبحت ولاية تركيـة ، وشـوهد فى مصر عدة أسبلة وكتاتيب بعضها متصل بالمسجد والبعض الآخر منفصل عنه ، كما أن القبة استعملت على نطاق أوسع فأصبحت تغطى رواق الصلاة كله بعد أن كانت تغطى جزءا منه فقط ، كما بنيت عدة أضرحة مغطاة بقباب أيضا .

وقد تأثرت العمارة الاسلامية فى مدينة القاهرة نتيجة للتغيير الفجائى بانتقالها من عاصمة لدولة كبيرة الى مدينة تابعة للامبراطورية التركية .

الأتراك السلاجقة : ـ هى دولة حكمت العراق وفارس والأناضول وجزءا كبيرا من سورية وأقامت حضارة أثرت تأثيرا عميقا فى الحضارة الاسـلامية فى عهد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين .

وقد أخـذ الأتراك العثمانيون عن السلاجقة فى قونية كثـيرا من العناصر المعمارية بحيث أصبحت فيما بعد من أهم مميزات العمارة السلجوقية وهى :

١ ـ المقرنصات والدلايات المستقيمة المميزة لعمـارتهم والتى تختلف عن الأخرى المدببة فى كل من مصر وسوريا .

٢ ــ الأبواب المتداخلة العميقة والموضوعة داخل اطار مزخرف بزخارف بارزة •

٣ ــ الزخرفة باستخدام الخزف بكل حرية والتى تملأ فى بعض الأحيان جميع أجزاء المسجد •

وفى عام ١٣٣٨م • نقل العثمانيون عاصمتهم الى « بروسة » وهى مدينة تقع جنوب بحر مرمرة ولا تبعد كثيرا عن القسطنطينية • وقد ظهرت بعض التأثيرات البيزنطية فيها من ناحية التخطيط وأصبحت القبة هى العنصر المهيمن البارز فى التصميم المعمارى • وقد ذاع استعمال المقرنصات فى شكلين : ــ الأول على شكل تاج لعمود مستدير كبير ، والثانى فى شكل اطار مستطيل لمدخل رئيسى •

وقد استعمل الحجر والطوب فى مداميك متبادلة وهذه طريقة بيزنطية استعملت فى زخرفة الواجهات الخارجية • واستخدم العثمانيون القبة المنخفضة نقلا عن القسطنطينية وسالونيك وهذه تختلف كثيرا عن القبة الاسلامية العالية فى مصر • وبدلا من تشييد المئذنة من طبقات تقل مساحة كل طبقة منها عن التى توجد بأسفلها نراهم قد بنوا المئذنة الاسطوانية الرفيعة المدببة والتى تنتهى من أعلاها بمخروط رفيع يشبه رأس القلم الرصاص المدبب ــ وشرفة المؤذن فقد اتخذت لها بروزا بسيطا وقد حملت على صفوف متتابعة من المقرنصات •

وعلى أثر الاستيلاء على مدينة القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ م • انتقل مقر الحكم اليها وتحولت كنيسة أيا صوفيا الى مسجد الذى أصبح فيما بعد نموذجا لعدة مساجد بنيت حوله بواسطة العثمانيين فى العدة قرون المتتالية واستمر التأثير البيزنطى على العمارة فى القسطنطينية •

وفى عام (١٥١٦ ــ ١٥١٧ م) • غزا السلطان سليم سوريا ومصر وفى الأيام الأولى من حكم الدولة العثمانية قام نظام الدراويش جنبا الى جنب مع نظام الخدمة فى الجيش ، والانكشارية كانوا يجمعون فى حداثتهم من الرعايا المسيحيين وكان بينهم وبين البكتاشية ارتباط •

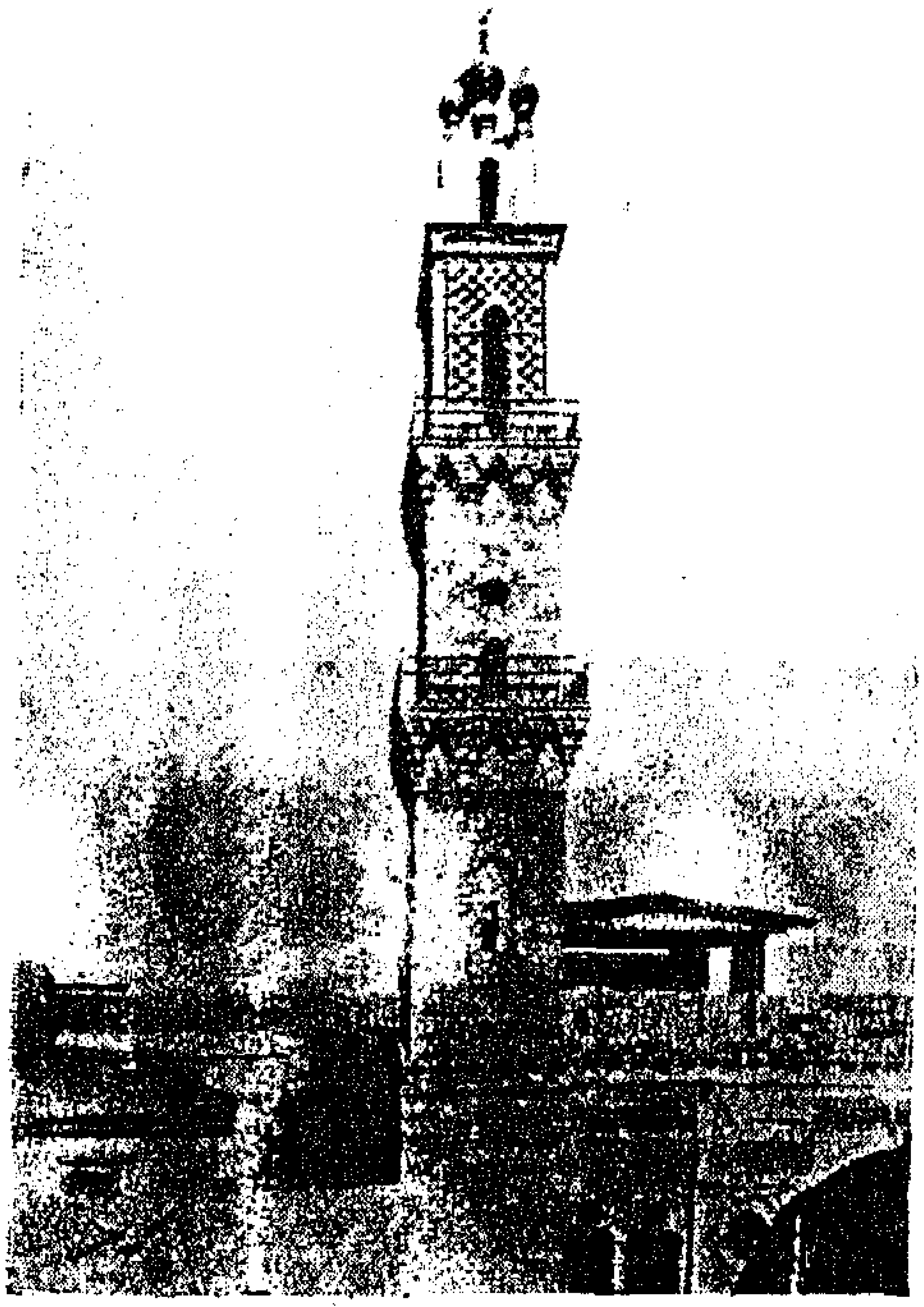

(شكل ٩٦) مئذنة مدرسة
الغورى (١٥٠٣ م)

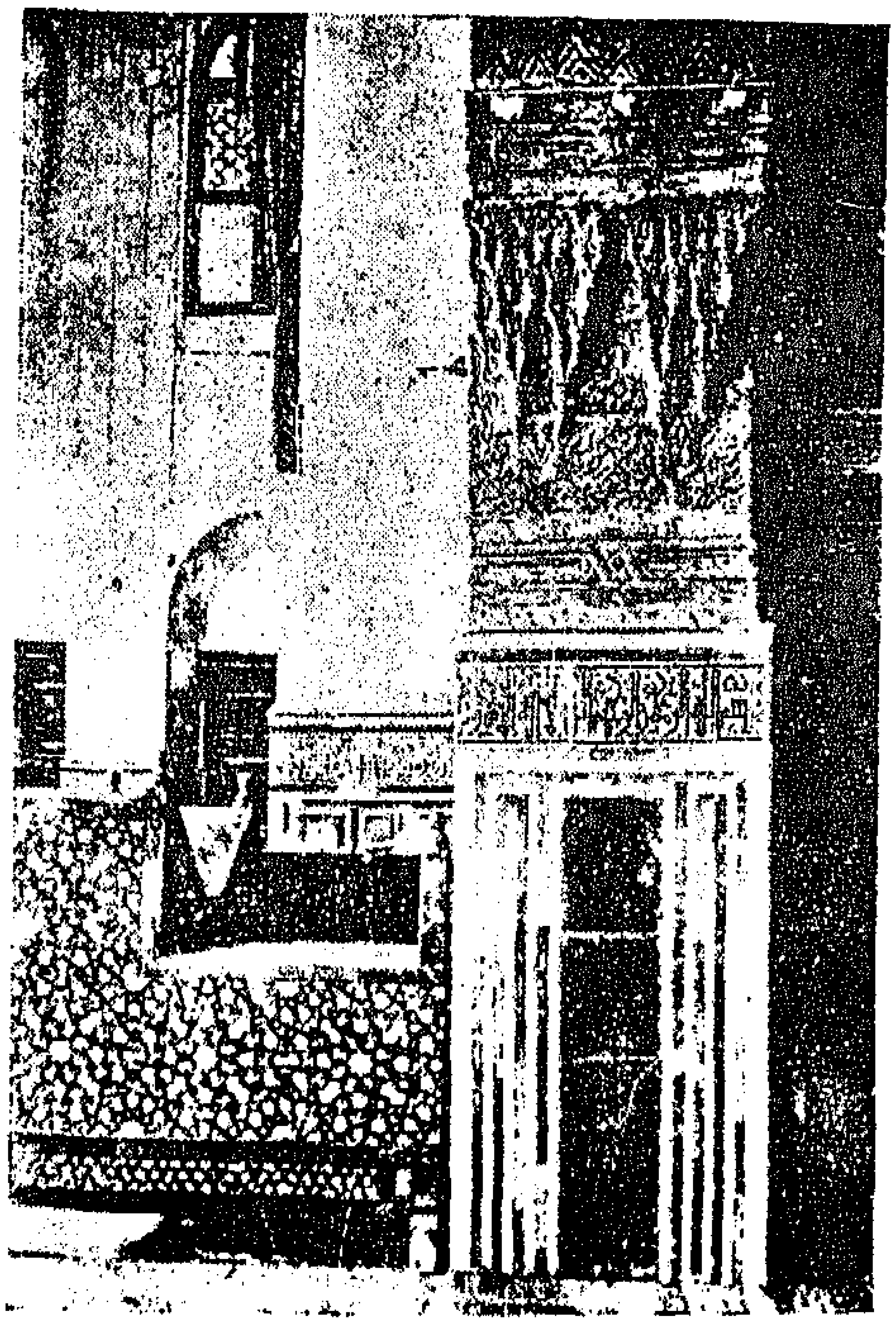

(شكل ٩٧) داخل مدرسة
الغورى (١٥٠٣ م) أحد
الأكتاف وعليه كتابات بالخط
الكوفى وبجواره كرسى
« مصحف »

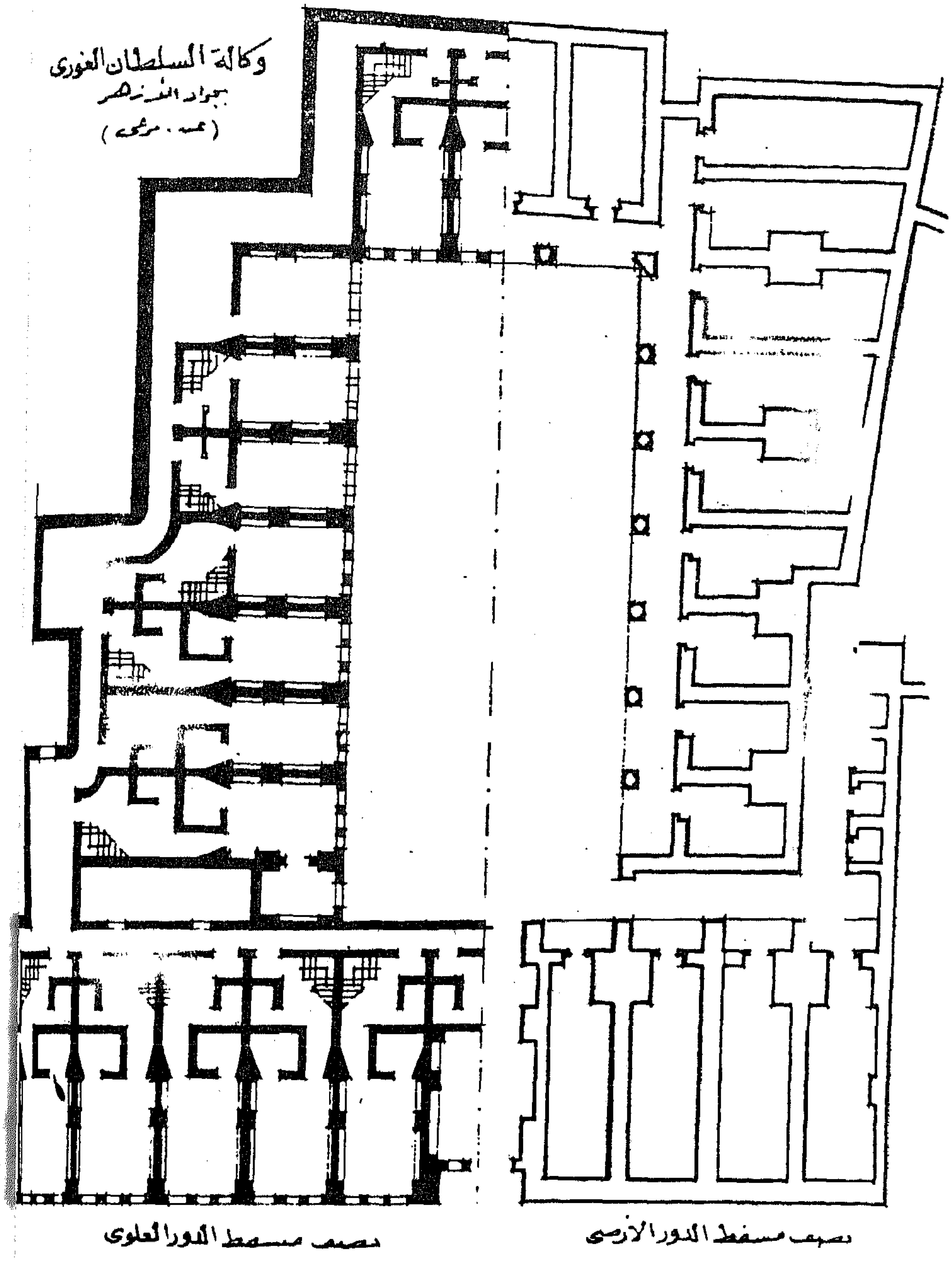
وكالة السلطان الغوري
بجوار الأزهر
نصف مسقط الدور العلوي
نصف مسقط الدور الأرضي

(شكل ٩٨)

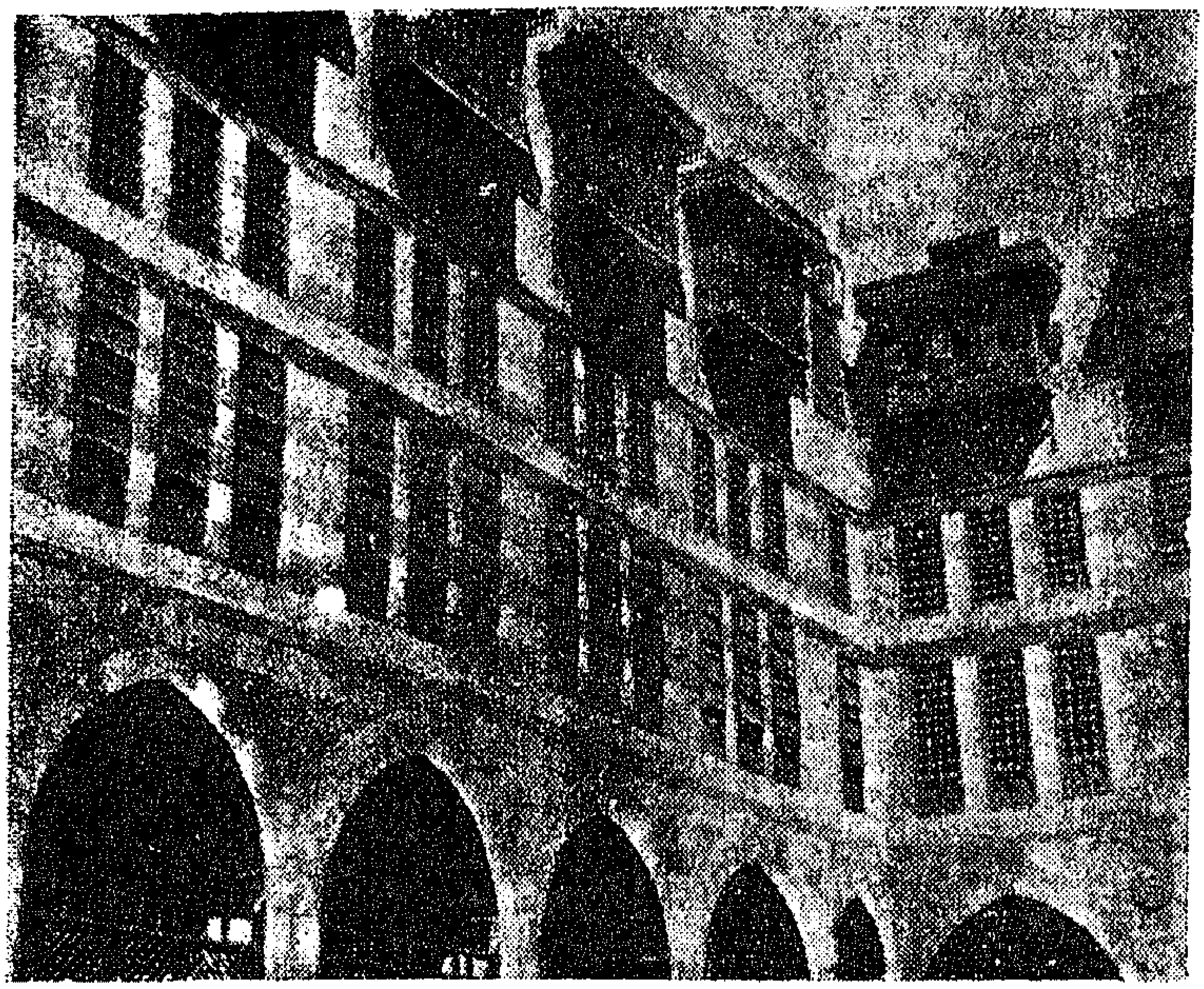

(شكل ٩٩) وكالة الغورى – منظر مطل على الفناء

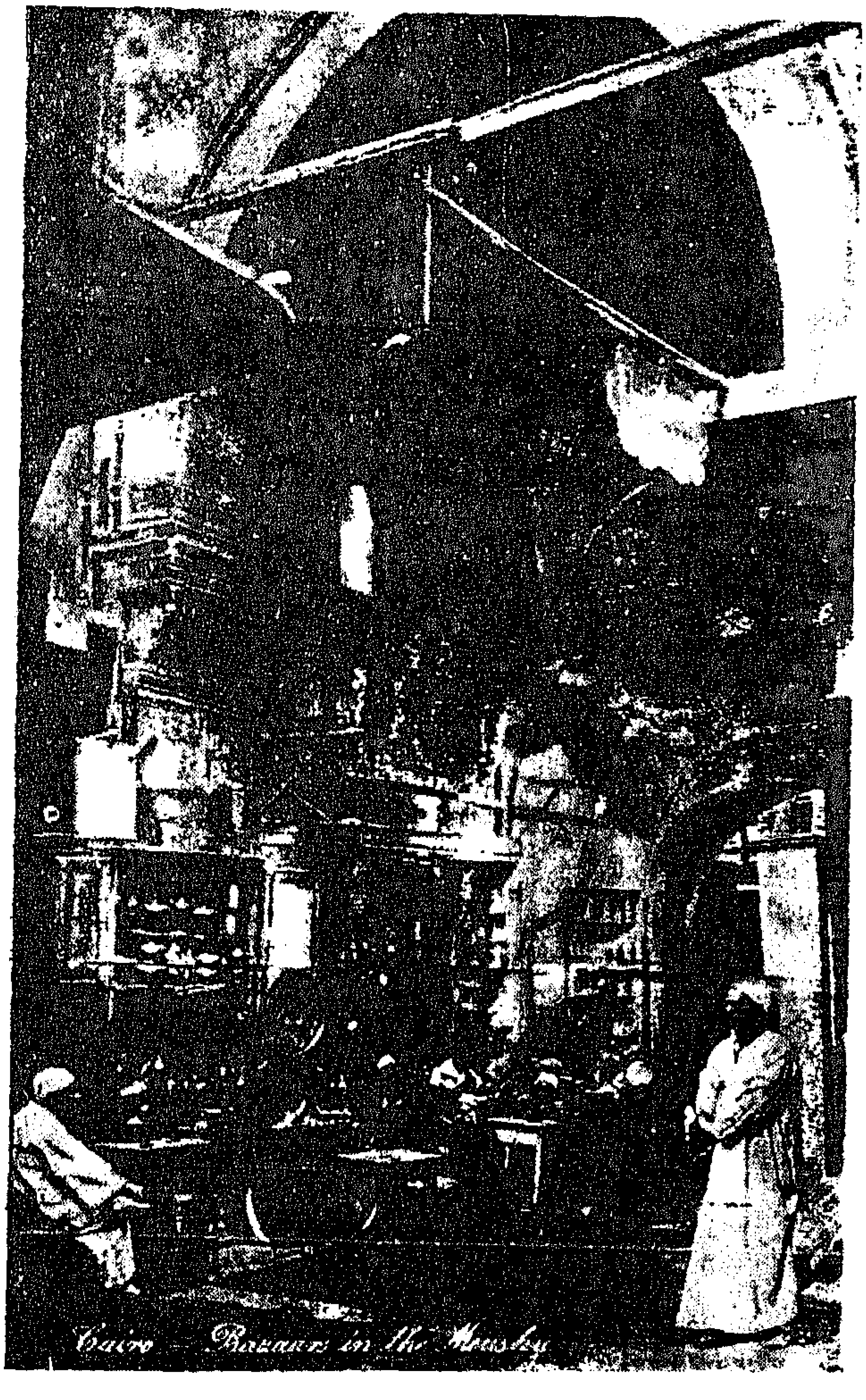

(شكل ١٠٠) منظر بخان الخليلي بالموسكي

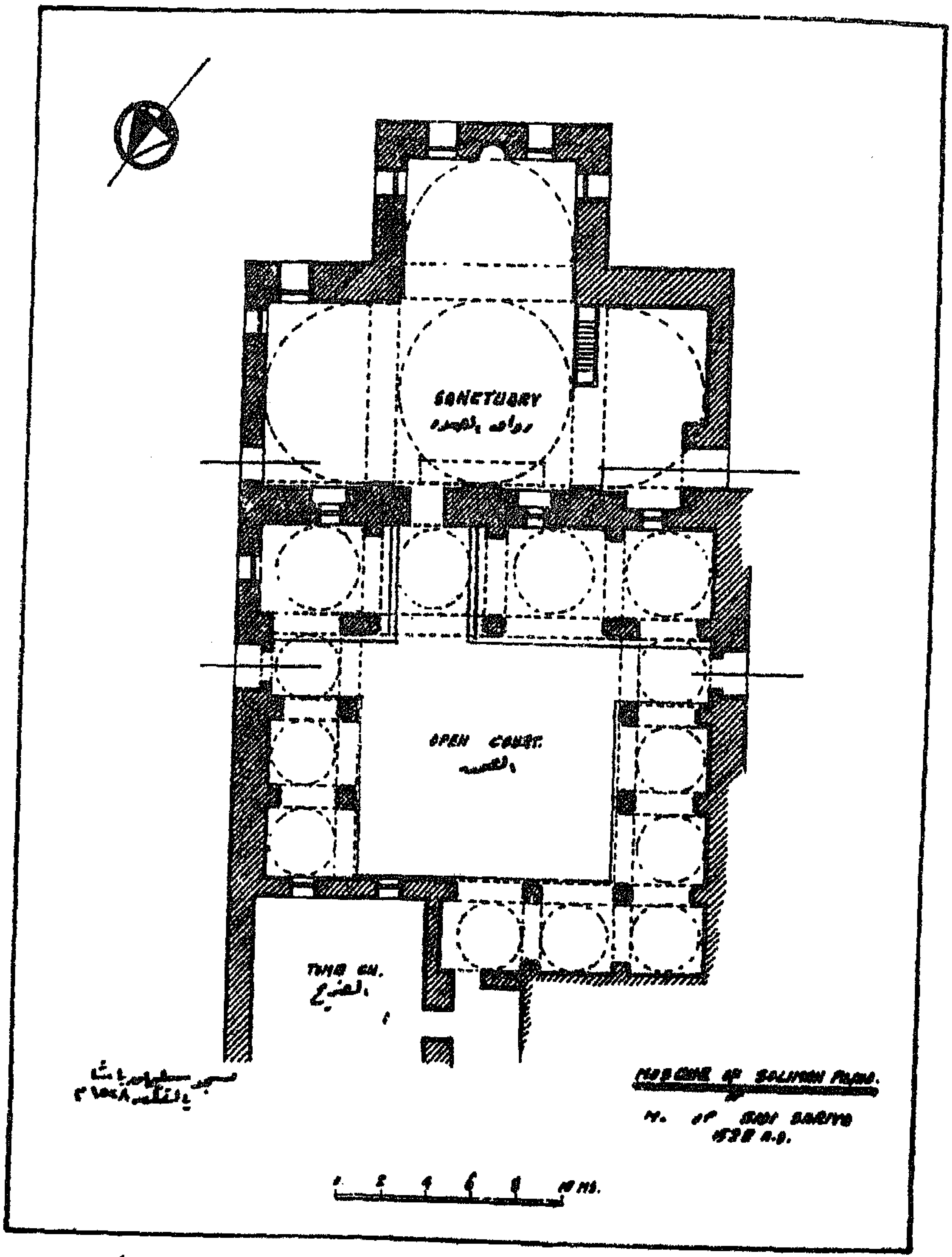

(شكل ١٠١) مسقط أفقي لمسجد سليمان باشا بالقلعة (١٥٢٨ م)

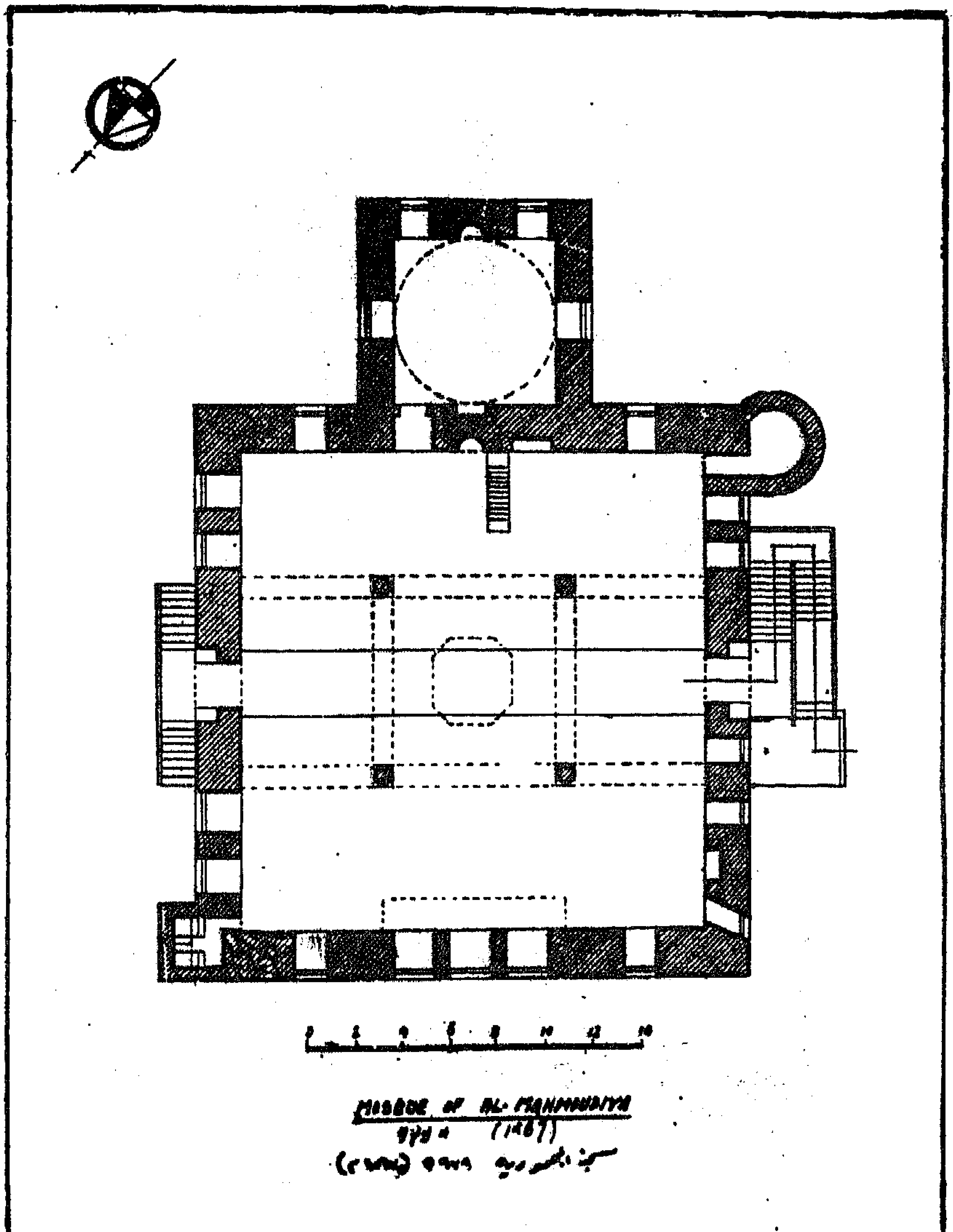

(شكل ١٠٢) مسقط أفقي لمسجد المحمودية بميدان صلاح الدين بالقلعة (٩٧٩ هـ — ١٥٦٧ م)

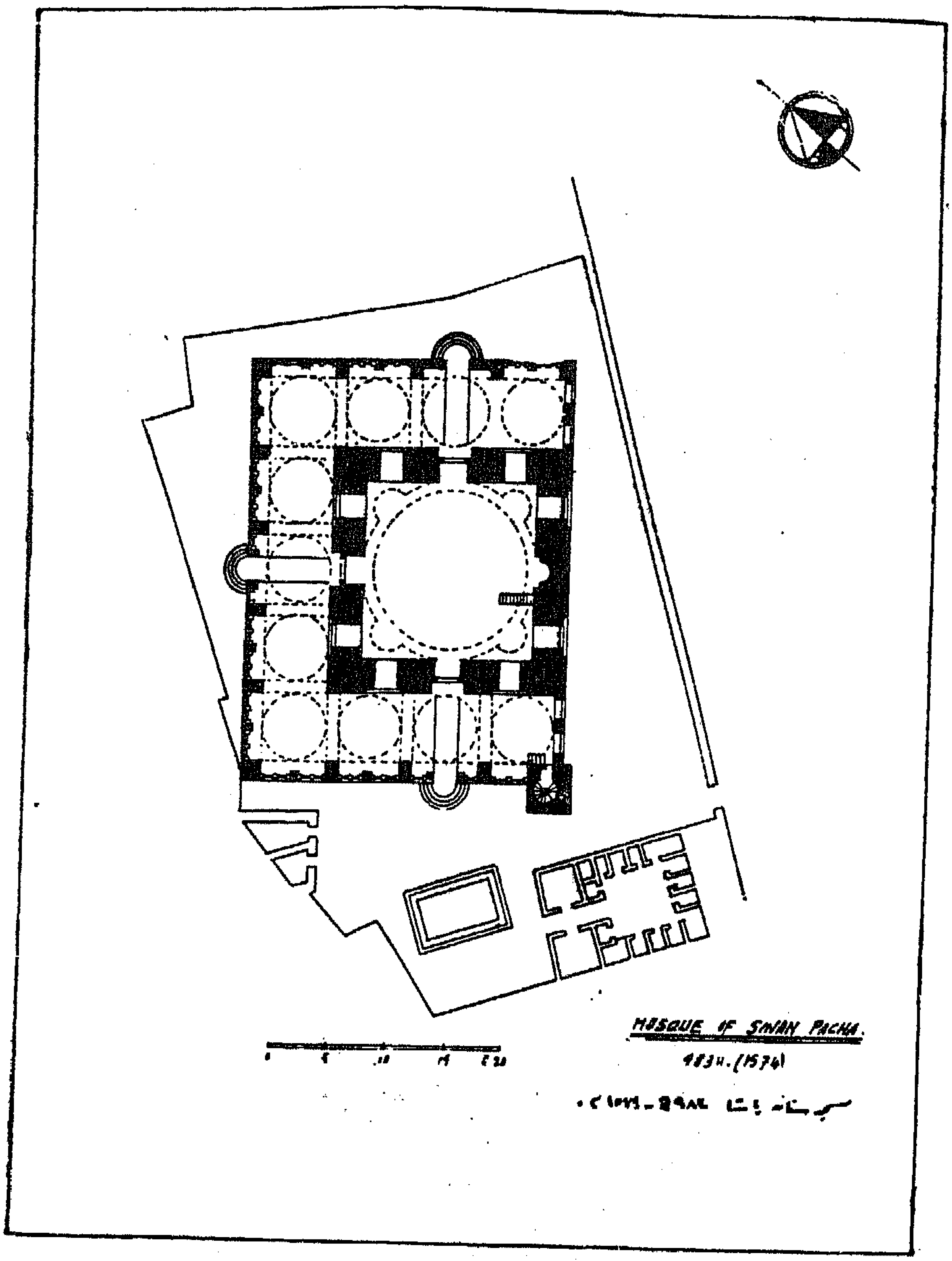

(شكل ١٠٣) مسقط أفقي لمسجد سنان باشا ببولاق

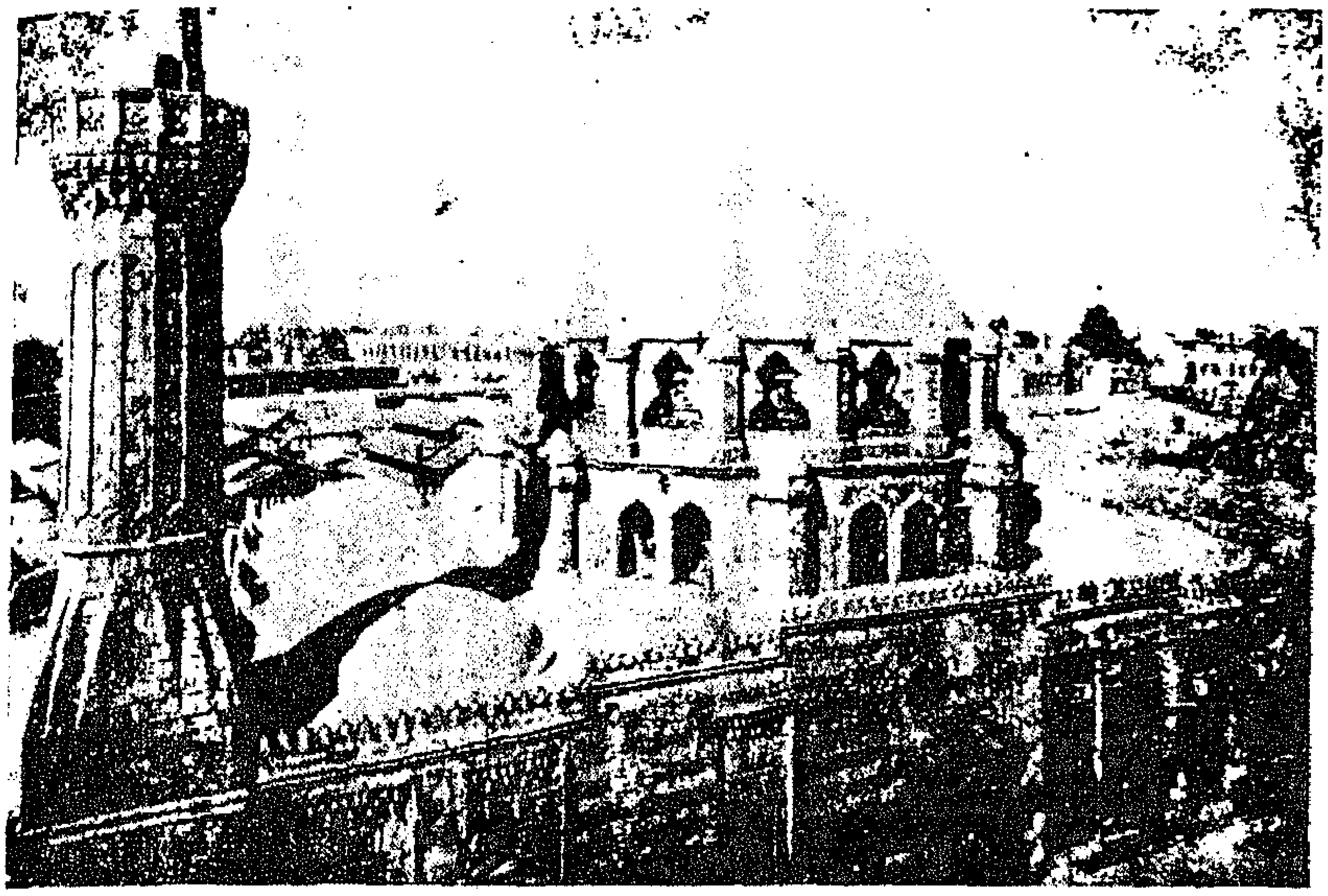

(شكل ١٠٤) قبة ومئذنة مسجد سنان ببولاق (١٥٧٤ م)

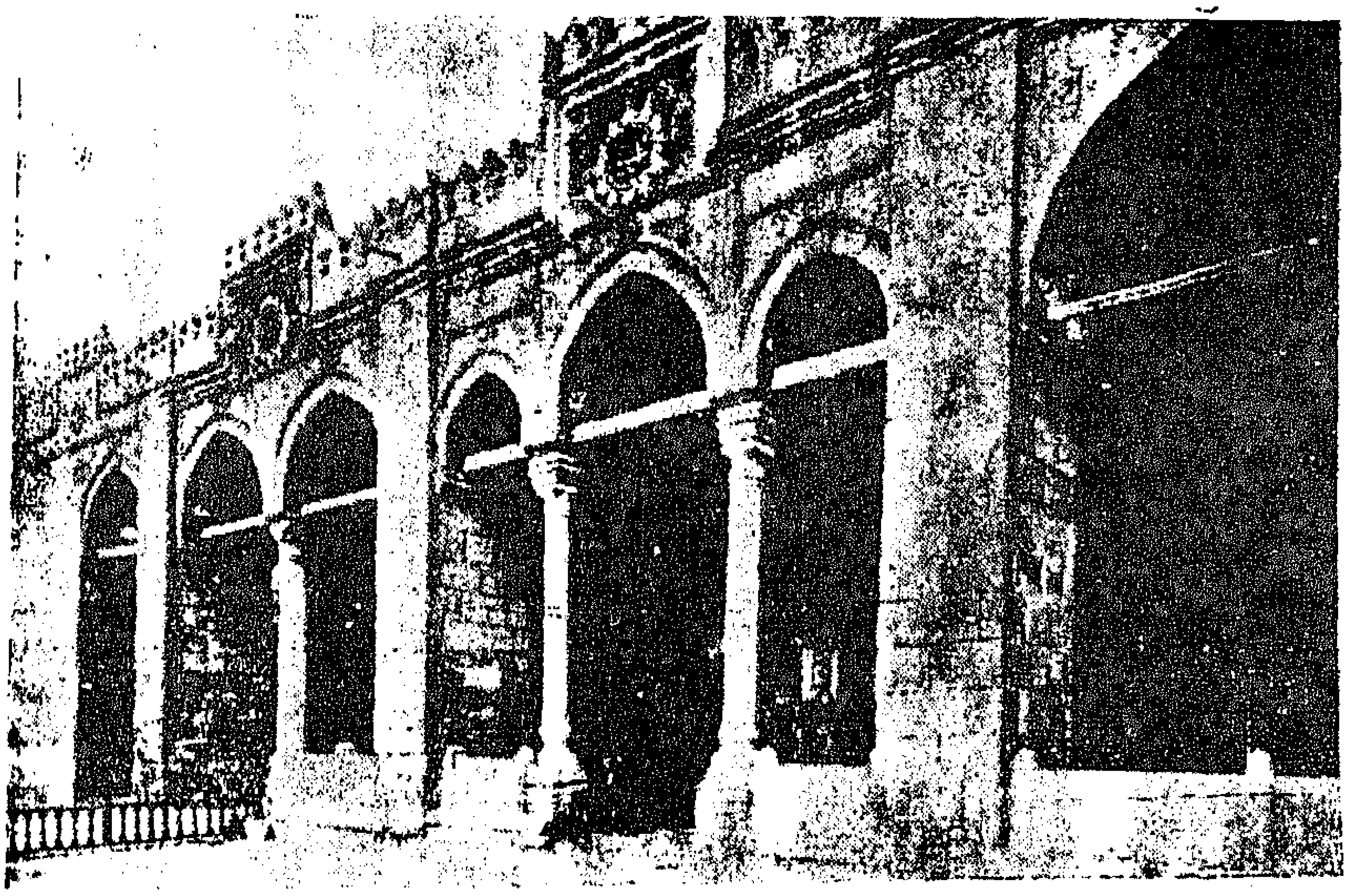

(شكل ١٠٥) واجهة مسجد سنان ببولاق (١٥٧٤م)

وبظهور تلك الفرق الجديدة ظهر نوع جديد من المساجد يعرف «بالتكية» وهو مسجد محاط بغرف للدراويش وهذا النظام الجديد يشبه الى حد كبير الخانقاه التى ظهرت فى العصر الأيوبى ، وليست التكية الا الاسم التركى للخانقاه التى شيد صلاح الدين أول واحدة منها فى القاهرة سنة (٥٦٩ هـ ــ ١١٧٤م) والتى نشأت فى البداية فى ايران •

ويعد عصر سليمان القانونى (١٥٢٠ ــ ١٥٦٠ م) عصرا ذهبيا فى العمارة الاسلامية ويمتاز بانشاء عدد عظيم من المبانى فى مصر وسوريا وكذلك القسطنطينية ، ومن المنشئات التى شيدت فى مصر فى عصر سليمان القانونى المساجد التالية ومن المحتمل أن تكون من أعمال المهندس التركى الشهير سنان : (١) مسجد سليمان فى القلعة بالقاهرة ١٥٢٨ م ، (٢) مسجد شاهين الخلوتى ١٥٣٨م ، (٣) ضريح الأمير سليمان فى القرافة بالقاهرة ١٥٤٣ م •

والى جانب انشاء كثير من المبانى الدينية استمر نوع آخر من المبانى فى التحسين فى العصر التركى وهو « السبيل والكتاب » والسبيل كلمة معناها « الطريق المستقيم » وتطلق عادة على صنبور المياه العمومى (الحنفية) للشرب منه فى الطريق ويكون عادة ملحقا بالمسجد وتستعمل الغرفة التى تعلو السبيل وهو « الكتاب » كمدرسة لتعليم أطفال الفقراء ، ومن الأمثلة الجميلة لهذا النوع من المبانى سبيل خسرو باشا (١٥٤٥ م) المقابل لضريح السلطان قلاوون •

ومن أهم المساجد التركية فى القاهرة مسجد الملكة صفية (١٦١٠ م) بالقرب من شارع محمد علي ويمتاز بقبته العظيمة وطريقة انشائها وتخطيطه كثير الشبه بجامع محمد على ويختلف عنه فى طريقة تصميم القبة فقط ، فبينما نرى قبة الملكة صفية مسدسة الشكل ومحمولة على عقود مدبية تسندها روابط متصلة بالحائط ، نجد أن قبة محمد علي محمولة على « بندتنيف » أى المثلثات الكروية الأربعة كطريقة لانتقال المربع الى الدائرة التى تحمل القبة المستديرة •

وهناك مسجد آخر هو مسجد البردينى (١٦١٦ م) • ويمتاز بعناصره الاسلامية المعمارية المتقدمة على العصر التركى أكثر من العناصر المميزة للطراز التركى ولو أنه بنى فى العصر التركى •

ومن مميزات العمارة الاسلامية بالقاهرة فى القرن السابع عشر ترميم واصلاح مسجد آق سنقر العظيم والمعروف « بالمسجد الأزرق » بواسطة ابراهيم أغا فى عام ١٦٣٩ م وقد سمى بالأزرق لما حواه من القيشانى الأزرق الجميل الذى يغشى جدران هذا المسجد من الداخل . ومن أمثلة المبانى المغشاة بالخزف فى ذلك العصر سبيل وكتاب يوسف أغا الحبشى (١٦٧٧ ــ ١٦٧٨ م) وموقعه بين المسجد الأزرق وباب زويلة .

ويمتاز العصر العثمانى باصلاح وترميم بعض المساجد القديمة كمسجد عمرو بن العاص وضريح الامام الشافعى وسيدنا الحسين والسيدة نفيسة كما أضيفت بعض أجزاء جديدة على القلعة . وقد قام أيضا على بك الكبير بعدة اصلاحات فى مسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا وضريح الامام الشافعى .

أما الأضرحة فى العصر العثمانى فقد امتازت بالبساطة ولم تكن كسابقتها التى امتازت بفخامتها وبقبابها المزخرفة الشاهقة وبالكتابات التاريخية المنقوشة على جدرانها .

وقد بنيت أيضا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر « الوكالات » أو الأسواق التجارية . والأصل فى الوكالة « الخان » وهى كلمة فارسية الأصل بمعنى منزل ، والوكالات أمكنة للتجارة يعرض فيها التجار بضاعتهم وقد تأثرت هذه المنشآت الى حد كبير بالتى ظهرت فى عصر قايتباى فى القرن (الخامس عشر) بالقرب من المسجد الأزهر وباب النصر . وكذلك فى عصر السلطان الغورى فى بداية القرن السادس عشر وهى أبنية يتوسطها فناء مستطيل الشكل وبأسفلها توجد الحوانيت التى تظهر فى الفناء ولها فتحات كبيرة ذات عقود يعلوها طابق أو أكثر به غرف للسكنى ودهاليز لعرض البضائع تطل رأسا على هذا الفناء ، ومدخل الوكالة عبارة عن مدخل كبير ويليه ممر مغطى عادة بقبو ومنه تمر العربات والركائب .

وقد ظهر فى مصر كثير من أمثلة هذا النوع من المبانى كوكالة حسن باشا الوزير (١٥٨٣ م) أثر رقم ٥٣٨ بشارع سوق العصر ببولاق ووكالة سليمان باشا (١٥٤١ م) أثر رقم ٥٣٩ بعطفة السليمانية ببولاق ، ووكالة عباس أغا (١٦٤٩م)

أثر رقم ٣٩٦ بشــارع التمبكشية ، ووكالة نفسية البيضــاء (١٧٩٦ م) أثــر رقم ٣٩٥ بشارع السكرية . واستمر ظهور هذه المنشئات حتى منتصف القرن التاسع عشر . كمــا فى وكالة الحــرمين (١٢٥٥ هـ ـ ١٨٣٩ م) أثر رقم ٤٣٣ بشارع خان جعفر .

ومن أهم المساجد التى ظهرت فى العصر التركى ما يلى :

مسجد المحمودية بميدان صلاح الدين ٩٧٩ هـ (١٥٦٧ ـ ١٥٦٨ م) .

يقع هذا المسجد أمام باب العزب بالقلعة وشرقى مسجد الســلطان حسن وقبلى مدرسة قانى باى الرماح ـ أنشأه « محمود باشا » والى مصر من قبل الدولة العثمانية فى عصر السلطان سليمان بن السلطان سليم وقد قدم اليها فى سنة (٩٧٣هـ ـ ١٥٦٦م) وهذا المسجد يصعد اليه ببضع درجات .

وتصميم المسجد على شكل تخطيط مربع عبارة عن قاعة كبيرة تتوســطها أربعة أعمدة كبيرة من الجرانيت وتحمل منورا كبيرا مرتفعا عن السقف ، وعلى كوابيل حجرية عوارض خشــبية تحمل الســقوف حوله وهى مذهبة وملونة ، وقد شاع هذا التصميم فى مساجد مصر فى أيام الدولة العثمانية ، وفى جــدار المحراب باب يوصل الى قاعة الضريح الملحقة بالمسجد ويعلوها قبة وهذا الضريح بارز عن حائط المسجد الخارجى . ومئذنة هذا المسجد من النوع البسيط شأن المآذن التركية فى أول أمرها .

وقد أخذت لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة ١٨٨٥ م . فى العناية باصلاح هذا المسجد كما قامت فى سنة ١٩٠٤ م . بفحص أساسات المسجد وأقامت السلم المؤدى اليه وقومت مبانيه وأعادت انشاء بعض أبوابه ونوافذه وأقيمت الشعائر الدينية فيه عام (١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م) .

مسجد سنان باشا ببولاق : ١٥٧٤ م .

يقع هذا المسجد بشارع جامع السنانية وينسب لسنان باشا وهو قائد تركى كبير عاصر أربعة سلاطين هم سليمان القانونى بن السلطان سليم الأول فاتح مصر

وابنه سليم الثانى ثم مراد الثالث بن السلطان سليم الثانى وابنه محمد خان ــ وقد عين واليا على مصر مرتين من سنة (٩٧٥ ــ ٩٧٦ هـ) (١٥٦٧ ــ ١٥٦٩م). ثم فترة أخرى من سنة (٩٧٩ـ٩٨٠ هـ) (١٥٧١ـ١٥٧٢ م) • ثم ولى الصدارة العظمى فى عهد السلطان مراد الثالث فى سنة (٩٨٨هـ ــ ١٥٨٠م) •

وقد كان سنان باشا معاصرا لسنان المهندس الحربى العظيم وقد توفى سنة (١٠٠٤هـ ــ ١٥٩٦م) عن ثمانين عاما وقد أنشأ سنان باشا هذا المسجد سنة (٩٧٩هـ ــ ١٥٧١م) •

ويتكون هذا المسجد من مربع كبير تعلوه قبة منخفضة على الطراز البيزنطى ويحيطه من ثلاثة جوانب عدا حائط القبلة دهليز معقود ومقسم الى بلاطات مربعة مغطاة بقباب صغيرة ، ونظام الواجهة يتبع النظام الذى شوهد فى كل من أعمال قايتباى والغورى ، الا أن النوافذ التى بالواجهة مكونة من صف واحد فقط • والمئذنة تنتهى بمخروط مدبب يشبه نهاية القلم الرصاص وهو من طراز المآذن التركية الذى شوهد بعد ذلك فى كثير من آثارهم •

مسجد الملكة صفية : (١٦١٠ م) بشارع محمد على •

الملكة صفية هى زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد خان الثالث بن السلطان مراد خان الثالث وأصلها من البندقية (ڤينيسيا) وقد بيعت وألحقت بالقصور الملكية باستامبول بعد أسرها •

والمسجد مرتفع عن منسوب الشارع بنحو أربعة أمتار وهو متأثر فى تصميمه بأسلوب مسجد أحمد باشا المعروف بجامع طوب قبو باستامبول وقد وضع تصميمه المهندس الكبير سنان •. والمدخل يؤدى الى صحن مكشوف يحيطه من أربع جهاته دهليز مقسم الى مساحات مربعة تعلو كل منها قبة منخفضة كما أن الواجهة المطلة على الصحن تتكون من عقود محمولة على أعمدة بيزنطية ، والصحن يؤدى الى قاعة الصلاة وتتوسطها قبة مسدسة الشكل وهى مقامة فوق ستة عقود مدببة محمولة على أعمدة قديمة وقد حدث للقبة بعض الشروخ وأصلحت حديثا على يد مصلحة الآثار •

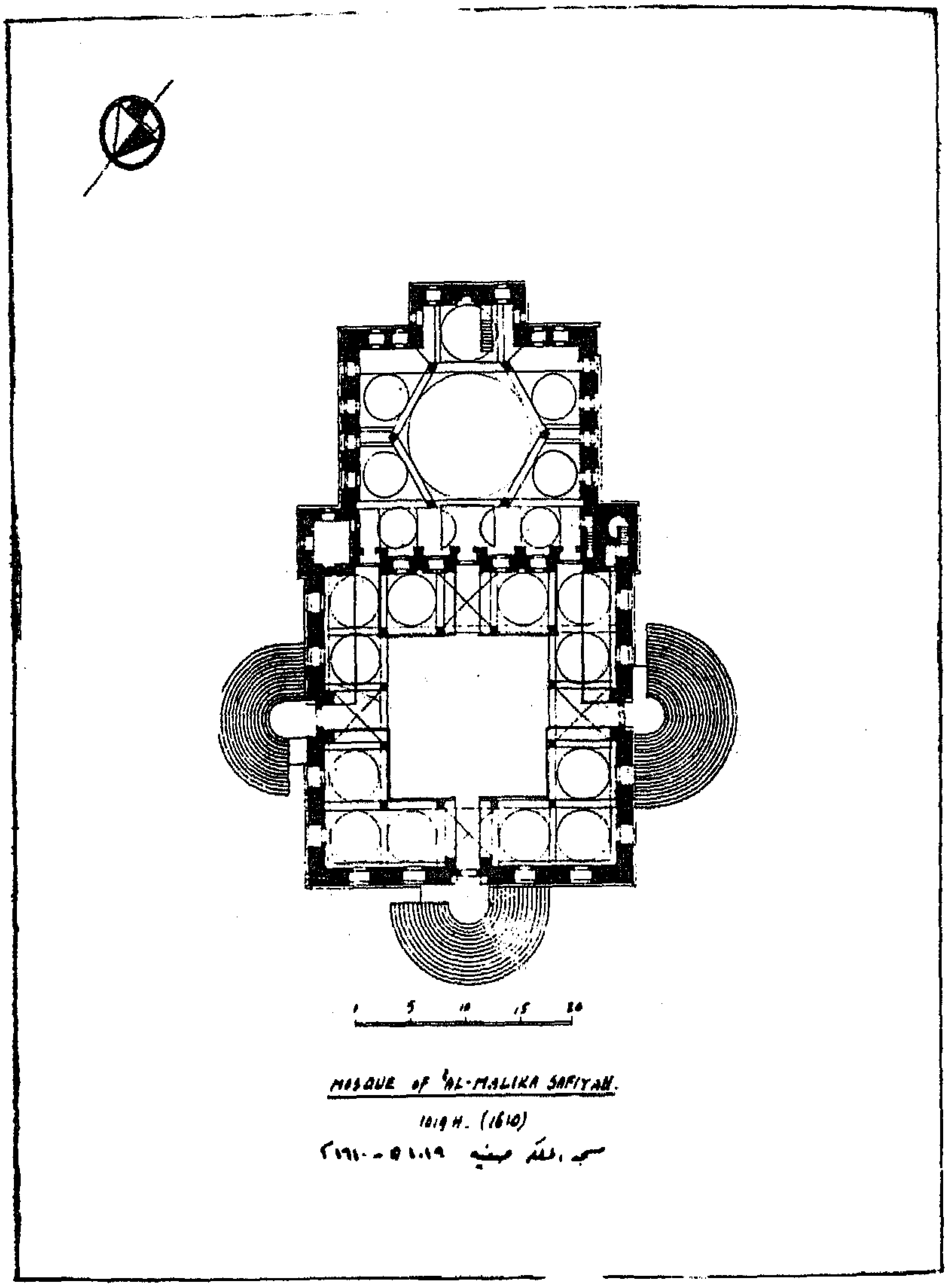

(شكل ١٠٦) مسقط أفقي لمسجد الملكة صفية بشارع محمد علي (١٦١٠ م)

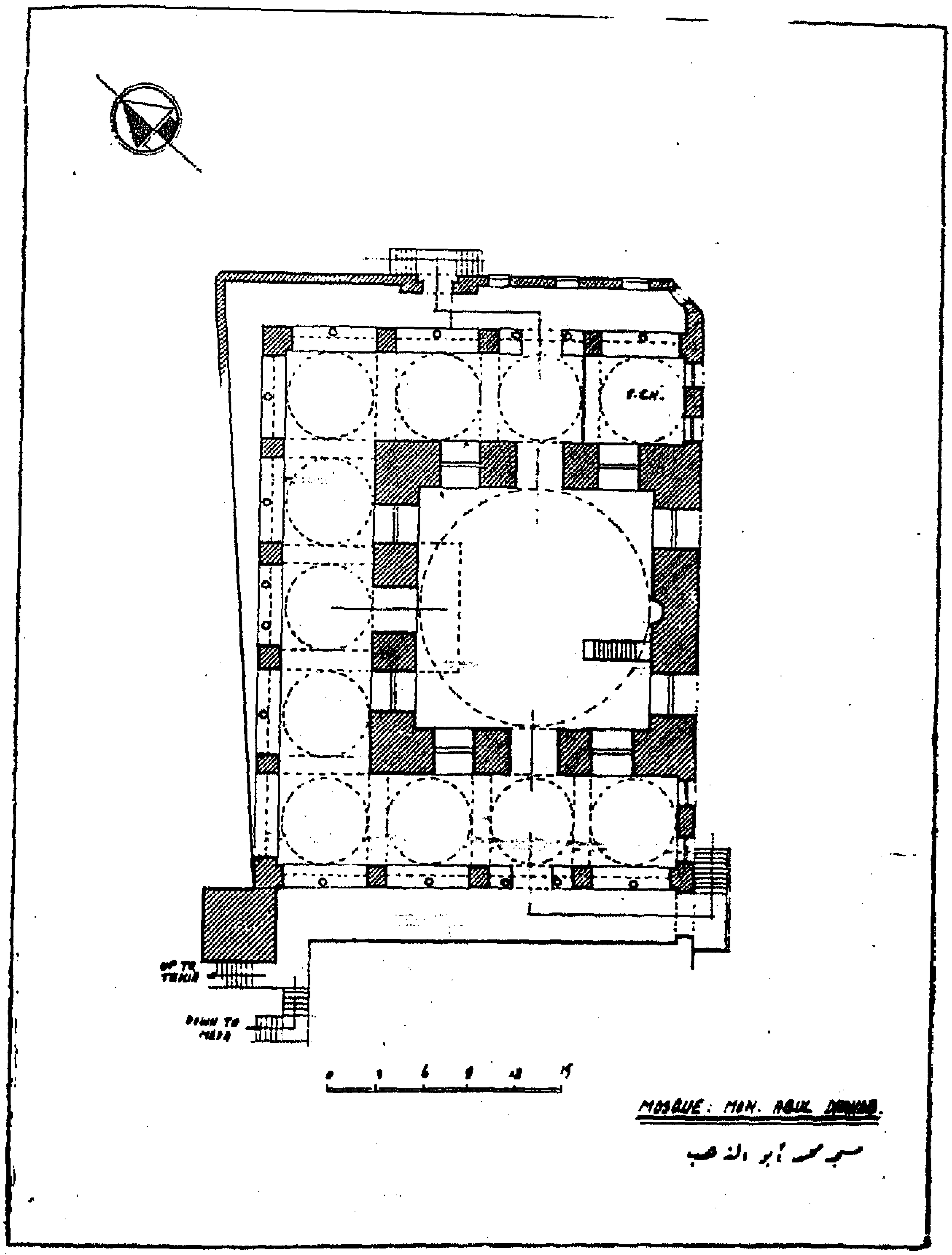

(شكل ١٠٧) مسقط أفقي لمسجد محمد بك أبو ذهب بالأزهر

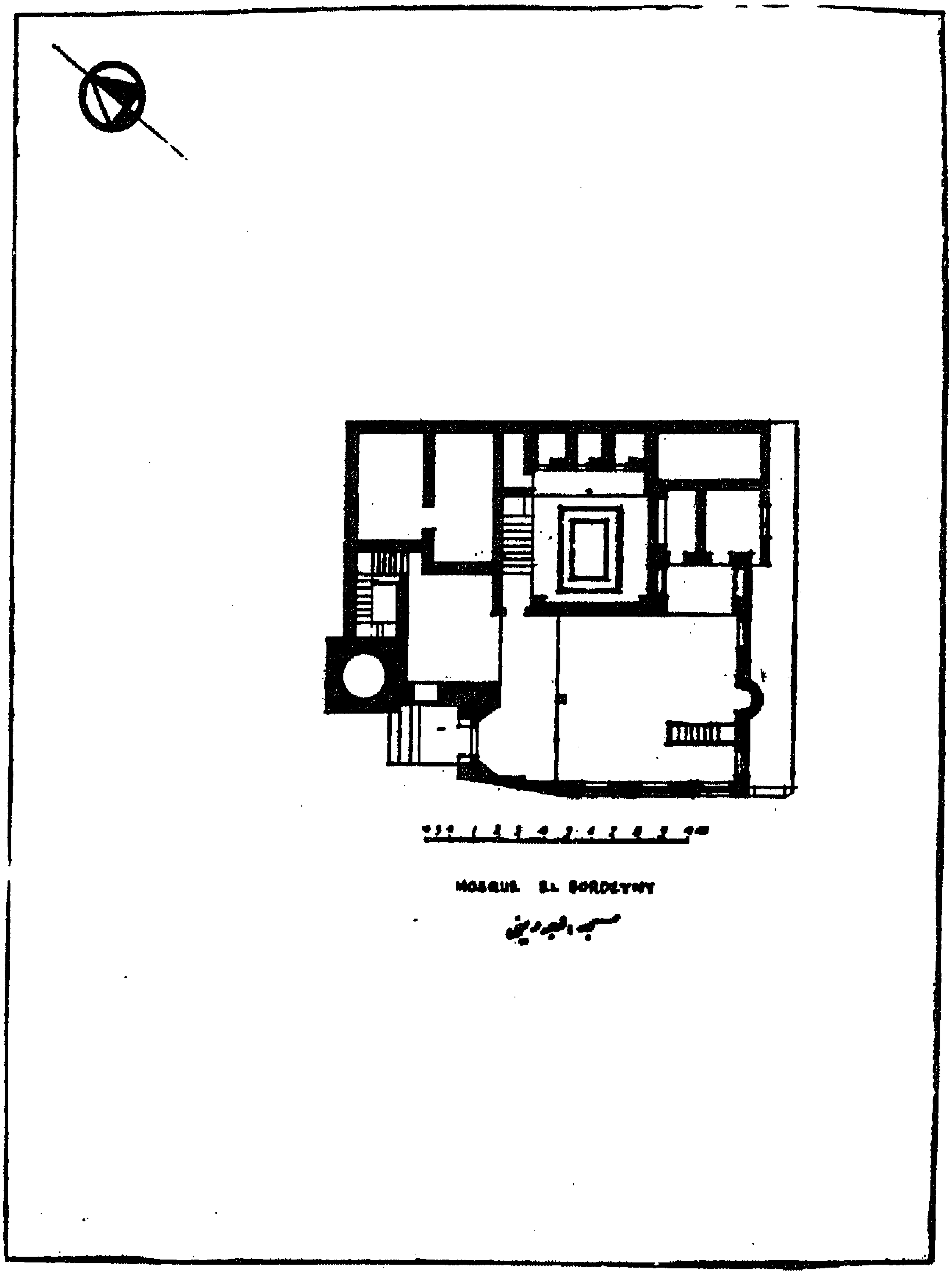

(شكل ١٠٨) مسقط أفقي لمسجد البرديني بشارع الداودية (١٦١٦ - ١٥٢٩ م)

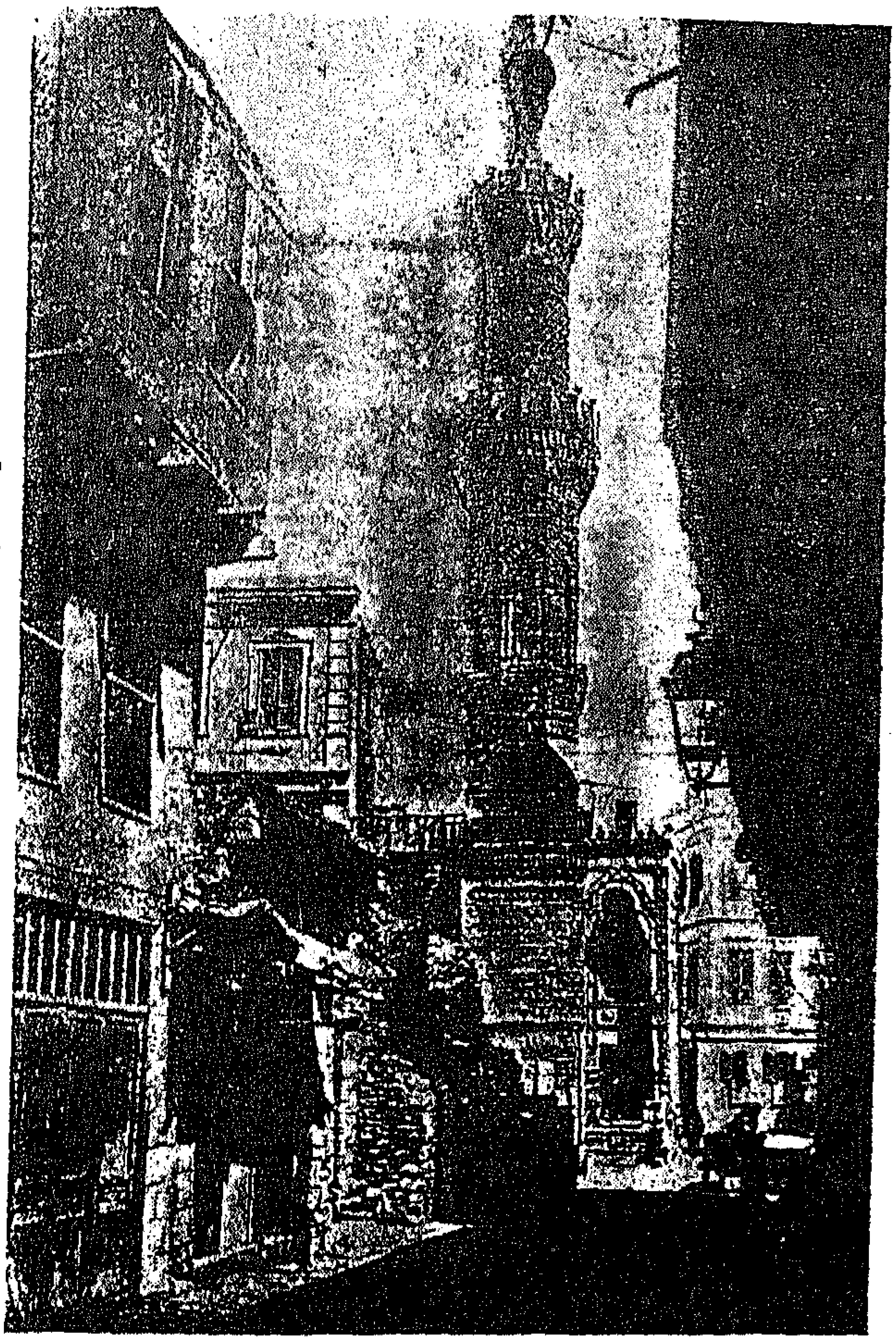

(شكل ١٠٩) مسجد البرديني بشارع الداودية (١٦١٦ — ٢٩ م)

ومن أهم المساجد التى تنسب لهذا العصر مسجد محمد بك أبو الذهب المقابل للجامع الأزهر وهو يشبه فى تصميمه الى حد كبير تصميم مسجد سنان ببولاق • والأمير محمد بك أبو الذهب هو أحد أمراء مصر وولاتها وكان مملوكا للأمير على بك الكبير اشتراه سنة (١١٧٥هـ - ١٧٦١م) • وقد توفى فى عكا سنة (١١٨٩هـ - ١٧٧٥م) • ونقلت جثته حيث دفن فى هذا المسجد • وتصميم هذا المسجد قد تأثر بلا شك بتصميم المساجد العثمانية فى استامبول •

مسجد البردينى بشارع الداودية (١٠٢٥-١٠٣٨ هـ) (١٦١٦-١٦٢٩ م)•

وهو مبنى من الحجر وتصميمه عبارة عن قاعة صغيرة قد كسيت جدرانها بوزرة من الرخام الدقيق المتنوع الألوان • والمحراب من الرخام ، والنوافذ من الجص المحلى بزجاج ملون ، وبجوار المحراب منبر صغير مطعم بالصدف والسن • وتوجد بالجهة الغربية دكة المبلغ ولها درابزين من خشب الخرط الجميل ، وسقف المسجد محلى بنقوش مذهبة •

أما المئذنة فتقع على اليسار المدخل (١٦٢٨ - ١٦٢٩ م) وهى مكونة من ثلاثة أدوار مملوءة بالكتابات والنقوش بخلاف المآذن التركية التى تسودها البساطة وهى تشبه فى تصميمها المآذن المملوكية • وبالرغم من أن المسجد من منشئات العصر التركى فانه قد جمع محاسن العمارة فى أيام دولة المماليك الجراكسة •

زاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين (١١٤٢ هـ - ١٧٢٩ م) •

يقع هذا الأثر (رقم ٢١٤) بشارع المغربلين بجوار جامع جانبك - أنشأ هذه الزاوية الأمير قبد الرحمن كتخدا الذى كان يعمل كتخدا لمصر فى سنة (١١٤٢هـ - ١٧٢٩ م) والكتخدا كان وكيل الباشا ممثل السلطان فى مصر ينوب عنه فى كامل اختصاصاته •

ويعتبر هذا الأثر من أجمل آثار عبد الرحمن كتخدا بمدينة القاهرة فواجهته من الحجر المنحوت وتمتاز بالزخارف الجميلة المنحوتة نحتا متقنا • ويتكون هذا البناء من طابقين اذ يحتوى الطابق الأرضى منه على ثلاثة حوانيت تشرف على الشارع وتوجد خلفها من الداخل حنفيات للوضوء يصل اليها الانسان من مدخل

الزاوية . أما الطابق العلوى فيحتوى على قاعة كبيرة لاقامة الصلاة يصعد اليها بدرج ولها ثلاث نوافذ مستطيلة كبيرة تطل على الطريق وعليها خشب خرط على شكل تربيعات صغيرة من نوع المشربيات وتعلو هذه الفتحات المستطيلة ثلاث أخرى مستديرة تزيد فى اضاءة المكان .

والسقف مكون من كمرات من الخشب مزخرفة بزخارف ملونة لا تزال آثارها باقية والدرج يصل الى ردهة تتقدم المصلى ويواجهها باب يصل الى سلم صغير ، يصل الانسان منه الى شرفة صغيرة تقع فوق مدخل الزاوية ، وتحمل هذه الشرفة من الخارج عدة صفوف أفقية من المقرنصات الجميلة وهى تقوم مقام المئذنة فى الدعوة للصلاة .

ومدخل الزاوية يعلوه عقد مدبب ذو صفوف يتكون من صنجات صغيرة متقاربة ويغطى المدخل عتب يعلوه منطقة محصورة بين العتب والعقد العاتق ، مغطاة ببلاطات من القيشانى الملون ومزخرفة بزخارف نباتية ملونة من صناعة آسيا الصغرى وسوريا . والعقد العاتق الذى يعلو عتب المدخل محاط من كلتا جهتيه بشجرة زخرفية محورة عن الطبيعة ، كما أن مفتاح العقد العاتق به زخرفة هندسية جميلة داخل دائرة . ويعلو هذا العقد صف من الحنايا الصغيرة منتهية بعقود مدببة ومتجهة الى خارج الواجهة .

والعقد الكبير المحيط بالمدخل مرتكز على عمودين من الرخام من نوع الأعمدة الدورية ، وفتحات النوافذ الثلاث المستطيلة الشكل المطلة على الشارع يحيط بها عقود ذات فصوص وترتكز على أعمدة متصلة بالحائط ، ولها تيجان على شكل المقرنص ، أما بدن الاعمدة فمقسم الى جزئين العلوى منهما مجدول حلزونيا والسفلى مزخرف بقنوات رأسية ، ويفصل الجزأين طوق مستدير مزخرف بزخارف نباتية جميلة ومجموعة الثلاثة عقود ذوات الفصوص محاطة باطار مستطيل ، ويوجد ميزابان لتصريف المياه من سقف الزاوية ،وهما موضوعان فى منتصف المسافة بين الثلاث فتحات المستديرة العلوية .

ويعلو الواجهة من الخارج صف أفقى من الشرافات الجميلة الذى يزيد فى جمال هذا الأثر البديع .

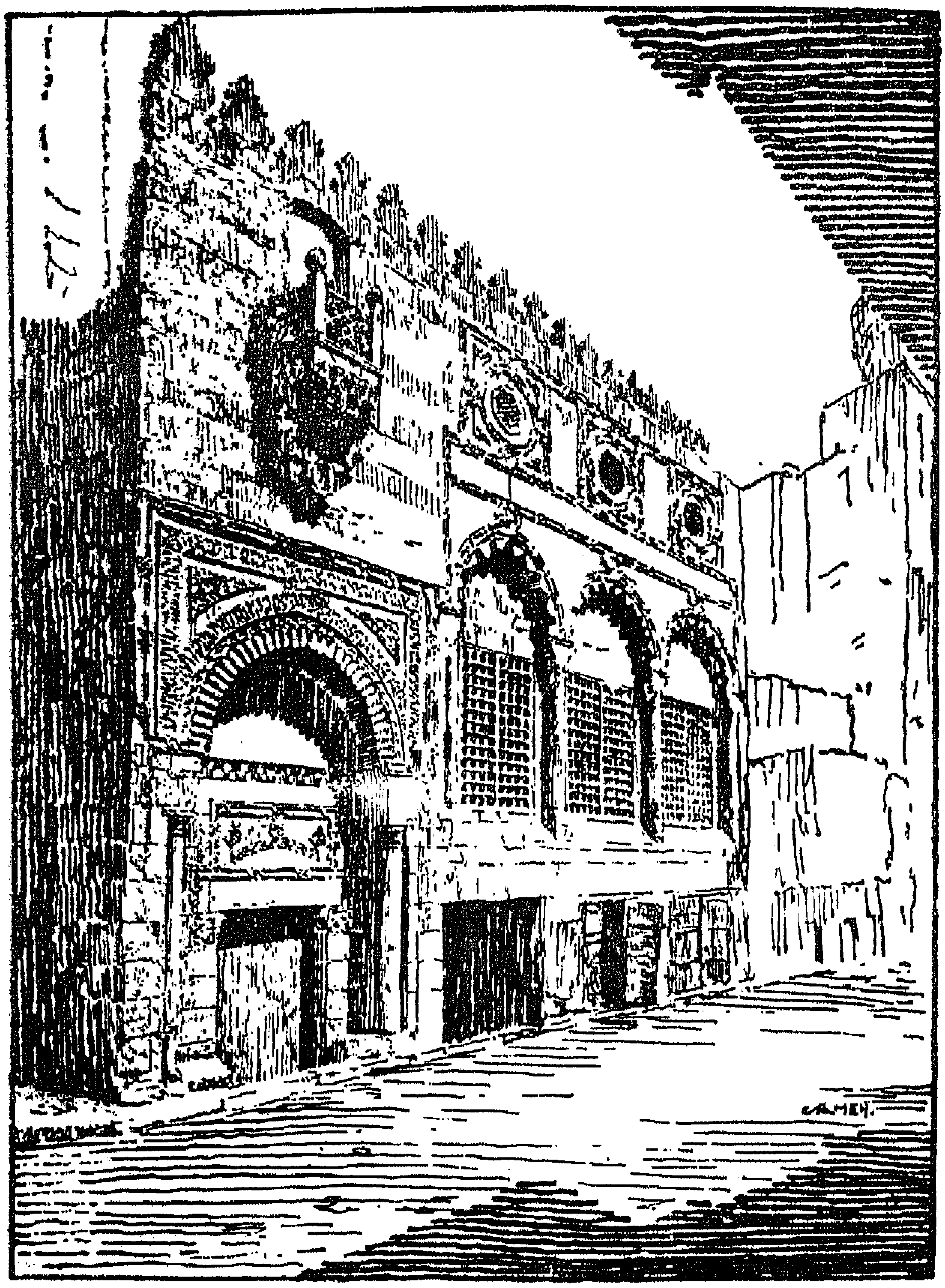

(شكل ١١٠) زاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين (١١٤٢ هـ - ١٧٢٩ م)

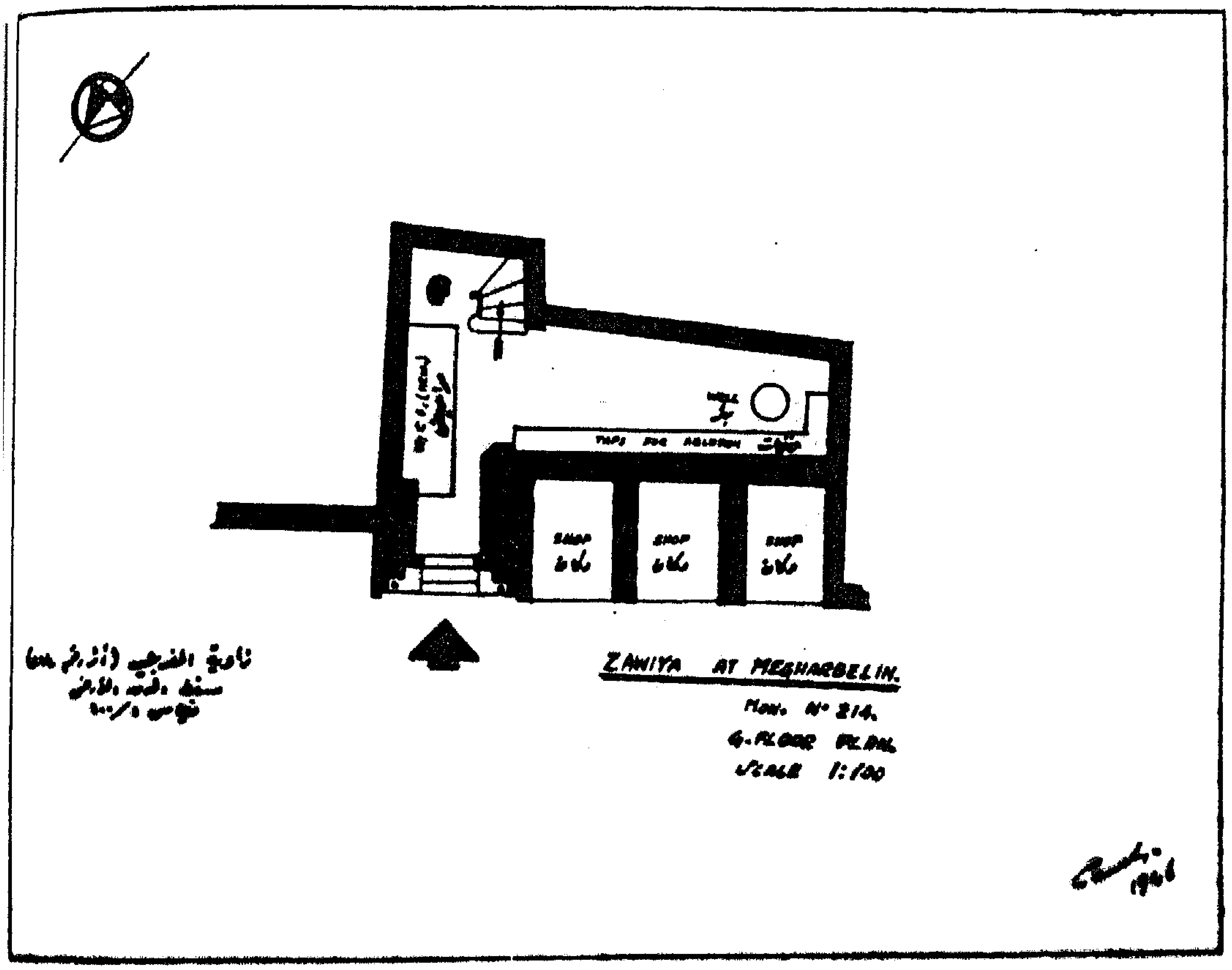

(شكل ١٤١) مسقط الدور الأرضي لزاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين

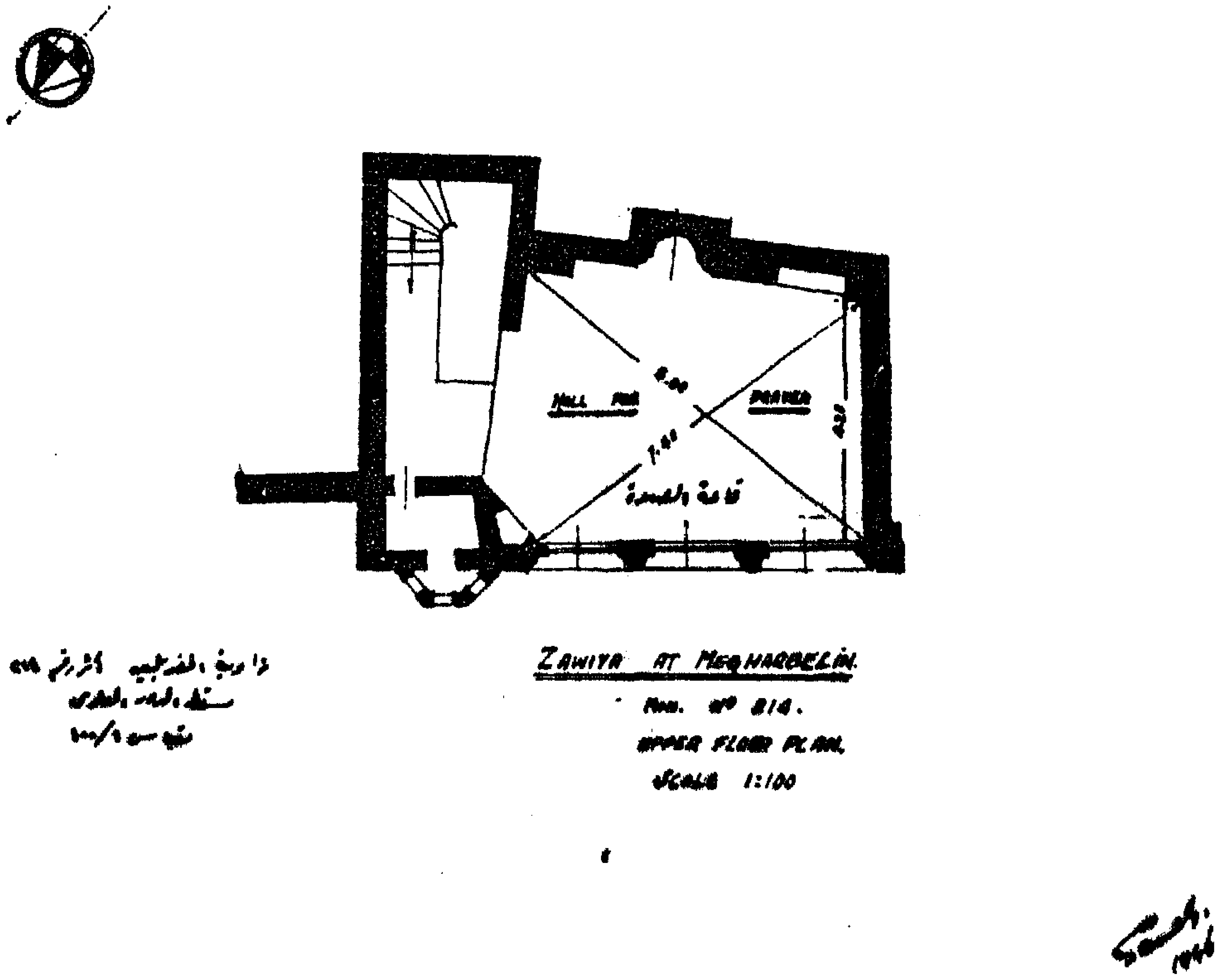

(شكل ١١٢) مسقط الدور الأول لزاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين

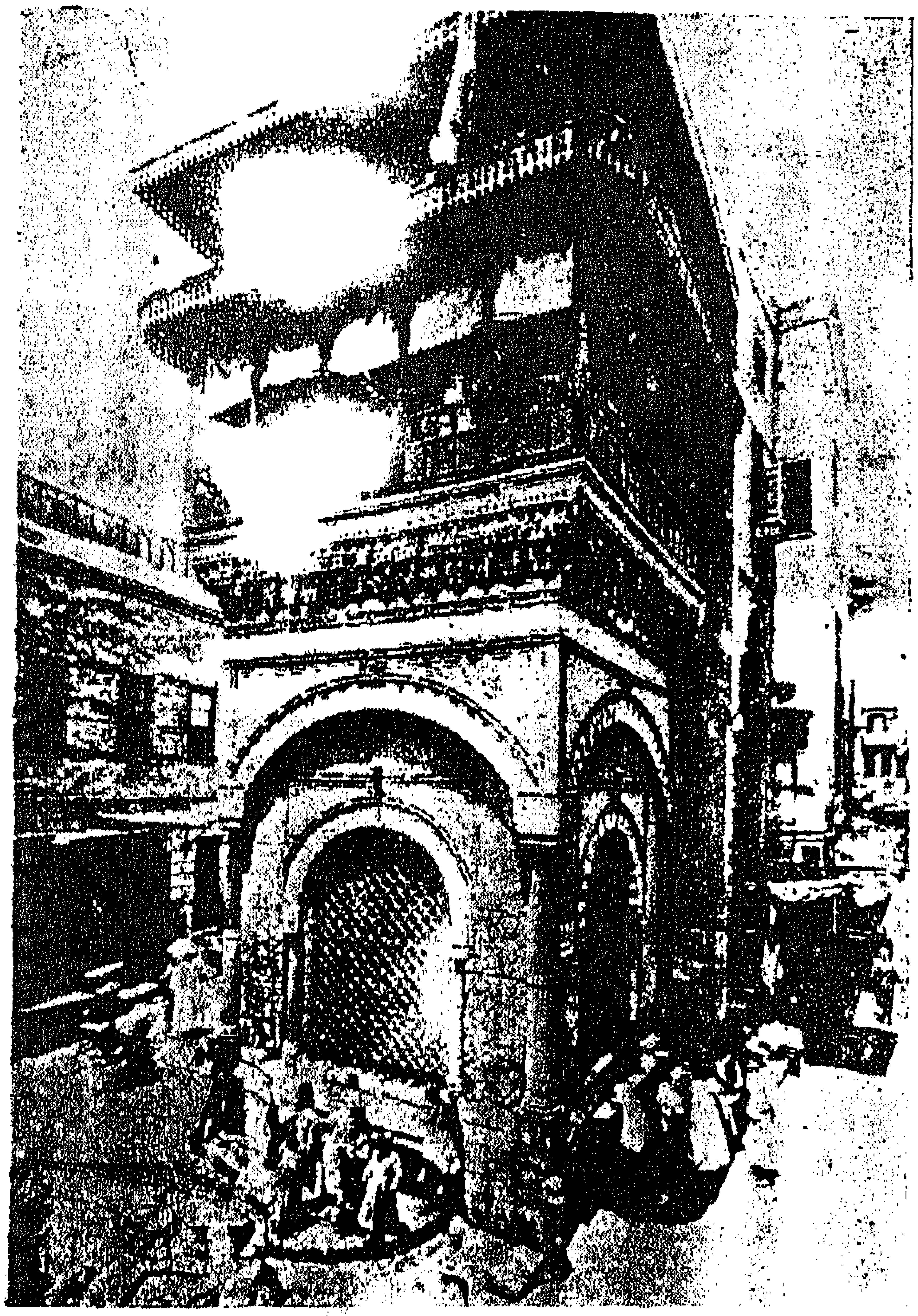

(شكل ١١٣) سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين

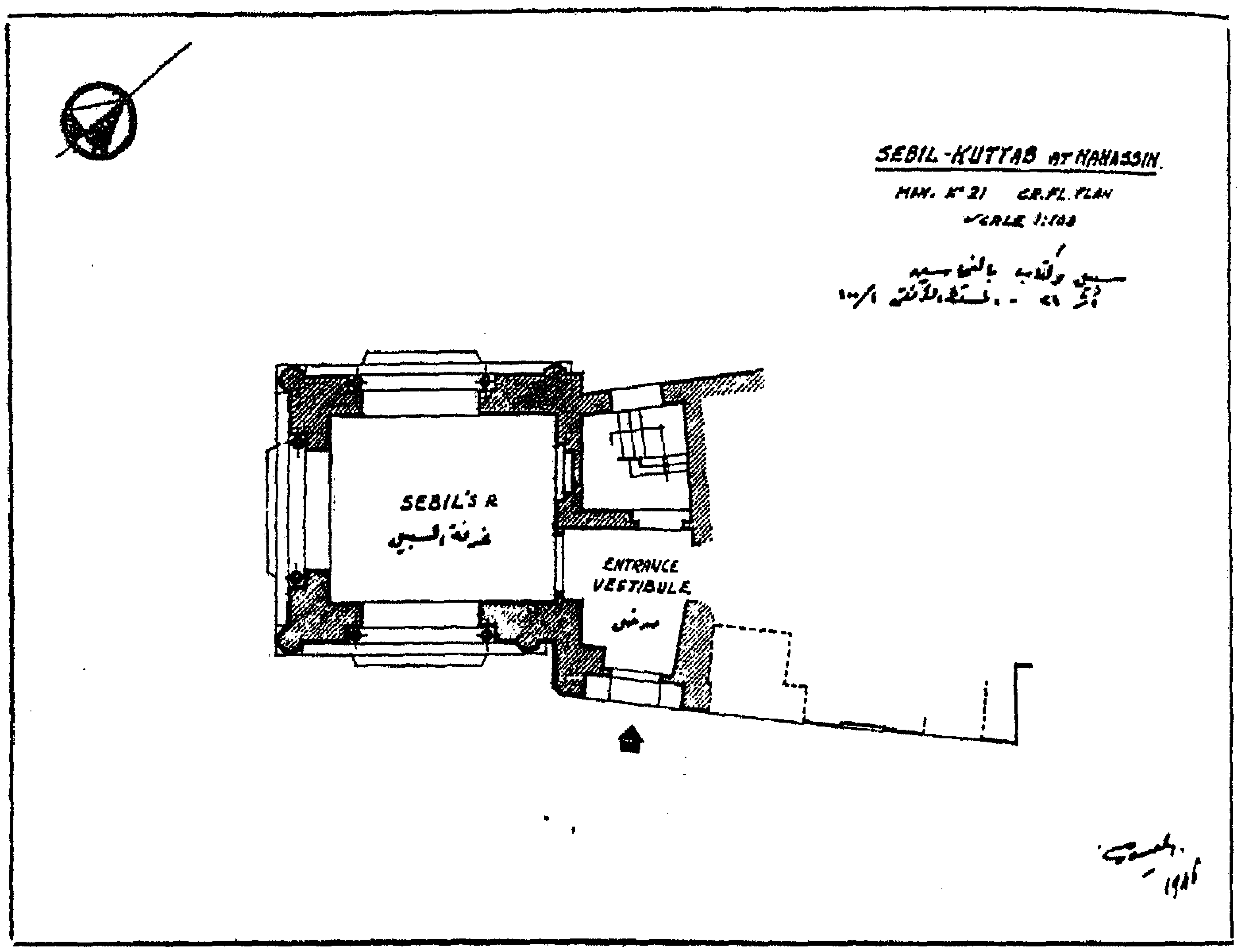

(شكل ١١٤) مسقط الدور الأرضي لسبيل عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين (١٧٤٤ م)

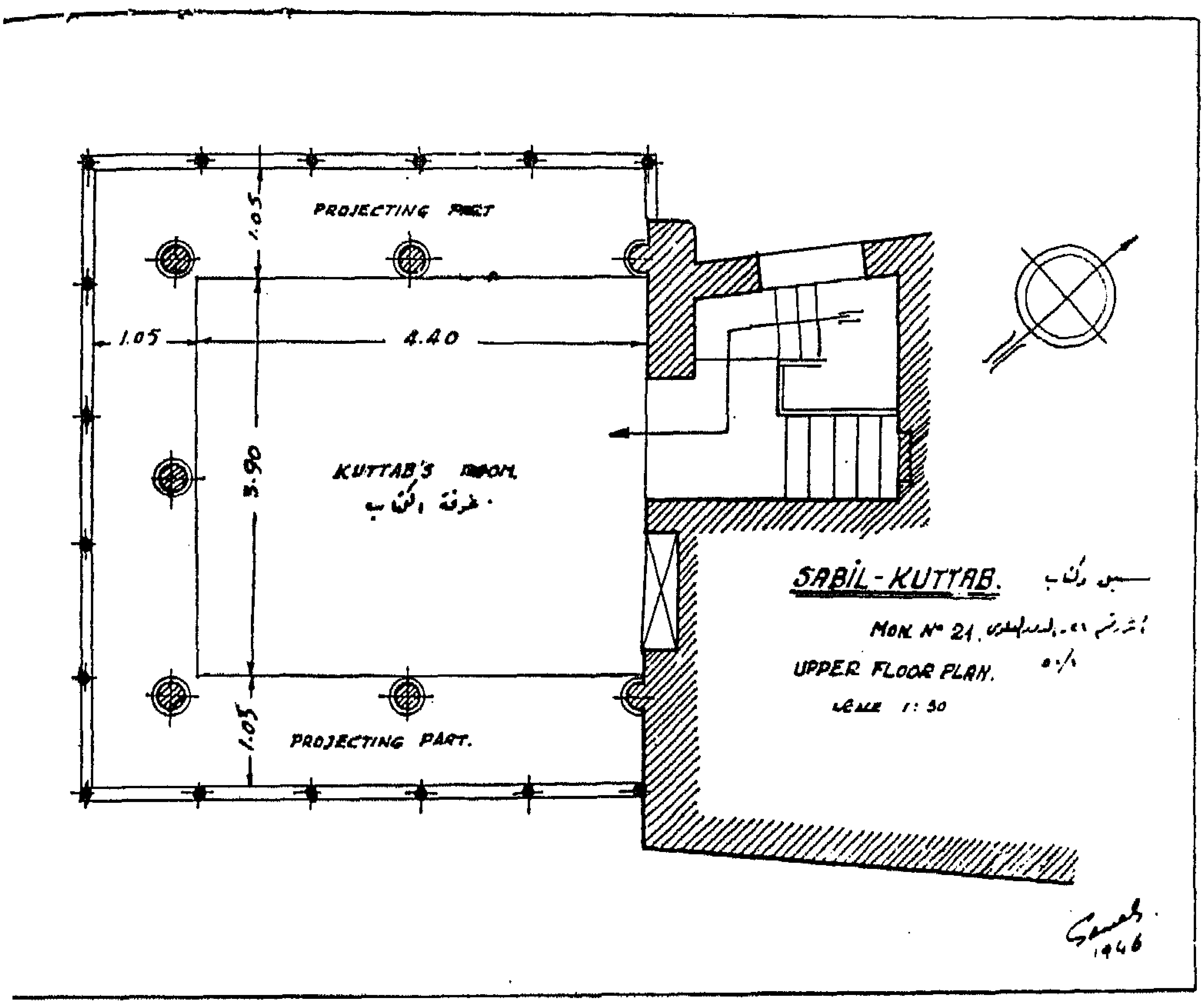

(شكل ١١٥) مسقط الدور الأول لسبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين (١٧٤٤م)

سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين : (١١٥٧هـ ـ ١٧٤٤ م) .

يقع هذا الأثر (رقم ٢١) عند تقاطع شارع المعز لدين الله مع شارع التمبكشية بالنحاسين ، ويعرف بسبيل بين القصرين . والكتابة التاريخية التي تعلو مدخله تثبت أن بانيه هو الأمير عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٥٧هـ ـ ١٧٤٤ م) . وهذه الكتابة التاريخية هي عبارة عن أبيات من الشعر تعطى في نهايتها بعد حل الحروف وحسابها تاريخ الأثر وهي :

هاتف العز بالسعادة نادى
حين أمسى طرف الحسود كليلا
منذ أنشأت ذا السبيل وأضحى
ماؤه السلسبيل يطفى الغليلا
وغدت ألسن القبول تنادى
نلت عبد الرحمن أجرا جزيلا
٥١ ١٢٦
قال كل أرخه ان دعانا
٢٥٣ ١٠٤ ٣٥ ٤٨٥ ١٠٣
ربنا اجعل له النجاة سبيلا
١١٥٧

وقد استعملت هذه الطريقة في حل تاريخ الآثار من الكتابات الموجودة فوق مداخلها وكان أول استعمالها في بلاد الفرس (قبر حافظ ٧٩١) ثم انتقلت بعد ذلك الى تركيا . ونلاحظ أن هناك عدة كتابات تاريخية موجودة بآثار الأمير عبد الرحمن كتخدا ، حلت رموزها بهذه الطريقة والعبارة التاريخية تكون دائما بآخر هذه الأبيات .

ومدخل السبيل من شارع التمبكشية ومنه يصل الانسان الى ردهة صغيرة تقع الى يسارها غرفة السبيل والى يمينها غرفة صغيرة بها بئر . ويقابل المدخل درج يصل الى الطابق العلوى وهو عبارة عن غرفة الكتاب وهي مدرسة صغيرة لتعليم أولاد الفقراء واليتامى القرآن ومبادىء القراءة والكتابة .

والواجهة الخارجية مكونة من ثلاث فتحات كبيرة مخرمة من النحاس وهي عبارة عن عقود مستديرة ومرتكزة على أعمدة من الرخام حلزونية الشكل . وهذه

الفتحات الثلاث موضوعة داخل ثلاثة عقود موتورة ومرتكزة على أربعة أعمدة من الرخام ـ اثنان منها واقعان فى ركنى البناء ، وهذه الأعمدة نصفها العلوى حلزونى والسفلى به تجويفات رأسية ويفصل الجزئين رباط دائرى به زخارف نباتية .

وحائط الواجهة الخارجيه مكون من مداميك من الحجر المتداخل «المعشق» المحلى بزخارف هندسية . والمساحة المحصورة بين النوافذ المستديرة والعقود الخارجية محلاة بزخارف نباتية جميلة . ويعلو عتب المدخل فتحة مستطيلة ، محاطة من جهتيها بشجرة مهدبة وهى مرتكزة على عمودين حلزونيين ، كما يعلو المدخل وما فوقه عقد كبير مكون من ثلاثة فصوص وطاقيته محمولة على مقرنصات .

وسقف الردهة التى تلى المدخل من الخشب ومحلى بزخارف مملوكية جميلة ملونة ذات أشكال نجمية وفى وسطها جزء مربع به دلايات صغيرة جميلة الشكل ولا تزال الألوان باقية على بعض أجزائه . أما غرفة السبيل فهى آية من آيات الفن الاسلامى الجميل فجدرانها معشاة ببلاطات من القيشانى الملون والمحلى بزخارف نباتية . والى يسار الداخل الى غرفة السبيل ، على الجدار الجنوبى الشرقى يوجد على الحائط رسم منظور للكعبة وما حولها مرسومة على القيشانى موضوعة داخل اطار جميل مزخرف بزخارف نباتية . وهذه الصورة تشغل مستطيل من القيشانى يتكون من أثنتى عشرة بلاطة مربعة وثلاث عرضا وأربع طولا . وألوان الصورة هى الأزرق والأخضر والأصفر على أرضية بيضاء وعليها كلمات منها « لا اله الا الله محمد رسول الله ـ مقام على ـ مقام صفا ـ مولود أبا بكر ـ مولود عمر ... » وبأسفل هذه الصورة توجد عبارة مكتوبة بالخط النسخى وهى « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وتحت الكتابة آثار صورة على شكل محراب . وفوق الباب من داخل غرفة السبيل توجد عبارة أخرى بالخط النسخى وهى مكونة من حروف زرقاء على أرضية بيضاء وهى : « يا مفتح الأبواب افتح لنا خير الباب ـ يا مالك الممالك انك انت الباقى وكل شىء هالك » . وسقف غرفة السبيل من الخشب أيضا وبه رحرفة نجمية مملوكية الطراز وفى أركان السقف توجد مقرنصات على شكل المحارة .

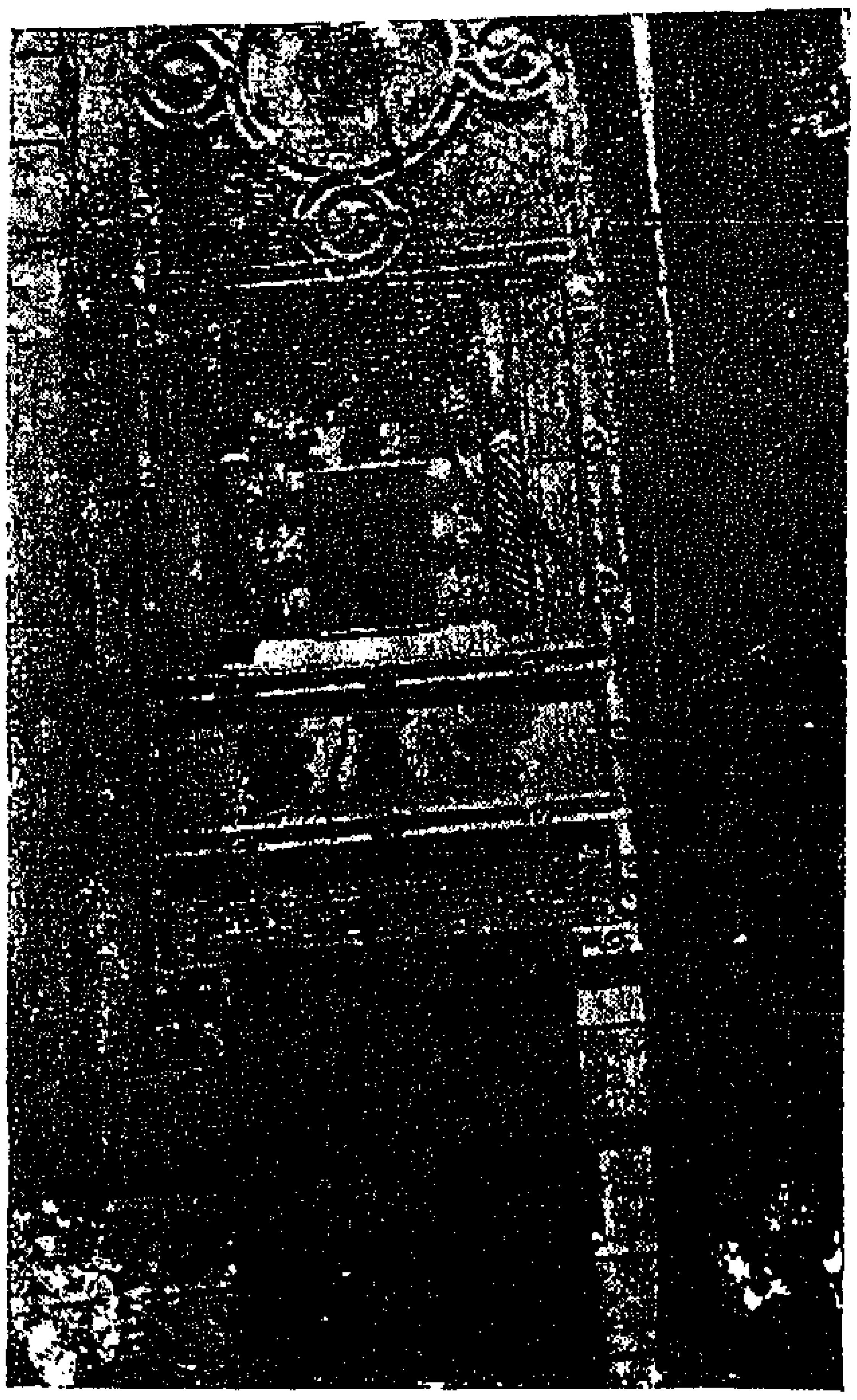

(شكل ١١٦) مدخل سبيل
عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين
(١١٥٧ هـ - ١٧٤٤ م)

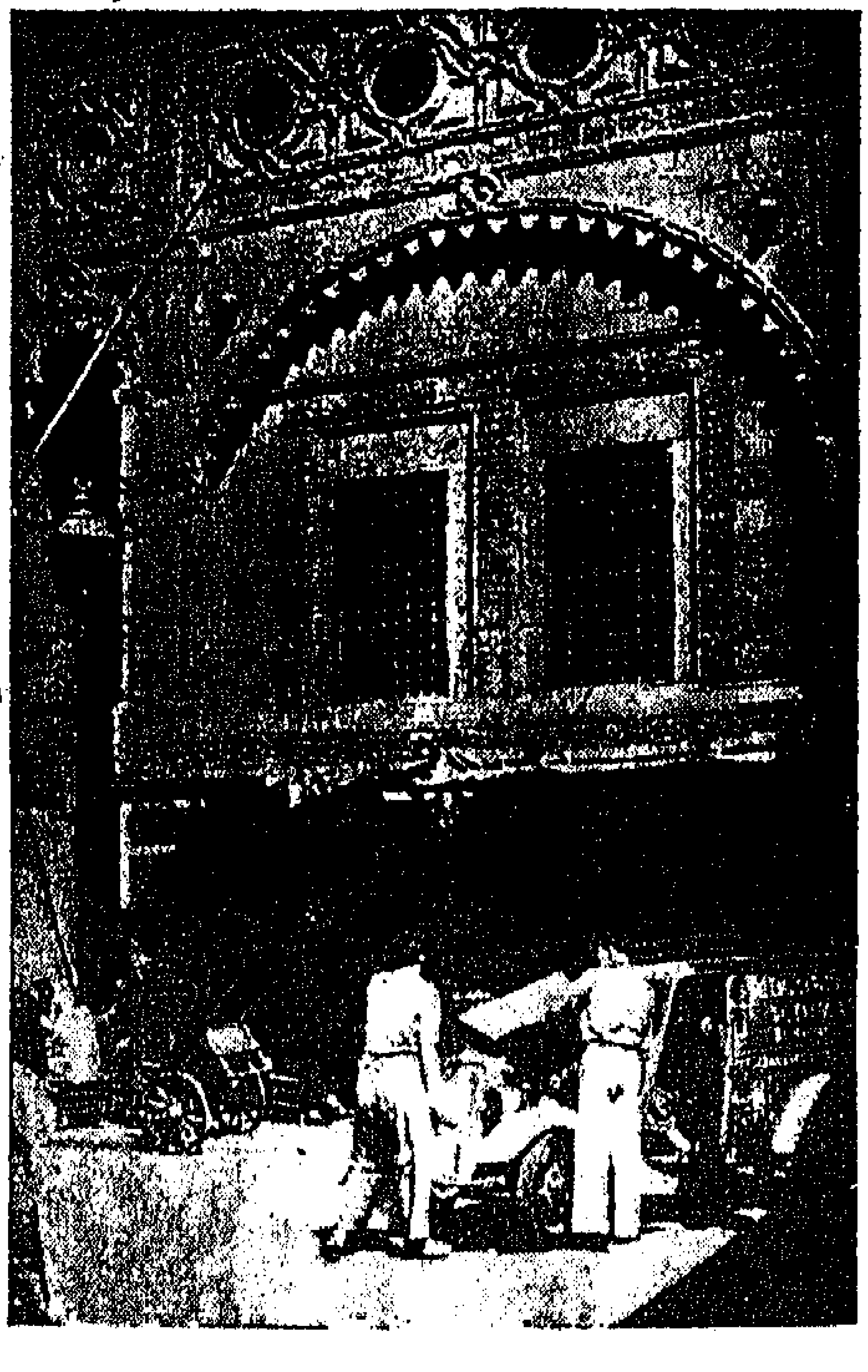

(شكل ١١٧) مسجد الشواذلية
بالموسكى (١١٦٨ هـ)

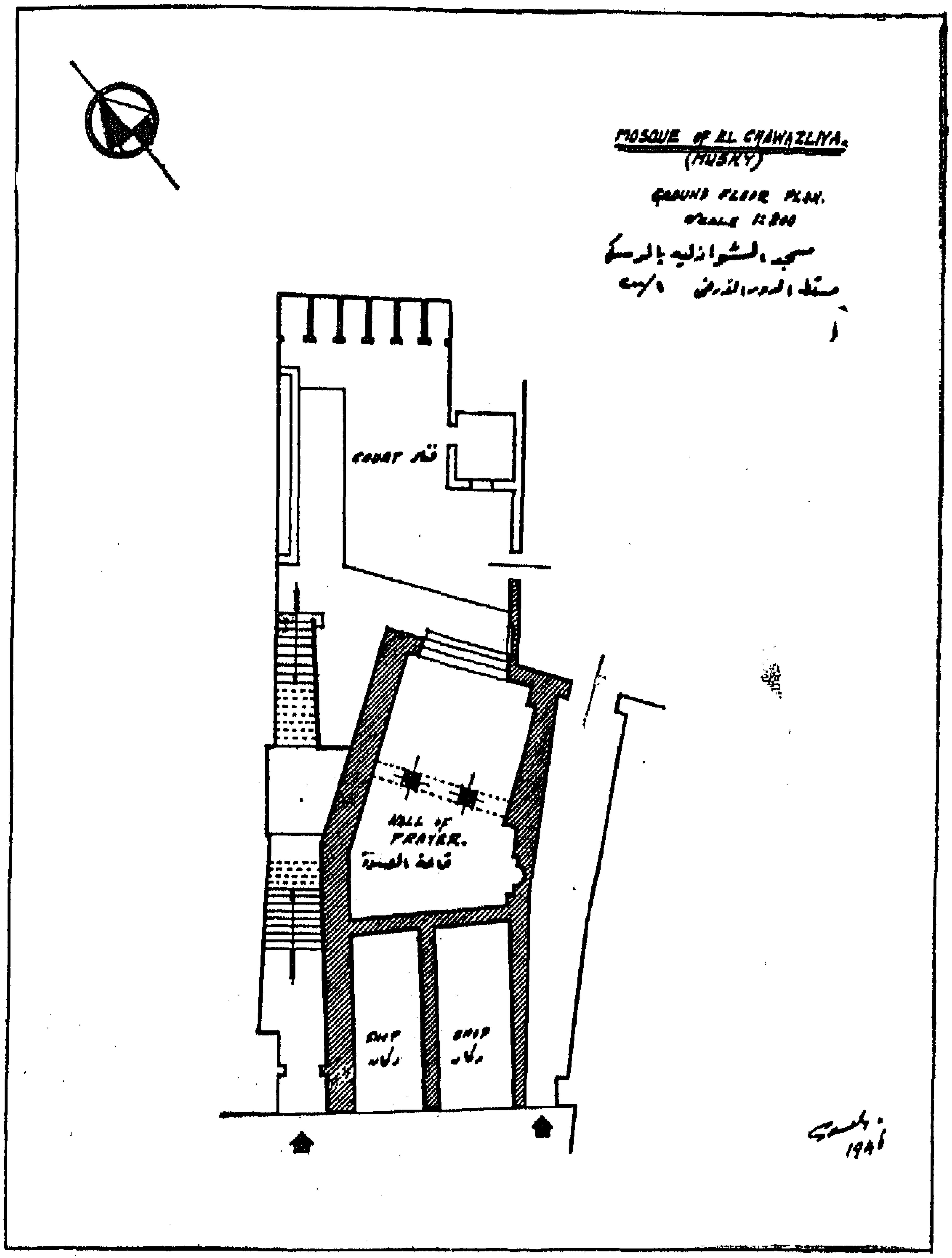

(شكل ١١٨) مسقط أفقى للدور الأرضى لمسجد الشواذلية بالموسكى (١١٦٨ ﻫ)

أما غرفة الكتاب التى تعلو غرفة السبيل فسقفها محمول على ستة عقود مدببة من الحجر وترتكز على أعمدة دورية من الرخام وهى تشبه الأعمدة فى الواجهة الخارجية وهذه العقود مدببة وعلى شكل حدوة الفرس وتبرز عن الغرفة شرفه ذات أعمدة مستواها أعلى من أرضية الغرفة وهى محاطة بعقود مستديرة ومرتكزة على أعمدة رفيعة من الخشب ولها سور من خشب الخرط الجميل • وتحمل الشرفة من الخارج كوابيل من المقرنصات ــ أما جدار غرفة الكتاب فهو من الحجر النحيت موضوع فى مداميك أفقية •

مسجد الشواذلية : (١١٦٨ هـ) •

يقع هذا الأثر (رقم ٤٠) بشارع الشواذلية رقم (٧) وهو شارع مواز لشارع الموسكى الى يسار الداخل اليه من « ميدان العتبة » • وهو من أعمال الأمير عبد الرحمن كتخدا أيضا وتوجد عبارة تاريخية فوق مدخله الرئيسى مؤرخة بعام ١١٦٨ هـ وهذا نصها :

٢٤

سما مسجد والفوز أرخه حوى

٦٣١ ٩٦ ٣٠٩ ١٠٨

فاتقن عبدك يا رحمن مسجدا

١١٦٨

ويتكون هذا المسجد من طابقين وتكاد تكون الواجهة الخارجية متماثلة تماما من حيث الشكل لولا أن المئذنة تعلو جانبها الأيسر • والمدخل مغطى بقبو متقاطع ومحاط به من الخارج بعقد ذى فصوص ويماثل هذا المدخل من الجهة اليمنى مدخل آخر ثانوى محاط بعقد ذى فصوص أيضا • وبين هذين العقدين عقد موتور بداخله نافذتان مستطيلتان بالطابق العلوى • وهذا العقد محمول على عمودين متصلين ويحيط به اطار مزخرف بزخارف نباتية منقوشة نقشا غاية فى الابداع • ويعلو الواجهة أربع نوافذ مستديرة ومن كلتا جهتيها قرصان مسبديران وفى نهاية الواجهة من أعلا خط مستقيم من الشرافات النباتيه الجميله التى تزيد فى جمال المسجد ، والمئذنة من طراز المآذن التى بناها عبد الرحمن كتخدا فى معظم منشئاته •

ويلى المدخل الرئيسى درج يصل منه الانسان الى الطابق العلوى وبه مكان الصلاة الرئيسى وبه المنبر • وبالنزول من هذا الدرج من الجهة الأخرى نجد فناء به الميضأة — وهذا الفناء له مدخل آخر عن طريق دهليز ضيق موصل الى مدخل المسجد الثانوى (الأيمن فى الواجهة الرئيسية) •

ويحمل سقف قاعة الصلاة العلوية عمودان • والى يسار مدخلها سلم صغير يوصل الى « دكة » المبلغ وبجوار المحراب منبر من الخشب من عمل عبد الرحمن كتخدا ، وتوجد نافذتان مستطيلتان فوقهما أربع أخرى مستديرة وصغيرة وعليها خشب من نوع « الخرط » الجميل وهى تشرف على الشارع وقد سبق شرحها فى وصف الواجهة ويساعد على اضاءة القاعة وجود نافذتين تفتحان على فناء الميضأة • والى يمين المنبر بابان الأول يفتح على درج يوصل للمئذنة والثانى يفتح على غرفة صغيرة لها نافذة فوق المدخل الأيمن للواجهة الرئيسية •

وفى الطابق الأرضى خلف الحانوتين الخارجيين وتحت قاعة الصلاة العلوية توجد قاعة أخرى ثانوية تستخدم للصلاة فى الأيام العادية (عدا يوم الجمعة) وبها عمودان من الرخام غير متساويين فى القطر موضوعين فى صف عمودى على حائط القبلة ويحملان سقف هذه القاعة الصغيرة • وقد اختلف علماء الآثار فى تاريخ هذا المسجد فقد أرخه هرتز بك بعام ١٦٢٨ — وبديكر ١٦٣٠ ، وسلادين ١٦٢٨ ، ومسز ديفونشير ١٧٩٠ : وادموند يوتى ١٧٥٤ بينما نرى الكتابة التاريخية فوق المدخل قد أثبتت أن تاريخ هذا المسجد هو عام (١١٦٨ هـ — ١٧٥٤ م) •

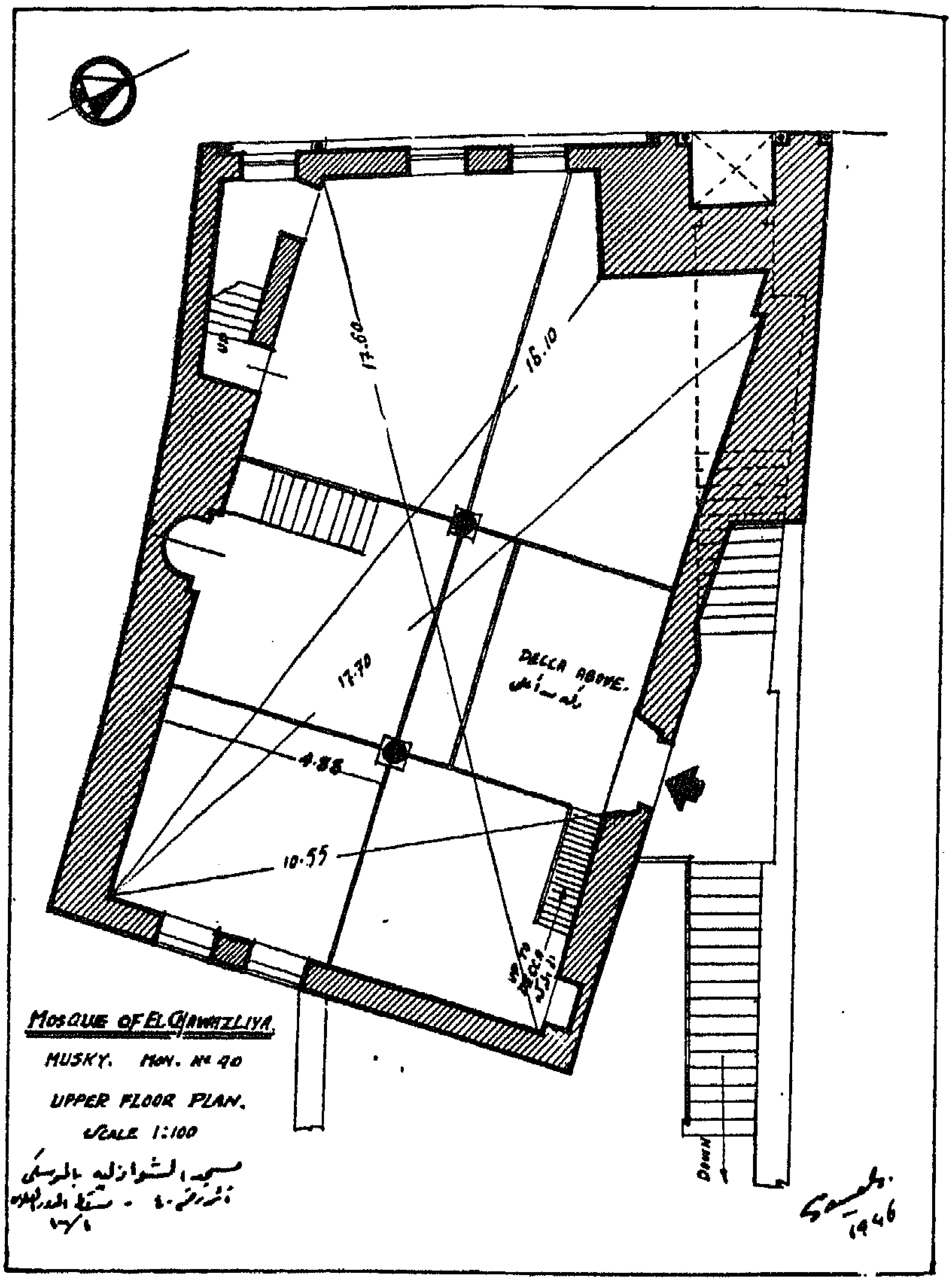

(شكل ١١٩) مسقط أفقى للدور الأول لمسجد الشواذلية بالموسكى (١١٦٨ هـ)

العمارة الاسلامية فى مصر منذ عصر محمد على

استمر تأثير العمارة التركية على أساليب العمارة فى عصر محمد على وأتباعه كما ظهر تأثير طراز « الروكوكو » فى كثير من المبانى التى ظهرت فى ذلك العصر وهو طراز معمارى ظهر فى أوربا فى القرن السابع عشر وله أساليب ومميزات معمارية خاصة • ومن أهم المساجد التى ظهرت مسجد محمد على بالقلعة ومسجد الرفاعى سيدان صلاح الدين • هذا عدا الأسبلة والقصور كقصر الجوهرة بالقلعة وقصر محمد على بشبرا •

أما فى القرن العشرين فقد ظهرت عدة مساجد أنشأتها وزارة الأوقاف وهى تجمع بين البساطة والجمال كمسجد عمر مكرم بميدان التحرير ومسجد الزمالك أمام كوبرى الزمالك فى مدينة القاهرة وكمسجد ابراهيم بمحطة الرمل بالاسكندرية •

مسجد محمد على بالقلعة :

ولد محمد على سنة (١١٨٢هـ ــ ١٧٦٨م) • بمدينة قولة من ثغور مقدونية ، وقد ولى مصر فى سنة (١٢٢٠ هـ ــ ١٨٠٥ م) •

وكان الشروع فى انشاء هذا المسجد فى سنة (١٢٤٦ هـ ــ ١٨٣٠م) واستمر العمل سائرا فيه بلا انقطاع حتى توفى محمد على فى سنة (١٢٦٥هـ ــ ١٨٤٨م) فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل هذا المسجد ثم أمر عباس « باشا » الأول باتمامه فى سنة (١٢٦٤ هـ ــ ١٨٤٨م) • وقد عنى اسماعيل « باشا » باصلاحه فى سنة ١٢٨٠هـ ــ ١٨٦٣ م) • ثم توفيق « باشا » فى سنة (١٢٩٦هـ ــ ١٨٧٩م) • فأمر باصلاح رخام الصحن •

وفى سنة ١٩٣١ فى عهد الملك فؤاد تكونت لجنة من كبار المهندسين الوطنيين والأجانب لفحص المسجد ووضع مشروع لاصلاحه فقررت ازالة قبته الكبيرة وما حولها من أنصاف القباب وقباب صغيرة وقررت اعادة بنائها بعد عمل شدة وهى هيكل من الصلب المجمع . وقد بدىء العمل فيها فى سنة ١٩٣٥ م . وقد بلغت تكاليف أعمال الهدم والبناء ستين ألفا من الجنيهات ونفقات البياض والزخرفة والتذهيب أربعين ألفا فجاء من أجل الأعمال المعمارية التى عملت فى مصر .

ويمتاز مسـجد محمد على بتأثير الفن البيزنطى على تصميمه ويتكون رواق الصلاة فيه من منطقة مربعة تعلوها قبة محمولة على أربعة مثلثات كروية . يحيط بها من أربعة جهات أربعة أنصاف قباب ـ وتوجد فى الأركان منـاطق مربعـة صغيرة تعلوها قباب أيضـا ويرى تأثير تصميم كنيسة أيا صـوفيا على تخطيط المسجد ، ويعلو ركنى الحائط المقابل لحائط القبلة مئذنتان رفيعتان من الطراز التركى .

ويتقدم رواق الصلاة صحن يتوسطه ميضأة ومحاط من جهـاته الأربعـة بصفوف من العقود يفصلها عن الحائط ممر به مناطق مربعة تعلوها قباب منخفضة ويفصلها عن بعضها عقود نصف دائرية ، كما أن الواجهتين المجاورتين لجـانبى رواق القبلة يتكونان من ممرين بهما مناطق مربعة تعلوهما قباب منخفضة أيضـا ويتوسط الصحن الميضاة وهى تشبه مثيلاتها فى المساجد التركية . وقد أهدى الملك لويس فيليب للمسجد ساعة تذكارية موجودة فى منتصف البائكة الشمالية الغربية المطلة على الصحن الواقعة على محور المسجد .

مسجد الرفاعى بميدان صلاح الدين : (١٨٦٩ ـ ١٩١٢ م) .

أنشأت هذا المسجد السيدة خوشيار هانم والدة الخديوى اسماعيل ليكون مسجدا كبيرا ومدفنا لها ولأفراد أسرتها . ويقع هذا المسجد فى مواجهة مدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين بالقلعة .

وقد تمت عمارة المسجد فى سنة ١٩١٢ م . وعقب وفاة منشئته دفنت فيه فى سنة ١٨٨٥ م كما دفن فيه أيضا كثير من أفراد أسرتها من الرجال والنساء ومنهم الخديوى اسماعيل والسلطان حسين كامل والملك فؤاد .

هذا وقد نجح مهندس المسجد فى الربط بينه وبين مدرسة السلطان حسن بجعلهما وحدة معمارية فيها توازن وانسجام بالنسبة للضخامة والارتفاع .

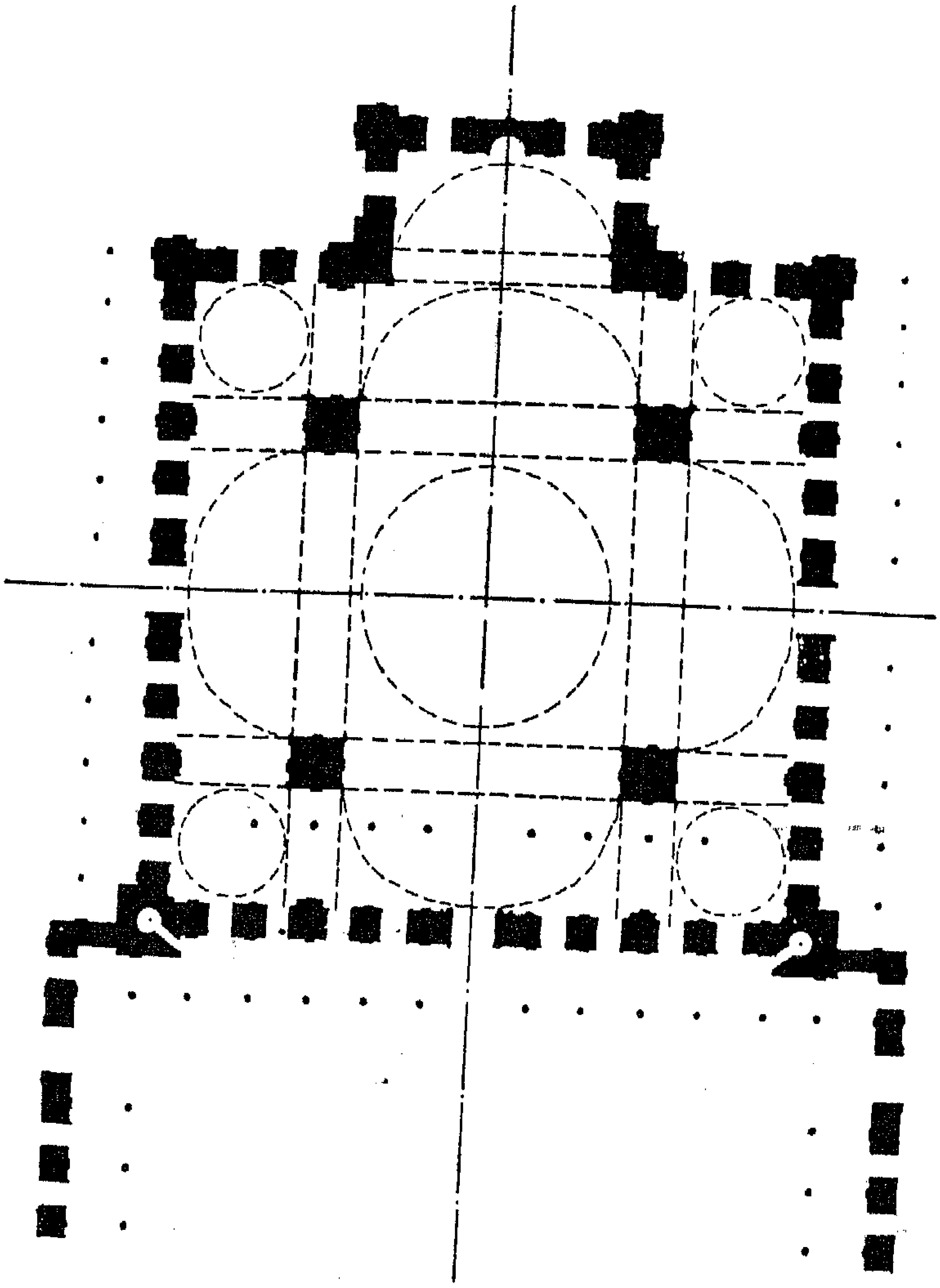

(شكل ١٢٠) تخطيط مسجد محمد على بالقلعة بالقاهرة

(شكل ١٢١) واجهة خلفية
لمسجد محمد على بالقلعة بالقاهرة

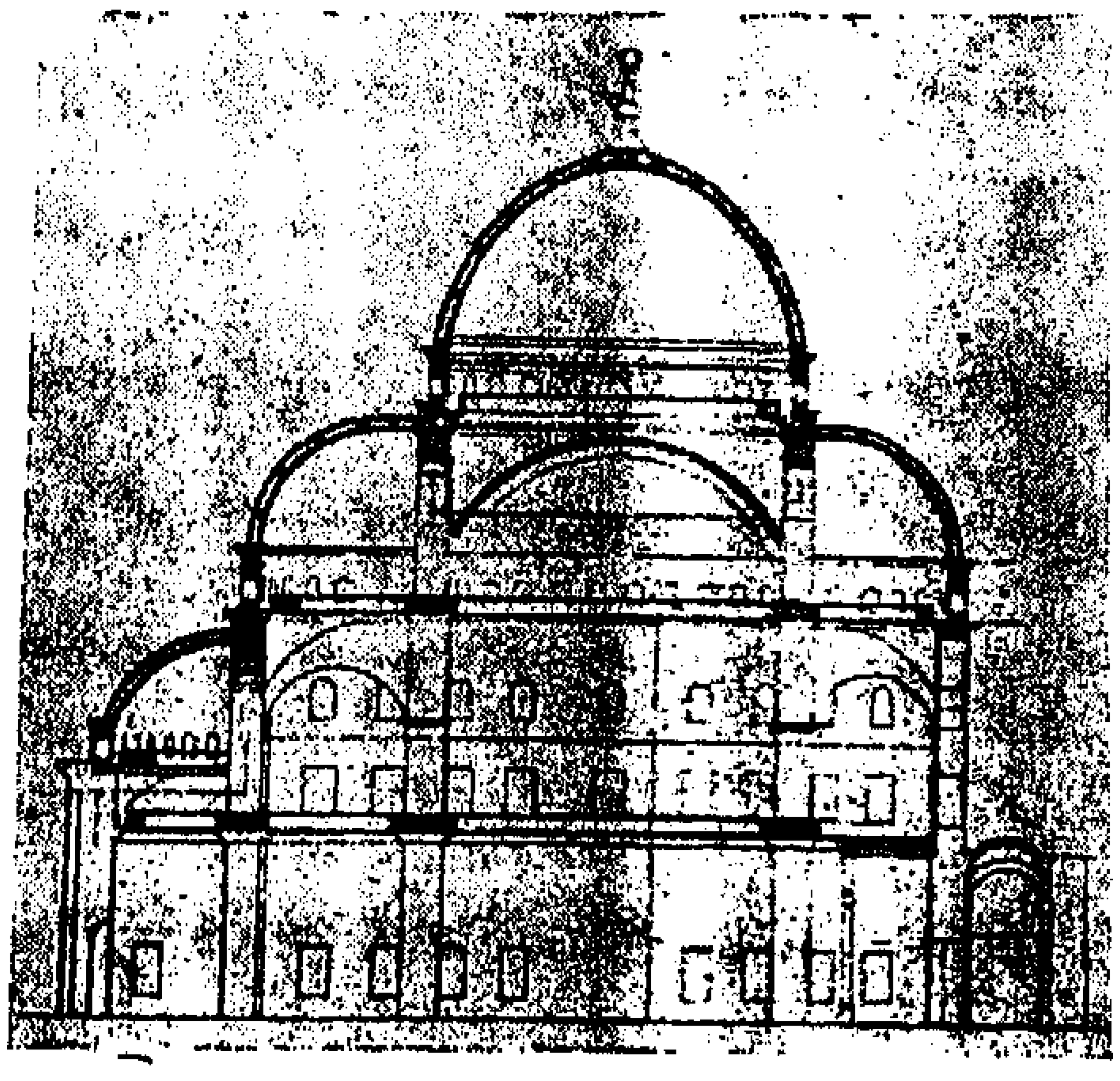

(شكل ١٢٢) قطاع رأسى
لمسجد محمد على بالقلعة

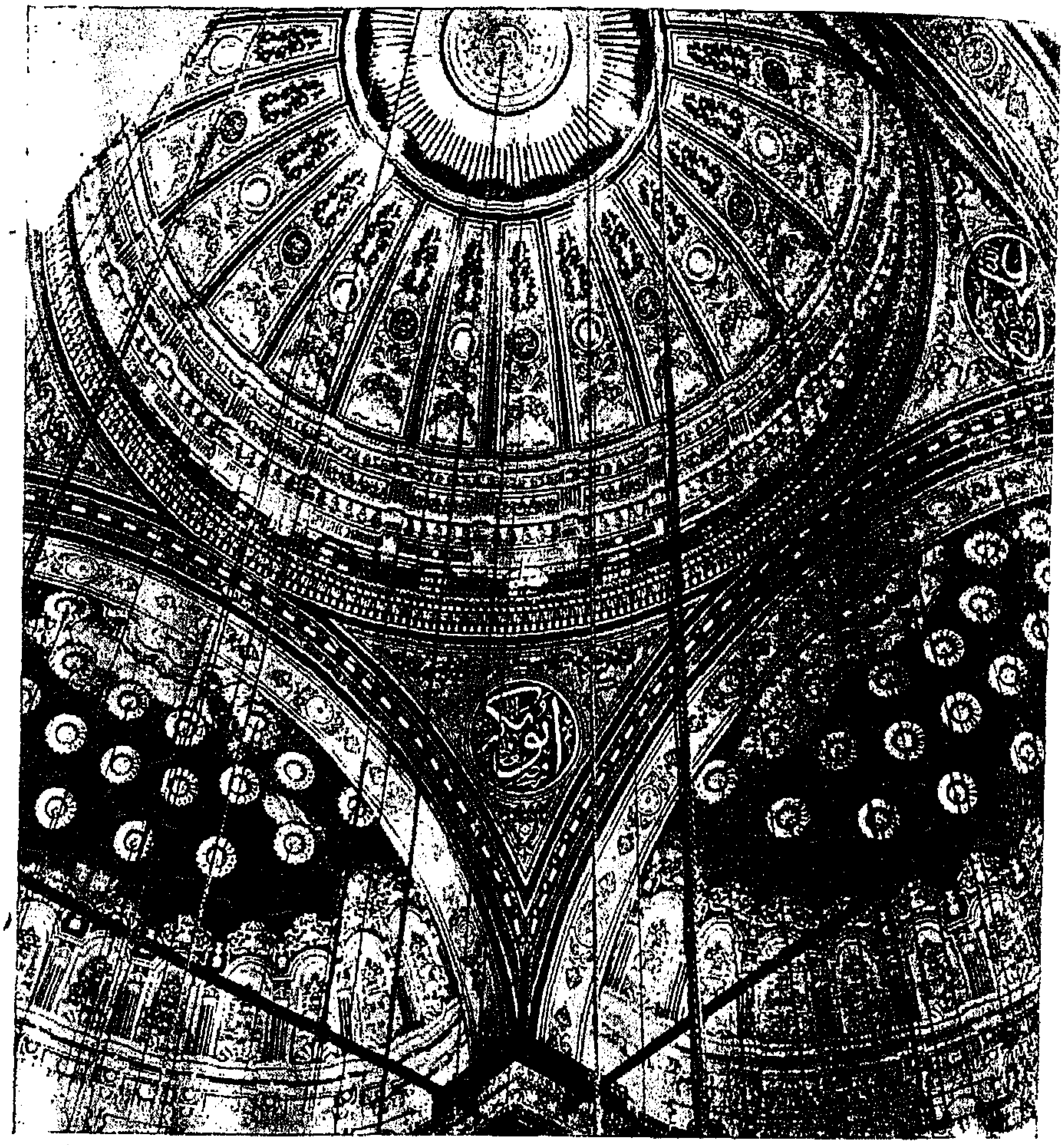

(شكل ١٢٣) جزء من سقف مسجد محمد على الكبير بالقلعة (أثر رقم ٥٠٣) ١٢٦٥ هـ-١٨٤٨م

(شكل ١٢٤) برج الساعة بمسجد محمد على الكبير بالقلعة (١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م)

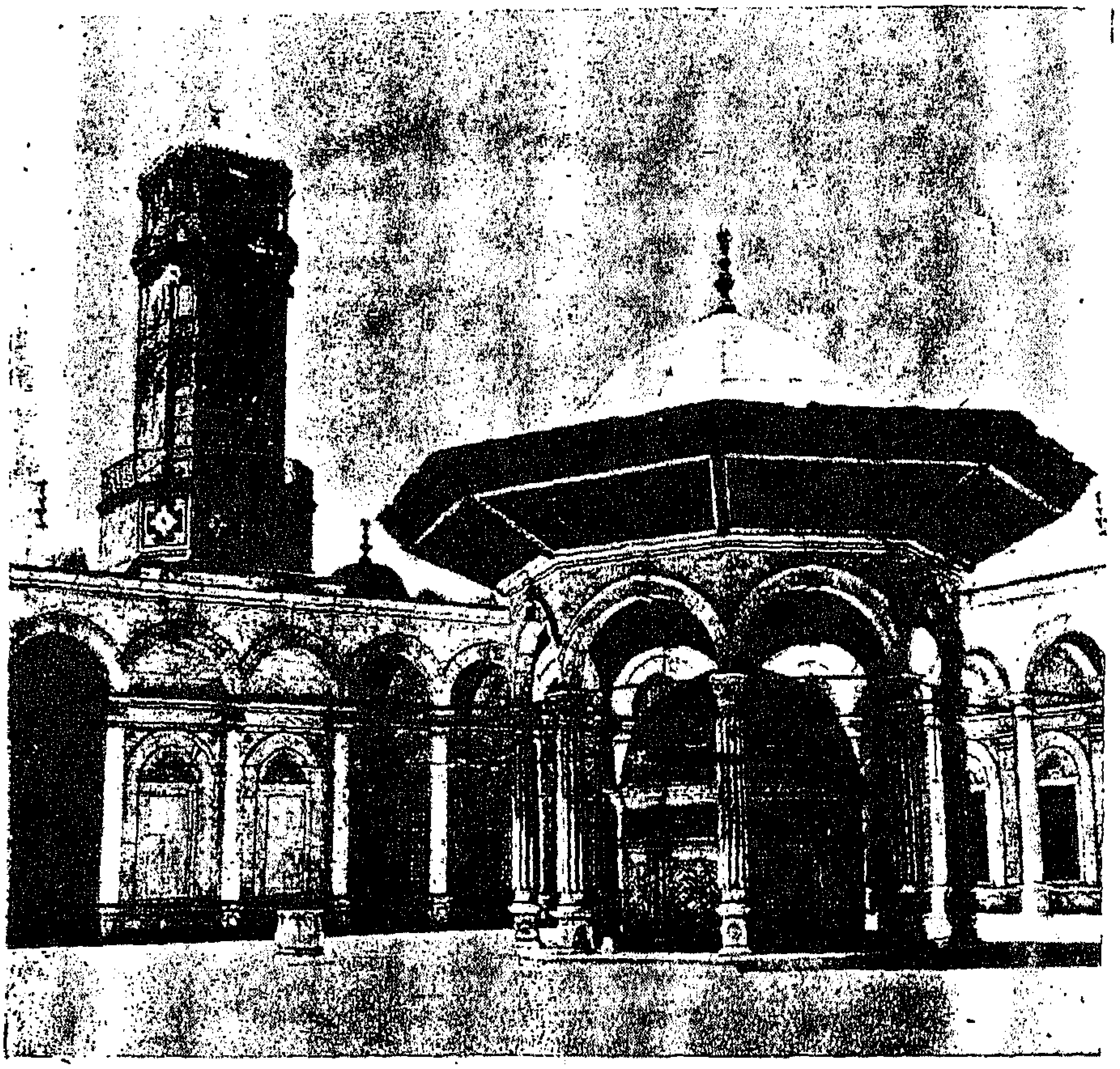

(شكل ١٢٥) قبة الميضاه وبرج الساعة بمسجد محمد على الكبير بالقلعة أثر رقم ٥٠٣ (١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م) .

الباب الثالث

الدور والقصور في مصر
من الفتح الاسلامي حتى بداية عصر المماليك

أسفرت الحفائر التى قامت بها بعض الهيئات العلمية فى مصر عن كشف أطلال بعض بيوت قديمة لوحظ فى تصميمها ملاءمتها لجو البلاد وللعادات الشرقية فكفلت بذلك حرمة الدار وجعلت من بخارجها لا يستطيع رؤية من بداخلها كما كان فى معظمها فسقية وحديقة .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن بيوت الفسطاط عند زيارتهم لها كانت مكونة من عدة طبقات ــ فقد كان معظمها مكونا من خمس وست وسبع طبقات ــ وربما سكن فى الدار الواحدة المئتان من الناس .ويذكر ابن دقماق أن خارجة بن حذافة قائد عمرو بن العاص كان قد بنى لنفسه أول غرفة فوق الطابق الأرضى . وعندما سمع الخليفة عمر بن الخطاب بذلك كتب الى عمرو بن العاص يقول له أنها انما أنشئت لتكون عينا على جيرانه فأمر بهدمها .

ومن أهم الدور التى شيدت منذ الفتح الاسلامى فى مصر دار عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط (٢١ هـ) وكانت تقع على بعد حوالى أربعة أمتار عن الجانب الشمالى الشرقى لجامعه المعروف . ثم دار عبد العزيز بن مروان الذى كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك الخليفة الأموى ، وكانت تعلوه قبة مذهبة . وكانت هذه الدار فسيحة جدا حتى سميت بالمدينة كما أطلق عليها اسم « القصر الذهبى » ، وأصبحت دارا للامارة حتى دمرها الحريق الذى سببه مروان الثانى أثناء هربه اذ أنشأ صالح بن على (١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م) قصرا جديدا فى مدينة

العسكر الى الشمال من مدينة الفسطاط بالقرب من جبل يشكر ــ واستمرت الدار الجديدة مقرا للحكم حتى أنشأ أحمد بن طولون قصر الميدان فى سنة (٢٥٧ هـ ــ ٨٧١ م) .

ولنشأة أحمد بن طولون فى العراق تأثير فى أخذ الفن الطولونى كل أصوله عن الفن العراقى ويعتبر أول مرحلة جميلة واضحة فى تاريخ الفن الاسلامى فى مصر ــ فله صفاته ومميزاته ــ وقد استطاع بنو طولون أن يتخذوا لأنفسهم بلاطا ينافس بلاط الخليفة فى سامرا ــ وقد أطلق على القصر وميدان لعب الصوالجة اسم « الميدان » وكان موقعه تحت الصخرة التى أقيمت فوقها قلعة صلاح الدين «ميدان الرميلة» ــ وفى الجهة الجنوبية الشرقية من القصر كانت تقع دار امارة أحمد بن طولون ــ وكانت ملاصقة لحائط القبلة لمسجد بن طولون . ولها باب يفتح على المسجد ومنه يدخل أحمد بن طولون مباشرة الى المقصورة الواقعة الى يسار المنبر . وكان لقصر أحمد بن طولون تسعة أبواب منها باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش : وباب الصوالجة وباب الخاصة وباب الحرم وباب الدرمون وباب دعناج وباب السماج وباب الصلاة وكان يطلق عليه أحيانا باب السباع وله ثلاثة أبواب معقودة . وكان اذا خرج منه أحمد بن طولون ممتطيا جواده وهو على رأس جيشه ــ مر من الباب الأوسط ومر الجيش من البابين الجانبيين ــ ويعلو باب السباع مجلس يشرف منه أحمد بن طولون ليلة العيد على القطائع وعلى باب مدينة الفسطاط .

ولقد قلد ابن طولون سامرا فيما اتخذه لقصره من ميدان كبير للعب الصوالجة اذ وجد مثل هذا الميدان قبل ذلك فى قصر الخليفة المعتصم « الجوسق الخاقانى » فى سامرا .

ومن أهم الدور بعد ذلك بيت وبستان خمارويه ، فقد زاد خمارويه فى قصر ابن طولون كما حول الميدان الى بستان زرع فيه أنواع الورد والرياحين وأصناف الشجر والنخيل مقلدا فى ذلك حدائق سامرا كما غرس الشجر المطعم فى بستانه وبنى برجا من خشب الساج ثم كسا النخل بالنحاس المذهب .. ويحدثنا

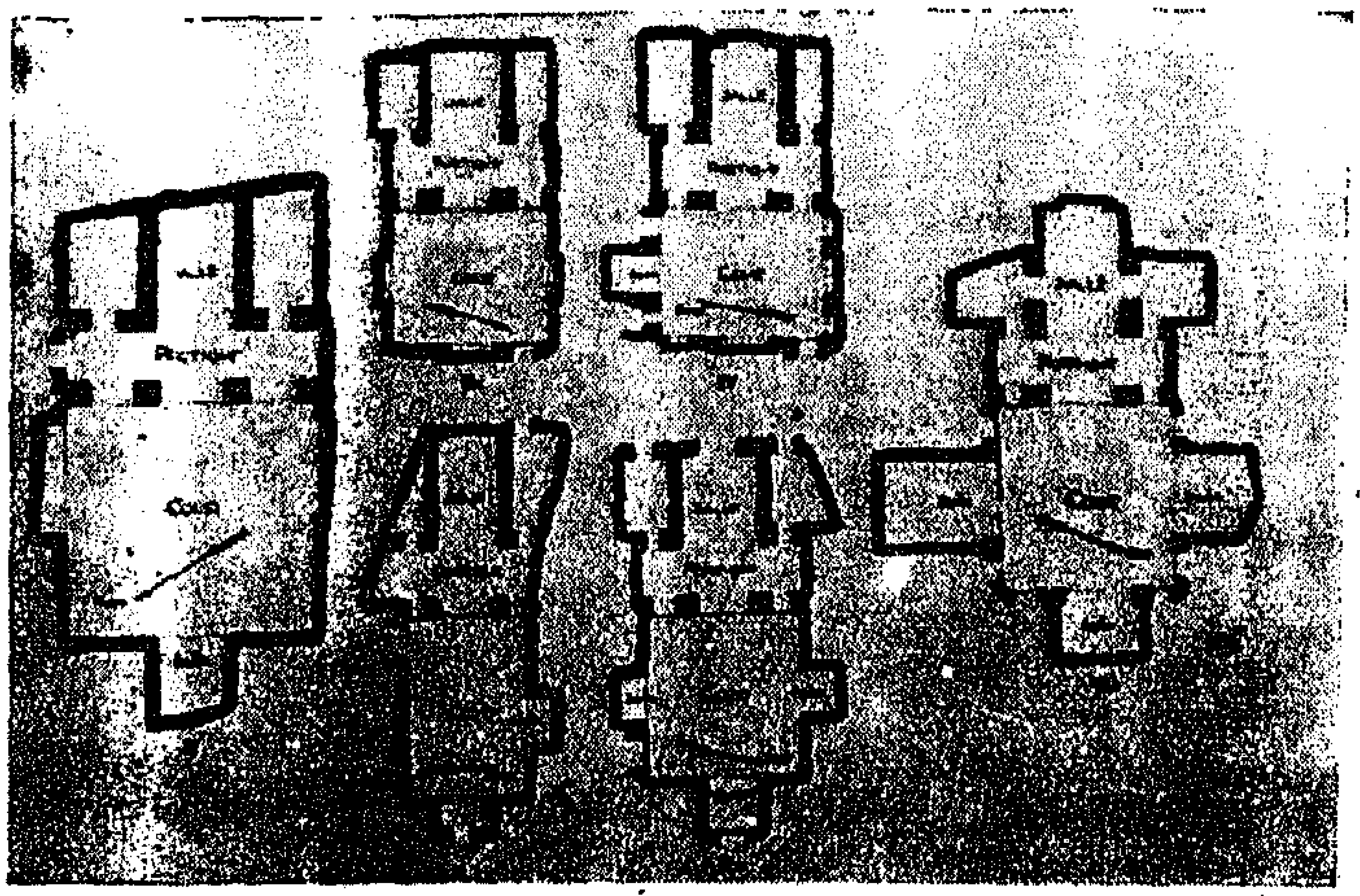

(شكل ١٢٦) مجموعة من المساقط الأفقية تبين نظام البيوت الطولونية التى كشفت عنها حفريات الفسطاط
(عن بهجت وجابرييل)

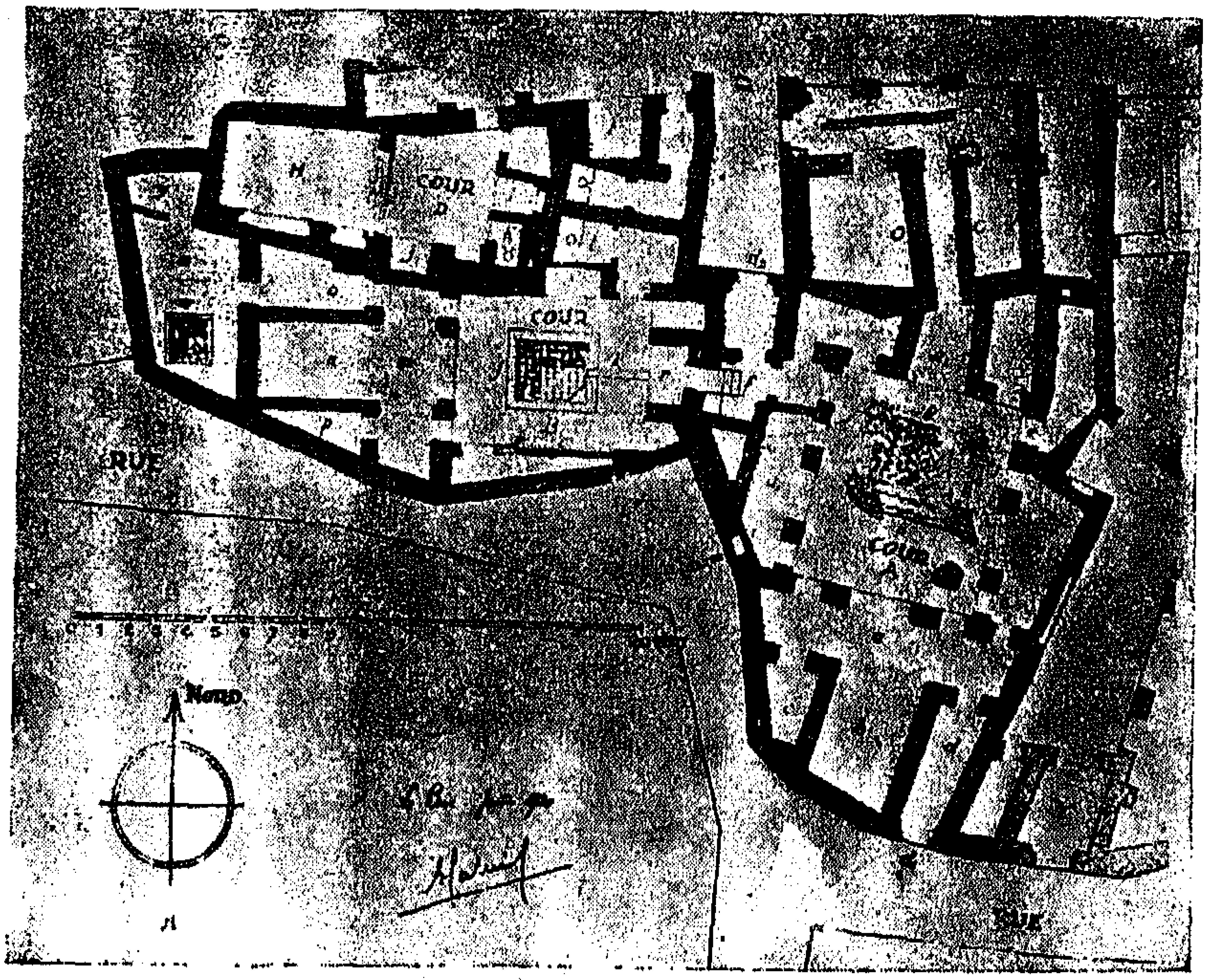

(شكل ١٢٧) إحدى المجموعات التى كشفت عنها حفريات الفسطاط

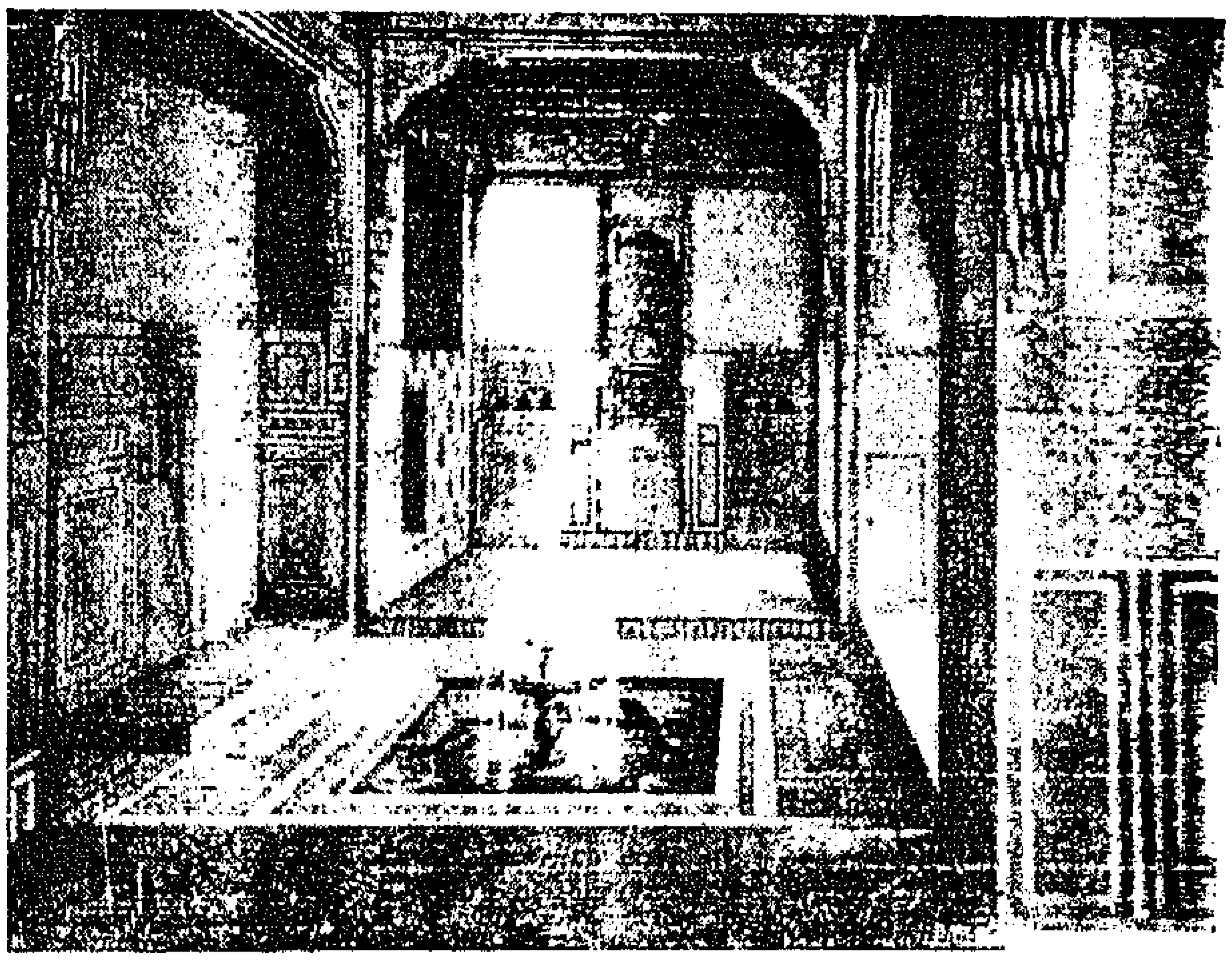

(شكل ٢[illegible]) مندرة - وفي وسطها [illegible] (عن بريس دافن

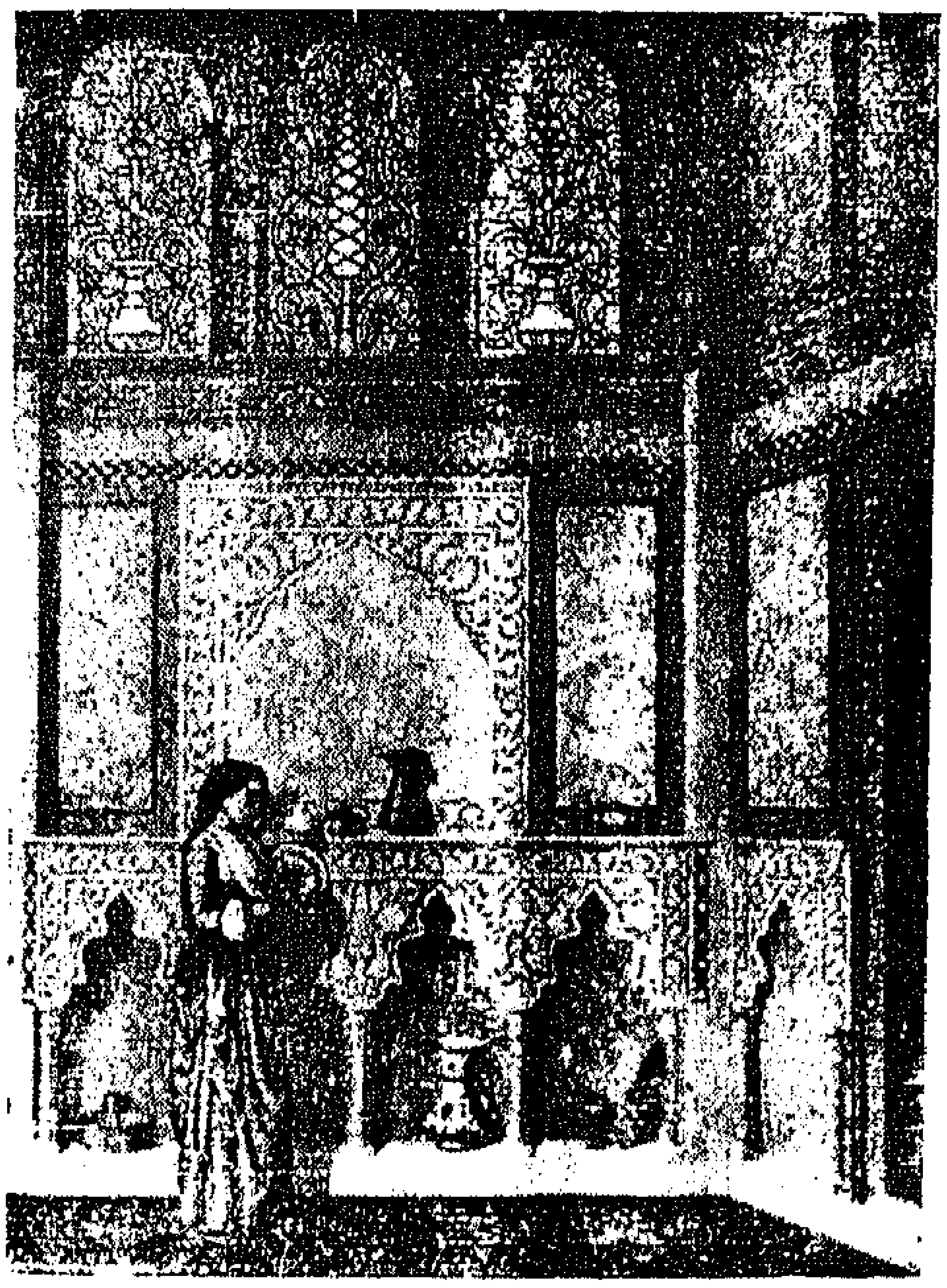

(شكل ٢٩) منظر صفة في
قاعة [illegible] (عن بريس دافن)

المقريزى أنه جعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وقد أجرى فيها الماء فكان يخرج من قائم النخل وينحدر الى فساقى يفيض منها الماء الى جداول تسقى سائر البستان •

وقد غرس خمارويه فى بستانه الريحان على شكل نقوش وكتابات وسرح فيه أصناف الطيور ذات الأصوات الجميلة النادرة الوجود — كما شيد خمارويه فى داره مجلسا سماه بيت الذهب — ويذكر المقريزى أن حوائطه كانت مطلية بالذهب ومحلاة بنقوش اللازورد — كما جعل فيه صورا بارزة من الخشب تمثل نساء برؤوسهن أكاليل من الذهب المرصع بالجواهر — كما يذكر أيضا أن خمارويه قد أنشأ فى داره فسقية ملأها زئبقا وكان منظرها عجيبا فى ضوء القمر وقد أقامها لمعالجة الأرق الذى كان يشكو منه •

وقد أنشأ خمارويه فى داره أيضا دارا للسباع ومن بينها سبع أزرق العينين يقال له « زريق » وقد آنس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا •

وقد كشفت حفائر دار الآثار العربية فى صيف ١٩٣٢ فى مدينة الفسطاط بالتلال المجاورة لأبى السعود عن أطلال عدة منازل طولونية أمكن لعلماء الآثار من دراستها الاستدلال على نظام العمارة السكنية الخاصة فى العصر الطولونى — وهى تذكرنا بالنظام الذى ظهر أولا فى قصر شيرين — آخر الأبنية العظيمة التى تمت فى عهد الدولة الساسانية فى بلاد الفرس • ثم ظهر هذا النظام نفسه بعد ذلك فى البيوت المستقلة بقصر الأخيضر العباسى والذى يرجع تاريخه الى القرن الثامن ثم فى قصور سامرا ومنها انتقل الى مصر — ومن هنا الى شمال افريقية ، ويلاحظ أن هذا التصميم مأخوذ من تصميم المكان المقدس بمعبد أبو سمبل الكبير فى مصر •

وتخطيط البيت الطولونى مكون من فناء مربع يتوسط البيت ويحده من جهة سقيفة مكونة من ثلاثة عقود مرتكزة على دعامتين مربعتين أو مستطيلتين وهى تتقدم مجموعة مكونة من ثلاثه غرف يتوسطها غرفة كبيرة عبارة عن ايوان — أى

قبو نصف اسطوانى مفتوح من جهة • ويكتنفها من جهتيها غرفة تفتح كل منهما على السقيفة فيتخذ المجموع شكل حرف T ، وهذا التصميم يشبه أحد نظامى البيت فى قصر الأخيضر العباسى • ويقابل هذه المجموعة من الغرف ايوان فى الجهة المقابلة ، أما الجهتان الأخريان فبكل منهما ايوان أقل غورا وعمقا من السابق — ويزين الفناء المكشوف فسقية بها مياه تجرى فى أنابيب كما كان متبعا فى البيوت التى كشفها على « بك » بهجت فى أطلال مدينة الفسطاط •

وزخارف أحد البيوت الطولونية التى كشفت عنها الحفريات تشبه الأجزاء العلوية من جدران الدير السريانى بوادى النطرون — أما جدرانه فمن الآجر على النحو المتبع فى سامرا وفى الجامع الطولونى •

ونماذج الزخارف الجصية التى عثر عليها فى أطلال هذا البيت محفوظة بدار الآثار العربية بالقاهرة وتشبه الطراز الثالث فى سامرا والتى اصطلح الأستاذ هرتزفلد على تسميته بالطراز الأول فى تقسيم الزخارف الجصية العراقية •

ويلاحظ فى تصميم الدار الأخيرة وجود باب خلف احدى الغرف الجانبية يؤدى الى دهليز يفتح على باب فى منتصف الحائط الخلفى للايوان الأوسط — وقد لاحظ الأستاذ كريزول وجود مثل هذا التصميم فى بيتين فى الفسطاط كشفهما المرحوم على « بك » بهجت ويرجح استعمال هذا الدهليز الخلفى للخدمة وذلك لتقديم الشراب وغيره للضيوف أثناء وجودهم فى الايوان « قاعة الاستقبال » — وقد وجد مثله بعد ذلك فى قصر المظفر خانه (١١٩٣ هـ — ١٧٧٩ م) — أما دهليز الخدمة فقد وجد قبل ذلك فى قصر الأخيضر العباسى فى العراق ومنه يؤدى الى مطبخ عرضى خلف المجموعة المكونة من الايوان والغرفتين الجانبيتين •

وفى ليلة الأربعاء ١٨ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ وضع جوهر أساس القصر الذى بناه لمولاه المعز فى الفضاء الذى يقع فيه الآن خان الخليلى ومسجد

الحسين تقريبا وأطلق عليه « القصر الشرقى الكبير » كما أطلق عليه أيضا « القصر المعزى » لأن المعز لدين الله هو الذى أمر جوهر ببنائه حين سيره لفتح مصر ، ووضع تصميمه وكان الخليفة يسكن فيه ويباشر أعمال الدولة . وقد قيل انه كان يحتوى على أربعة آلاف حجرة . وكان بقصر المعز أبواب كثيرة منها باب الذهب وباب العيد وباب الديلم وباب الزهومة .

وكان غرب القصر الشرقى قصر آخر أصغر منه بناه الخليفة العزيز بالله وأطلق عليه اسم القصر الغربى الصغير وموقعه مكان سوق النحاسين وقبة الملك المنصور قلاوون وما جاورها . وكان بين قصر المعز وقصر العزيز فضاء يسع عشرة آلاف من الجند أطلق عليه فيما بعد اسم « بين القصرين » .

وقد وجد نفق تحت الأرض يصل بين غرف الخليفة وقسم الحريم وهذه العادة أتبعت فى أغلب القصور الاسلامية الأولى اذ شوهدت قبل ذلك فى قصر الخليفة المعتصم فى سامرا . كما وجدت فى بغداد بين قصرى الحسنى والثريا فى عهد الخليفة المعتمد كما وجدت فى جهات عديدة بعد ذلك فى القصر الكبير الشرقى الفاطمى فى مدينة القاهرة وبين هذا القصر وقصر اللؤلؤة فى أيام الحافظ بالله والفائز .

وقد شيد الفاطميون عدة قصور ومناظر على النيل ولما قدم ناصر خسرو الرحالة الفارسى مصر سنة (٤٣٩ هـ — ١٠٤٦ م) فى عهد الرخاء فى أيام الفاطميين كانت الفسطاط مدينة عامرة بالمبانى فقد أشاد فى وصفها بقوله « حينما يرى الانسان من بعيد مصر الفسطاط ، يظن أنها جبل فيها دور من أربع عشرة طبقة وأخرى من سبع طبقات » — كما ذكر ما كان بها من حدائق السطح فذكر أيضا أن بعض الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات وكان به ساقية يديرها أحد الثيران فيصعد الماء الى السطح الذى غرس فيه بعض أشجار الموالح والزهور والرياحين .

كما ذكر الرحالة ناصر خسرو أن الخليفة الفاطمى كان يمتلك ٢٠٫٠٠٠ منزل ذات خمس وست طبقات وكانت تؤجر على أنها « ربع » وكان بناؤها بالحجر وليست بالطوب وبها حدائق فيحاء ومنسقة •

وقد أطنب المؤرخون وعلماء الآثار فى وصف الكنوز الفنية والتحف الأثرية التى خلفها الفاطميون فى قصورهم •

وفى أيام الفاطميين أصبحت جزيرة الروضة من المتنزهات وأنشئت فيها المناظر الكثيرة أما فى أيام السلاطين من بنى أيوب فقد دخلت الجزيرة بما حوته فى ملك ابن أخ صلاح الدين ثم استأجرها الملك الصالح أيوب لمدة ستين سنة وبنى فيها قلعة وكل حراستها الى المماليك من جنده وأطلق عليها اسم البحرية • وفى عهد أول الملوك البحرية وهو المعز أيبك هجرت الروضة وهدم السلطان قلاوون مبانيها ليستعملها فى المارستان المنصورى وكذلك ابنه الناصر فقد انتفع بما بقى من مواد بنائها •

الدور والقصور في مصر في عصر المماليك

يعتبر عصر المماليك فى مصر العصر الذهبى للفنون والعمـارة الاسلامية . كما يعتبر بالنسبة للحالة السياسية عصر فوضى وقلاقل وثورات لتوالى عـدد غير قليل من السلاطين والحكام على العرش فى فترة حكمهم .

أما الحالة الاجتماعية ورخـاء حياة المماليك الخاصة فقد كان لها أثرها فى تقـدم الفـنون والآداب وفى بناء قصـورهم ومنازلهم وآثارهم ــ وما المنزل المملوكى الا صدى للحياة المدنية فى عصر امتاز بنهضة معمارية وفنية ــ وقـد أسهب المؤرخون فى وصف ما خلفـه المماليك من تراث فنى فى شتى الفنـون الصناعية والزخرفية .

وترجع العوامل التي أثرت على تصميم المنزل المملوكى الى عوامل ثلاثة : ــ

مناخيـه ، واجتماعيـة ، ودينيـة .

فمن حيث العامل الأول ــ نظرا لقلة سقوط الأمطار فى مصر ــ فقد استغنى عن جعل سقوف المنازل الخارجية مائلة وبدت أفقية مستوية . كمـا أن شـدة الحرارة ، فجاء تصميم « المقعد » تتيجة لذلك ، وهو عبارة عن مكان مسقوف فيه رب الدار ليتقى به أشعة الشمس المحرقة والاستزادة من الظل وتلطيف درجة الحرارة ، فجاء تصميم « المقعد » تتيجة لذلك ، وهو عبارة عن مكان مسقوف مفتوح من الجهة البحرية .

كما ظهر تصميم « الملقف » وهـو الطريقة الأولى لتكييف هـواء الغرف الداخلية . فمدخل الهواء من فتحات للتهوية ويستقبل نسيم الهواء العليل من الجهة البحريه بعد غروب الشمس بعدة ساعات أثناء فصل الصيف .

ويرجح بدء ظهور المقعد والملقف المواجهين للجبة البحرية فى تصميم المنزل المصرى القديم ــ من ثلاثين قرن مضت ــ وذلك لوجود رسوم بالفرسكو على الجدران بمدينة طيبة تثبت ذلك • الى جانب ذلك عمد المهندس المعمارى الى زيادة سمك الحوائط الخارجية مساعدة فى عدم تسرب الحرارة والبرودة الى الداخل •

وكان لوضع الغرف حول فناء مكشوف تتوسطه نافورة للمياه أثره فى السماح للهواء من تخلل أجزاء المنزل المختلفة وتلطيف درجة حرارته صيفا لتسرب أشعة الشمس شتاء لتدفئة هواء الغرف الداخلية •

ولتبريد أوانى الشرب ولترطيب جو الغرف استنبط المهندس المعمارى طريقة عمل « المشربيات » وهى عبارة عن نوافذ من الخشب بها فتحات يتخللها الهواء وهى تساعد أيضا على السماح لنساء الدار من رؤية من بخارجه دون رؤيتهن من عابرى الطريق •

وفى داخل قاعات الغرف الكبيرة بنى المعمارى نافورة للمياه وأبدع فى تصميمها وجعلها تتوسط « الدرقاعة » وهى جزء مربع التخطيط يفصل ايوانى القاعة •

ويعلو الدرقاعة « شخشيخة » وهى عادة عبارة عن قبة من الخشب بها فتحات صغيرة تسمح بدخول الهواء الى داخل القاعة وأحيانا يستعاض عنها بملقف •

وفى بعض الدور التى كانت تقع على شارع الخليج استعمل الشادوف والساقية لنقل المياه الى الدار كما كانت تستخدم المراكب الصغيرة والقوارب للنزهة وللترويح عن النفس •

أما من ناحية العامل الثانى الذى أثر فى بناء الدار المملوكية وهو الحالة الاجتماعية ، فقد كان لغيرة المسلمين على نسائهم اذ كان الحجاب من أهم العوامل التى أثرت فى تصميم الواجهات فبدت بسيطة ليس بها نوافذ قريبة من أعين المارة أو حتى لراكبى الابل فى الطرقات فجعلت عالية بقدر المستطاع كما سدت بمشربيات مصنوعة من الخشب « الخرط » الجميل وبها ثقوب تمكن من

بالداخــل من رؤية من بخارجه دون تمكن الفضوليين من المــارة من رؤية من بالداخل • كما عمد المهندس المعمارى الى عمل انكسار فى مدخل الدار فينحنى الداخل من الباب الرئيسى غربا نحو دهليز ومنه ينحرف الى فناء الدار الداخلى الذى يتوسطه • وهذا أيضا منعا من رؤية من يجلس داخل الحوش من الخارج•

ومع ملاحظة خلو الواجهات الخارجية من النوافذ والفتحات الا من عــدد قليل فانها قد وجدت بكثرة فى الداخل حول الفناء الأوسط (الحوش) ــ فبدا كل من « المقعد» و « القاعة » و « التختبوش » فى أروع منظر وهو يطل عليه•

ولعل اختيار المؤذنين فى قديه الزمان من مكفوفى البصر ، يرجع الى عــدم امكان رؤية من يقف من نساء الدار بأعلى السطح فيكونون فى مأمن من أعين الفضوليين • وقد كان للحيــاة الاجتماعيــة عنــد المماليك أثرها فى بناء قاعات الاستقبال الكبرى لاقامة الحفلات والسهرات الطويلة كما جعلت أجنحة خاصة للاستقبال منفصلة عن بقية أجزاء المنزل كما خصص جناح خاص بالحريم •

وقد استعملت القاعات الكبرى لعقد حلقات الدرس والعلم وكان لها أثرها بعد ذلك فى بناء المدارس الاسلامية ذات الايوانين ــ كمــا أثثت تلك القاعات بمفروشات توافق طبيعة الحياة والتقاليد الشرقية فعلى الرغم من بساطتها فقــد كانت على قسط كبير من العظمة والفخامة كما كانت توفر للانسان كل ســبل الراحــة •

الى جانب ذلك وجدت (الدواليب) فى الحائط لحفظ الأطباق المصنوعة من الخزف وغيرها من الأوانى الزجاجية وهى الطريقة الحديثة المستعملة فى العمــارة فى عصرنا الحاضر •

أما من الناحيــة الدينية فقد تضافر العاملان الســابقان على ايجاد دار ــ سكانها محتجبون عن أنظار المارة خارجة فيكون رب الدار آمنا على حريمه ــ كما عمد المهندس الى تقسيم الدار الى قسمين رئيسيين أحدهما بالطابق الأرضى خاص بالرجال ويعرف (بالسلاملك) وقد أعــد للاستقبال واقامة الحفلات ــ والآخر بالطابق العــلوى وهو خاص بالحريم ويعرف « بالحرملك » ــ بحيث يكفل عزلتهم وحجابهم ــ كما عمل على ايجاد مداخل ثانوية خاصة بالحريم حتى

لا ترمقهم أعين الزوار حين دخولهن الى الدار ـ ويشمل قسم الحريم بعض أجزاء الدور العلوى عدا المقعد وبعض غرف حوله تخص رب المنزل • ويلاحظ الفصل بين قسمي الحريم والرجال مما يساعد على الحجاب • ويوجد فى بعض الأحيان غرفة مكشوفة للجلوس خاصة بالحريم تستعمل فى فصل الصيف •

الى جانب ذلك عمد المهندس أحيانا الى تصميم شبه « محراب » أو « تجويف » داخل الحائط ، بأحد ايوانات القاعات الكبرى الداخلية ، وذلك فى الايوان الشرقى الكبير ـ يوجه المصلين أثناء صلاتهم نحو الكعبة • فيؤم رب الدار الزائرين وقت الصلاة أثناء وجودهم فى ضيافته كما يؤم سكان الدار كذلك •

أما من حيث شكل البناء الخارجي للدار فقد روعى فى بناء الأدوار السفلية بالحجر المستورد من تلال المقطم المجاورة وقد بنيت فى مداميك منتظمة ذات لحامات رفيعة ، وقد لوحظ فى عدة أمثلة بناء الأدوار العلوية من الطوب تتخلله بعض عروق من الخشب وكانت تبرز عادة عن واجهة الطابق السفلى وترى محمولة على عدة كوابيل حجرية مكونة من عناصر معمارية جميلة لزخرفة العمائر الاسلامية •

الى جانب ما تقدم ألحق بالدار فى الطابق الأرضى قسم لاسطبلات الخيل والدواب وآخر للمطابخ كما أضيفت للدار حديقة غناء •

ومما يسترعى النظر فى واجهات الدور الاسلامية فى مصر فى عصر المماليك زخرفة المداخل وفخامتها فبعضها يعلوها عقود مختلفة الأشكال وبعضها به مقرنصات وزخارف متنوعة وخلف المدخل يجلس البواب فوق مصطبة من الحجر أو دكة من الخشب لحراسة المنزل • وفى العادة ينحرف المدخل جهة اليمين قبل أن يصل الداخل الى الحوش الداخلى الذى يكون تخطيطه عادة مربع الشكل ومغشى ببلاطات كبيرة من الحجر • وتوجد غرفة معدة للاستقبال فى الدور الأرضى يستقبل فيها رب الدار ضيوفه وتسمى « التختبوش » والواجهة مفتوحة على الحوش ويتوسطها عمود أو دعامة ـ وأثاث تلك الغرفة عبارة عن صفة أو دكة من الخشب توجد فى جانب أو أكثر من جدران الحائط ، ويرتفع مستوى أرضية تلك الغرفة بدرجة أو اثنتين عن مستوى الحوش •

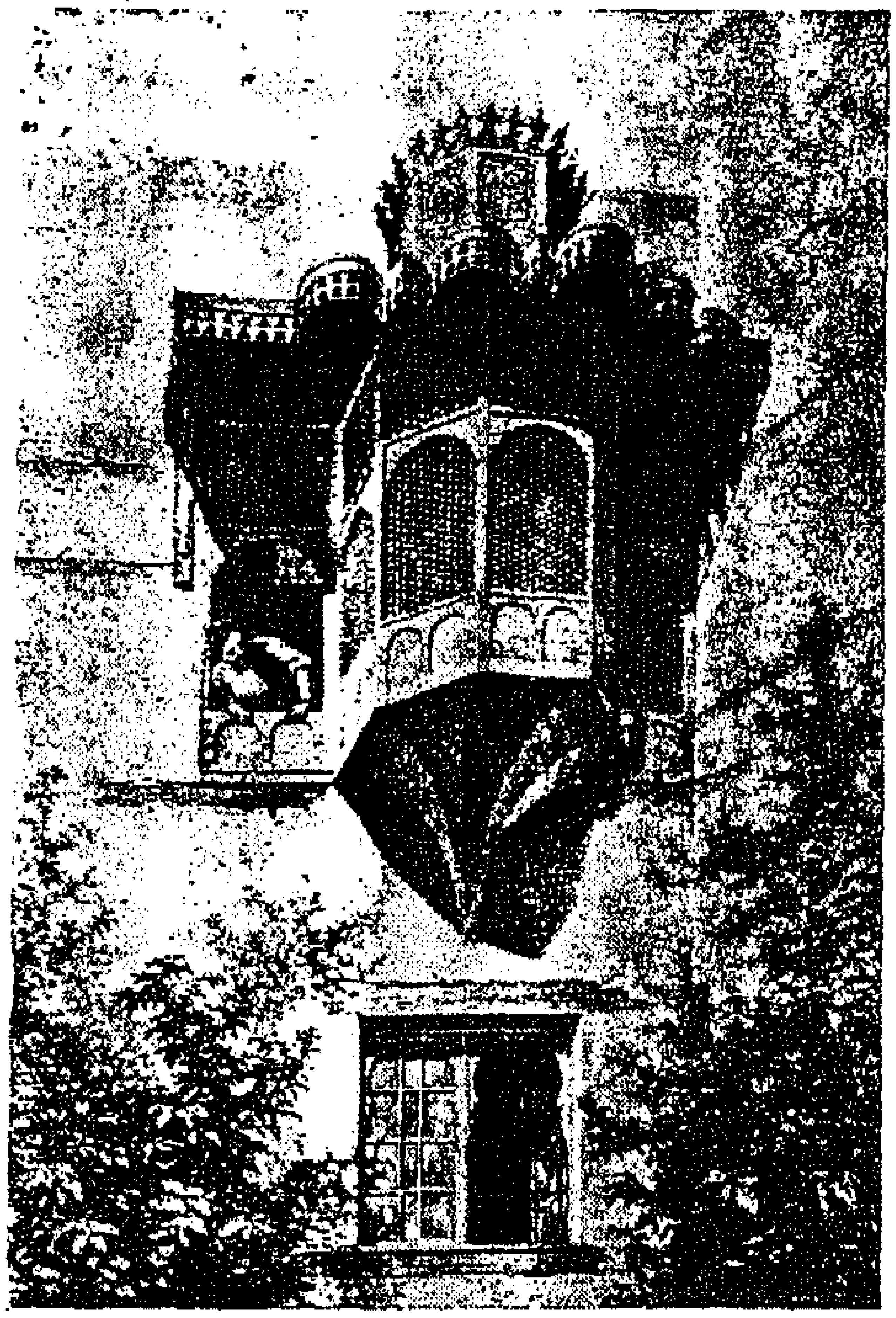

(شكل ١٣٠) منظر مشربية
(عن بريس دافن)

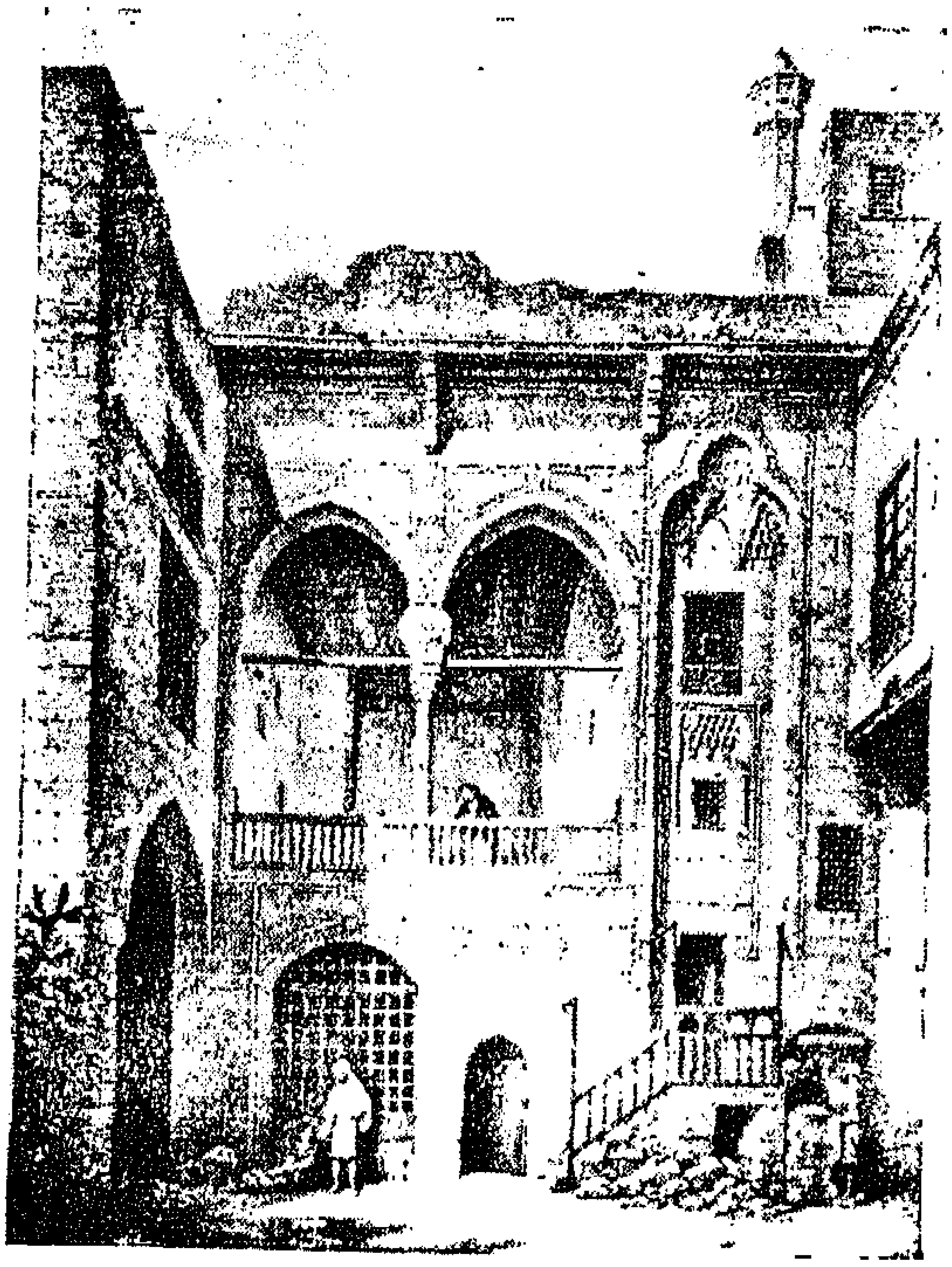

(شكل ١٣١) مقعد بيت
الامير (عن بريس دافن)

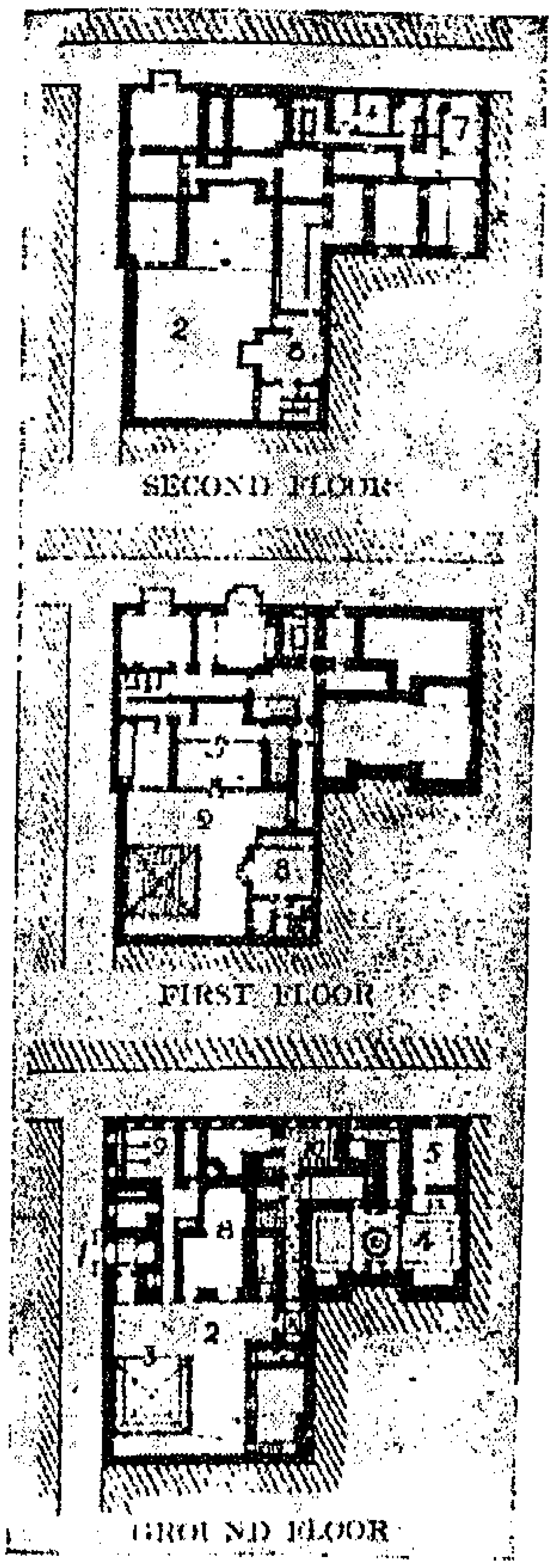

(شكل ١٣٢) المساقط الأفقية لبيت إسلامى بحوش قدم بالقاهرة
(عن لين بول)

١ – المدخل ٢ – الحوش ٣ – المقعد
٤ – المندرة الرئيسية ٥ – المندرة الصغيرة (القاعة)
٦ – حمام ٧ – الحريم ٨ – غرفة الزائر
٩ – اسطبل ١٠ – المطبخ

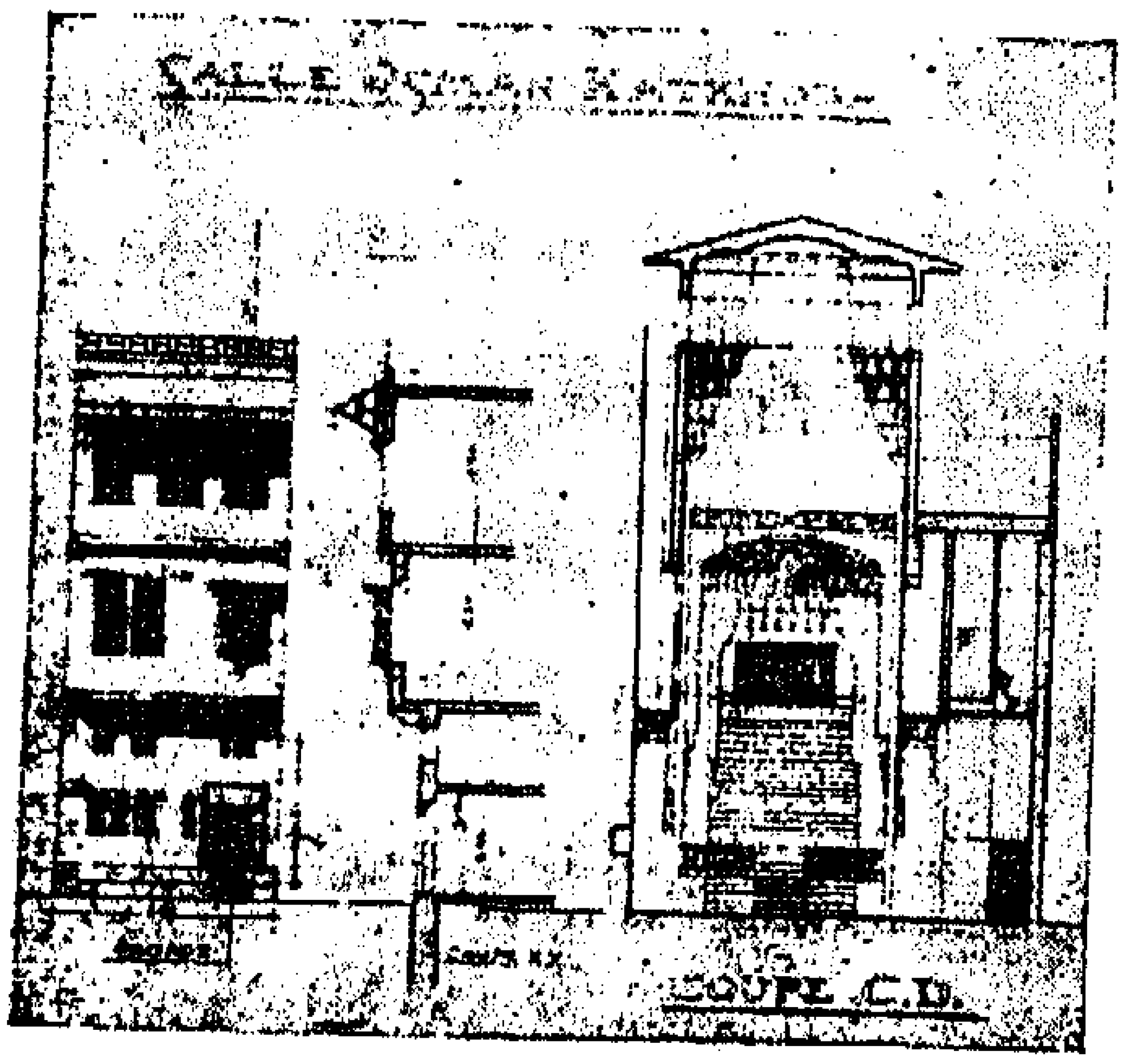

(شكل ١٣٣) واجهة وقطاعات بقاعة عثمان كتخدا

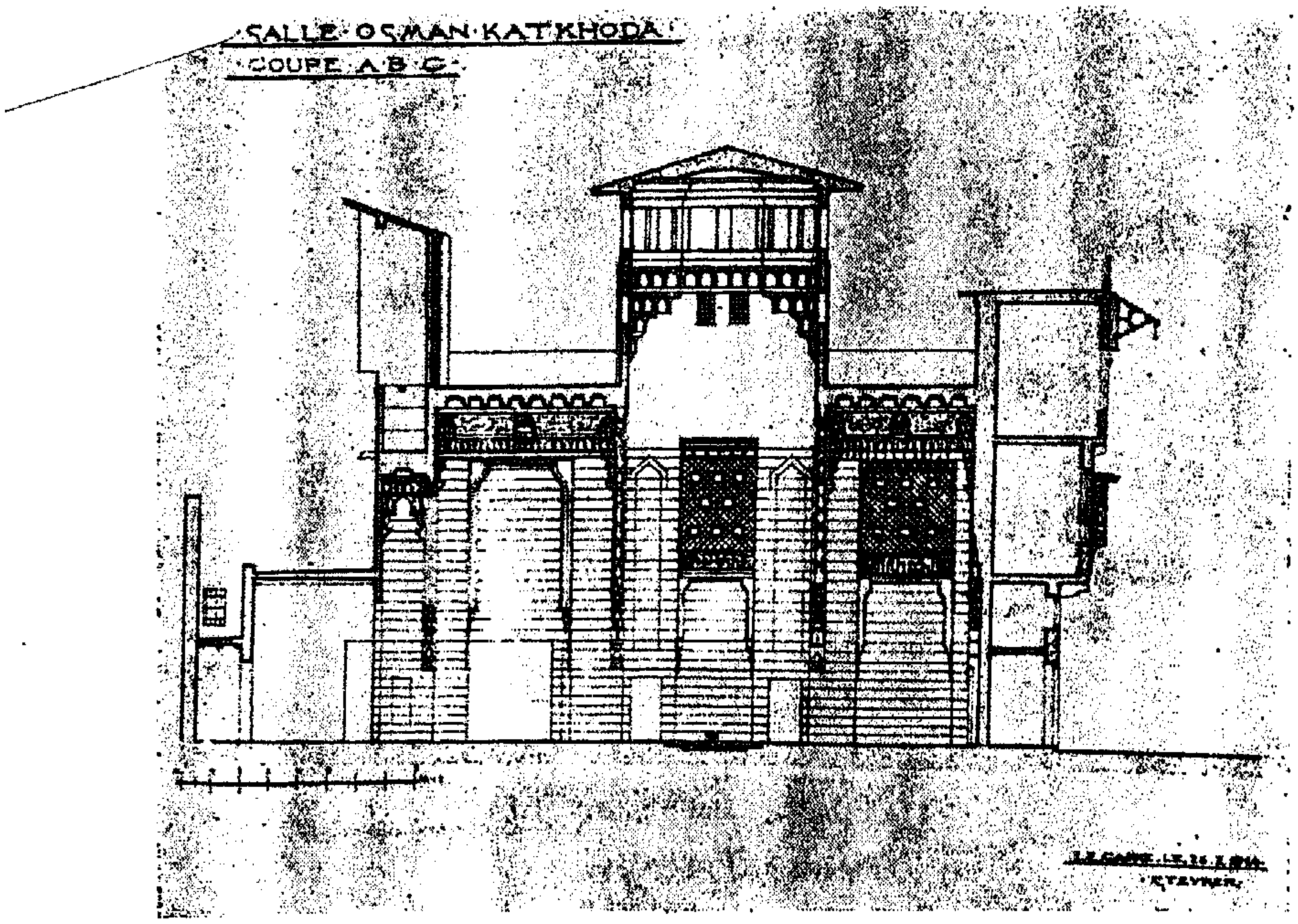

(شكل ١٣٤) قطاع رأسي طولي في قاعة عثمان كتخدا (عن إدارة حفظ الآثار العربية)

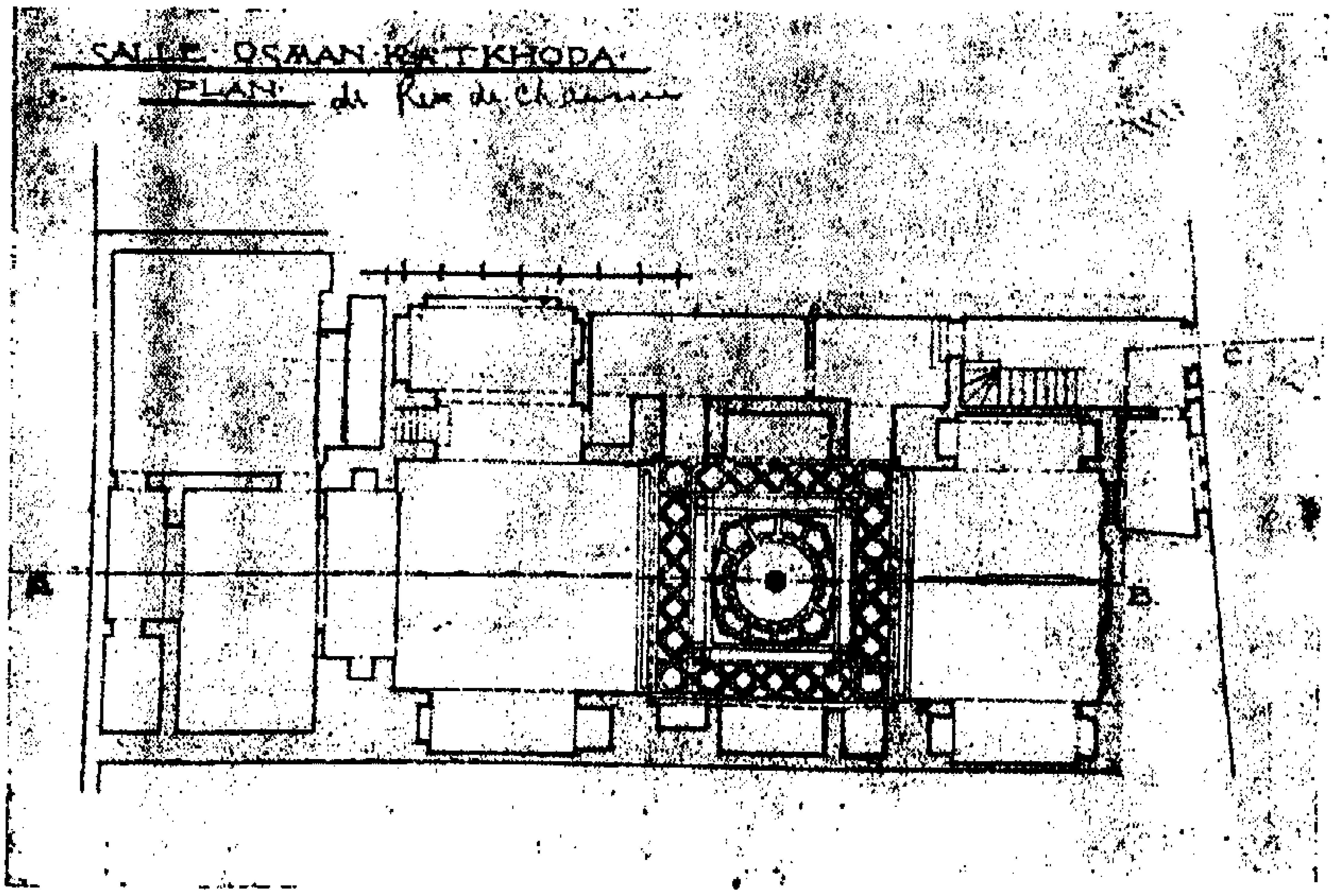

(شكل ١٣٥) مسقط أفقي لقاعة عثمان كتخدا – (عن إدارة حفظ الآثار العربية)

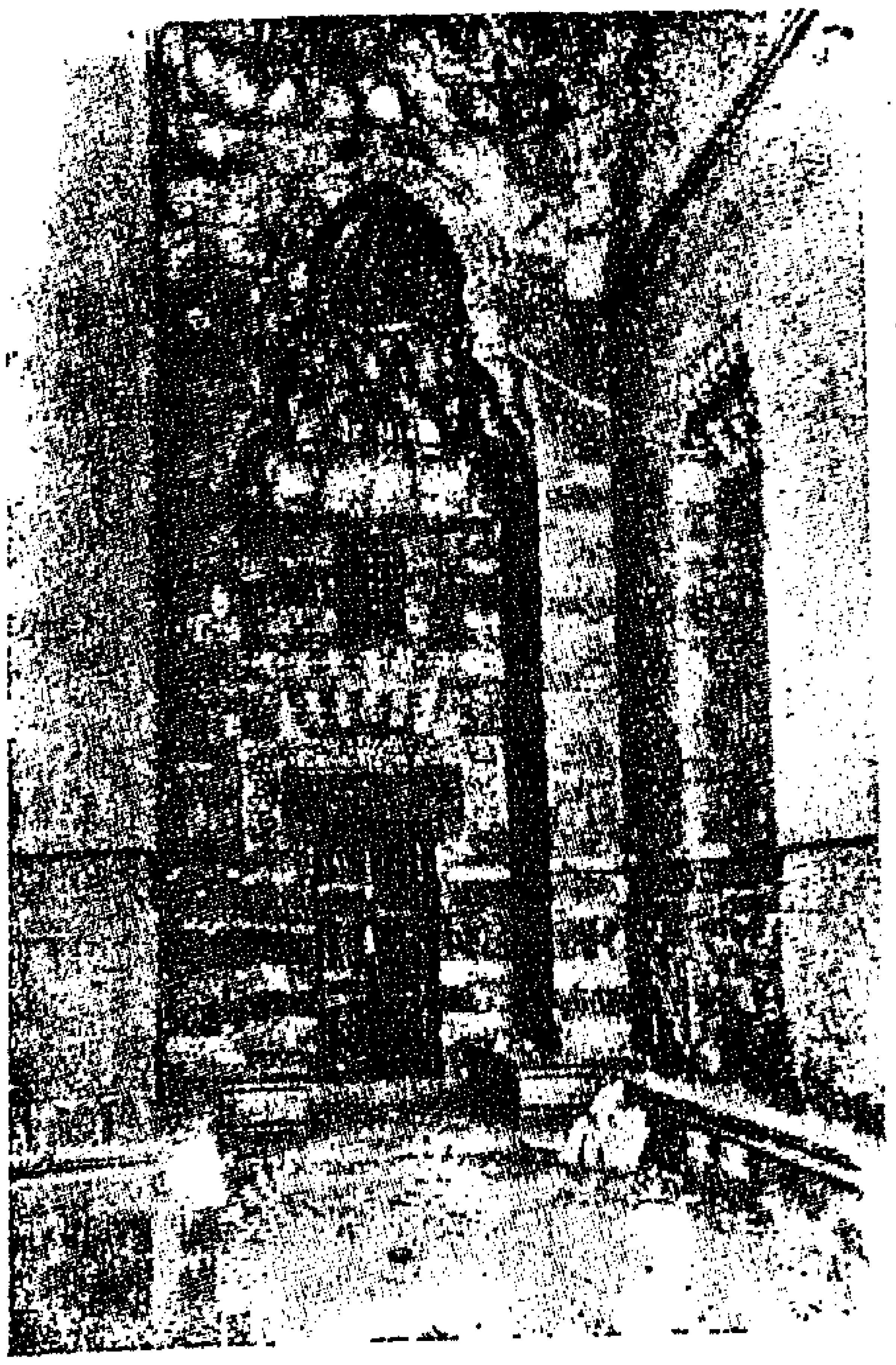

(شكل ١٣٦) مدخل قصر يشبك
(٧٣٨ هـ — ١٣٣٧ م)
(عن كريرول)

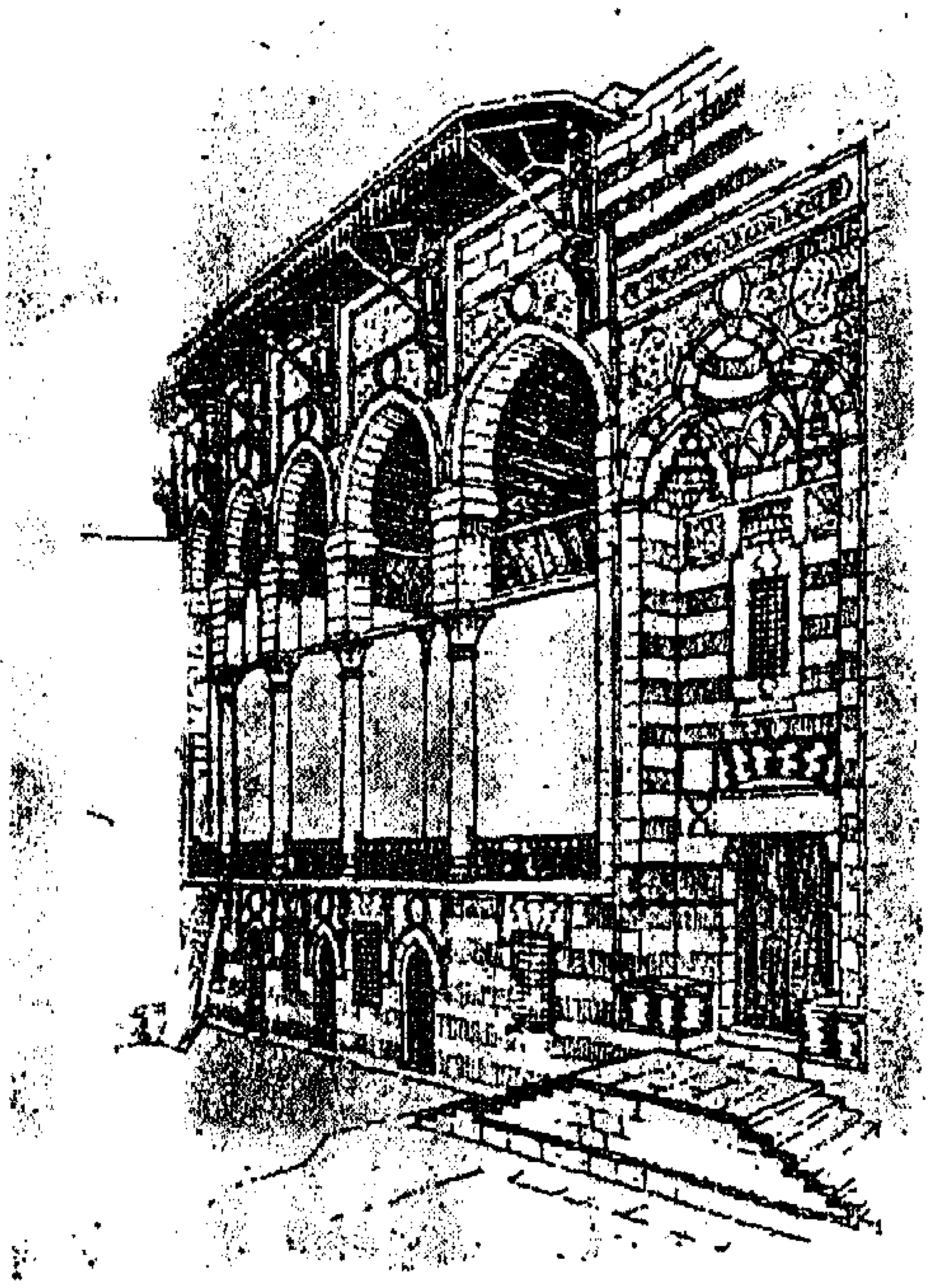

(شكل ١٣٧) مقعد الأمير ماماى
المعروف ببيت القاضى (عن بريجر)

أما الضيوف من علية القوم من الرجال فيستقبلهم رب الدار فى « المندرة » وهى قاعة الاستقبال الكبرى وتقع عادة فى الطابق الأرضى ويرتفع سقف جزئها الأوسط المعروف « بالدرقاعة » ـ فى بعض الأحيان ـ الى ارتفاع ثلاثة أدوار ـ وتتكون المندرة من ايوانين جانبيين وبينهما الدرقاعة وهى عادة الجانبيـة وزرة من الرخام الملون أو أزار خشبى تنقش عليه الآيات القرآنيـة الألوان ـ وتكون فى العادة منخفضة عن مستوى أرضية الايوانين الجانبيين بدرجة واحدة ـ كما يعلوها « ممرق » وهو عبارة عن قبة صغيرة بجوانبها مشربيات تسمح بالاضاءة والتهوية .

ويحتمل عروق خشب السقف « حرمدانات » ذات دلايات أو مقرنصات ، ويلاحظ عادة زخرفة السقف بالرسوم الملونة كما يوجد بأسفل الحوائط الجانبية وزرة من الرخام الملونة أو أزار خشبى تنقش عليه الآيات القرآنية أو الحكم أو أبيات من الشعر ، وبالحائط الجانبى للدرقاعة توجد صفة أو رفوف يوضع فوقها الأوانى الخزفية وغيرها . ويلاحظ دقة صناعة الأبواب الخشبية الجميلة فى القاعات التى كانت غنية بالخزانات الخشبية المثبة فى جدرانها والتى كانت تمتاز بدقة الرسوم والزخارف والتى تشهد بابداع المسلمين فى تجميع الخشب وزخرفته ، كما تمثل بحق أجمل ما وصل اليه فن الحفر على الخشب فى مصر فى عصر المماليك .

وفى البيوت الكبيرة يوجد مقعد فى الدور الأول مواجها للجهة البحرية وهو يشبه الى حد كبير ما يعرف باسم « لوجيا » فى القصور الايطالية ـ وهو فى الواقع عبارة عن « ڤرندة » أو مكان مكشوف للجلوس ـ ويستعمل كقاعة استقبال للزائرين من الرجال .

أما حمامات الدور الاسلامية فى القاهرة فتمتاز بوجود قبة تعلوها مبنية بالأسمنت وبها فتحات مستديرة للاضاءة ـ وهى تشبه بعض الحمامات الرومانية ـ وتسخن هذه الحمامات بالطريقة المستعملة فى الحمامات العامة بواسطة أنابيب الماء الساخن .

ويلاحظ فى الدور القديمة عدم وجود مدفئات حائطية بل كان يستعاض عنها بمدفأة من النحاس توضع فى وسط الحجرات ـ ويستعمل الفحم فى اشعال

النار وتدفئة الجو الداخلى ـ أما الملقف فكان الطريقة المثلى التى اتبعت للتهويه وتكييف الهواء داخل الحجرات والقاعات اذ أن فتحاته المواجهة للجهة البحرية كانت تساعد على السماح للهواء من دخول الغرف لتهويتها وترطيب الجو داخلها.

أما غرفة الخزانة وتعرف بالمخبأ فلا توجد الا فى البيوت الكبيرة كما وجدت فى بعض الدور أبواب خفيـة تعرف باسم « باب السر » ـ وكذا دهاليز يخرج منها رب الدار الى الطريق هربا من الوقوع فى أيدى الشرطة أو ممن يحـاولون اقتحـام الـدار .

ولعل أقدم قاعة اسلامية قائمة فى مدينة القاهرة هى المعروفة بقاعة « عثمان كتخدا »(أثر رقم ٥٠) (٧٥١ هـ ـ ١٣٥٠ م) وتقع بشارع بيت القاضى ـ وقد تخلفت هـذه القاعة من منزل كبير أنشـأه محب الدين الموقع الشـافعى (٥٧١هـ ـ ١٣٥٠م) وقد أوقفه الأمير عثمان كتخدا القازدغلى على أثر امتلاكه له فى سنة (١١٤٨ هـ ـ ١٧٣٥ م) ـ وعلى أثر تخطيط شـارع بيت القاضى (١٢٩٠ هـ ـ ١٨٧٣ م) هدم جزء منه ولم يبق منه سوى هذه القاعة وهى مستطيلة التخطيط ومكونة من ايوانين عالبين ـ بينهما درقاعة ـ والسقف محلى بزخارف جميلة ذات ألوان بديعة ـ كما يوجد درج فى الجهة القبلية يؤدى الى دهليز مستطيل يغطيه سقف مقبى من الجص المفرغ مكون من أشكال هندسية بديعة ومغطاة بالزجاج الملون ومنه يؤدى الى غرفة صغيرة مغطاة بقبة مفرغة من الجص بها زجاج ملون أيضا ـ وقد أصلحت ادارة حفظ الآثار العربية هـذه القاعة النادرة المثـال فأضافت للواجهة عـدة مشربيات بارزة كمـا نقلت اليها « فسقية » من الرخام كانت موجودة بمنزل وقف عائشة طبوزادة الألفيـة ـ والى ادارة حفظ الآثار العربية نقدم خالص الشكر لمعاونتنا فى الحصول على بعض رسوم تلك القاعة الأثرية الجميلة .

ويعتبر « مقعد » بيت القاضى ـ أجمل مثال للمقعد فى العمارة الاسلامية ، وهو فى الأصل جزء من قصر الأمير ماماى (٩٠١ هـ ـ ١٤٩٦ م) ـ أثر رقم٥١ـ ويوجد بالمدخل المعقـود كتابات تاريخية تنص على أنه قـد تم بناؤه على يد سيف الدين ماماى فى ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ (يوليو ـ أغسطس ١٤٩٦ م)ـ وقد تخلف هذاالمقعد عن منزل الأمير ماماى السيفى وهو أحد أمراء السلطان

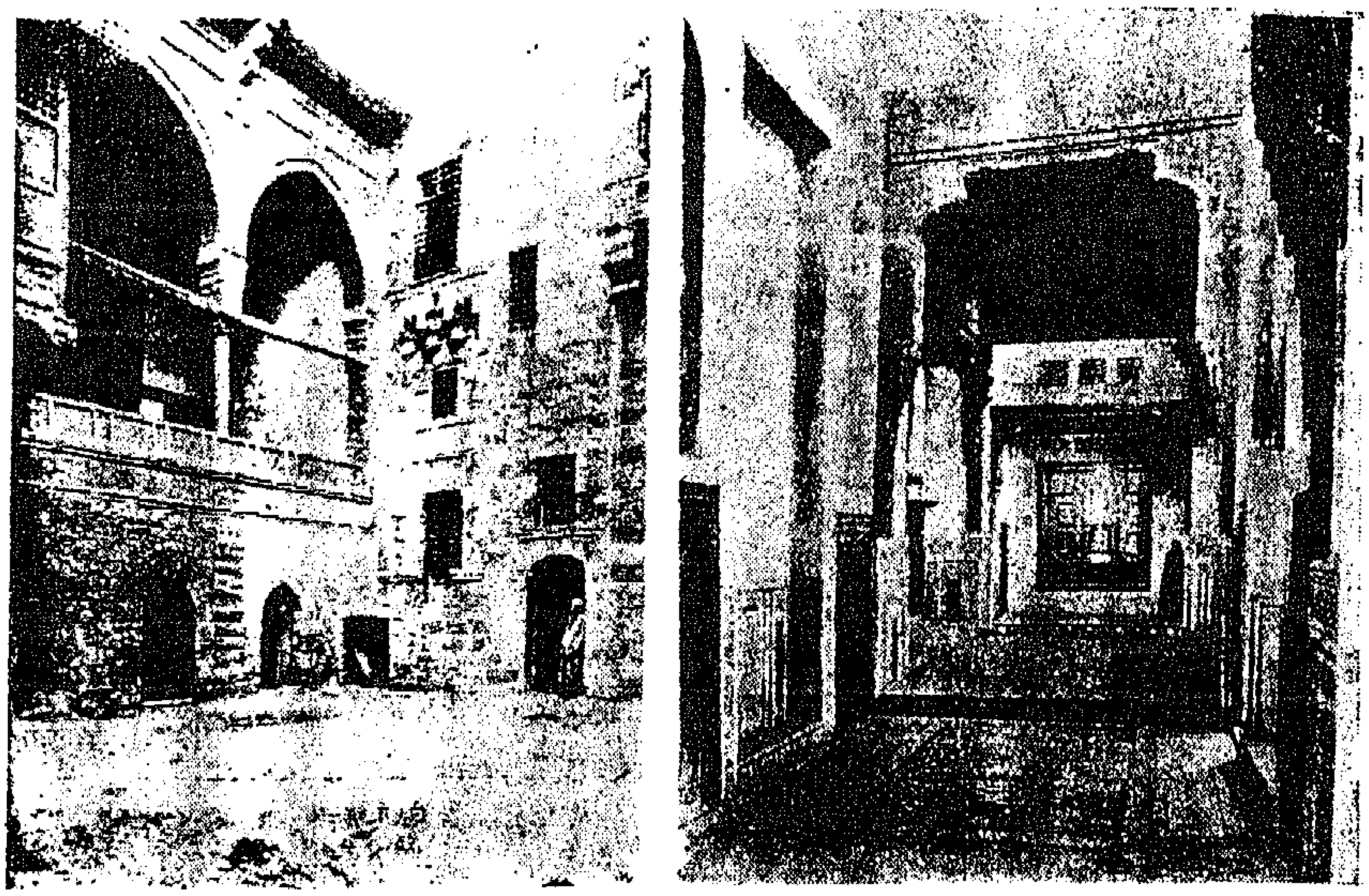

(شكل ١٣٨) منزل جمال الدين الذهبي . . في اليسار منظر المقعد وفي اليمين منظر القاعة
(عن [illegible])

([illegible] ١٣٥) [illegible] حوش (عن [illegible])

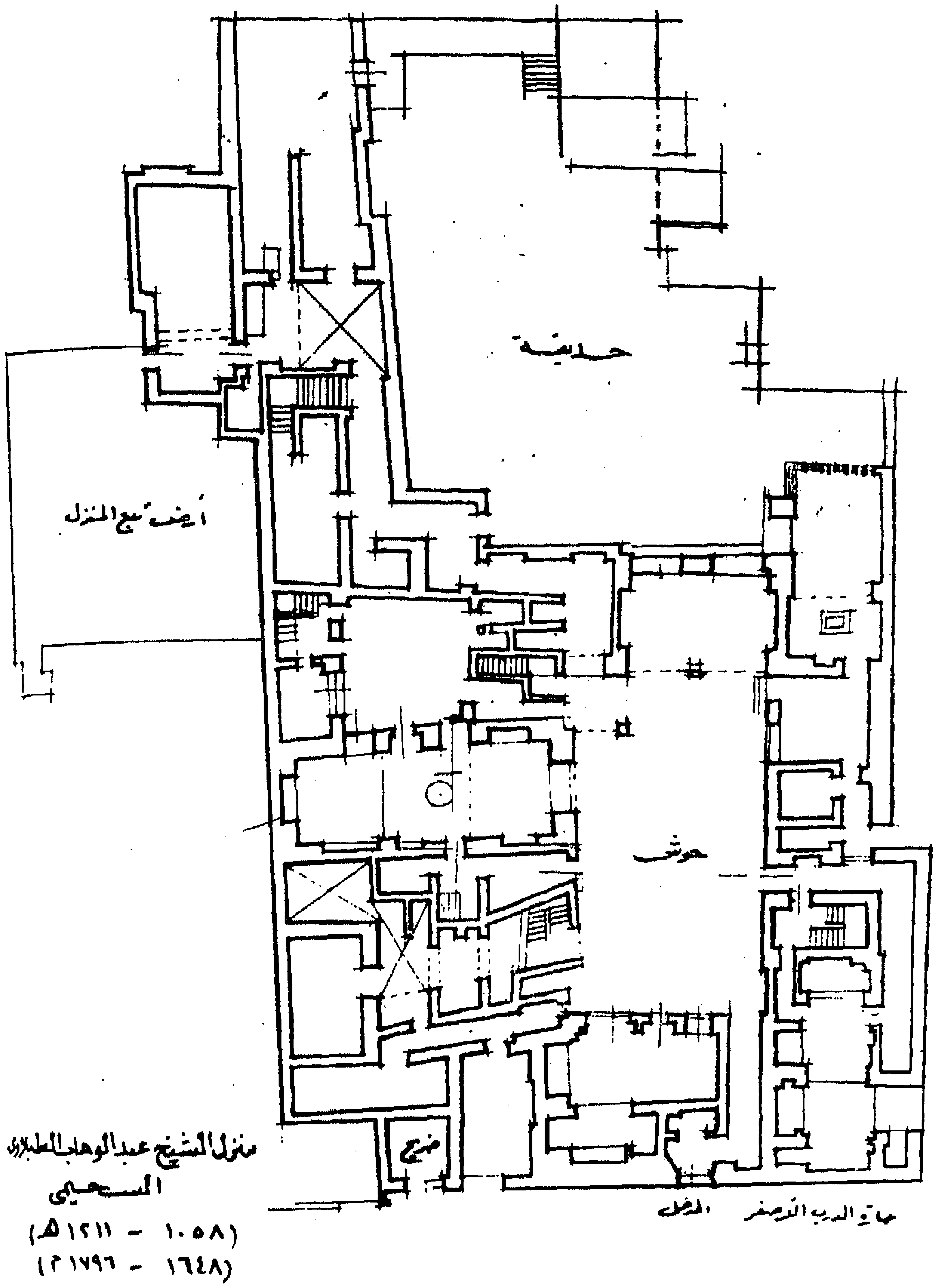

منزل الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي السحيمي
(١٠٥٨ - ١٢١١ هـ)
(١٦٤٨ - ١٧٩٦ م)

(شكل ١٤٠)

منزل السناري
(ابراهيم كتخدا السناري)
١٢٠٩هـ - ١٧٩٤م

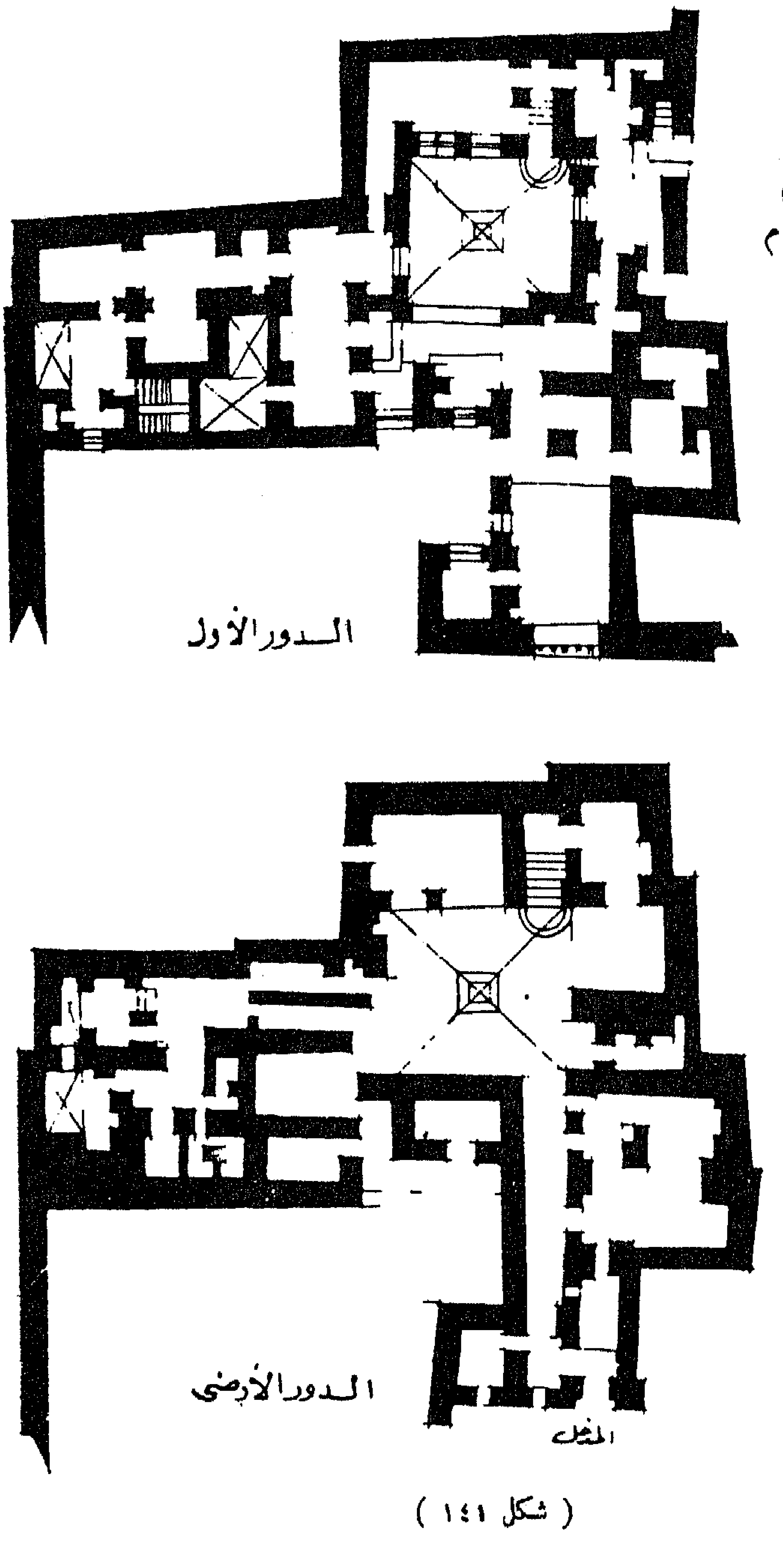

(شكل ١٤١)

بيت الكريدلية
(١٦٣١ - ٣٢ م)

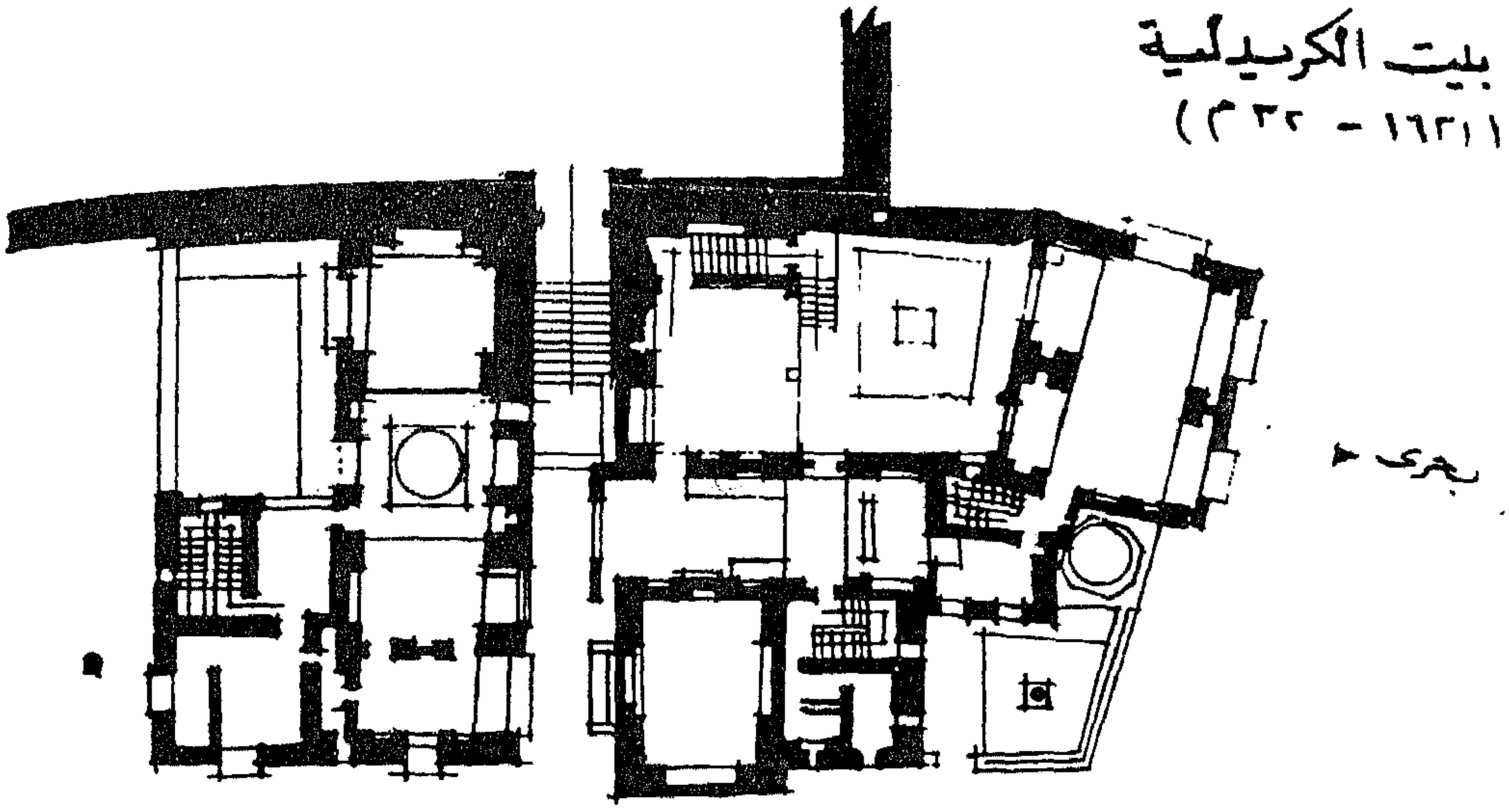

مسقط أفقي للدور الأول
(عن دليل المتحف)

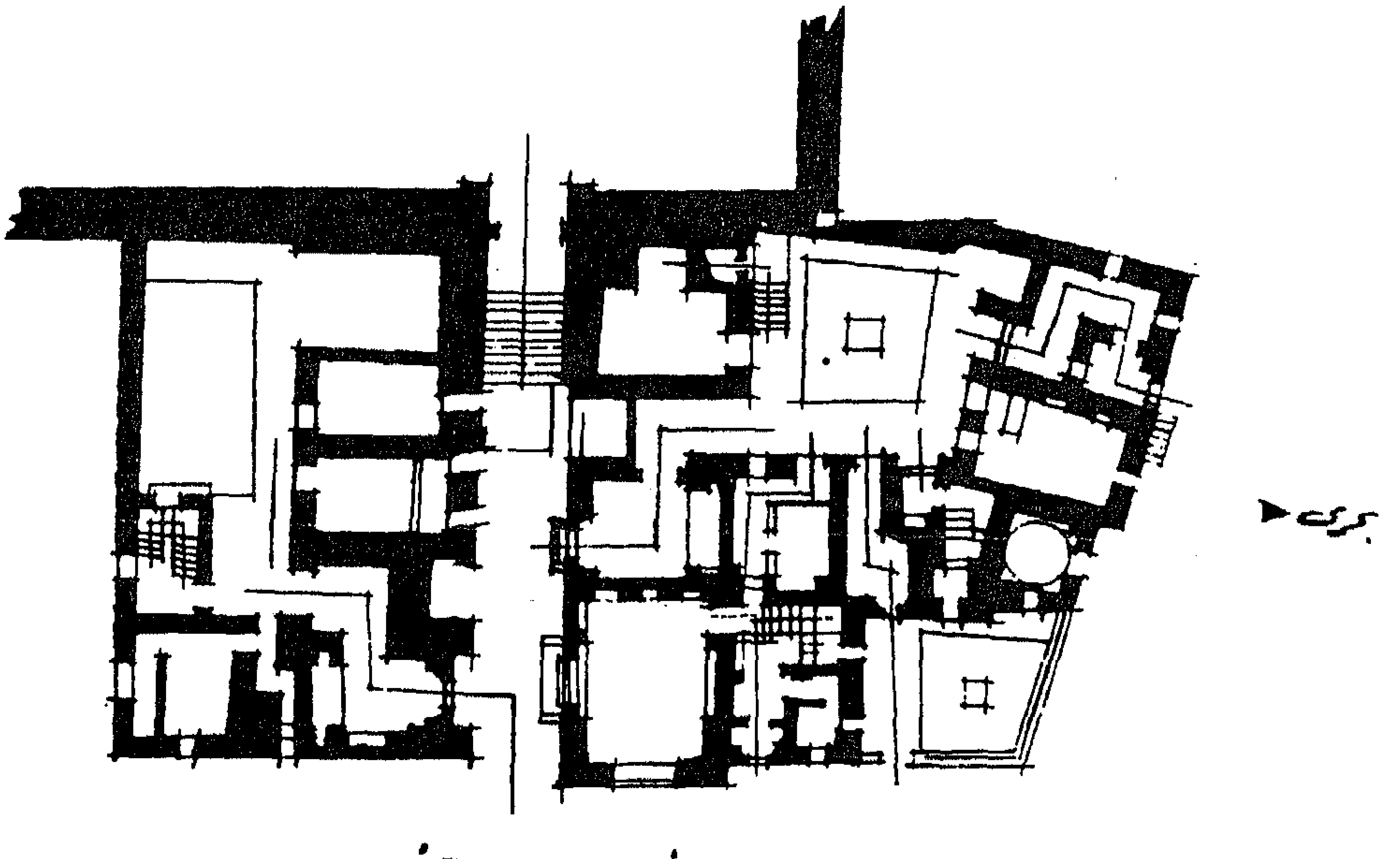

مسقط أفقي الدور الأرضي

(شكل ١٤٢)

بيت الكريدلية
(١٦٣١ - ٣٢ م)

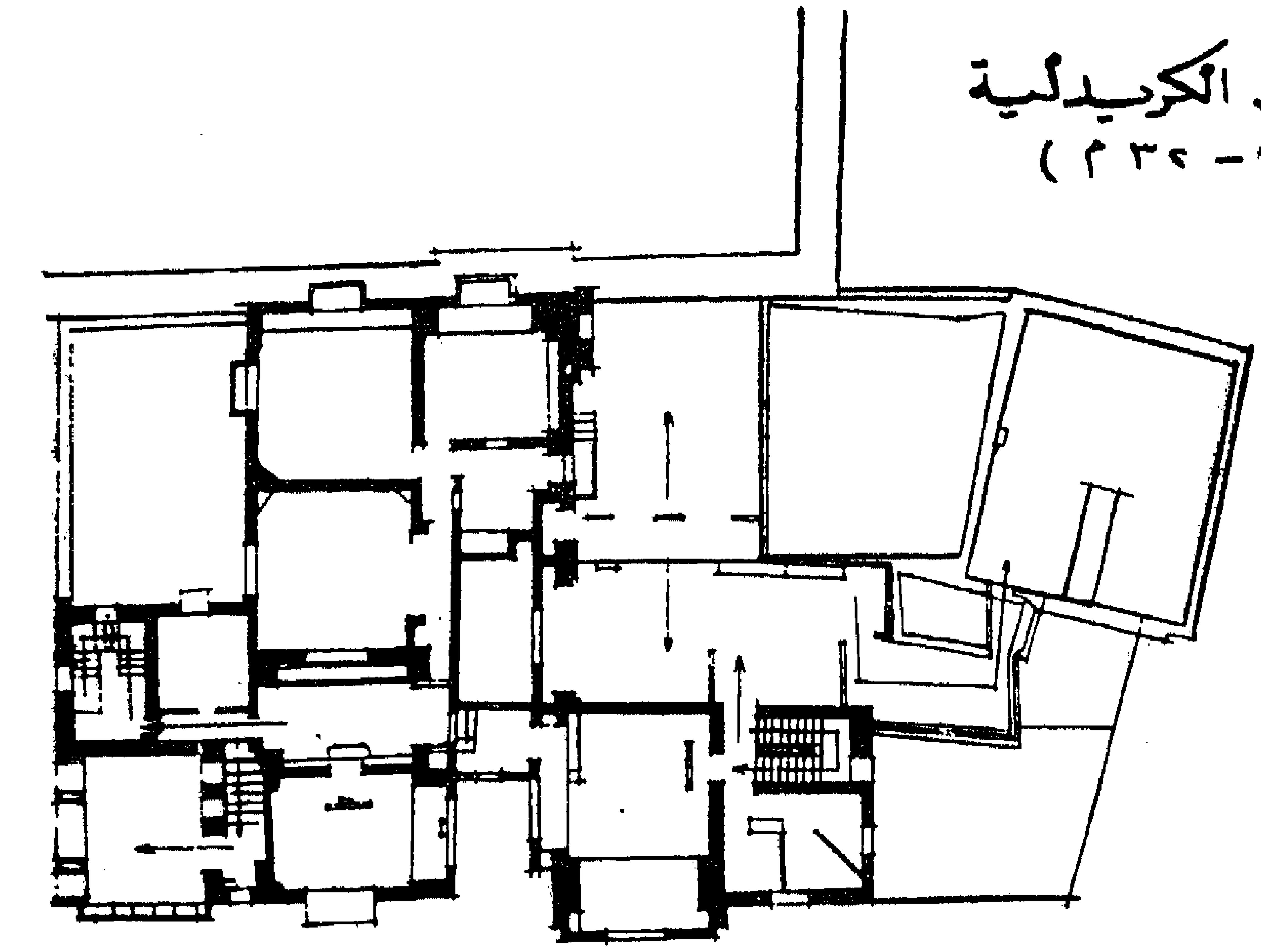

مسقط افقى الدور الثالث

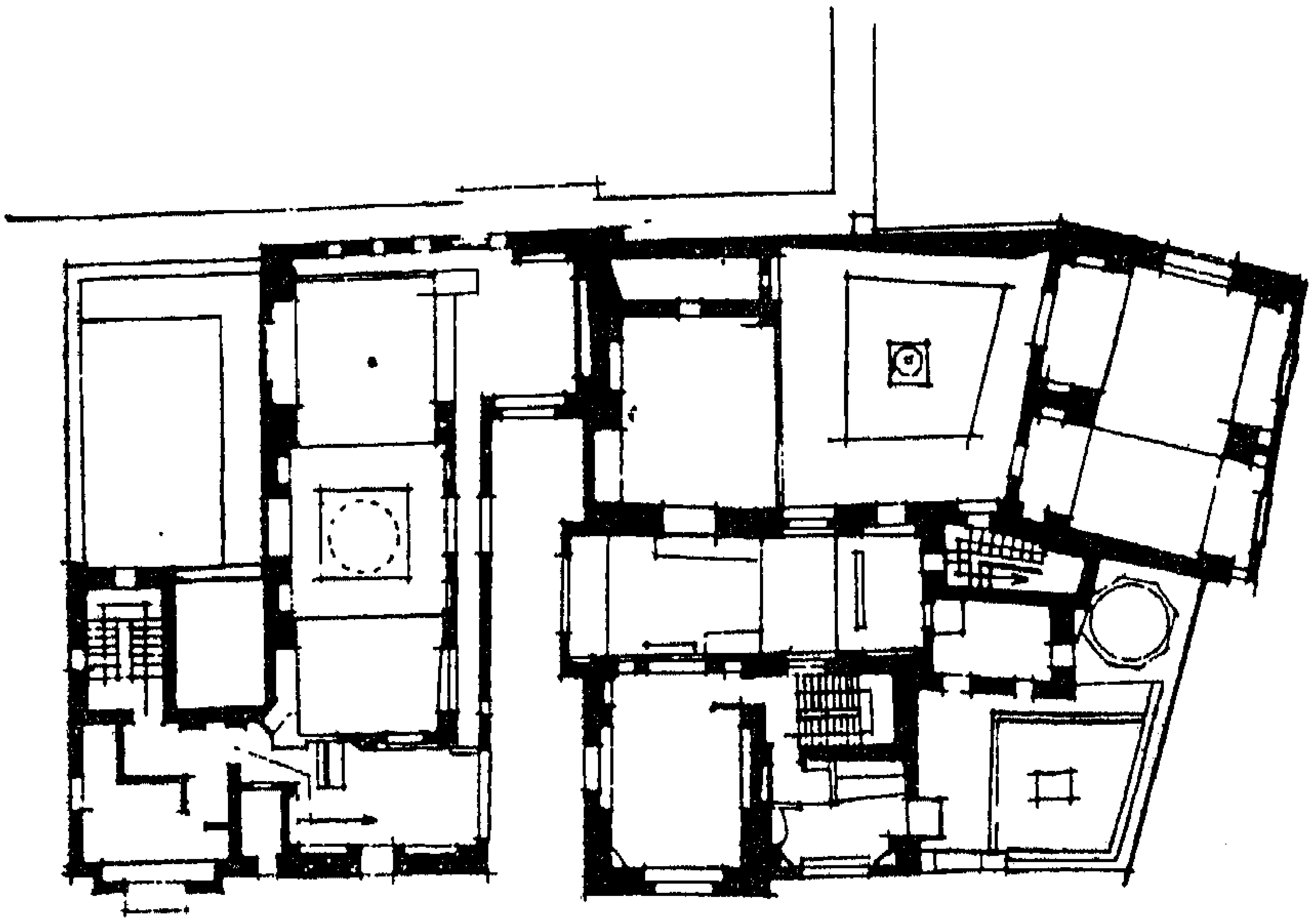

مسقط افقى الدور الثانى

(شكل ١٤٣)

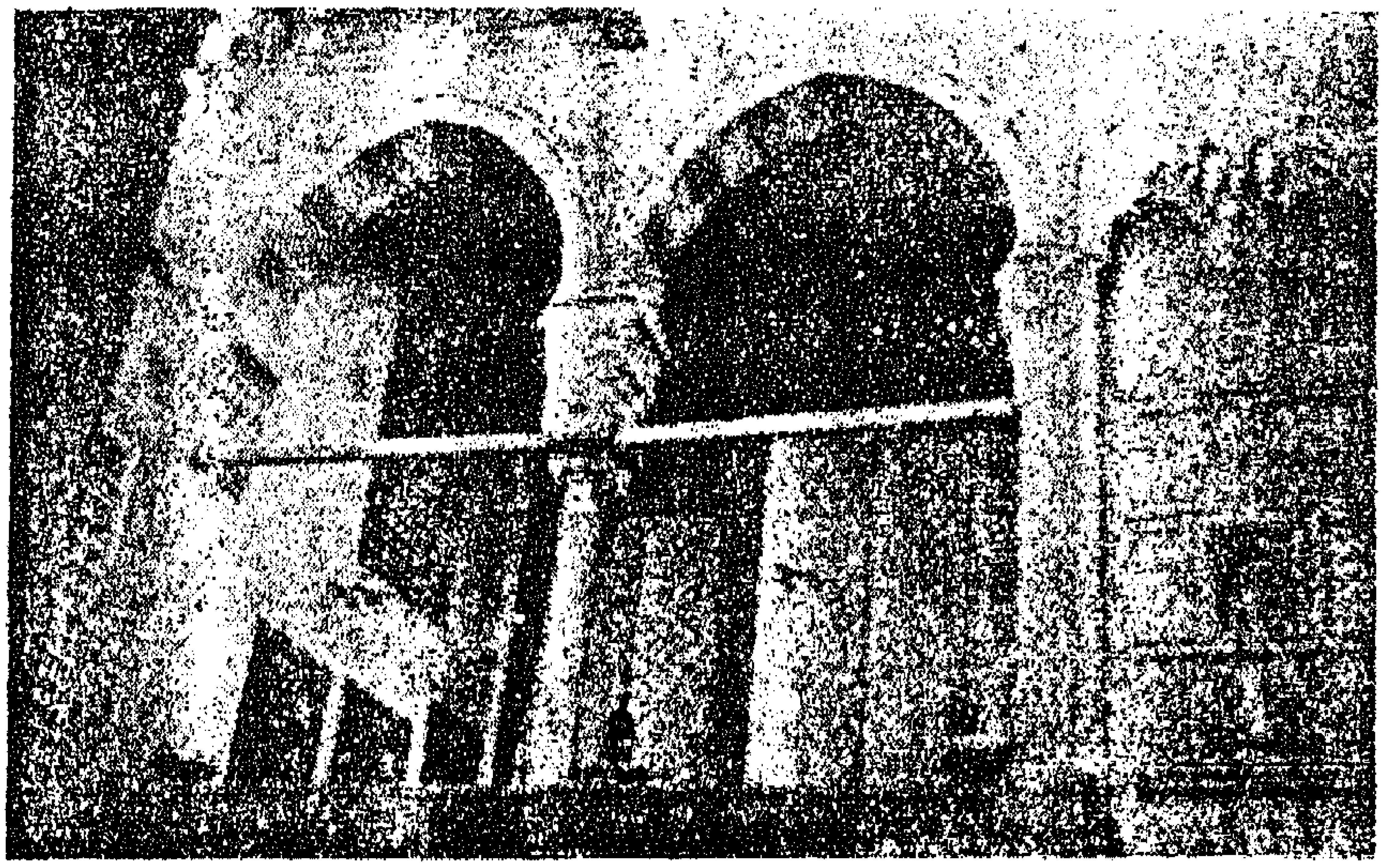

(شكل ١٤٤) مقعد بيت الكريدلية (١٦٣١ - ٣٢ م)

قايتباى ــ ويعتبر النموذج الكامل لأمثلة المقاعد التى أنشئت فى عهد قايتباى ــ وواجهته مكونة من خمسة عقود مدببة على شكل حدوة الفرس وهى محمولة على أربعة أعمدة وتربط العقود فوق الأعمدة روابط خشبية وسقف المقعد محلى بزخارف ملونة ومذهبة •

ويرجع السبب فى تسميته ببيت القاضى الى أن المحكمة الشرعية كانت قد اتخذته مكانا لها قبل اصلاحه ــ وقد قتل الأمير ماماى فى سنة (١٤٩٦ م) • ويرجح أن الفناء الواقع أمامه يمثل حوش القصر نفسه ــ وطول المقعد ٣٢ مترا وارتفاعه حتى السقفه ٢٠ر١١ مترا •

ومن أمثلة القصور المملوكية التى لا تزال قائمة بالقاهرة : ــ

قصر الأمير يشبك (أثر رقم ٢٦٦) (٧٣٨ هـ ــ ١٣٣٧ م) ــ ويعرف باسم حوش بردق ــ وقصر الأمير بشتاك (أثر رقم ٣٤) ــ (٧٤٠ هـ ــ ١٣٣٩ م) ويقع بشارع المعز لدين الله ــ مقابل مدرسة برقوق والمدرسة الكاملية ــ وقصر الأمير طاز (أثر ٢٧٦) (٧٥٣ هـ ــ ١٣٥٢ م) ــ وقصر السلطان قايتباى (أثر ٢٢٨) (٨٩٠هـ ــ ١٤٨٥ م) ــ وقصر الأمير خير بك (أثر ٢٤٩) (٩٠٦هـ ــ ١٥٠١ م) ومنزل زينب خاتون وبقايا منزل السلطان الغورى (أثر ٣٢٢) (٩٠٦ ــ ٩٢٢ هـ) (١٥٠١ ــ ١٥١٦ م) ــ وقاعة منزل الحرمين •

وينسب للقرن السابع عشر عدة بيوت اسلامية أهمها منزل محمد بن الحاج سالم الجزار المعروف ببيت الكريدلية (١٦٣١ ــ ٣٢ م) ويقع بجوار مسجد ابن طولون ــ ومنزل جمال الدين الذهبى (١٦٣٧ م) بشارع حوش قدم ومنزل رضوان بك (١٦٥٤ ــ ٥٥ م) ويقع مقابل مسجد محمود الكردى الى الجنوب من باب زويلة •

وينسب للقرن الثامن عشر منزل المفتى أو الشيخ المهدى (١٧٠٤ ــ ١٧١٥م) ويقع بشارع الخليج المصرى ــ وقصر المسافر خانة بشارع الجمالية (١٧٧٩ م) ــ

ومنزل ابراهيم الأنصارى بالقرب من المدرسة السنية ـ ومنزل ابراهيم كتخدا السنارى (أثر رقم ٢٨٣) (١٢٠٩ هـ ـ ١٧٩٤ م) ويقع بحارة منج بالسيدة زينب ـ ومنزل الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى المعروف ببيت السحيمى (أثر ٣٣٩) ـ (١٠٥٨ ـ ١٢١١ هـ) (١٦٤٨ ـ ١٧٩٦ م) ويقع بشارع الدرب الأصفر بقسم الجمالية .

الباب الرابع

بعض العناصر المعمارية الاسلامية

تميزت بعض المساجد بوجود بعض عناصر معمارية أهمها :

١ ـ الأعمدة والتيجان .

٢ ـ العقود .

٣ ـ المداخل .

٤ ـ المقرنصات .

٥ ـ المآذن .

٦ ـ القباب .

الأعمدة والتيجان :

لم يكن للمسلمين فى بادىء الأمر طرز معمارية خاصة كالرومان والأغريق لاستعمالها فى الأعمدة والتيجان وقد كانوا ينقلون الأعمدة من المعابد والكنائس الخربة الى مساجدهم فى بادىء الأمر ، وفى بعض الأحيان كانوا يقلدونها الى حد كبير . ولأول مرة شوهدت فى أطلال قصر الخليفة المعتصم فى سامرا المعروف بالجوسق الخاقانى ، أعمدة تيجانها ناقوسية أو رمانية الشكل أخذ العرب تصميمها عن الفرس . وشوهدت بعد ذلك لأول مرة فى مصر فى مقياس الروضة وهى تكتنف الفتحات المعقودة بعقود مدببة والمستعملة كمآخذ للمياه من نهر النيل ثم استعملت هذه التيجان بعد ذلك كأعمدة متصلة ركنية فى الدعائم التى

تحمل عقود البائكات فى أروقة الجامع الطولونى بمدينة القاهرة ، ثم استخدمت بعد ذلك فى كثير من المساجد . وكان قطاع البدن دائرى أى أنه اسطوانى الشكل ، ثم تطور شكل البدن بعد ذلك الى بدن مثمن الشكل وذاع استعماله فى عمائر السلطان برقوق والسلطان قايتباى فى عصر المماليك وذلك فى الأعمدة التى تحمل الدكة والميضأة وغيرها وفى بعض الأحيان شوهد البدن مضلعا تضليعا حلزونيا أو مقسما بتجويفات رأسية (خشخانات) أو على هيئة معينات كما شوهد ذلك فى الطراز العثمانى .

أما التيجان فقد عرف منها الكثير كالشكل الرمانى ذو القطاع الدائرى أو المثمن القطاع وفى بعض الأحيان كان يشتمل على صف من الوريقات النباتية على شكل زخرفى جميل كما عرفت التيجان المكونة من المقرنصات أو الدلايات وشوهدت بكثرة فى قصور الأندلس كقصر الحمراء بغرناطة وغيرها وفى بعض الأحيان ينتهى التاج من أسفل بطوق أو حلقة من الحبيبات الدائرية وفى هذا نرى التأثير الساسانى واضحا جليا . وفى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى عاد التأثير الغربى الكلاسيكى يؤثر على شكل التيجان فقد شوهدت الأعمدة الدورية الرومانية تحمل السقف أو تحمل العقود فى الواجهات الخارجية كما نراها فى الجزء الخلفى لرواق القبلة الذى أضافه الأمير عبد الرحمن كتخدا للجامع الأزهر وكما نراه أيضا فى سبيل النحاسين المنسوب اليه وكذلك فى مسجد محمد على بالقلعة .

العقود :

ظهرت فى العمارة الاسلامية أشكال عديدة للعقود وقد ميز بعضها الاقليم الذى شيد فيه الأثر .

وقد كانت العقود النصف الدائرية هى المستعملة فى بداية الاسلام ثم ظهرت بعد ذلك العقود المدببة كما فى قبة الصخرة ببيت المقدس وحمام الصرخ فى بادية الشام ــ أما فى مصر فقد ظهرت لأول مرة فى فتحات مأخذ المياه فى مقياس الروضة وذلك فى عصر المتوكل العباسى فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وبعدها فى الجامع الطولونى . غير أن العقود فى الأخير بها استدارة خفيفة فى

بدايتها تشبه الى حد بسيط عقد نعل الفرس المدبب وهو عقد دو مركزين يزيد ابتداؤه عن خط امتداد كتفى العقد وقد شاع استعماله فى الأندلس وبلاد المغرب وهو على نوعين مدبب ومستدير ٠

كما عرف المسلمون العقد ذا الفصوص وهو يتألف من سلسلة عقود صغيرة وأقواس متتالية وقد استعمل بكثرة فى بلاد المغرب كما فى طليطلة وغرناطة وغيرها ــ أما العقد المزين باطنه بالمقرنصات فقد كثر استخدامه فى الأندلس ولا سيما بقصر الحمراء فى غرناطة وبلاد المغرب فى مراكش ٠

وقد شاع استعمال العقد المدبب المرتفع فى ايران والهند كما فى مسجد الشاه بأصفهان ومسجد الجامع بدلهى وكذلك استعمل فى بعض العمائر فى مصر ٠

وفى الهند استعمل عقد مقوس يتألف من منحنيين متماثلين يتكون كل منهما من قوسين أحدهما محدب والآخر مقعر ٠ على أن هناك أشكالا أخرى للعقود بعضها يشبه المثلث المتساوى الساقين ثم ينزل بعد ذلك رأسيا الى أسفل وقد شوهد هذا النوع فى نهاية العصر الفاطمى فى مصر وكذلك فى الاضافة الأخيرة التى تمت حول صحن الجامع الأزهر فى البائكات المشرفة عليه ٠

وقد ظهر العقد ذو الثلاثة فصوص يتوج بعض مداخل المساجد والمدارس والأسبلة فى نهاية عصر المماليك وما بعده كما فى مسجد السلطان حسن ومدرسة برقوق بالنحاسين وكذا فى سبيل عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين ــ وفى العادة كانت طاقية مثل هذا العقد محمولة على عدة صفوف من المقرنصات ٠

وفى عصر الأتراك العثمانيين عاد الشكل الدائرى للعقد وكذلك العقود الموتورة التى تشبه فى شكلها قطعة الدائرة كما فى سبيل النحاسين٠

المداخل :

بالنسبة للمساجد الأولى فى الاسلام يلاحظ اختلاف بين التى وجدت فى سوريا والأخرى التى بنيت فى العراق ، فبينما نرى للمسجد فى سوريا ثلاثة مداخل رئيسية محورية عدا الجانب الذى به القبلة ، نرى تعدد فتحات المداخل فى المساجد العراقية ــ وقد أثرت هذه بدورها على أغلب المساجد التى وجدت

بعد ذلك فى شمال افريقية والأندلس وكذلك فى مصر الاسلاميـــة . فبينما نرى مثلا تعدد مداخل الجامع الطولونى لتأثره بالعمارة العراقية نرى فى مسجد الظاهر بيبرس وكذا فى مسجد الناصر محمد بالقلعة وجود ثلاثة مداخل محورية وهو بلا شك تأثير سورى .

ولأول مرة فى مصر نشاهد مدخــلا بارزا عن الواجهة الرئيسية فى جامع الحاكم وقد تأثر هذا بدوره عن مدخــل مسجد المهــدية بتونس حيث نقــل الفاطميون عنه هذا التصميم ـــ كما وجد أيضا مدخل من نوع آخر فى مسجد الصالح طلائع الفاطمى الموجود أمام باب زويلة وهو يتكون من سـقيفة ذات عقود تتقدم المدخل وهذه بدورها قد استنبط الفاطميون تصميمها نقلا عن مدخل جامع أبو فتاتة بسوس بشمال أفريقية ثم تعددت المداخل البارزة الرئيسية بعد ذلك فى بعض المساجد التى أنشئت بمدينة القاهرة كما فى مسجد الظاهر بيبرس . أما مدخل مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين فهو منقــول من كنيسة بعكا وهو قوطى الطراز . وقد لوحظ بعد ذلك أن الأبواب الخارجية فى المساجد والمبانى الكبيرة توضع داخل عقود شاهقة عميقة بعض العمق ، وقد تمتد الى ارتفاع البناء كله كما فى مسجد ومدرسة السلطان حسن بالقلعة ـــ وكان يكتنف الباب من جهتيه مكسلة (مصطبة) ويعلو المدخل عقد ذو ثلاثة فصوص وطاقية محمولة على صفوف عديدة من المقرنصات وأغلب هـــذه المداخل قد شوهدت فى العصر المملوكى وما بعده .

أما الأبواب نفسها فقد كانت فى الواقع تحفا نادرة بعضها لا يزال موجودا فى بعض المساجد الكبيرة كما فى مسجد المؤيد المجاور لباب زويلة وهو منقول أصلا من مدرسة السلطان حسن بالقلعة . والبعض الآخر محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وبعض هذه المجموعة القيمة يمثل دقة صناعة الحفر على الخشب والبعض الآخر يمثل دقة الحفر على النحاس أو البرونز وكلها تحف نادرة للفنون فى العصر الإسلامى .

المقرنصـــات :

لعبت المقرنصات أو الدلايات دورا هاما فى زخرفة العمائر الاسلامية ، وهى فى الواقع حليات معمارية تشبه خلايا النحل ـــ وتستعمل اما كوسيلة انشائية أو

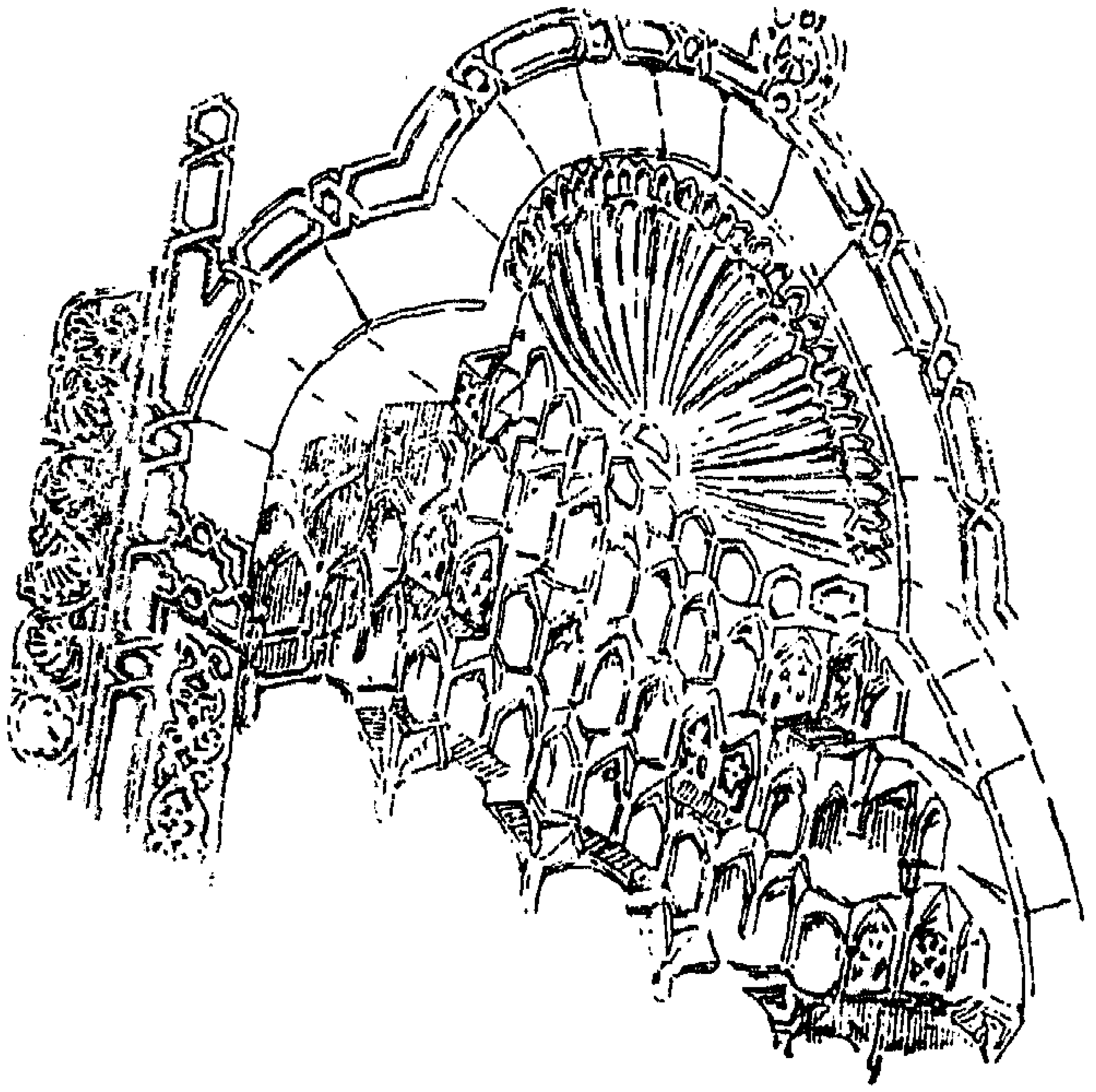

(شكل ١٤٥) طاقية مدخل أحد مساجد القاهرة (القرن ١٦ م) عن (سيرز)

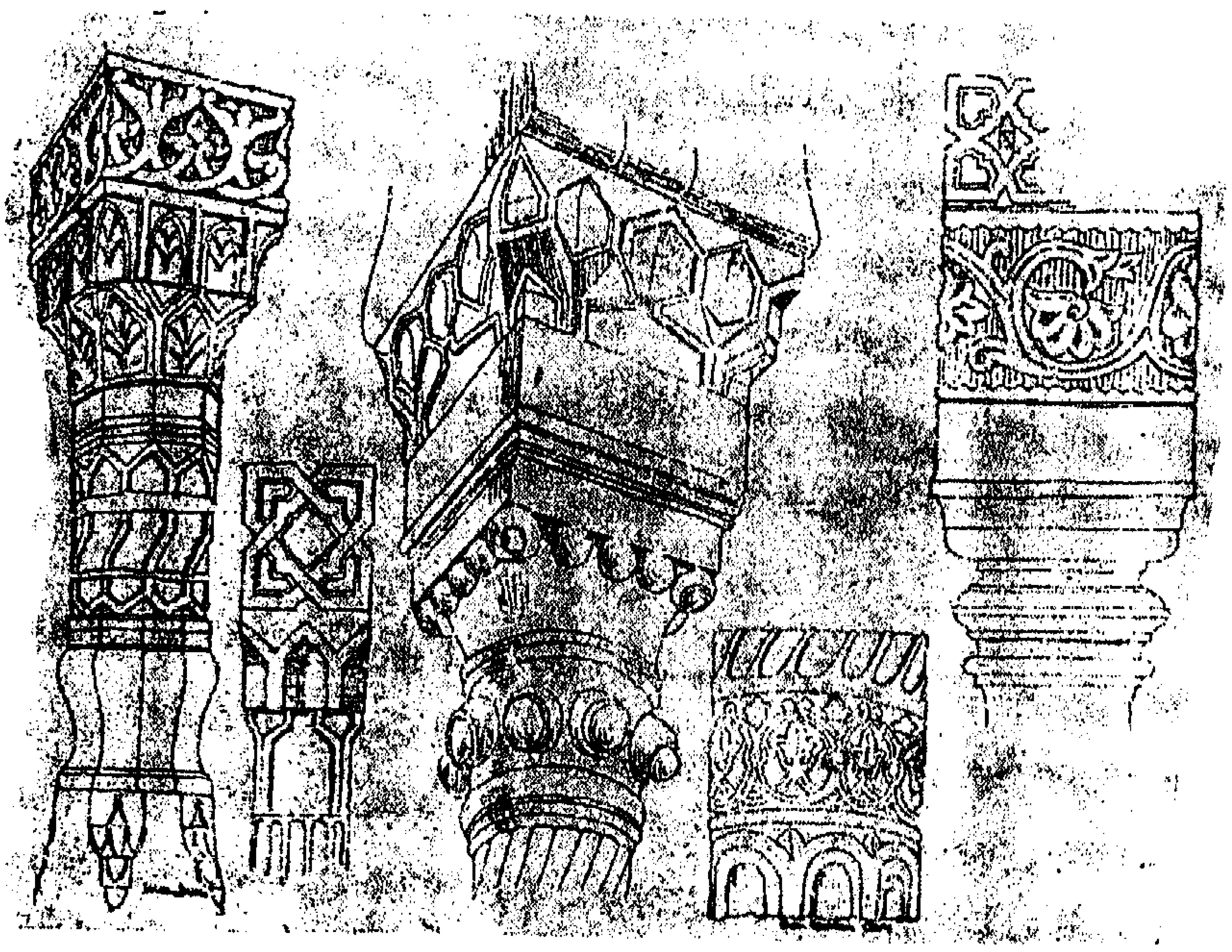

(شكل ١٤٦) تنوع أشكال تيجان الأعمدة – القاهرة (عن سيرز)

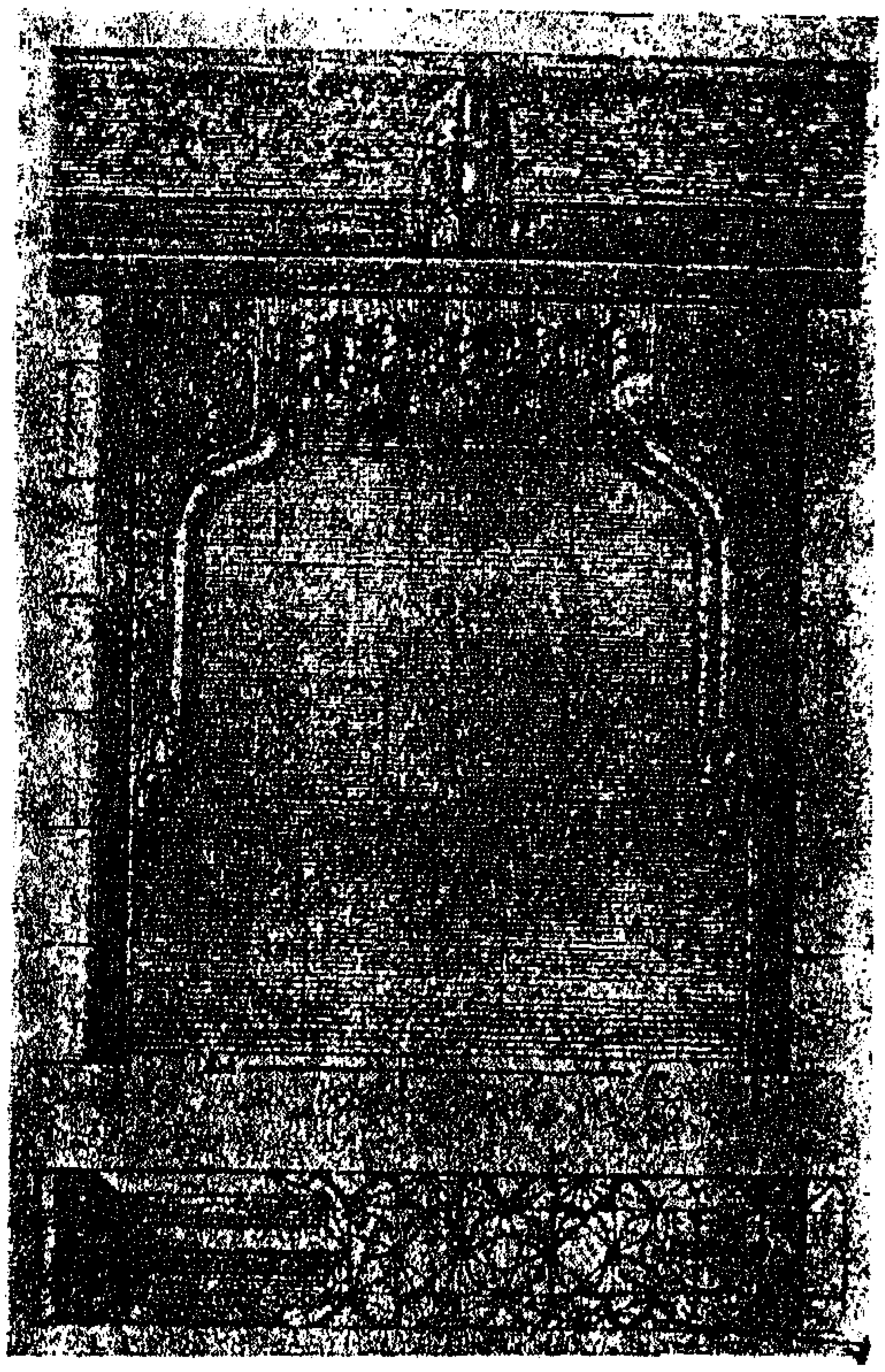

(شكل ١٤٧) استعمال « المقرنص » داخل تجويف مستطيل للا نتقال من سطح إلى آخر
(عن جاييت)

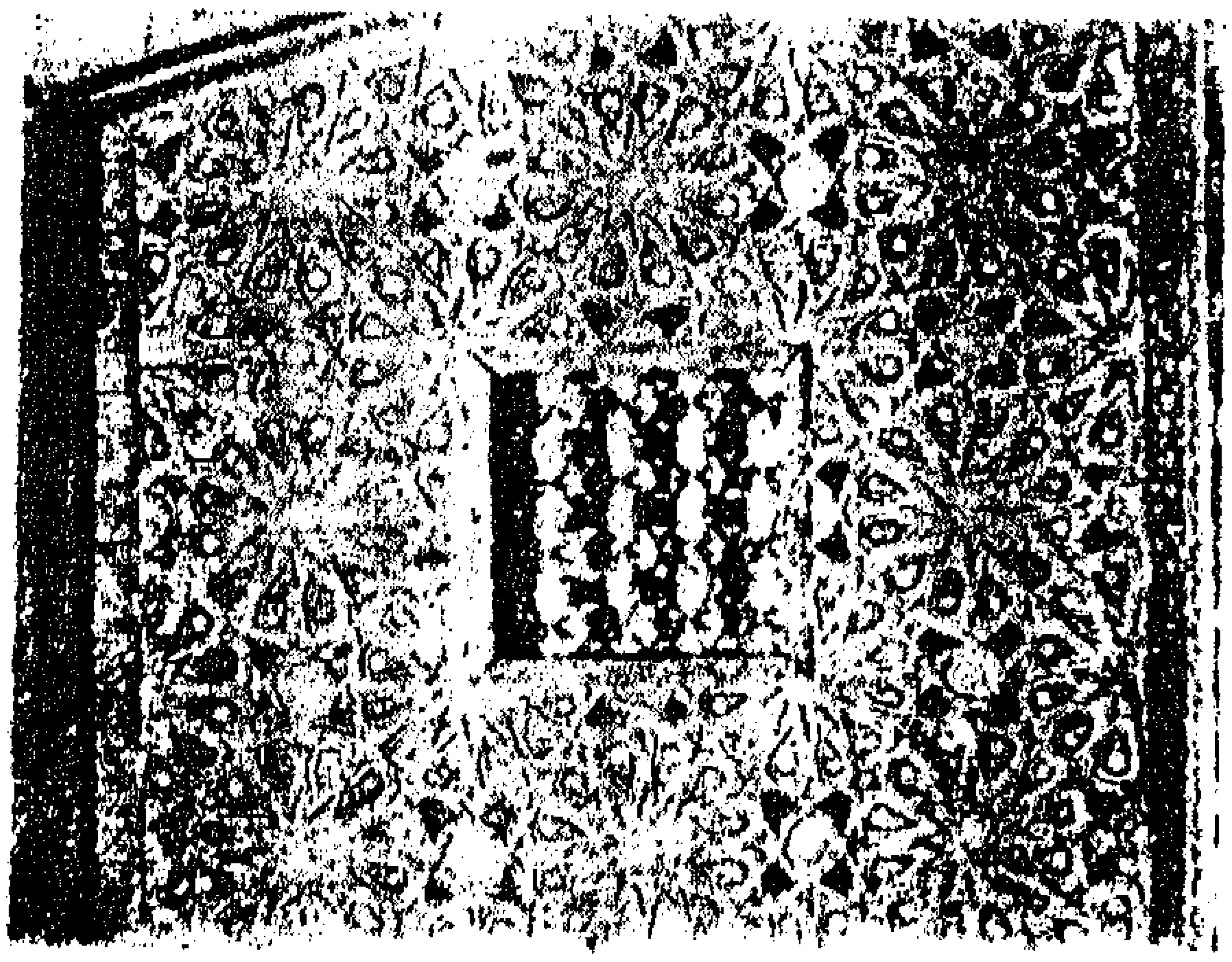

(شكل ١٤٨) استعمال المقرنص فى سقف دهة المدخل فى سبيل عبد الرحمن كتخدا بالنحاسين

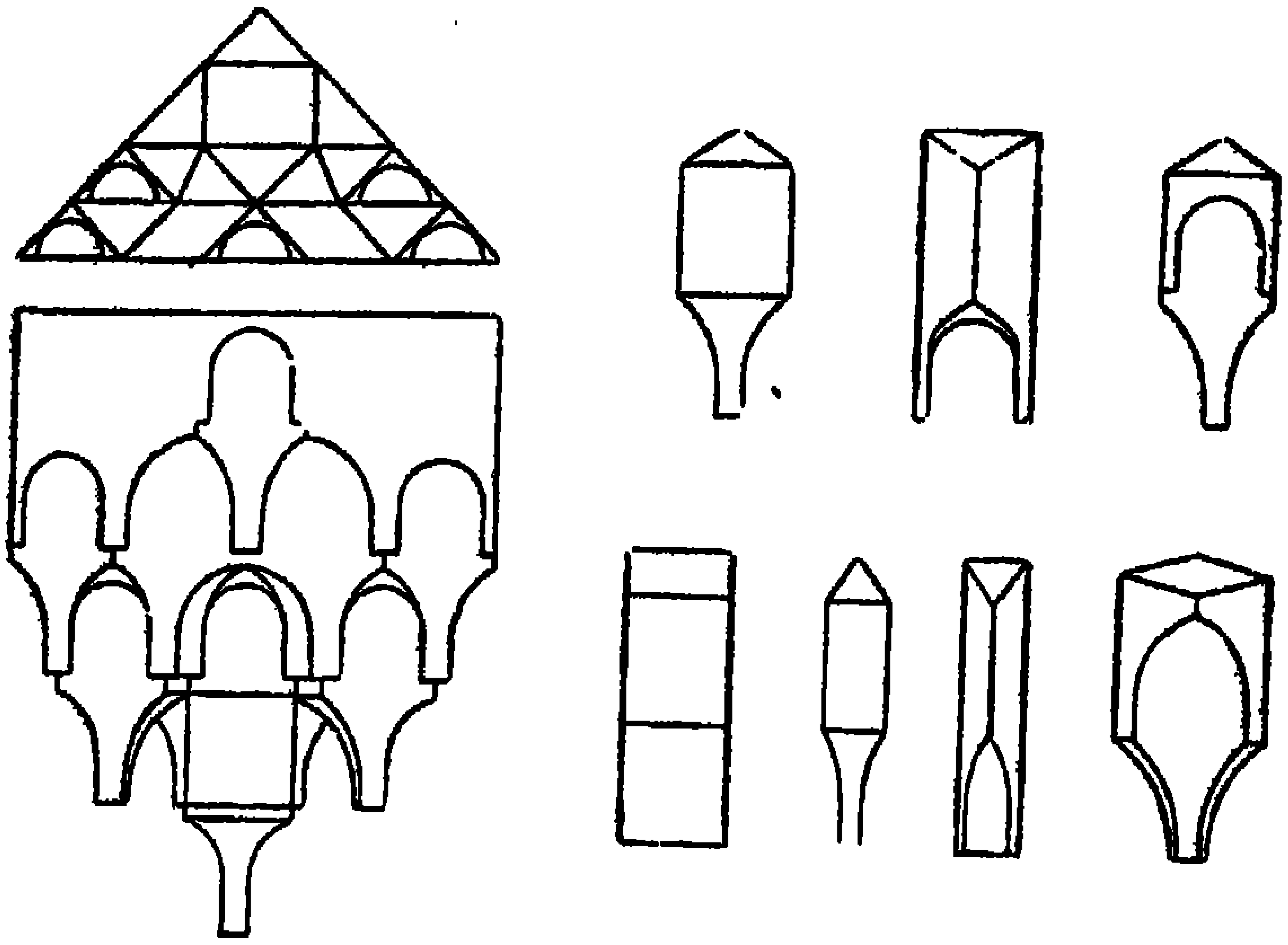

(شكل ١٤٩) وحدات من المقرنص

زخرفية . ففى الحالة الأولى قد لعبت دورا فى تحويل المربع الى الدائرة فى انشاء القبة الدائرية ـ فقد استعملت فى بادىء الأمر الطاقة المفردة فى أركان الغرفة المربعة فى العهد الساسانى فى القرن الثالث بعد الميلاد . ومن الأمثلة الأولى لظهورها فى القصور الساسانية ما شوهدت فى فيروزباد وقصر شيرين وسرفستان. وقد انتشرت هذه الطريقة فى تحويل القبة من المربع الى الشكل الدائرى بعد ذلك شرقا وغربا فظهرت فى حوالى القرن الخامس فى العصر البيزنطى وفى أرمينيا فى القرن السابع .

وقد ظهرت عدة محاولات لاستعمال الطاقة المفردة فى عدة أقاليم أخرى كسوريا والعراق والأناضول وتركستان ـ وكانت فى بادىء الأمر على أشكال مخروطية أو حنايا ترتكز عادة على عمودين صغيرين وقد اختلفت مادة البناء فى الأقاليم المختلفة التى ظهرت فيها ، فبينما نرى استخدام الطوب فى كل من بلاد الفرس والعراق نجد استعمال الحجارة فى سوريا .

وقد ظهر استعمال هذه الطريقة فى عهد العباسيين فى العراق فى مدخل باب العامة لقصر الخليفة المعتصم فى سامرا وهو المعروف باسم « الجوسق الخاقانى » ، كما استعملت أيضا فى عدة أجزاء من قصر الأخيضر العباسى فى العراق .

الى جانب ذلك انتشرت طريقة استعمال الطاقة المفردة فى شمال افريقيا والأندلس وأغلب مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ومن أجمل هذه الأمثلة ما شوهدت فى تحويل القبة التى تتقدم المحراب فى مسجد القيروان بشمال افريقية فى سنة (٢٤٨ هـ ـ ٣/٨٦٢ م) وكان شكلها يشبه المحارة المضلعة وكذلك كشكل عقود متداخلة ذات المركز الواحد التى ظهرت أصلا فى باميان بالهند .

ومن أهم الأمثلة التى وجدت فى الأضرحة الأولى فى الاسلام « قبة الصليبية فى سامرا » ـ وقد أقام هذا الضريح الخليفة العباسى « المنتصر » فى العراق ، وكانت أمه من أصل افريقى ، واستعملت الطاقة المفردة فى تحويل الأركان لاقامة القبة المستديرة . وقد دفن فى هذا الضريح ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم « المنتصر والمعتز والمهتدى » .

وقد تطورت الطاقة المفردة بمضاعفة عدد « حطاتها » وظهر ما يعرف باسم « المقرنصات » وانتشرت فى الشرق فى القرن الحادى عشر . فظهرت فى ايران وكان من أجمل الأمثلة ما وجد فى جنبديكابوس فى جورجان سنة (١٠٠٧م) ثم بعد ذلك فى بعض الحنايا فى قبة الضريح بالمسجد الجامع بأصفهان سنة (٤٨١هـ ــ ١٠٨٨ م) .

وفى المثلين الأخيرين كان شكل المقرنص على شكل عقد مدبب ذى ثلاثة فصوص ، وهو يتكون من منطقة سفلية تجمع بين طاقة فى الوسط يكتنفها حنيتان وتتوج هذه المجموعة طاقة علوية .

وفى مصر شوهد أقدم مثال ــ كما ذكر هوتكير ــ فى كنيسة أبى سيفين فى مصر القديمة سنة (١٠٧٤ ــ ١١٢١ م) وكان التأثير السورى والفارسى واضحا فى وجود المقرنص بين حنيتين ــ كما وجد فى مكان التعيد لسان چورچ فى نفس الكنيسة شكل المقرنص الذى شوهد قبلا فى أصفهان .

ولعل أقدم أمثلة للقباب الاسلامية هى الموجودة فى جامع الحاكم وجامع الجيوشى ومن قبلهما ما كان موجودا فى ركنى رواق القبلة وكذا فوق المحراب فى الجامع الأزهر ــ وفى جميع هذه الأمثلة كانت طريقة تحويل القبة من المربع الى الدائرة بواسطة استعمال الطاقة المفردة أو الاسكوانش فى الأركان الأربعة . كما تعتبر الطريقة التى استعملت فى تحويل القبة من المربع الى الدائرة فى ضريحى محمد الجعفرى والسيدة عاتكة سنة ١١٢٥ م نقطة التحول فى وجود القبة ذات المقرنصات . وقد وجدت المقرنصات فى صفين ، السفلى مكون من ثلاث حنايا والعلوى من حنية واحدة فقط ــ وفى العصر الأيوبى وجد ثلاث حطات من المقرنص كما فى قبة الخلفاء العباسيين (١٢٤٢ ــ ٤٣ م) وفى قبة ضريح السلطان الصالح أيوب (١٢٥٠ م) .

وهناك عدة أمثلة أخرى تبين تطور استعمال المقرنص فى تحويل القبة من المربع الى الدائرة فقد ظهرت تتكون من أربع حطات فى قبة ضريح بيبرس الثانى ــ الجاشنكير ــ سنة (١٣٠٦ ــ ٩ م) ومكونة من خمس حطات فى قبة ضريح الأمير صرغتمش (١٣٦٥ م) ــ وتختلف طريقة المقرنصات السورية عن المصرية فبينما نراها فى الأولى فى شكل خطوط منكسرة فى المسقط الأفقى

ومنحنية فى الثانية • كما أن عدد التجويفات فى كل صف تكاد تكون مساوية لما تحتها أو فوقها فى المقرنصات المصرية بينما تزيد واحدة فى كل صف يعلو الآخر فى المقرنصات السورية •

ومن أحسن الأمثلة للقباب المنشأة على المقرنصات قبة الامام الشافعى التى أنشأها الملك الكامل سنة (٦٠٨هـ — ١٢١١م) • وتتكون حطات المقرنص من ثلاث — السفلى من خمسة تجويفات والوسطى من سبعة والعليا تتكون من ثلاثة فقط • وقد تزايدت حطات المقرنص فى مصر حتى بلغت ست عشرة فى بعض القباب •

وبعد فتح العثمانى لمصر عادت طريقة تحويل القبة بواسطة المثلثات الكروية نتيجة للتأثير البيزنطى على العمارة الاسلامية الذى قدم مصر عن طريق القسطنطينية • ومن أجمل الأمثلة لاستخدام هذه الطريقة ما نراه فى قبة مسجد محمد على بالقلعة بالقاهرة •

ولقد كان استخدام المقرنصات فى أشكال أخرى أهمها ما يأتى : —

١ — استخدمت كعنصر زخرفى لأول مرة فى مصر ككورنيش لشرفة مئذنة جامع الجيوشى •

٢ — وجدت المقرنصات فى تجويفات وحنايا واجهة جامع الأقمر الفاطمى للتدرج أو الانتقال من سطح الى آخر — وبعده شوهدت فى كثير من واجهات العمائر الاسلامية •

٣ — استعملت المقرنصات أيضا فى كثير من الكوابيل الحجرية كوسيلة لحمل الشرفات وفى الحرمدانات التى تحمل الأعتاب والسقوف الخشبية •

٤ — استخدم المقرنص فى تيجان الأعمدة وقد انتقلت هذه الطريقة الى مصر عن ايران ، اذ ظهرت فيها لأول مرة فى القرن الثانى عشر الميلادى •

٥ — استعملت المقرنصات فى طواقى المداخل الرئيسية لبعض العمائر الاسلامية فى عصر المماليك وما بعده وذلك كوسيلة لتحويل أركان التجويف المستطيل الى سطح دائرى كروى حيث توضع فوقه طاقية المدخل — وقد شوهدت هذه الطريقة فى كثير من المداخل الرئيسية للمساجد والوكالات وغيرها •

المآذن في العالم الإسلامي

مقدمـــة :

- لم تكن المئذنة معروفة فى أيام النبى ففى بداية الاسلام كان يدعى للصلاة بدون آذان ـ ولقد كان « بلال » أول من أمره الرسول للدعوة للصـــلاة من أعلى سطح مجاور للمسجد ـ وأحيانا كان يؤذن من فوق سور المدينة .

ولعل الأبراج الاربعة الموجودة فى أركان المعبد الوثنى القديم الذى قـــام على أنقاضه المسجد الأموي بدمشق هى المآذن الاولى فى الاسلام ـ وقد تأثر عنها تصميم شكل المآذن فى شمال أفريقية والأندلس فكانت على شكل أبراج مربعة كما فى مسجد القيروان وقرطبة وتنوعت أشكالها فى مختلف بقاع العالم الاسلامى فبينما ظهرت على شكل « الملوية » فى العـــراق وكالفنارات فى ايران والهند اتخذت أشكالا مختلفة فى مصر وفى تركيا وغيرهما .

كذلك اختلف اســـتخدام الحجر أو الطوب حسب مادة البناء المســـتعملة فى الاقليم الذى تقام فيه المئذنة . فقد استعمل الحجر فى الأندلس ومصر وبلاد العرب وآسيا الصغرى واستخدام الطوب فى العراق وايران وأفغانستان وبلاد المغرب ـ أما فى الهند فقد بنى بالطوب والحجر على السواء .

تطور المآذن فى مصر :

ظفرت مصر بمجموعة نادرة من المآذن قل أن توجد مثلها فى غيرها من بقاع العالم الاسلامى فهى تمثل تطور المآذن فى العصور المتعاقبة التى مرت بمصر منذ الفتح الاسلامى حتى العصر الحديث .

ولعل مئذنة الجامع الطولونى هى أقدم المآذن المصرية التى لا تزال باقية ، ويرجع بدء تشييدها الى عصر أحمد بن طولون فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) • وقد أقامها على غرار مئذنة جامع سامرا المعروفة « بالملوية » • فقد نشأ أحمد بن طولون فى مدينة سامرا بالعراق ونقل عنها طريقة تشييد وتصميم مسجد سامرا — غير أن المئذنة الحالية للجامع الطولونى قد طرأ عليها عدة تغيرات جوهرية حتى ظهرت بشكلها الحالى — فالقاعدة المكعبة يرجع اضافتها كتكسية من الخارج الى السلطان لاجين (٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م) وتعتبر تكسية للجزء الأصلى الذى بناه ابن طولون — ويعلو ذلك جزء اسطوانى له درج من الخارج ويرجح أنه جزء أصيل من أيام بنى طولون وفى الجزء العلوى للمئذنة يوجد مثمنان ، العلوى أصغر من السفلى وكلاهما بهما درج من الداخل وينتهيان من أعلى بصفوف من المقرنص وتنتهى القمة العليا للمئذنة بطاقية مضلعة ويبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض ٤٠٫٤٤ مترا • كذلك يتشابه الى حد كبير موقع المئذنة بالنسبة لباقى المسجد فى كل من مسجدى بن طولون وسامرا •

ويلى مئذنة بن طولون من حيث القدم منارتا جامع الحاكم المجاور لباب الفتوح أحد أبواب سور القاهرة الشمالى الذى بنى فى عهد بدر الجمالى وتقع المنارتان فى ركنى المسجد فى نهايتى الواجهة الشمالية الغربية • ولكل من المنارتين قاعدة هرمية ناقصة يعلوها بدن مثمن القطاع يزخرفها ثلاث مناطق من المقرنصات وبقمتها طاقية مضلعة وداخل كل هرم ناقص يوجد مكعب هو القاعدة الأصلية للمئذنة وقد ثبت القائمان الرأسيان بواسطة عقود رابطة لتثبيتهما رأسيا • ويرجع تاريخ الجزء الحجرى السفلى لكل من المنارتين لعهد الحاكم بأمر الله بينما يرجع الجزء العلوى المبنى من الطوب الى السلطان بيبرس الجاشنكير فى سنة ١٣٠٩ م•

وقد تأثر تصميم منارتى جامع الحاكم الى حد كبير بمئذنة جامع صفاقس بشمال افريقية حيث بدأ الفاطميون حكمهم هناك ثم انتقلوا بعد ذلك الى القاهرة•

وكما كان لبدر الجمالى شهرته العظيمة فى عمارته الحربية التى بناها فى زمانه اذ تنسب له عدة عمائر دينية لا تقل عنها فى الأهمية من ناحية القيمة الأثرية ففى أسوان أنشأ مسجده القريب من فندق كاتراكت والمشهد البحرى أو الباب بالقرب من الشلال والمشهد القبلى أو « بلال » بالقرب من منطقة الشلال أيضا

ومئذنة كل من هذه المساجد تشبه المخروط الناقص وبعضها يعلوه اما جزء مربع ينتهي بقبة صغيرة كما في المشهد البحرى أو بمناطق ثلاث مثمنة ومقعرة الى الداخل وتنتهي بطاقية صغيرة كما في المشهد القبلي ـ أما في مدينة الأقصر فان منارة مسجد أبي الحجاج التي لا تزال باقية بمعبد الأقصر فيرجع تاريخها الى بدر الجمالي أيضا ــ وهي مبنية من اللبن وتبتدىء من أسفل بقاعدة مربعة والجزء العلوى منها على شكل اسطوانة مسلوبة تضيق في قطاعها العلوى كلما ارتفعت ويغطي قمتها قبة صغيرة . وفي اسنا يوجد جامع آخر ينسب لبدر الجمالي أيضا ويرجع تاريخه الى سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ــ١٠٨٢ م) وتتكون مئذنته من قاعدة مكعبة يعلوها اسطوانة تضيق في القطر كلما ارتفعت وتنتهي بشرفة تجرى حولها ولها سور خشبي ــ ويعلو الاسطوانة منطقة مثمنة أضلاعها مقعرة الى الداخل وهي تشبه في تصميمها المدافن في أسوان وهذه يرجع تاريخها الى القرن الحادى عشر الميلادى ــ ويوجد في القمة جوسق صغير مثمن القطاع يعلوه قبة صغيرة وبكل ضلع من أضلاعه نافذة معقودة بعقد مدبب الشكل .

كما يرجع انشاء جامع الجيوشي الواقع على سفح جبل المقطم بالقاهرة الى أمير الجيوش بدر الجمالي (١٠٨٥ م) ويقع هذا الجامع شرقي مدينة القاهرة في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة . ومئذنة هذا الجامع ذات قاعدة مربعة تنتهي من أعلاها بشرفة مزخرفة من الخارج بالمقرنصات وهي تقوم فوق المدخل الذى يقع في منتصف الواجهة الشمالية الغربية للجامع ــ وفوق القاعدة المربعة يوجد مكعب أصغر من السفلي وبكل ضلع من أضلاعه فتحة معقودة بعقد مدبب ويعلوه مثمن مساحته أصغر من المكعب الواقع بأسفله وبكل جانب من جوانبه الثمانية فتحة معقودة أيضا بعقد مدبب وتوجد بقمة المئذنة قبة صغيرة مبنية بالطوب .

ولا تختلف مئذنة أبي الغضنفر (٥٥٢ هـ ــ ١١٥٧ م) كثيرا عن مئذنة جامع الجيوشي غير أن القاعدة المربعة العالية تنتهي بشرفة من الخشب مثمنة محمولة

على كوابيل ويعلوها منطقة مثمنة بها فتحات معقودة بعقود ذات فصوص وفوقها توجد قبة مضلعة .

وتعتبر مئذنة الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٩ م) النموذج الأصلي لمآذن العصر الأيوبي وتتكون من قاعدة مربعة تنتهي بشرفة مثمنة محمولة على كوابيل خشبية ويعلوها طابق آخر مثمن الشكل وأقل ارتفاعا من السفلى وبكل ضلع تجويف متوج بعقد مدبب طاقيته بها قنوات مشععة وبهذا التجويف توجد فتحة معقودة بعقد ذى فصوص — ويعلو المنطقة المثمنة صفان من المقرنص وفى أعلى القمة توجد قبة لها استطالة رأسية ومضلعة تعرف باسم «المبخرة» وهذا الشكل هو المميز لأغلب المآذن التى بنيت فى العصر الأيوبى والمادة المستعملة فى تشييد هذه المآذن هى الطوب وتغشيه طبقة خارجية من الجص .

وتعتبر « مبخرة » زاوية الهنود (١٢٥٠ م) . من أجمل الأمثلة للمآذن التى بنيت فى مصر فى أيام دولة المماليك البحرية ويرجع تاريخ هذه المئذنة ما بين عهدى الصالح نجم الدين أيوب والسلطان بيبرس الثانى — ولعل المئذنة الوحيدة من النوع المعروف بالمبخرة ، المؤرخة فى القرن الثانى عشر الميلادى هى مبخرة أبى الغضنفر (٥٥٣ هـ — ١١٥٧ م) .

ومن أمثلة المآذن التى بنيت فى مصر فى عصر دولة المماليك البحرية أيضا :—

مئذنة مدرسة وضريح السلطان قلاوون بالنحاسين (١٢٨٥ م) ، ومئذنة مسجد وضريح سلار وسنجر الجاولى (١٣٠٤ م) ، ومئذنة مسجد الماردانى (١٣٤٠ م) .

وقد استعملت الحجارة ذات اللونين الأبيض والأحمر فى زخرفة مئذنة مدرسة وضريح السلطان قلاوون فبينما استخدمت فى مربعات على شكل الشطرنج فى جزئها السفلى نراها فى طبقات أفقية بالتبادل فى جزئها العلوى كما تتكون هذه المئذنة من ثلاثة أدوار رئيسية السفليان منها قطاعهما مربع والعلوى قطاعه

مستدير الشكل ويلاحظ التأثير السورى فى استعمال الأبراج المرتفعة المربعة كما يلاحظ أيضا استخدام بعض العناصر المعمارية الزخرفية وبعض العقود فى عدة فتحات بالمئذنة وهى ذات تأثير أندلسى مغربى •

ويلاحظ لأول مرة فى مئذنة سلار وسنجر الجاولى وجود منطقة اسطوانية فى الجزء العلوى فوق المنطقة المثمنة وهى مثقوبة بفتحات معقـــودة وتحمل طاقية المبخرة ـــ كما أن زيادة الارتفاع فى القسمين العلويين الاسطوانى والمثمن كان على حساب البرج السفلى المربع القطاع ويعلو هذا الأخير شرفة مربعة محمولة على ثلاثة صفوف من المقرنصات •

وقد عوض قصر القاعدة المربعـــة فى مئذنة الماردانى ارتفاع فى الجزء المثمن الأوسط الذى ينتهى بشرفة محمـــولة على مقرنصات ـــ أما الجزء العـــلوى فتخطيطه دائرى ويتكون من أعمدة تحمل بينها عقودا وبهذا اختلفت فى هـــذا الجزء عن مئذنة سلار وسنجر الجاولى ـــ وقد شيدت مئذنة شبيهة بمئذنة مسجد الماردانى فى مدينة حلب فى سنة ١٣١٨ م • وقد أنشأها أيضا الطنبغا الماردانى ـــ وعلى هذا يرى الأستاذ كريزول أن الشكل المثمن للمئذنة قد انتقل الى مصر عن طريق ســـوريا •

وقد سقطت المئذنة الشرقية لمدرسة السلطان حسن (٧٥٧ـــ٦٤ هـ) (١٣٥٦ـــ ٦٢/٣ م) بميدان صلاح الدين بالقلعة فى الخامس عشر من المحرم سنة ١٠٧٠ هـ (الموافق الثانى من أكتوبر سنة ١٦٥٩ م) وبسقوط هذه المئذنة زالت معهـــا قبة الضريح التى كانت موجودة فى ذلك الوقت • ويرجع تاريخ انشاء المئذنة الشمالية الشرقية وكذا القبة الحالية الى الاصلاح الذى تم فى سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ـــ١٦٧٢ م) •

وتعتبر مئذنة السلطان حسن القديمة أجمل الأمثلة للمآذن التى أنشئت فى عهد دولة المماليك البحرية وقد تمت طريقة تحويل مربع القاعـــدة الى المثمن

الأوسط بطريقة المثلثات بوضع قواعدها الى أعلى ورؤوسها الى أسفل ــ وبكل واجهة تجويف معقود به فتحة مستطيلة يكتنفها عمودان متصــلان صغيران . والشرفة الجميلة التى تفصل هذا الدور المثمن القطاع عن المثمن العلوى محمولة على صفوف من المقرنصات ــ والمثمن الثانى العلوى أقل ارتفاعا وقطاعه أصغر من السفلى وتزخرف أضلاعه الصماء أشرطة أفقية من الرخام الملون ــ وينتهى هذا المثمن الأخير أيضا بشرفة محمولة على المقرنصات ويعلو الأخيرة سقفية مثمنة محمولة على أعمدة رفيعة من الرخام ويتوجها كورنيش بارز من المقرنصــات بقمته نهاية منتفخة .

وقد بدا جمال النسب وروعة الانسجام لأجزاء المئذنة المختلفة فى عهد دولة المماليك الشراكسة (١٣٨٢ ــ ١٥١٦ م) ــ وهى فى العادة تتكــون من ثلاثة أجزاء رئيسية ، قطاعاتها هى على الترتيب من أسفل الى أعلى :ــ المربع ثم المثمن فالدائرة ــ ويلاحظ أن الجزء العلوى المستدير قد بلغ الذروة فى جمال النسب ورشاقة التصميم ــ ومن أمثلة المآذن التى وجدت فى هذا العصر مئذنة برقوق بالنحاسين (أثر رقم ١٨٧) ــ ١٣٨٤ م . وفى خانقاه برقوق وفرج (١٤١٠ م) بصحراء المماليك ، وفى مسجد المؤيد فوق باب زويلة (١٤١٥ ــ ١٤٢٠ م) ، وفى مسجد وضريح قايتباى (أثر رقم ٩٩) ــ (١٤٧٢ ــ ١٤٧٤ م) . وكذلك فى ضريح ومسجد السلطان الغورى (أثر رقم ٨٩) ــ (١٥٠٣ م) .

ولعل مئذنة السلطان قايتباى بصحراء المماليك هى أجمل المآذن على الاطلاق وتعد تحفة نادرة المثال من حيث جمال النسب ودقة التفاصيل المعمارية ــ وهنا يمكن ملاحظة الاستعاضة بطابق اسطوانى الشكل بدلا من الطــابق المثمن الأضــلاع .

Xوهناك بعض مآذن ظهرت فى نهاية القرن التاسع الهجرى أو الخامس عشر الميلادى وبقمتها رأس مزدوجة ــ كل منها مربع القطاع كمئذنة السلطان الغورى

بالجامع الأزهر المشرفة على صحن الجامع ـ أما مسجده بالعوزبة فمنار مئذنته بوجود أربعة رءوس بأعلى القمة بدلا من اثنين .

أما مئذنتا مسجد المؤيد فقد أقيمتا فوق برجي باب زويله من العصر الفاطمي ، وهنا تظهر لأول مرة طريقة استخدام القاشاني في واجهات الطابق المثمن وذلك في زخرفة الخطوط المنكسرة وقبل ذلك استخدمت بلاطات القاشاني الملون في زخرفة بعض المآذن في عهد دولة المماليك البحرية كما في مئذنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة . وقد زخرفت المنطقة العليا المثمنة لمئذنة القاضي يحي (١٤٤٨ م) بأجزاء من الرخام ، وقوام الزخرفة عبارة عن زخارف نباتية داخل مناطق معينة من الرخام الملون (٥) .

ولعل من أجمل الأمثلة التي ظهرت للمآذن بعد ذلك حتى نهاية عصر الباشوات الأتراك في سنة ١٨٠٥ م ـ هي المآذن التي شيدها الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١٧٣٤ م في مدينة القاهرة وكذا مئذنة مسجد أبي الذهب قبل ذلك أمام مدخل الجامع الأزهر . وهذه في مجموعها تشبه في تصميمها المآذن المملوكية الطراز ـ أما مئذنة مسجد عثمان كتخدا بميدان ابراهيم فهي تتبع طراز المآذن التركية وهي تتكون من قاعدة مربعة تتحول الى قائم كثير الأضلاع يظهر في مجموعه كاسطوانة مرتفعة ـ وطريقة تحويل القاعدة المربعة الى القائم المتعدد الأضلاع بواسطة استخدام أشكال هرمية صغيرة . وينتهي الطابق المضلع بشرفة محمولة على صفوف من المقرنصات وتكون في العادة مثقوبة بزخارف بعضها هندسية والأخرى نباتية . أما الطابق العلوي فقطاعه أصغر من السفلي وهو مكون من منشور كثير الأضلاع أيضا وينتهي من أعلاه بمخروط مدبب وعند قاعدة هذا المخروط تخرج منه قواعد خشبية لتحمل المصابيح أو المشكاوات الصغيرة عند المساء . وأمثال هذه المآذن موجودة في مسجد الغريب خلف الجامع الأزهر وفي مسجد الشواذلية بالموسكي وكلاهما من منشآت الأمير عبد الرحمن كتخدا بمدينة القاهره .

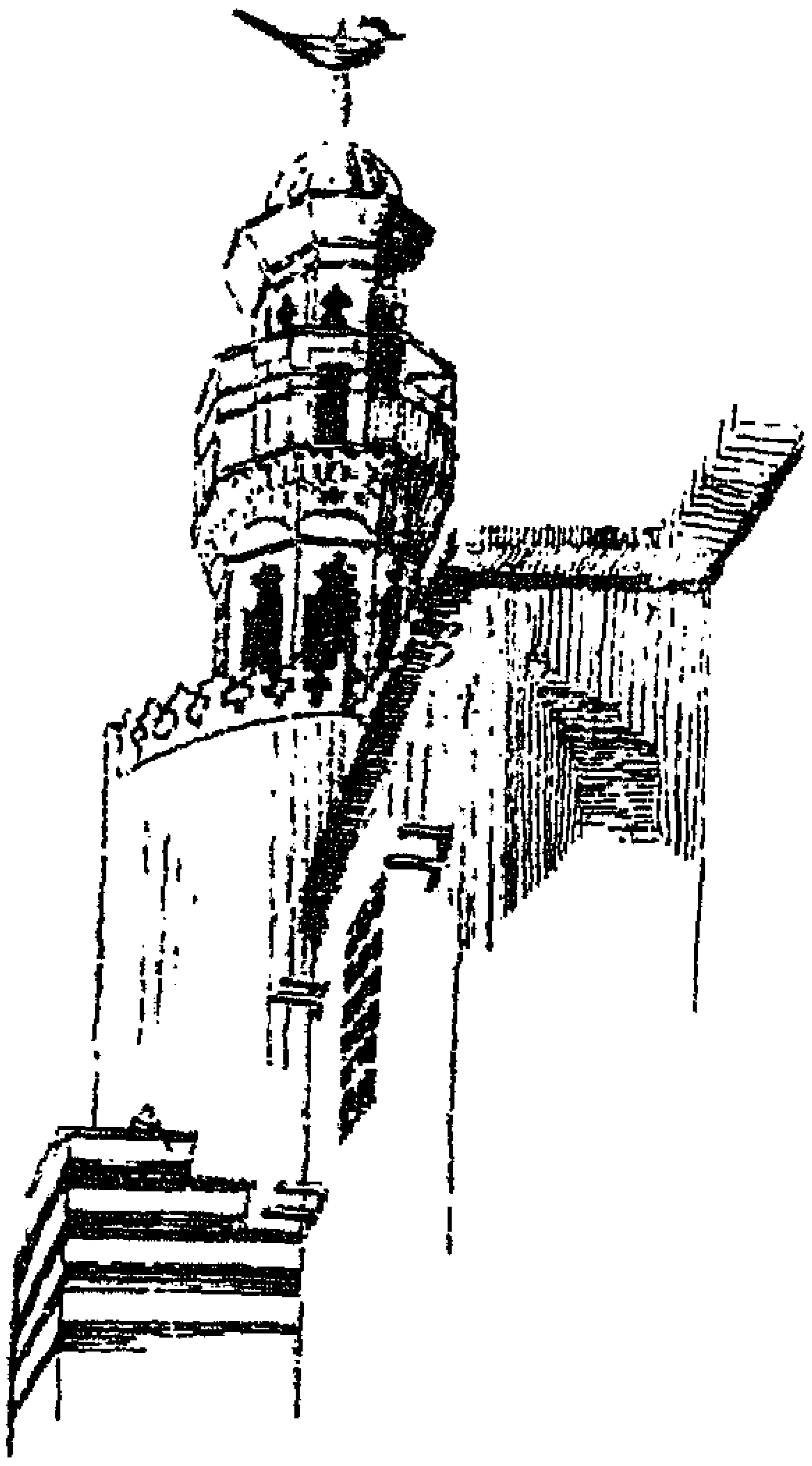

(شكل ١٥٠) مئذنة الجامع الطولونى
قبل سقوط «العشارى» من أعلى قمتها

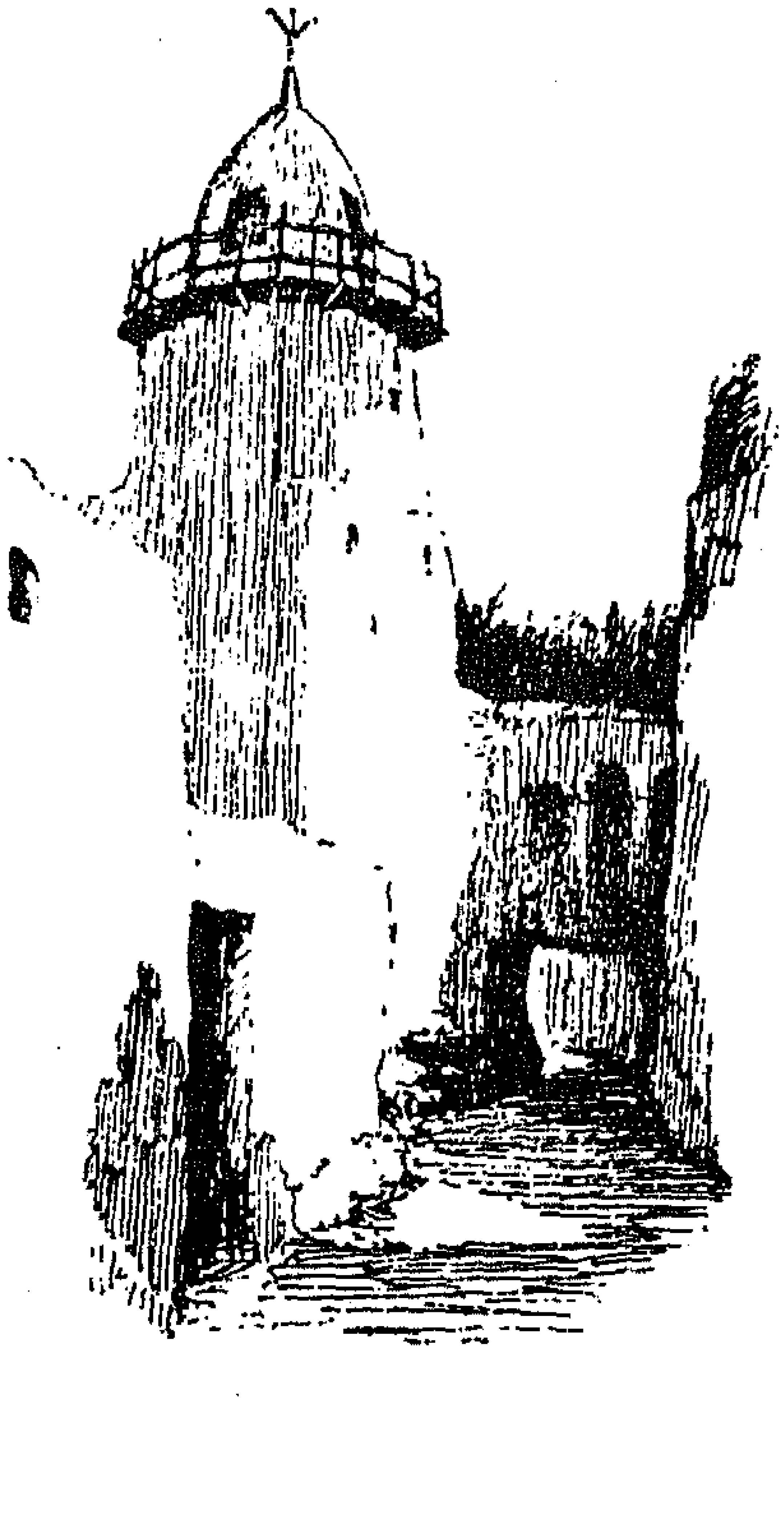

(شكل ١٥١) مئذنة بإحدى لقرى
بالواحات الخارجة بصحراء ليبيا
(عن ريجز)

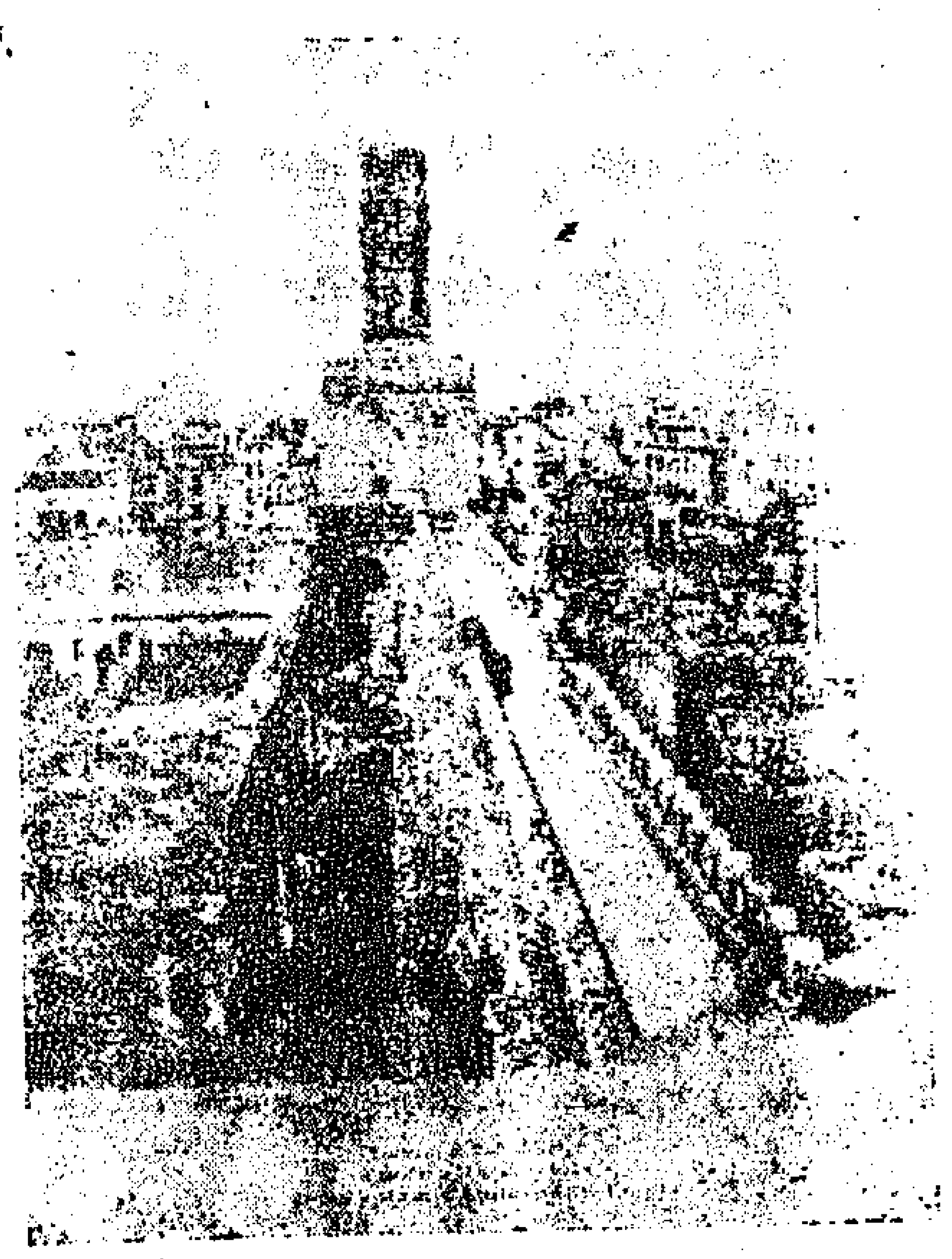

(شكل ١٥٢) مئذنة جمع الحاكم.
وجزء من سور القاهرة الشمالي (عن فييت)

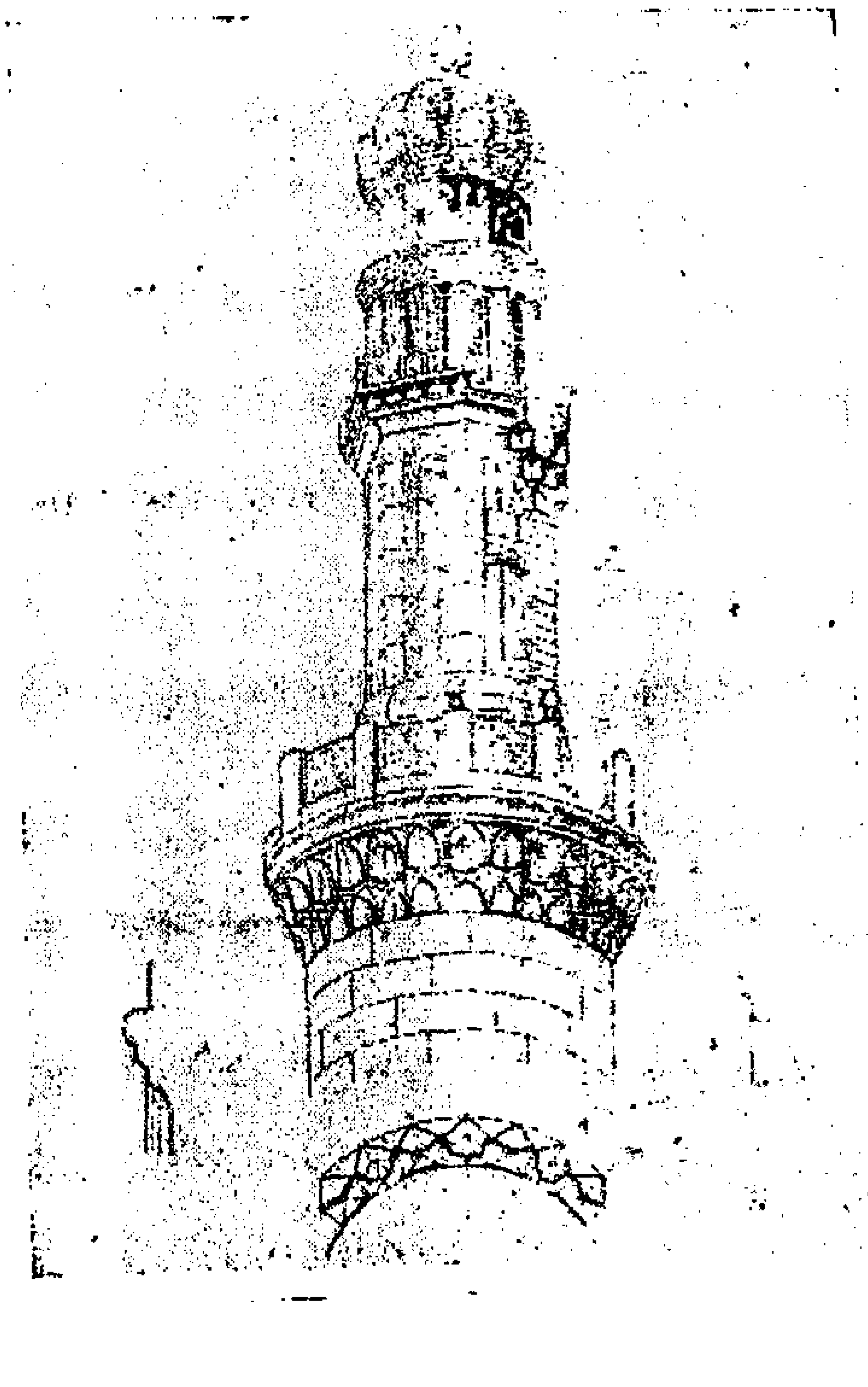

(شكل ١٥٣) مئذنة الناصر محمد بالقلعة
بالقاهرة (١٣٠٣ م) (عن برجوان).

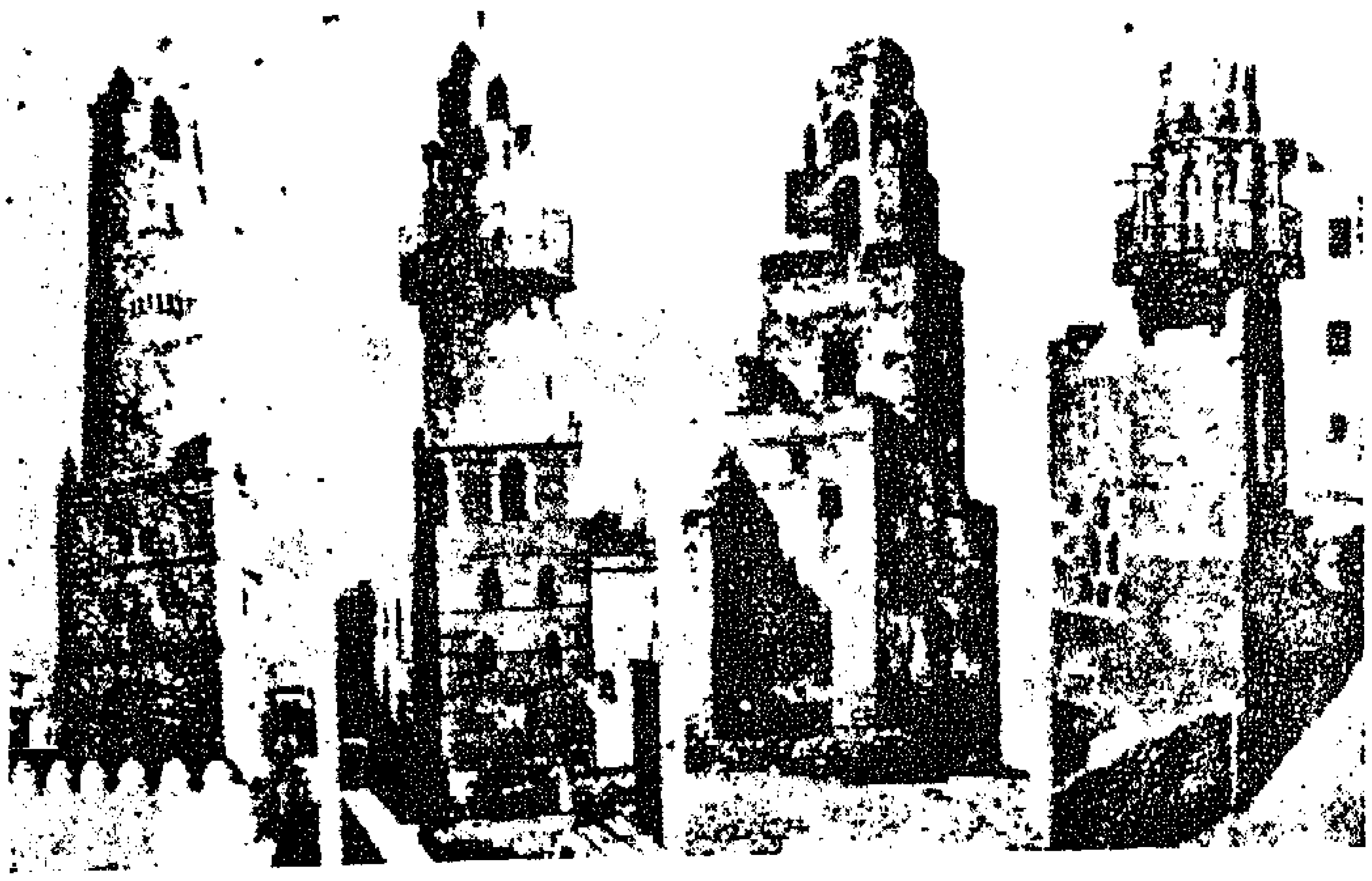

(شكل ١٥٤) أشكال بعض المآذن : من اليسار إلى اليمين ١ - الأقصر - مسجد أبي الحجاج ٢ - إسنا - المسجد الكبير (٤٧٤ هـ - ١٠٨١ / ٢ م) ٣ - القاهرة جامع « الجيوشي » (٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م) ٤ - القاهرة - ضريح « ابن الغضنفر » (٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م)

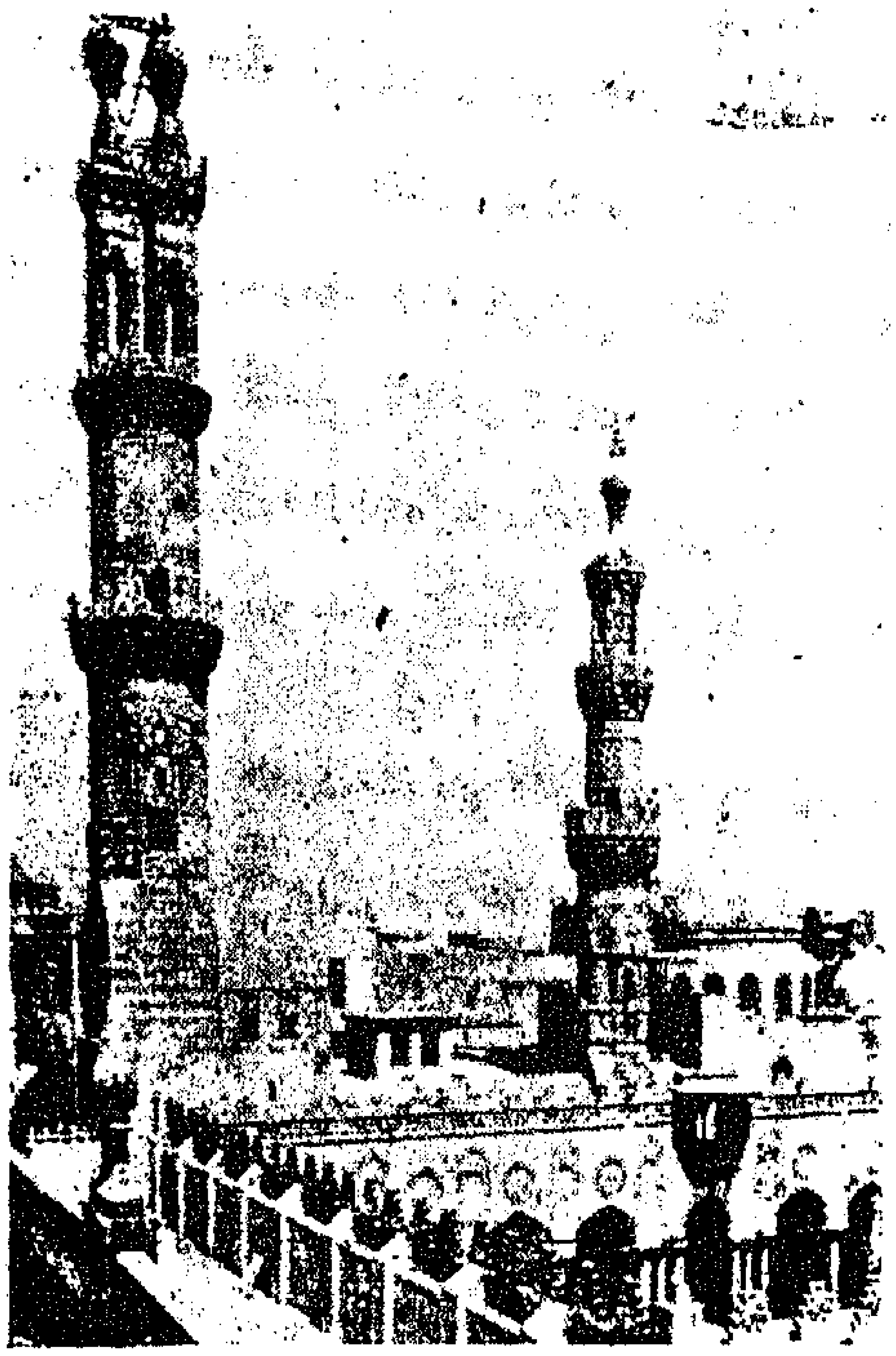

(شكل ١٥٥) مئذنتان حول صحن الجامع الأزهر

إلى اليسار - مئذنة الغوري . إلى اليمين - مئذنة قايتباي

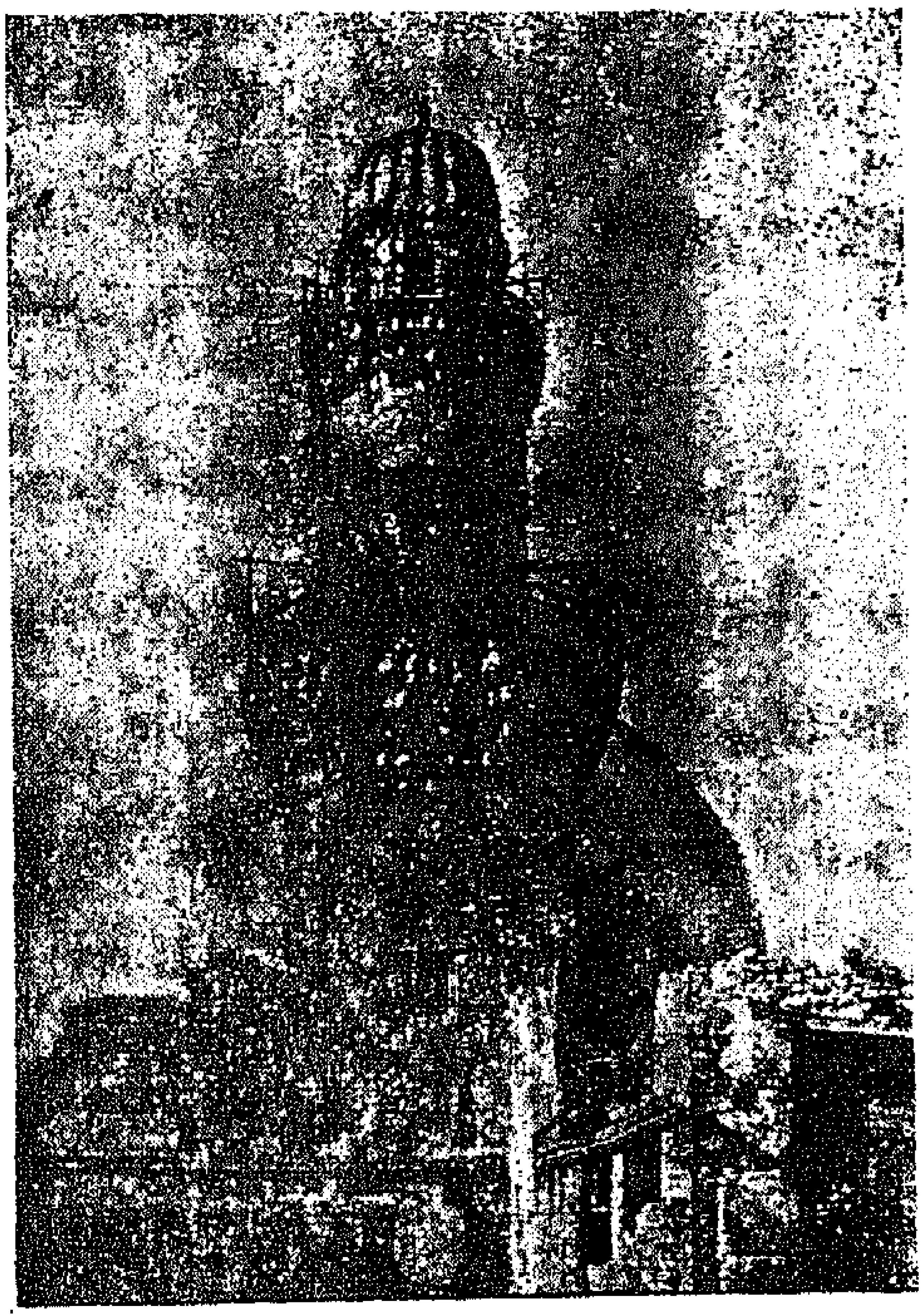

(شكل ١٥٦) مئذنة جامع البيبرسية (عن برجوان)

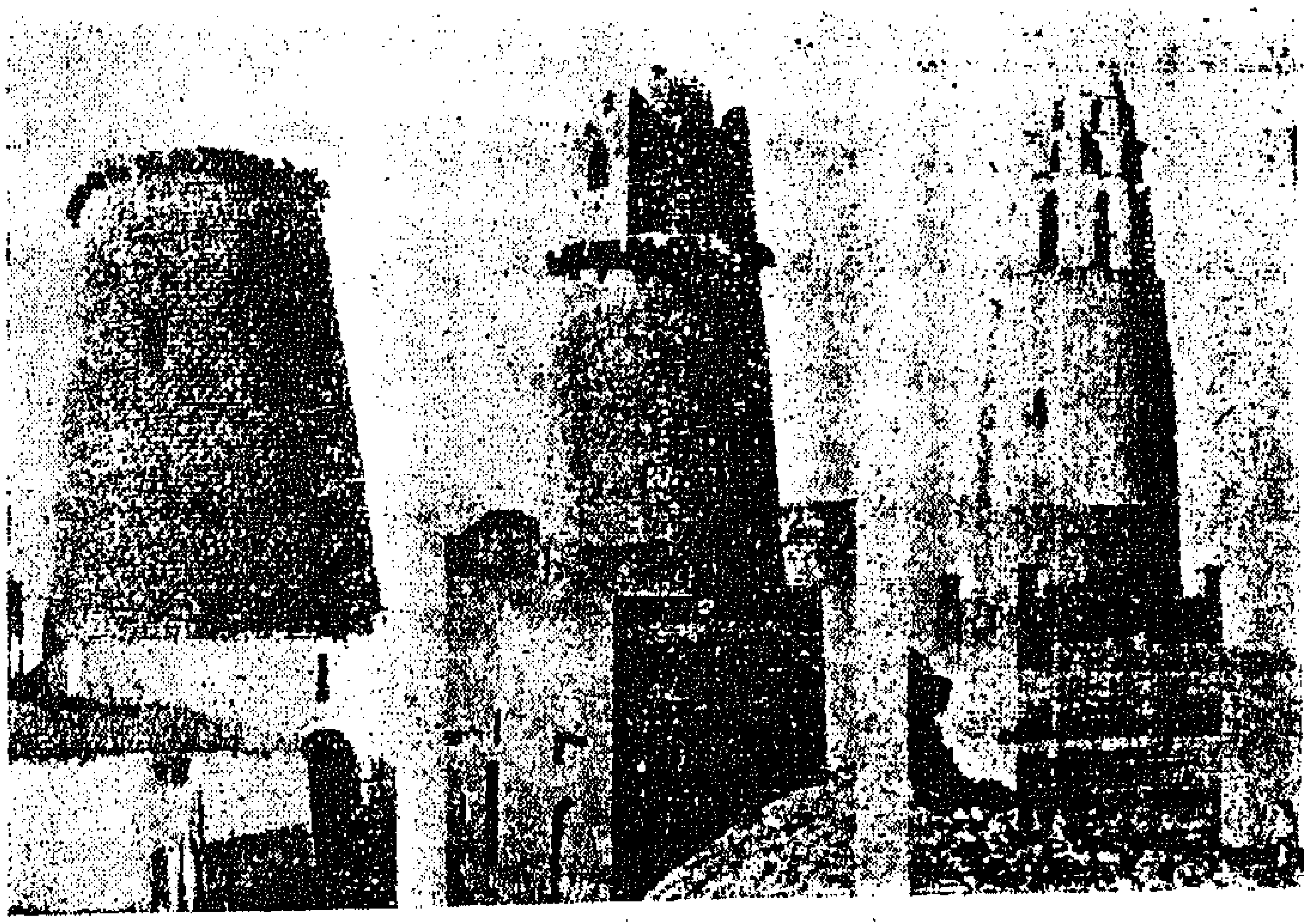

(شكل ١٥٧) مآذن فى أسوان : من اليسار إلى اليمين :

١ — برج الطابية (محطة خفر السواحل) (٤٦٩-٤٧٤هـ) (١٠٧٧-١٠٨١م)-«البحرى» بالقرب من الشلال

٢ — المشهد البحرى بالقرب من الشلال (٤٦٩ — ٧٤ هـ) — (١٠٧٧ — ٨١ م) .

٣ — المشهد القبلى (٤٦٩ — ٤٧٤هـ) — (١٠٧٧ — ٨١ م) .

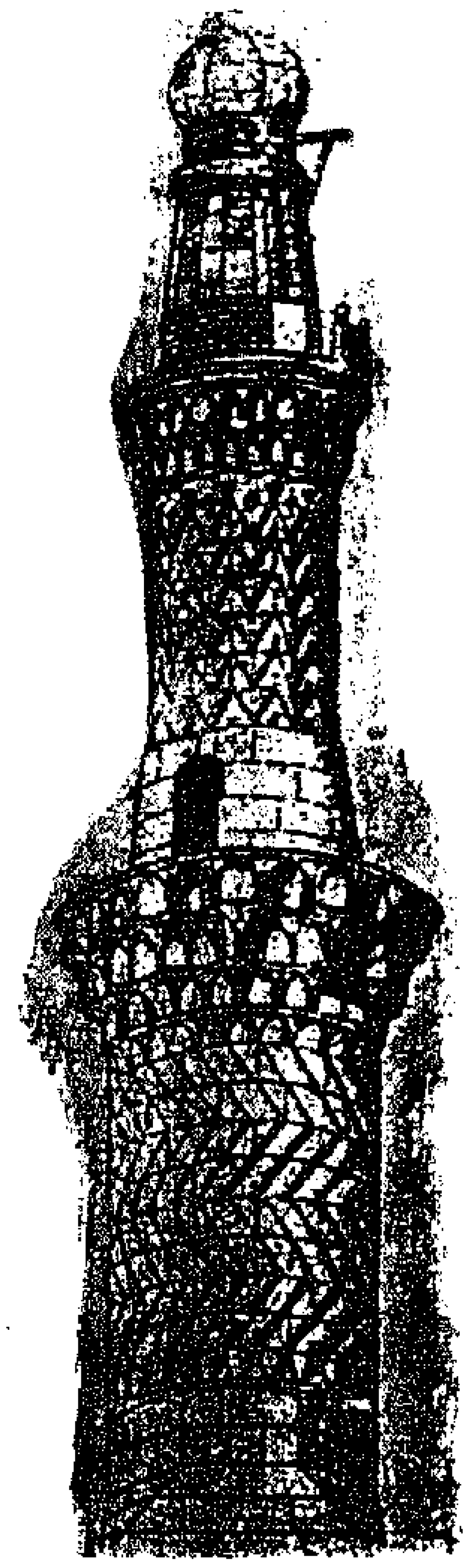

(شكل ١٥٨) مئذنة جامع الناصر محمد بالقلعة
بالقاهرة (١٣١٨م) (عن برجوان)

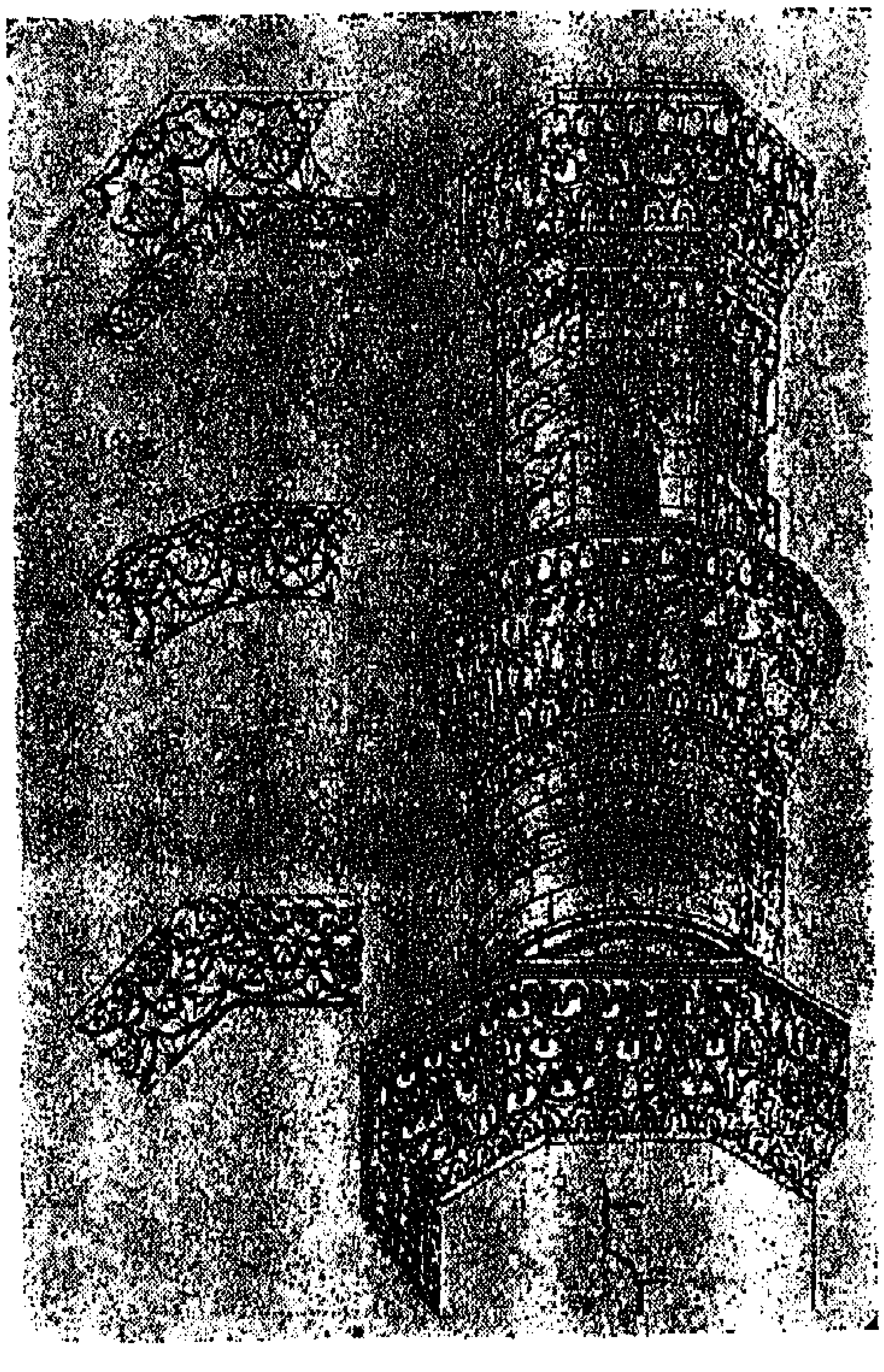

(شكل ١٥٩) مئذنة بقرافة
الإمام الشافعى بالقاهرة
(القرن الرابع عشر الميلادى)
(عن برجوان)

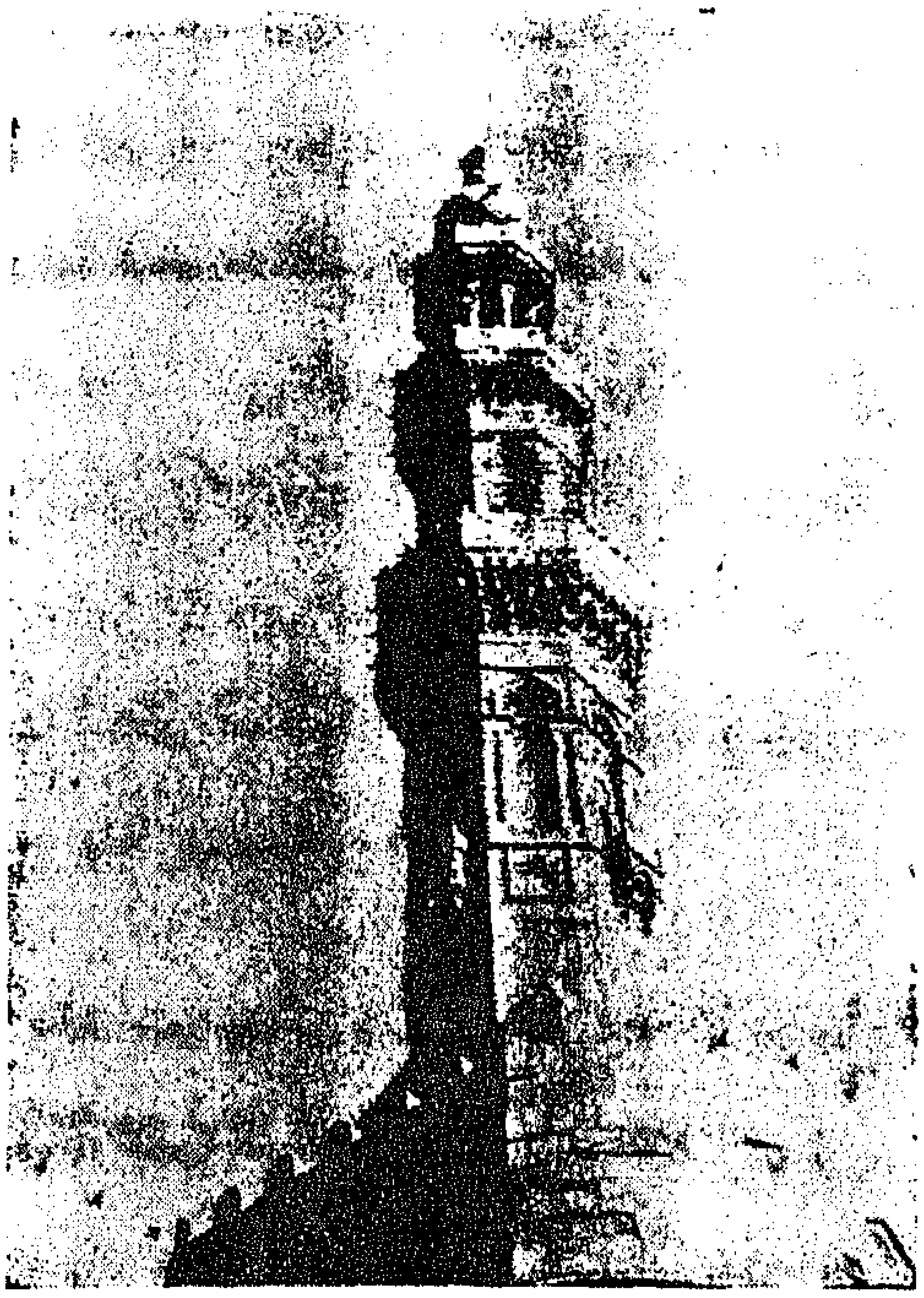

(شكل ١٦٠) إحدى مئذنتى المؤيد
فوق أحد البرجين لباب زويلة .

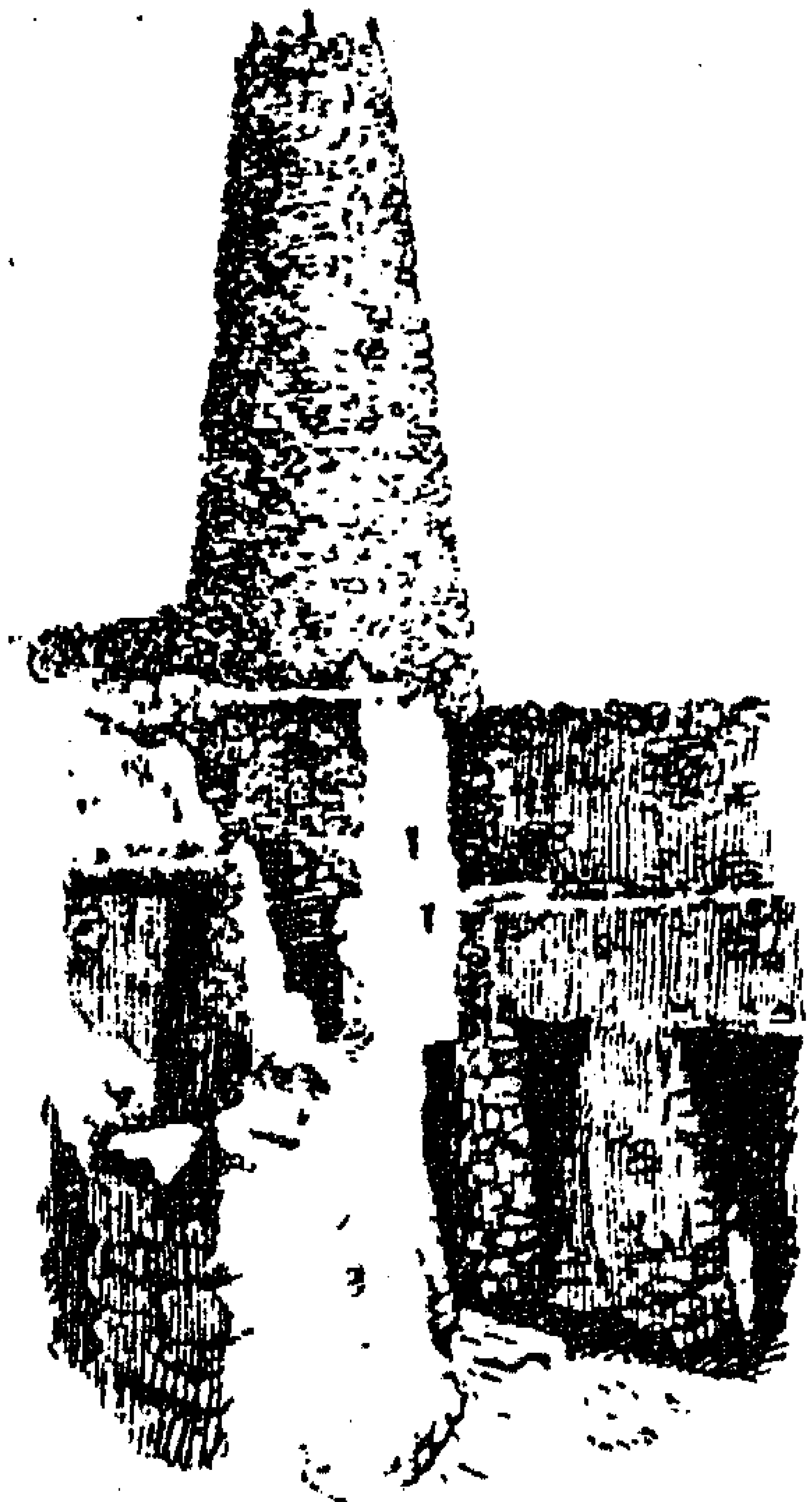

(شكل ١٦١) مئذنة بواحة سيوة
(عن بريجز)

ويظهر التأثير السورى بوضوح فى البرج المربع المكون لمئذنة محمد بك أبو الذهب كما استعيض بالمخروط عند القمة بمجموعة مكونة لأربعة رءوس تذكرنا بمئذنة مدرسة الغورى بالغورية .

وفى زاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين (أثر رقم ٢١٤) - (١١٤٢ هـ) استعيض عن التصميم الشائع للمئذنة بقيام شرفة جميلة فوق مدخل الزاوية يدعى منها للصلاة . وهى فى الحقيقة طريقة مبتكرة لم تشاهد قبل ذلك فى أى مسجد ، كما أن الشرفة قد بنيت بالحجر وهى محمولة على صفوف جميلة من المقرنصات الدقيقة كما أنها مزخرفة بزخارف مثقوبة فى الحجر قوامها أشكال هندسية ونباتية .

وبعد سنة ١٨٠٥ م . ظهرت فى عصر محمد على ومن بعده عدة مآذن تركية الطراز وصغر قطر بدنها وزاد ارتفاعها بحيث أصبحت فى مجموعها رفيعة ومدببة تشبه « القلم الرصاص » المدبب . وأجمل أشكال هذه المجموعة من المآذن مئذنتا مسجد محمد على بالقلعة بالقاهرة (١٨٢٤ - ١٨٥٧ م) وتتكون كل منهما من ثلاث مناطق متعددة الأضلاع تفصلها عن بعضها شرفتان محمولتان على صفوف من المقرنصات وتنتهى كل منهما من أعلاها بقمة مخروطية مدببة وقد أخذت أساليبها عن المآذن التركية الموجودة بمدينة القسطنطينية .

وقد ظهر بعد ذلك عدة مآذن فى العصر الحديث بعضها قد تأثر بالطراز المملوكى وبعضها بالتأثير المغربى الأندلسى كالأبراج المربعة المثقوبة بفتحات رأسية ضيقة بها أشكال مفرغة ومزخرفة بأشكال هندسية جميلة كما فى مسجد حديقة الزهرية بالجزيرة بالقاهرة . ومن الأمثلة الجميلة الأخرى مئذنة مسجد عمر مكرم بميدان التحرير المجاور لمبنى وزارة الخارجية ومسجد الزمالك وكلها بالقاهرة ، ومسجد الفولى بالمنيا بالصعيد ومسجد ابراهيم بميدان محطة الرمل بمدينة الاسكندرية .

تطور القبة فى العمارة الاسلامية فى مصر

مقدمة : لعبت القبة دورا هاما كعنصر من عناصر العمارة الاسلامية فى زخرفة وتصميم المنشئات المعمارية المختلفة واتخذت فى كل اقليم طابعا خاصا يميزها ويحدد تاريخ انشائها .

وتعتبر قبة الصخرة ببيت المقدس التى شيدها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ ــ ٦٩٢ م) أقدم مثال فى العمارة الاسلامية . وقد بنيت لتكون مشهدا يحج اليه المسلمون بدلا من مكة التى كان بها منافس عبد الملك وهو عبد الله بن الزبير كما شيدت أيضا لتنافس كنيسة المسيحيين الكبيرة . وقطر القبة ٢٠ر٤٤ مترا وهى مقامة على قاعدة مستديرة مكونة من أربع دعائم كبيرة، بين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة وكلها تحمل ستة عشر عقدا مدببا . ويعلو العقود رقبة اسطوانية بها ١٦ نافذة وتعتبر الرقبة منطقة الانتقال الى القبة المستديرة العلوية وقطاعها نصف دائرى من الخارج . ويحيط بالمنطقة الوسطى الدائرية مثمن مكون من ثمانى دعائم ، موجودة فى أركانه يفصلها عن بعضها عمودان يحملان ثلاثة عقود . والحائط الخارجى لهذا الأثر ، تخطيطه على شكل مثمن يحيط بالمثمن الذى يتوسط المنطقة الدائرية والحائط الخارجى .

والقبة الأصلية كانت مصنوعة من الخشب وتغطيها صفائح من الرصاص وفوقها ألواح من النحاس البراق ، ولهذه القبة وصف رائع للمقدسى ، وقد سقطت فى سنة ٤٠٧ هـ ، أما القبة الحالية فتاريخها يرجع الى سنة ٤١٣ هـ .

ويلاحظ بعد هذه القبة انشاء بعض قصور للأمويين فى بادية الشام منها قصير عمرا وحمام الصرخ ، والغرفة الساخنة فى حمام قصير عمرا مربعة التخطيط، يعلوها قبة مستديرة وطريقة الانتقال من المربع الى الدائرة بواسطة انشاء أربعة

مثلثات كروية فى الأركان ، وهذه القبة مزخرفة برسوم دائرة الفلك ورسوم الدب الأكبر والتنين وغيرها وهذه الرسوم من النوع المسمى بالفرسكو •

أما فى بغداد فى العصر العباسى فقد شوهدت القبة تعلو مداخل أبواب السور الداخلى للمدينة التى شيدها الخليفة المنصور ١٤٧ هـ (٧٦٤ ـ ٧٦٥ م)• وكانت تعرف بالمجلس وتغطيها قبة عظيمة على قمتها تمثال يديره الريح ويحيط بغرفة المجلس مقاعد « مرتفقات » يطل منها الخليفة المنصور على المناطق المجاورة لكل باب من أبواب المدينة الأربعة • وكانت طريقة انتقال القبة من المربع الى الدائرة بواسطة أربعة محاريب مخروطية موضوعة فى أركان الغرفة وهذه الطريقة أصلها ساسانى (من بلاد الفرس) • وكانت القبة بارتفاع ٥٠ ذراعا من مستوى الأرض •

وفى عام ٢٤٨ هـ (٨٦٢/٨٦٣ م) أضاف أبو ابراهيم أحمد بن الأغلب قبة جميلة فوق مسجد القيروان بشمال أفريقية وقطرها ٥٫٨٠ أمتار مضلعة من الداخل ومكونة من ٢٤ ضلعا وطريقة الانتقال من القاعدة المربعة الى الدائرة كما يلى :

ينتهى المربع من أعلاه بكورنيش وعليه ترتكز منطقة الانتقال وهى مكونة من أربع محارات فى أركان المربع تحمل الرقبة وتعلوها بعد ذلك القبة المستديرة ، والرقبة مكونة من مثمن ومحمولة على ثمانية محاريب مخروطية صغيرة وشكل القبة الخارجى مضلع كشكل « السنطاوى » •

القبة فى العصر الفاطمى فى مصر :

ذكر المقريزى عند الكلام عن تاريخ انشاء الجامع الأزهر وجود قبتين فى ركنى رواق القبلة فى مسجدى الأزهر والحاكم ـ عدا القبة التى تعلو المنطقة المربعة أمام المحراب •

وهذه القباب كانت محمولة على أربعة محاريب أو « سكونشات » ولا تزال تشاهد آثار هذه القباب فى جامع الحاكم ، والقبة فى الركن الشرقى من رواق القبلة فى جامع الحاكم أحسن حالا من الموجودة فى الركن الآخر المقابل ، وفيها ترى منطقة الانتقال من المربع الى الدائرة والى يمينها نافذة مثقوبة من الجص وفوقها جزء من الرقبة المثمنة وبها نافذة أخرى مثقوبة .

وخلف هذه القبة يوجد أحد أبراج سور القاهرة الشمالى الذى بناه بدر الجمالى ــ الوزير الفاطمى ــ فى عام (٤٨٠ هـ ــ ١٠٨٧ م) .

أضرحة السبع بنات (٤٠٠ هـ ــ ١٠١٠ م) :

تقع فى السهل الممتد قبلى خرائب الفسطاط على بعد نحو نصف ميل تقريباء الى الغرب من ضريح الامام الليث ، أربعة أضرحة صغيرة كانت لها قباب ، وقد فقدت كل منها قبتها وبعضها قد فقدت بعض أجزائها السفلية .

وقد كانت هذه الأضرحة فى الأصل سبعة ، كما يدل بذلك عليها اسمها . ومما يؤيد ذلك ما جاء فيما ذكره المقريزى بناء على رواية ابن سعيد أنها أضرحة لسبع بنات من عائلة المغربى الذى قتله الخليفة الحاكم بعد هرب الوزير أبو قاسم الحسين بن على المغربى الى مكة . وقد تم هذا كما يقول ابن خليكان سنة (٤٠٠ هـ ــ ١٠١٠ م) ، وعلى هذا تؤرخ هذه الأضرحة بعام (٤٠٠هـ ــ ١٠١٠م)

وأهمية هذه الأضرحة من ناحية العمارة الاسلامية أنها تعتبر من أقدم الأمثلة الموجودة فى الاسلام .

والأربعة الأضرحة الموجودة كلهـا فى حجم واحد وتخطيط واحد الا أن ارتفاعها يختلف قليلا عن بعضها ، وكلها مبنية من ثلاث طبقات :

١ ــ المنطقة الأولى مربعة التخطيط ولها عقد مفتوح فى وسط كل وجه من أضلاع المربع .

٢ ــ والمنطقة الثانية عبارة عن منطقة الانتقال من القاعدة المربعة الى الرقبة المثمنة وهى مبنية من الطوب ومربعة من الخارج ، وفى الداخل توجد أربعة محاريب أو « سكوتشات » بين كل واحد والثانى فتحة معقودة عقدا مدببا وكلها من حجم واحد وشكل واحد .

٣ ــ هذه « السكوتشات » الموجودة فى الأركان تحمل الرقبة المثمنة المبنية من الطوب الأحمر والتى تحتوى على فتحة معقودة بعقد مدبب فى كل وجه من أوجه المثمن . وهذه الفتحات أضيق بكثير عما بأسفلها ، وعلى هذه الرقبة المثمنة ترتكز القبة المستديرة التى سقطت ولم يبق منها شىء .

وأهمية أضرحة السبع بنات من الوجهة المعمارية أنها تعتبر أقدم أضرحة من نوعها فى مصر وطراز عمارتها موجود فى فراشاباد فى بلاد فارس قبل الاسلام ، ثم قبة الصليبية بسامرا وفى ضريح اسماعيل السامانى فى بخارى سنة ٩٠٧ م ، وأخيرا نجده هنا فى أضرحة السبع بنات فى مصر سنة ١٠١٠ م .

والأضرحة فى الاسلام كان يغطى سقفها بقباب ، وأما قبل الاسلام فكان شكلها كما يأتى :

١ ــ فى مصر : كانت المصطبة والهرم هما الأضرحة المختارة .

٢ ــ فى فارس : أبراج عبارة عن غرفة صغيرة مغطاة بسقف جمالونى كقبر قورش بيرسبوليس .

٣ ــ فى العراق : أقدم طراز عرف للأضرحة فى العراق هو قبر برجى الشكل (قبر عزى) من القرن الثانى ، وقد دخل الى العراق من سوريا ، عن طريق تدمر .

٤ ــ فى فلسطين وفينيقيا : عرفت المدافن الحجرية على أربعة أشكال :

(ا) المقابر الغائرة : وهى منحوتة فى الحجر مثل المقابر الحديثة ومغطاة بلوح من الحجر .

(ب) مقابر على شكل نفق : منحوتة أفقيا فى الصخر وفى نهايتها توضع الجثة.

(جـ) المقابر ذات الرفوف : حيث توجد رفوف أو مناضد لاستقبال الموتى وتكون عادة مغطاة بأسقف ذات أقبية .

(د) مقابر على شكل محاريب منحوتة فى الصخر .

٥ ــ وفى سوريا : كان شكل القبر عبارة عن مكعب يعلوه هرم (القرن ٤ و ٦) كما كان فى حلب وأنطاكية ، وفى القرن السادس ظهر طراز جديد شكله عبارة عن مكعب صغير يعلوه قبة من الحجر المنحوت كما هو الحال فى ضريح بيزوس فى رويحة .

٦ ــ وفى فارس : يعتبر ضريح اسماعيل السامانى فى بخارى سنة ٩٠٧ م أول ضريح اسلامى موجود بفارس ، وفيه نرى القاعدة مربعة والضريح مغطى بقبة مقامة على اسكونشات بدون وجود رقبة مثمنة .

جامع الجيوشى :

يقع هذا الجامع على حافة المقطم خلف القلعة وقد بناه الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، وذلك مثبت فى كتابة تاريخية قرأها الأستاذ كريزول وأرخها بعام (٤٩٨ هـ ــ ١١٠٥ م) والجيوشى لقب يطلق على قائد الجيش (أمير الجيوش) أو ميرجوشى أو الجيوشى ، ومحراب هذا الجامع يعلوه قبة مرتكزة على رقبة مثمنة وطريقة الانتقال من القاعدة المربعة الى الرقبة المثمنة بواسطة أربعة « سكونشات » شكلها على هيئة محراب ذى عقد مدبب .

ويوجد شريط من الكتابة المزخرفة بالخط الكوفى على أرضية نباتية بأعلى المنطقة المربعة وذلك بارتفاع ٥٥ سم وبأعلى القبة عند القمة من الداخل توجد آيات قرآنية موضوعة داخل دائرة وتحمل اسمى محمد وعلى بالتبادل ومكررة ثلاث مرات .

ومحراب جامع الجيوشى تحفة فنية من الجص فى العصر الفاطمى ويمتاز بزخارف جميلة بها كتابات وزخارف نباتية ــ والى يسار القبة توجد غرفة بها ضريح يعرف باسم سيدى الجيوشى ومن المحتمل أن يكون قد دفن فيها الأفضل وبدر الجمالى أيضا .

والى جوار جامع الجيوشى يوجد مسجد أخوة يوسف الذى يعرف باسم مشهد المقطم وينقصه الصحن والمئذنة . وقبته من الطراز الفاطمى ويمتاز بمحراب جميل أيضا ويعتبر تحفة نادرة من الجص فى ذلك العصر .

القبة فى مداخل أبواب أسوار القاهرة الفاطمية :

تعتبر أسوار الفاطمية وأبوابها من أقدم الأمثلة المعروفة للعمارة الحربية الموجودة فى العالم الاسلامى . ومدخلا بوابتى باب الفتوح وباب زويلة مغطيان بقبة دائرية من الحجر المنحوت محمولة على أربعة مثلثات كروية ، وتكوير القبة هو نفس تكوير منطقة الانتقال وهى المثلثات الكروية الركنية .

وتاريخ باب الفتوح (٤٨٠ هـ ــ ١٠٨٧ م) وباب زويلة (٤٨٥هـ ــ ١٠٩٢م) وقد بناهما أخوان من ثلاثة أخوة من أرمينيا قدموا الى مصر من مدينة الرها . وذلك فى عهد الوزير الفاطمى الكبير أمير الجيوش بدر الجمالى فى خلافة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى .

وتعتبر القبتان أول ظهور لهذا النوع من القباب فى مصر الاسلامية .

قبتا ضريحى محمد الجعفرى والسيدة عاتكة :

يقع هذان الضريحان بجوار مشهد السيدة رقية ، وأهمية هذين الضريحين أنهما يعتبران نقطة التحول فى تصميم القبة من القباب ذات الاسكونشات الى القباب المحمولة على المقرنصات أو الدلايات .

وطريقة الانتقال فى ضريح محمد الجعفرى ، وجود حطتين أو صفين من التجويفات عبارة عن مقرنصات على هيئة اسكونشات والحطة السفلية مكونة من ثلاثة تجويفات ، الوسطى عقدها نصف دائرى وحولها من الجهتين تجويف ينتهى من أعلاه بتجويف مثلث الشكل ، والحطة العلوية مكونة من تجويف نصف دائرى فوق المقرنص الأوسط فى الحطة السفلية ، وهذه المجموعات (المقرنصات) الموجودة فى الأربعة الأركان هى منطقة الانتقال الى الرقبة وهى مثمنة الشكل من الخارج وتحمل بدورها القبة المستديرة .

وتختلف قبة ضريح السيدة عاتكة عن قبة الجعفرى فى تكوين القبة من الداخل ، اذ أنها مضلعة ومكونة من ١٦ ضلعا مشععة من قمة القبة أى من مركز الدائرة الوسطى الموجودة بأعلى القبة من الداخل . وبأعلى المنطقة المربعة الداخلية يوجد شريط من الكتابة بالخط الكوفى ، وبين المقرنصات الموجودة فى الزوايا توجد نوافذ شكلها يشبه الاطار الخارجى للمقرنص فى مجموعة ، والمحراب من الجص وبه زخارف فاطمية الطراز .

قباب الجامع الأقمر :

وهناك بشارع المعز لدين الله بالنحاسين يوجد جامع الأقمر ويمتاز بوجود القباب الكروية المنخفضة التى سبق أن شاهدنا مثلها فى مدخلى باب الفتوح وباب زويلة ، وهذه القباب تغطى الأروقة حول الصحن ، وكذا فى رواق القبلة الرئيسى .

قبة مشهد السيدة رقية :

تشبه طريقة انتقال هذه القبة الطريقة المستعملة فى القبتين المجاورتين لها وهما قبتا ضريحى الجعفرى وعاتكة ، الا أن الاختلاف موجود فى شكل النوافذ الموجودة بين المقرنصات .

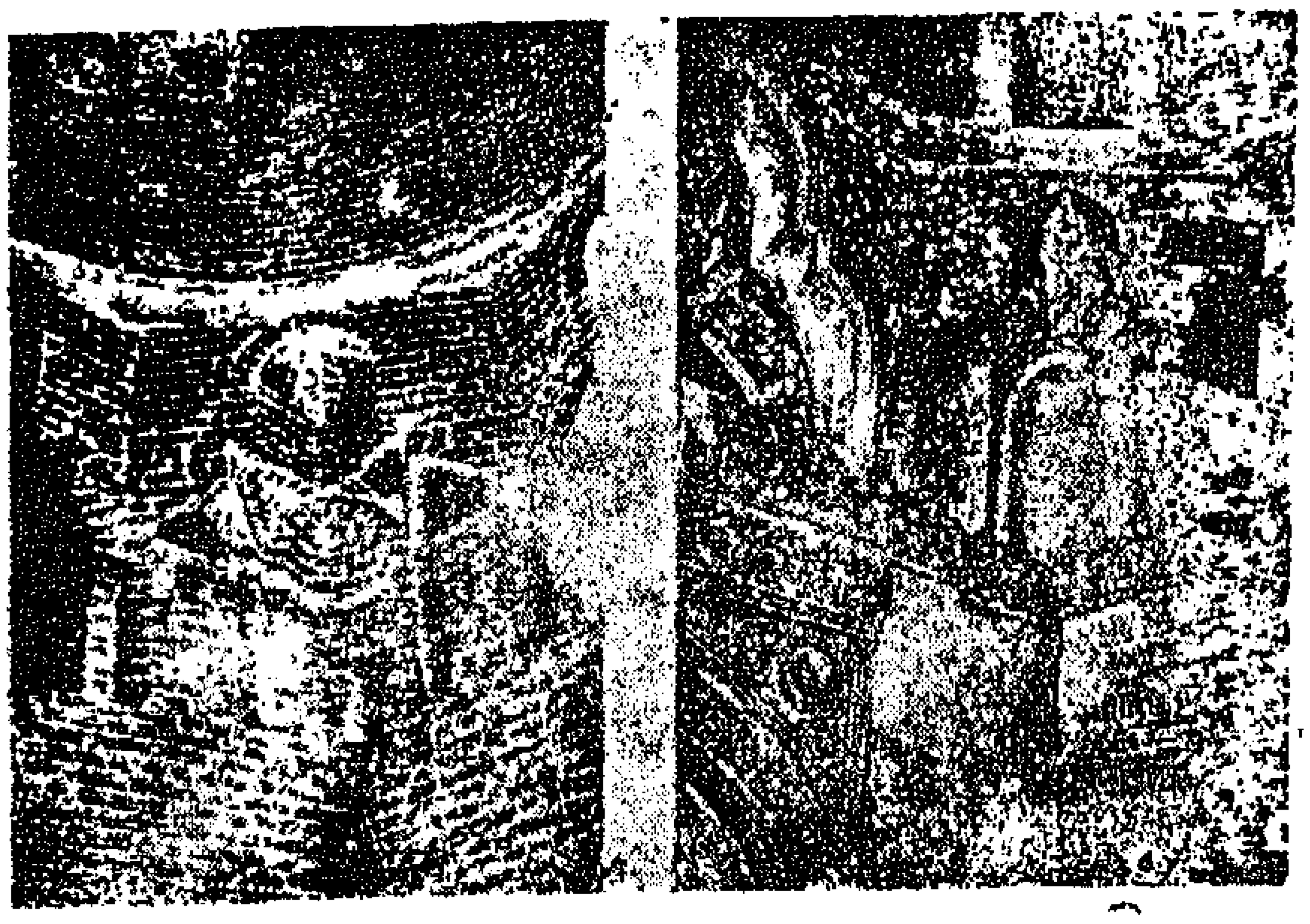

(شكل ١٦٢) قبتا ضريحى عاتكة والجعفرى - (عن فييت)

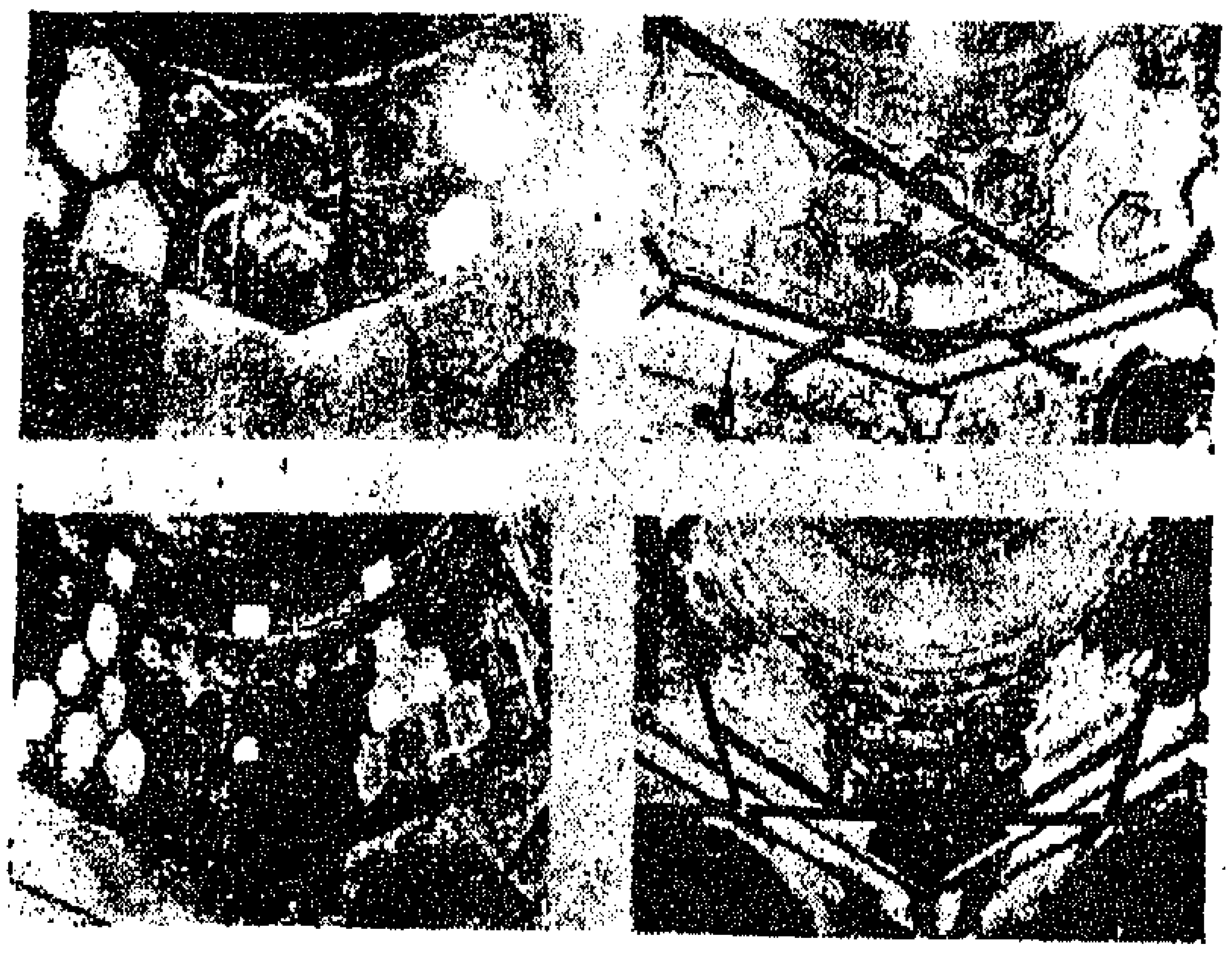

(شكل ١٦٣) تطور المقرنص : (عن كريزول)
فوق (اليسار) : قبة الخلفاء العباسيين (١٢٤٢ م) (صفين من المقرنص) .
فوق (اليمين) : قبة ضريح السلطان صالح نجم الدين أيوب ١٢٥٠ م . (ثلاثة صفوف) .
تحت (اليسار) : قبة ضريح السلطان بيبرس الجاشنكير (١٣٠٦ - ٩ م) (٤ صفوف) .
تحت (اليمين) : قبة ضريح الأمير صرغتمش ١٣٥٦ م (٥ صفوف) .

وتوجد زخرفة جميلة من الجص بأسفل النافذة الشمالية الشرقية وتعتبر هذه الزخارف نموذجا بديعا لزخارف « الأرابسك » فى العصر الفاطمى كما توجد آثار قليلة من تلك الزخارف بأسفل النافذة المقابلة للسابقة ، ومن هذا يستنتج أن منطقة الانتقال — فى الأصل — كانت تكسوها زخارف جصية من العصر الفاطمى •

وتوجد بين منطقة الانتقال والقبة رقبة مثمنة ، وبكل وجه من أوجه هذه الرقبة يوجد نافذتان • والقبة مضلعة ومكونة من ٢٤ ضلعا وهى فى الواقع أرشق وأجمل من شكل قبة السيدة عاتكة وتشبه من الخارج شكل القباب المضلعة فى شمال أفريقية (شكل السنطاوى) • وتنتهى أضلاع القبة الداخلية بخطوط ملونة •

وتعتبر قبة السيدة رقية التطور لما بعدها من قباب العصر الأيوبى •

القبة في العصر الايوبي

(٥٦٧ — ٦٤٨ هـ) (١١٧١ — ١٢٥٠ م)

يتميز العصر الأيوبي بالعمارة الحربية التي أنشأها صلاح الدين وبانشاء المدارس الاسلامية ، كما يتميز هذا العصر بالتطورات الأولى لانتقال القبة بواسطة المقرنصات أو الدلايات •

وأشهر القباب في العصر الأيوبي : قبة برج الظفر وقبة الامام الشافعي وقبة الصالح نجم الدين وقبة الخلفاء العباسيين وقبة شجرة الدر •

قبة برج الظفر :

يقع برج الظفر في الزاوية الشرقية البحرية لباب النصر ، ويمتد منه سور غربا الى باب النصر وجنوبا الى باب الوزير • ويعلو هذا البرج قبة من الحجر وتخطيطها مثمن من الداخل وبأركانه من أعلاه مقرنص من حطة واحدة ، والمقرنصات تحمل القبة المستديرة المبنية من الحجر •

ويعتبر برج الظفر من أهم أجزاء سور القاهرة الثالث الذى أنشأه صلاح الدين الأيوبي ، ويعتبر سور القاهرة في هذه المنطقة امتداد لسور القاهرة الفاطمي الذى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي •

قبة الامام الشافعي :

أنشأها السلطان الملك الكامل سنة (٦٠٨ هـ — ١٢١١ هـ) وتعتبر من أجمل القباب في مصر الاسلامية وتنتهي القاعدة المربعة من الخارج من أعلاها على ارتفاع ١٠٫٦٢ مترا بشرفة ارتفاعها ١٫٨٠ مترا بها شرافات مسننة جميلة ، بأسفلها

محاريب محارية ذات عقود مثلثة محلاة بزخارف حصبة ، وفوق هذه القاعده المربعة توجد القبة الخشبية بعد أن تبعد قليلا عن الشرفة من الداخل . وهذه القبة مكسوة بصفائح من الرصاص وارتفاعها ١٦٫٧٨ مترا من سطح الأرض .

أما داخل القبة فقد كسيت جدرانها بالرخام ، ومقرنص القبة مكون من ثلاث حطات مخوصة مزخرفة وهو بدء تعدد طاقات المقرنص التى كانت فى الأصل مكونة من حطتين فى نهاية العصر الفاطمى ، والحطة السفلية مكونه من خمسة مقرنصات تعلوها سبعة فى المنطقة الوسطى ثم ثلاثة فى المنطقة العلوية .

وقد جدد هذه القبة السلطان قايتباى فى سنة (٨٨٥ هـ ـ ١٤٨٠ م) وذلك مثبت فى الكتابة التاريخية الموجودة بلوح الرخام فى وسط الجانب الغربى . وبقمة القبة من الخارج يوجد قارب برونزى يعرف بالعشارى ويقول عنه لين پول أنه كان يوضع فيه حبوب كل شهر .

والعشارى مركب صغير مثبت فى هلال القبة وتتدلى منه سلسلة حديدية وكان يستعمله الملوك وكبار رجال الدولة ويقال ان السلسلة قد أعدت ليتسلقها الانسان لوضع الماء والحبوب للطيور . وقد وجدت العشاريات قبل ذلك تعلو هلال منارة الجامع الطولونى (كما جاء فى الجزء الأول من كتاب الجبرتى ص ٢٥) وبقيت بها الى أن سقطت سنة (١١٠٥هـ ـ ١٦٩٣م) . وفى مدينة رشيد أيضا توجد عدة مراكب فوق مناراتها كما يوجد مركب صغير فوق القبة القبلية فى خانقاه فرج بن برقوق بالصحراء .

قبة الصالح نجم الدين أيوب :

وتقع هذه القبة ملاصقة للايوان الغربى للمدرسة الصالحية وقد أمرت بانشائها ملكة مصر شجرة الدر ونقلت اليها جثة الملك الصالح نجم الدين .

وتمتاز القبة من الداخل والخارج بالبساطة وأهميتها ترجع الى تطور المقرنص فيها وزيادة حطاته وتغييرها تغيرا كليا عن القبة الفاطمية .

قبة الخلفاء العباسيين :

تقع هذه القبة خلف المشهد النفيسى وتضم رفاة أفراد من الخلفاء العباسيين الذين توفوا فى مصر فى القرنين السابع والثامن الهجرى وكذا أولاد الظاهر بيبرس البندقدارى • وأهميتها ترجع الى ما حوته من زخارف جصية بديعة ومن زخارف خطية على الجص والخشب •

ومقرنص هذه القبة يتفق مـــع مقرنص قبة شجرة الدر المبنيـــة فى العصر الأيوبى أيضـــا ــ وتشبهها أيضا فى أشكال العقود المحارية الجصية الموجـــودة بقاعدة القبة من الخارج •

قبة شـــجرة الدر :

تقـــع هذه القبة بشـــارع الخليفة تجاه مشـــهد السيدة رقية ، وقد أمرت بانشائها شجرة الدر المدفونة بها ــ وطرازها يشبه قبة الخلفاء العباسيين •

القبة في عصر دولة المماليك البحرية

(١٢٥٠ — ١٣٨٢ م)

يمتاز هذا العصر بتطور كبير فى تخطيط المساجد • فبعد أن كنا نرى القبة الصغيرة — فى العصر الفاطمى — تغطى المربع الموجود أمام المحـراب ، كما فى مسجد الحاكم ، نراها فى هذا العصر قبة كبيرة من الخشب أكبر حجما وتغطى مساحة كبيرة حوالى ثلاث بلاطات مربعة ، وبذا تدل على مكان القبلة كما هـو الحال فى مسجد بيبرس بالظاهر ١٢٦٩ م ، والناصر محمد بالقلعة (١٣١٨ — ٣٥ م) والماردانى ١٣٤٠ م •

وكان من مميزات هذا العصر أيضا فى العمارة انشاء المدارس الاسلامية ذات التخطيط المتقاطع المتعامد أو (التخطيط الصليبى) • كما فى مدرسة السلطان حسن (١٣٥٦ — ٦٣ م) وذلك لتدريس المذاهب الأربعة الاسلامية • وقدوضعت الايوانات الأربعة حول الصحن المربع بحيث يفتح كل ايوان على الصحن بعقد كبير مدبب الشكل فتحته تساوى عرض الايوان • وخلف ايوان القبلة الكبير (وأحيانا يكون بجواره كما فى مدرسة برقوق بالنحاسين) يوجد ضريح منشىء المدرسة ، ويغطى هذا الضريح قبة كبيرة محمولة على مقرنصات •

ومن أشهر القباب التى ظهرت فى هذا العصر قبة ضريح المنصـور قلاوون سنة (٦٨٣ — ٦٨٤هـ) (١٢٨٤ — ١٢٨٥م) بشارع المعز لدين الله بالنحاسين وهى احدى مجموعة معمارية مكونة من ضريح ومدرسـة وبيمارستان وتعتبر من أجمل المجموعات المعمارية الاسلامية بالقاهرة • وتصميم هذه القبة غريب بالنسبة للقبة فى مصر ، وتشبه قبة الصخرة ، ويظهر التأثير السورى فى تخطيط قاعدتها ، فهى مقامة على قاعـدة مثمنة مكونة من أربعـة دعائم مربعة وأربعة أعمـدة

مستديرة وهي موضوعية حسب الترتيب التالي : دعامتان ثم عمودان بالتبادل. والأعمدة ضخمة من الجرانيت ذات تيجان مذهبة والدعائم بها أربعة أعمدة رخامية فى أركان كل منها وقد كسيت من الخارج بالرخام الدقيق المطعم بالصدف . وهذه الدعائم والأعمدة تحمل عقودا مدببة تعلوها رقبة مثمنة بها نافذة فى كل ضلع من أضلاعها ثم تعلو هذه الرقبة المثمنة قبة مستديرة بواسطة « سكونشات » صغيرة فى أركان المثمن . وقد أعادت لجنة حفظ الآثار العربية بناء هذه القبة سنة (١٣٢٦ هـ ـــ ١٩٠٨ م) .

وشكل القبة من الخارج كعقد مدبب بيضاوى الشكل ويسند القبة أكتاف ساندة موضوعة فوق أركان المثمن الخارجي .

ومن القباب الجميلة فى القاهرة والتى ترجع الى عصر دولة المماليك البحرية قبة زين الدين يوسف (الشيخ الصوفى) من أسرة بنى أمية (٦٩٧هـ ـ ١٢٩٨م) والقبة تعلو الرقبة وهى مضلعة مكونة من ٢٨ ضلعا .

وتعتبر قبة ضريح الأمير سنقر السعدى (١٣١٥ م) أجمل مثال موجود للقبة الحافظة لجمال شكلها ، ومنطقة الانتقال من المربع الى الدائرة بما فيها من مقرنصات داخلية وبما فيها من نقوش جصية خارج وداخل القبة تشهد بذلك .

كما تمتاز بعض القباب بوجود الفسيفساء الخزفية الملونة فوق رقبة القبة كما هو الحال فى ضريح الأمير طوغاى (١٣٤٨ م) بالقاهرة .

وكذلك تمتاز قبتا ضريحى « سلار وسنجر الجاولى » (١٣٠٣ م) بتكوين معمارى فريد لقبتين متجاورتين وشكلهما مضلع من الخارج وقطاع القبة الرأسى على شكل عقد مدبب مستمر فى اتجاه رأسى بعد بدء العقد .

القبة فى سوريا :

يوجد فى سوريا عدد من القباب تتبع عصر دولة المماليك البحرية (١٢٥٠ ـــ ١٣٩٠ م) كضريح ركن الدين (٦٢١ هـ ـــ ١٢٢٤ م) وضريح عز الدين (٦٢٦ هـ ـــ ١٢٢٨ / ٢٩ م) وكلها متشابهة فى أشكالها وتمتاز برقبة عالية

ويلاحظ وجود أضرحة ذات قبـاب ولها أربعة أبواب معقودة وذلك فى القـرن السابع الهجرى أو الثالث عشر الميلادى .

ومن أشـهر القباب فى سوريا أيضا نراها فى تربة الطاوسـية (٧٨٤ هـ ــ ١٣٨٢ م) وقبة التوريزى (٨٢٨ هـ ــ ١٤٢٤ / ٢٥ م) .

ولا تشـاهد القبة ذات المقرنصات كما فى مصر فى ذلك العصر وانما يوجد المقرنص فى عقود المداخل الرئيسية .

وتوجد خارج دمشق القبة المزدوجة فى قبة خيربك فى حلب المعروفة باسـم الشيخ على ، وقبة قايتباى (٩٢٤ هـ ــ ١٥١٨ م) .

القبة فى عصر دولة المماليك الشراكسة

(١٣٨٢ – ١٥١٧ م)

يعتبر هذا العصر بأنه نهاية تطور القبة ذات المقرنصات وقد زاد عدد صفوف المقرنصات فى هذا العصر فوصلت الى سبعة وثمانية وتسعة صفوف ، حتى أنه قد شوهد ١٣ صفا من المقرنصات وتشبه هذه المقرنصات مثيلاتها السورية فى أنها موضوعة فى اطار مثلثى الشكل ، الا أنها تختلف عنها فى أن كل صف منها تخطيطه منحنى بدلا من انكسارها فى مستقيمات .

وقد ظهر بنـاء المدافن الكبيرة فى عصر دولة المماليك الشراكسـة ويلاحظ صغر حجم القبة فى هـذا العصر مع الاسراف فى زخارفها الخارجية وكلها مبنية من الحجر ، ومقابر الخلفاء بالقرافة الشرقية بها أكبر مجموعة من تلك القبـاب وبذا يجدر بنا أن نسمى مدينة القاهرة بمدينة القباب الاسلامية ، وكلها تمتـاز بجمال زخارفها الخارجية وتتكون من زخارف هندسية ونباتية وبعضها به زخارف مجدولة والبعض الآخـر حلزونية ، وأشهر هـذه القباب قبة ضريح برقوق وقبة ضريح الأشرف بارسباى وقبة السلطان قايتباى بالقرافة .

وقد عرفت مصر فى عصر المماليك أنواعا شتى من القباب منها نصف الكروية والمضلعة والبيضاوية ، بل وجدت أيضا قبة كبيرة تنتهى فى أعلاها بمنور فوقه مثمنة تحمل قبة صغيرة مضلعة وهى قبة الشيخ عبد الله المنوفى بالقرافة الشرقية بالقاهرة (القرن ٧ أو ٨ هـ) أو (١٣ ــ ١٤ م) .

القبة في العصر التركي

استعمل العثمانيون القبة المنخفضة نقلا عن القسطنطينية وسالونيك وهذه تختلف كثيرا عن القبة الاسلامية العالية فى مصر . وعلى أثر الاستيلاء على مدينة القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ انتقل مقر الحكم اليها وتحولت كنيسة أيا صوفيا الى مسجد حيث أصبح فيما بعد نموذجا لعدة مساجد بنيت حوله بواسطة العثمانيين فى العدة قرون المتتالية ، واستمر التأثير البيزنطى على العمارة فى القسطنطينية .

وفى عام (١٥١٦ ــ ١٧م) غزا السلطان سليم سوريا ومصر وظهر نظام الدراويش وبظهورهم وجد نوع جديد من المساجد الجامعة يعرف بالتكية وهو مسجد محاط بغرف للدراويش وهــذا النظام الجديد يشبه الى حد كبير الخانقاه التى ظهرت فى العصر الأيوبى ، وليست التكية الا الاسم التركى للخانقاه التى شيد صــلاح الدين أول واحدة منها فى القاهرة سنة (٥٦٩ هـ ــ ١١٧٤ م) والتى نشــأت فى البداية فى ايران .

ويعد عصر ســليمان القــانونى (١٥٢٠ ــ ٦٠ م) عصرا ذهبيــا فى العمارة الاســلامية ويمتاز بانشــاء عدد عظيم من المبانى فى مصر وســوريا وكــذلك القسطنطينية ، ومن أهم المساجد التركية فى القاهرة مسجد سليمان باشا (١٥٢٨م) فى القلعة بالقاهرة وقبته محمولة على أربعة مثلثات كروية ومسجد ســنان باشا ببولاق ١٥٧٣ م وتخطيط موضــع القبة مربع يحيطه أروقة خارجية من ثــلاث جهات عدا الجهة الجنوبية الشرقية وهى عبارة عن سقيفات مغطاة بقباب منخفضة شكلها عبارة عن طاقية . ولقبة سنان باشا من الداخل أربع زوايا بكل منها عقد ينتهى بطاقية مقرنصة ، ويعلو هذا المربع مضلع مقسم الى ست عشرة ضلعا وفوقه تقــوم القبــة .

ومسجد الملكة صفية بالدوادية (١٦١٠ م) بالقرب من شارع محمد على تمتاز قبته العظيمة بأنها مسدسة الشكل ومحمولة على عقود مدببة تسندها روابط متصلة بالحائط .

ومن أمثلة المساجد التركية فى مصر أيضا مسجد محمد بك أبى الذهب (١١٨٨ هـ ــ ١٧٧٤ م) بميدان الجامع الأزهر وهو رابع مسجد بمصر وضع تصميمه عن طراز المساجد العثمانية فى استامبول فأولها مسجد سليمان باشا بالقلعة وثانيها مسجد سنان باشا ببولاق وثالثها مسجد الملكة صفية بالدوادية . غير أن هذا المسجد (محمد بك أبى الذهب) يتفق مع مسجد سنان باشا فى تصميمه .

ومن أهم القباب فى القرن الماضى قبة مسجد محمد على الكبير فى القلعة . فقد عهد محمد على الى المهندس التركى « يوسف بوشناق » بوضع تصميم لمسجد على نمط مسجد السلطان أحمد ، وقد بدىء فى انشائه سنة (١٢٤٦هـ ــ ١٨٣٠م) وتم فى سنة (١٢٦٥هـ ــ ١٨٤٨ م) ، ودفن فيه منشئه فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل المسجد . والقبة الكبيرة تتوسط المسجد وحولها أربعة أنصاف قباب والقبة محمولة على أربعة مثلثات كروية وخارج المسجد من جهته الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية وكذا حول الصحن توجد ممرات مغطاة بقباب صغيرة .

وأهم تغيير حصل للمسجد هو ازالة القبة القديمة واعادة بنائها فى عهد « الملك فؤاد » فقد أعيد بناؤها بعد عمل هيكل من الصلب وذلك سنة ١٩٣٥ م. وقطر القبة ٢١ مترا وارتفاعها ٥٢ مترا عن مستوى أرضية المسجد . وهى محمولة على أربعة عقود كبيرة مرتكزة على أربع دعائم مربعة يحيط بها أربعة أنصاف قباب ثم نصف خامس يغطى بروز المحراب وذلك خلاف أربع قباب أخرى صغيرة موجودة بأركان المسجد .

وقد اقتبس مهندس المسجد الزخارف الموجودة به من تلك الزخارف التركية التى شاع استعمالها فى القرن الثامن عشر الميلادى. وهى مكونة من أوراق نباتية وزهور ملونة وبعض الفواكه وعناقيد عنب وقد حليت زوايا القباب والعقود بلفظ الجلالة ومحمد رسول الله وأسماء الخلفاء الراشدين .

ومما تقدم يمكن تلخيص تطور القبة فى العمـارة الاسـلامية فى مصر فى النقاط التاليـة :

١ ــ وجدت قبة فى كل من ركنى رواق القبلة فى المساجد الفاطميـة لأول مرة فى جامعى الأزهر والحاكم •

٢ ــ ترجع أهمية أضرحة السبع بنات الموجودة قبلى خرائب الفسطاط ــ الى الغـرب من ضريح الامام الليث ــ الى أنها من أقدم الأمثلـة الموجـودة للأضرحة فى العمارة الاسلامية •

٣ ــ وجد أول نوع من القباب المتحدة التكوير مع المثلثات الكروية فى مصر لأول مرة فى مدخلى بوابتى الفتوح وزويلة وهمـا من أبواب أسـوار القاهرة الفاطمية التى بنيت فى عهد أمير الجيوش بدر الجمالى وقد بناهما أخوان أرمينيان من أورفا (الرها) وقد ظهر هذا النوع من القباب بعد ذلك فى جامع الأقمر •

٤ ــ تعتبر قبتا ضريحى محمد الجعفرى والسيدة عاتكة المجاورتان لمشـهد السيدة رقية الحلقة الأولى فى تطور القبة الى النوع المعروف بالقبـاب المحمولة على المقرنصات أو الدلايات فكانت منطقة الانتقال مكونة من حطتين من المحاريب أو المقرنصات السفلية منها مكونة من ثلاثة والعلوية بها مقرنص واحد •

٥ ــ وجدت العشاريات (المراكب الصغيرة) فوق الأهلة بأعلى قبة الامام الشافعى وغيرها وقد شوهدت قبل ذلك تعلو هلال منارة الجامع الطـولونى وبقيت بها الى أن سقطت سنة (١١٠٥ هـ ــ ١٦٩٣ م) •

٦ ــ زادت مساحة القبة التى تعلو المحراب فى عصر دولة المماليك البحرية وأصبحت أكبر حجما وتغطى مساحة كبيرة حوالى ثلاث بلاطات مربعة كما فى مسجد الظاهر بيبرس بالظاهر بالقاهرة ١٢٦٩ م • والناصر محمـد بالقلعـة (١٣١٨ ــ ٣٥ م) •

٧ ــ ألحق بالمدارس ذات المذاهب الأربعـة والصليبيـة التخطيط ضريح لمنشىء المدرسة يعلوه قبة على مقرنصات كما هو الحال فى مدرسة السلطان حسن بميدان صـلاح الدين بالقلعـة سـنة (١٣٥٦ ــ ٦٣ م) ومدرسـة برقوق بالنحاسـين •

٨ ــ تعتبر قبة ضريح المنصور قلاوون بشارع المعز لدين الله بالنحاسين فريدة فى نوعها وهى مقامة على قاعدة مثمنة مكونة من أربع دعائم مربعة وأربعة أعمدة وهى مرتبة بوضع دعامتين ثم عمودين وهكذا ويظهر فى التصميم التأثير السورى على عمارة القبة .

٩ ــ تمتاز بعض قباب عصر المماليك البحرية بوجود الفسيفساء الخزفية الملونة فوق رقبة أو عنق القبة ، كما هو الحال فى ضريح الأميرة طوغاى (١٣٤٨م). بالقاهرة .

١٠ ــ يلاحظ صغر حجم القبة فى عهد دولة المماليك الشراكسة مع الاسراف فى زخارفها الخارجية ، وهذا واضح جلى فى مجموعة القباب الموجودة والمعروفة باسم مقابر الخلفاء بالصحراء ، والحق أنها أضرحة المماليك ، وأشهر هذه القباب برقوق وبارسباى وقايتباى .

١١ ــ تأثرت القبة فى العصر التركى فى مصر بالتأثير البيزنطى الموجود فى العمارة بالقسطنطينية وذلك على أثر استيلاء السلطان سليم على مصر وسوريا سنة (١٥١٦ ــ ١٧ م) ، ومن أهم المساجد التركية فى القاهرة مسجد سليمان باشا (١٥٢٨ م) فى القلعة بالقاهرة ومسجد سنان باشا فى بولاق (١٥٧٣ م) ومسجد الملكة صفية بالدوادية ، ومسجد محمد بك أبو الذهب (١١٨٨ هـ ــ ١٧٧٤م) بميدان الجامع الأزهر .

١٢ ــ ظهر نوع جديد من المساجد يعرف بالتكية على أثر ظهور نظام الدراويش ومن أمثلتها تكية السليمانية بدمشق وهو مسجد محاط بغرف للدراويش .

١٣ ــ تعتبر أهم قباب مصر فى العصر التركى فى القرن التاسع عشر قبة مسجد محمد على الكبير بالقلعة وهى محمولة على أربعة مثلثات كروية على نمط طراز المساجد التركية فى القسطنطينية .

مدينة رشيد

لعل أهمية رشيد من الوجهة التاريخية ترجع الى وقت العثور على حجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة . كما ترجع شهرتها من ناحية العمارة الاسلامية الى تلك الدور والمساجد الموجودة بها ، ذات الطابع الخاص والذى تنفرد به عن غيرها من ناحيتى الانشاء والزخرفة .

ولا تزال بعض شوارع مدينة رشيد محتفظة بمنازلها القديمة ومساجدها الأثرية ومن أهمها شارع دهليز الملك وكذلك المنطقة التى تحيط بمسجدى زغلول ودومقسيس . وأغلب تلك الدور تظهر فى مجموعات وتتكون من طابقين أو ثلاثة ويرجع تاريخها الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى .

ويعتبر مسجد زغلول برشيد أهم مسجد بالمدينة وهو مسجد قديم قد طرأت عليه عدة اصلاحات واضافات فى أزمنة مختلفة وقد قامت ادارة الآثار العربية باصلاحه وشمل ذلك الاصلاح المدخل والرواق الشرقى ودكة المبلغ ، وكذا بعض أجزاء أخرى منه .

وتمتاز مساجد رشيد بقبابها ذات الأشكال البصلية وبحجمها الصغير ، ومن تلك المساجد المهمة مسجد دومقسيس برشيد وقد أنشأه صالح أغا دومقسيس فى سنة (١١١٦ هـ — ١٧٠٤م) . ويقع فى وسط المدينة ويتميز عن غيره فى تلك البقعة أنه من المساجد المعلقة المشيدة على طابقين ، السفلى منهما يحوى دكاكين وحواصل والعلوى يكون المسجد نفسه . وهذا المسجد مبنى على مساحة مستطيلة وسقفه خشبى بسيط محمول على صفين من العقود المدببة المرتكزة على أعمدة كلاسيكية مصنوعة من الرخام ، بينما نرى محراب المسجد تغشيه بلاطات من القشانى الملون ، كما نجد وزرة جدار القبلة تتكون من ترابيع من الرخام الأبيض

عليها بعض كتابات من خطوط مختلفة ، من بينها « نصر من الله وفتح قريب »
وتحوى الوزرة أيضا ترابيع أخرى من القاشانى المزخرف •

ويوجد بجوار المحراب منبر خشبى يمتاز بدقة الصناعة أما المنارة فتقع فى منتصف الواجهة البحرية وهى مثمنة الشكل حتى تصل الى شرفة المؤذن وهى تحوى زخارف جصية وتتكون بعض أجزائها من تربيعات القاشانى الملون • وشرفة المؤذن محمولة على عدة حطات من المقرنصات • يعلوها منطقة اسطوانية تزخرفها قنوات رأسية وتنتهى المئذنة من أعلاها بنهاية تشبه الخوذة وهذا الشكل يميزها عن غيرها من المآذن فى مصر الاسلامية الا أنه شائع فى مدينة رشيد ودمياط وكذلك بعض مدن الوجه البحرى •

ومن مساجد رشيد أيضا المسجد العباسى وهو مسجد يقع على شاطىء النيل فى الطرف الجنوبى للمدينة وقد أنشأه السيد محمد « بك » الطبوزاده فى سنة (١٢٢٤هـ ــ ١٨٠٩م) وهو مبنى بالطوب الرشيدى المنجور وهو طوب ذو حجم صغير كانت تبنى به المساجد والدور القديمة وكانت تبنى الواجهات على أشكال مداميك أفقية مكحولة تتخلل لحاماتها ميدات خشبية وفى بعض الأحيان يكون الطوب منسقا على أشكال هندسية جميلة تحلى مداخل البيوت والمساجد •

ويتكون المدخل الذى يبرز قليلا عن واجهة الضريح من عقد ثلاثى مسدود بالطوب وبه ثلاث فتحات معقودة بعقود مدببة ترتكز أكتافها على عتب خشبى ـ والباب الموجود داخل صفة المدخل يؤدى الى المسجد ويعلوه نافذة مستطيلة الشكل عليها زخارف من خشب الخرط الدقيق • وعلى يمين الداخل الى المسجد يقع مدخل الضريح وهو يشبه مدخل المسجد ويمتاز بزخارفه الجميلة المصنوعة من الطوب وهى موجودة بالجزء العلوى منه أما جوانبه فمغشاة بالقاشانى المزخرف ، ويعتبر تصميم المدخل نموذجا لمداخل المساجد فيما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر الميلادى •

والقبة التى تعلو الضريح بصلية الشــكل ورقبتها محــزومة وبها فتحــات وزخارف مستطيلة داخل عقود مثلثة الشكل ، أما المنــارة فهى على غرار مآذن رشيد وغيرها من الأقاليم مثمنة الشكل ولها شرفة واحدة للمؤذن ويعلوها منطقة اسطوانية تنتهى بنهاية تشبه الخوذة • وتسود البساطة المسجد من الداخل وهو يشتمل على صفين من العقود الرتكزة على أعمدة رخامية تحمــل السقف الذى لا تزال توجد عليه بعض آثار نقوش ملونة بها

ولمنازل رشيد شهرة عظيمة بالبناء بالطوب الملون والمكون لأشكال زخرفية وكتابات كوفية مربعة وكذلك فى أعمال النجارة كالخــرط والتطعيم ، ومن أهم المنازل التى لا تزال محتفظة بتفاصيلها المعمارية منزل الأمصيلى المنشأ فى ســنة (١٢٢٣هـ ــ ١٨٠٨م) • والذى يتكون من ثلاثة أدوار ويمتاز بمجموعة أعمال النجارة التى قل أن توجد فى غيره من الدور •

وهناك أيضا منزل وقف الأتراك المنشأ فى سنة (١١٣١هـ ــ ١٧١٨م) وقد ألحق باحدى واجهتيه سبيل وكذلك منزل رمضان بشارع دهليز الملك وهو من أهم الدور التى أنشئت فى القرن الثامن عشر الميلادى وهو مكون من أربعة طوابق ويمتاز بالمشربيات الكبيرة والصغيرة ذات الطابع الخاص بها • ويمتاز مدخل هذا المنزل بزخرفته بطوب ذى اللونين الأحمر والأسود ويتصل به منزل آخر بنى فى نفس العصر هو منزل محارم ويمتاز بجمال مجموعة القاشانى الموجودة بجدران قاعته العلوية •

وقد كان لرشيد حظ وافر من عناية لجنة حفظ الآثار العربية فقد أعادت بناء المتهدم من منازلها وكذا نقوش وألوان الطوب فى بعضها ، كما أكملت نجــارتها وأعادتها الى حالتها الأصلية • وبذلك عاد للمدينة طابعها القديم اذ امتازت دورها الأثرية بطراز خاص تميزت به دون سائر دور الأقاليم الأخرى •

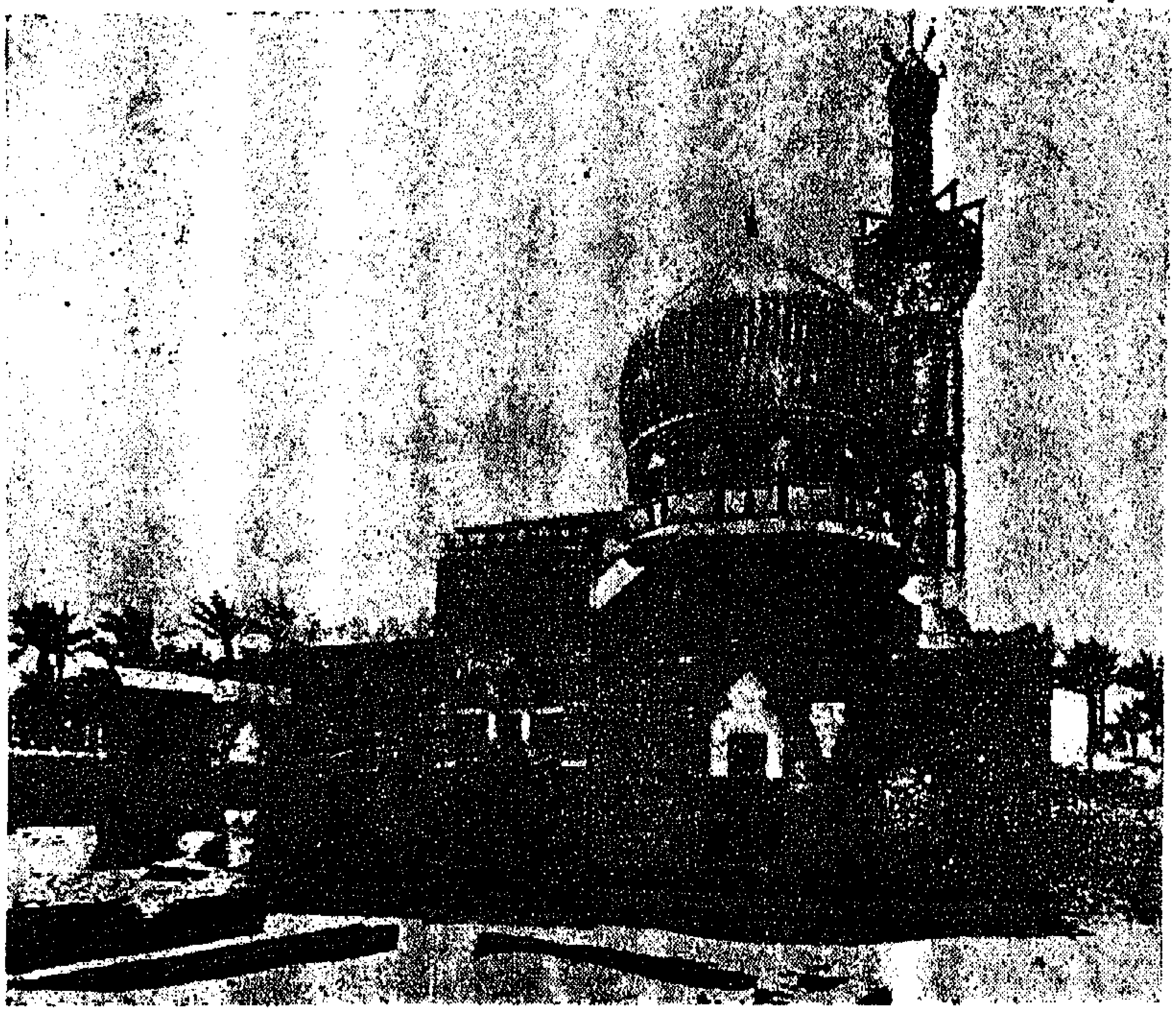

(شكل ١٦٤) مسجد العباسى برشيد (١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م) .
(عن مساجد مصر لوزارة الأوقاف)

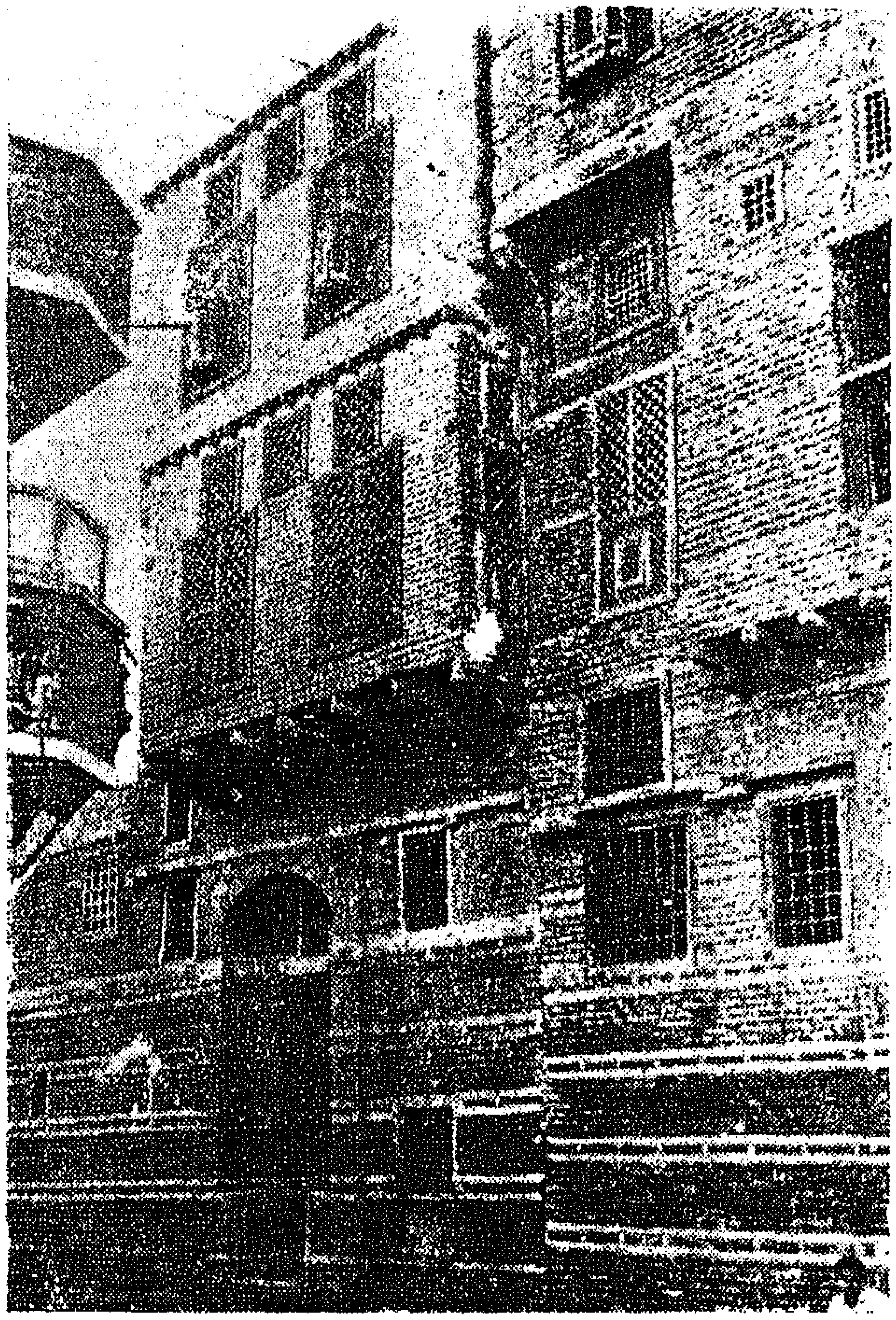

(شكل ١٦٥) منزل برشيد

الخاتمة

مرت بمصر فترة طويلة حفلت بتطور كبير فى العمارة الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر محمد على ، وكان لمصر حظ كبير قل أن يظفر به اقليم آخر من دول البلاد الاسلامية .

فقد كانت الفسطاط العاصمة الأولى فى العصر الأول بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ واستمرت كذلك حتى سنة ١٣٢ هـ فأصبحت مدينة العسكر التى تقع شمالى الفسطاط مقرا لدار الامارة فى عهد الوالى العباسى « صالح بن على » ونمت المدينة بعد ذلك شمالا حتى أنشأ أحمد بن طولون المدينة الثالثة « القطائع » فى سنة (٢٦٣ هـ ــ ٨٧٦ م) وأطلق على مجموعة المدن الثلاث (الفسطاط والعسكر والقطائع) اسم مصر أو الفسطاط وقد تميزت به فيما بعد عن القاهرة التى أنشأها جوهر القائد شمال الفسطاط . وقد جاء جوهر الصقلى هذا فى عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمى فأنشأ مدينة القاهرة المعزية فى العصر الفاطمى وبنى سورا يحيط بالعاصمة الجديدة وكان مبنيا « باللبن » ــ وكان تخطيطها على شكل مربع تقريبا يواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية ويتجه الجانب الشرقى نحو المقطم والغربى يسير بمحاذاة الخليج والبحرى يتجه نحو الفضاء الواقع فى الشمال والقبلى يواجه الفسطاط وطول كل ضلع من أضلاع المدينة ألفان ومائتى متر ومساحة المدينة ثلاثمائة وأربعين فدانا ويتوسط المدينة قصران ، القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى وبينهما ميدان فسيح لاستعراض الجند باسم « بين القصرين » ــ ثم أقام بدر الجمالى سورا جديدا من الحجر خارج سور القاهرة الذى بناه جوهر وزاد فى مساحة المدينة حوالى ستين فدانا كما أنشأ أبوابا جديدة بدلا من القديمة لا يزال باقيا منها الى اليوم ثلاثة أبواب هى باب النصر وباب الفتوح فى السور

الشمالى وباب زويلة فى السور الجنوبى وأقام الأبراج والممرات المقبية داخل الأسوار وبها مزاغل وفتحات للدفاع عن المدينة الجديدة ـ ثم أنشأ صلاح الدين الأيوبى سورا جديدا هو فى الواقع من جهة الشمال امتداد لسور بدر الجمالى حتى برج الظفر شرقا ومنه استمر جنوبا موازيا للسور الشرقى حتى منطقة السيدة نفيسة • كما أقام صلاح الدين أيضا القلعة التى أصبحت مقرا للحكم بعد ذلك ، وبعد ذلك أخذت العاصمة فى الزيادة والنمو شمالا وغربا وذلك فى الأزمنة المتعاقبة حتى أصبحت على ما هى عليه الآن •

أما من ناحية تخطيط المساجد فقد ظهر فى بادىء الأمر النوع الأول الذى يتوسطه الصحن والمحاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبلة وبه المحراب الذى يوجه المصلين نحو الكعبة وبه المنبر الذى يقف فوقه الخطيب أثناء القائه خطبة الجمعة وبه الدكة التى يجلس فوقها المبلغ حين الدعوة للصلاة وترتيل القرآن فى أيام الجمعة •

وفى نهاية العصر الفاطمى ظهر نوع من المساجد يعرف باسم المساجد المعلقة كما فى مسجد الصالح طلائع سنة (٥٥٥ هـ ـ ١١٦٠ م) • ثم ظهر نوع آخر من المساجد بعد ظهور المدارس الاسلامية وأخذ يتطور حتى أصبح التخطيط فى عصر المماليك من النوع المعروف بالمتقاطع المتعاقد وذلك لايجاد أربعة ايوانات وفى الوسط يوجد الصحن الذى يحوى الميضأة فى وسطه • وقد كان كل ايوان بمثابة مدرسة لتدريس مذهب من المذاهب الأربعة الاسلامية وهى الشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى • ويلحق بهذا التخطيط مساكن للطلبة وضريح لمنشىء المدرسة ، ويكون ايوان القبلة فى العادة أكبر الايوانات وكان يقوم مقام قاعة الصلاة الرئيسية فى المساجد وبه المحراب ومثال ذلك مدرسة السلطان حسن بالقلعة •

وبعد الفتح العثمانى فى عام ١٥١٧ م • تأثرت العمارة الاسلامية بالطراز البيزنطى فظهر نوع جديد من المساجد عبارة عن قاعة مربعة تعلوها قبة وتحيط بها ثلاثة ممرات عدا الجهة القبلية حيث يوجد حائط القبلة كما هو الحال فى مسجدى سنان ببولاق وأبى الذهب بالأزهر • كما وجدت مساجد أخرى

عبارة عن قاعات مستطيلة أو مربعة يتوسطها أربع دعامات مربعه تحمل فوقها منورا للاضاءة ومن أمثلة هذا النوع مسجد المحمودية بميدان صلاح الدين بالقلعة. ثم ظهرت بعد ذلك أمثلة أخرى للمساجد متأثرة الى حد بعيد بمساجدالقسطنطينية ومن أمثلتها مسجدى سليمان ومحمد على بالقلعة .

وتعتبر أسوار القاهرة الفاطمية التى أنشئت فى عهد أمير الجيوش بدرالجمالى فى خلافة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى وكذا الأبواب الثلاثة باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة التى بنيت فى ذلك الحين أقدم أمثلة للعمارة الحربية الاسلامية فى مصر وتلتها بعد ذلك القلعة التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى بالقاهرة وقلعة قايتباى بالاسكندرية . وكل تلك المنشآت هى فى الواقع أمثلة نادرة تشهد بعظمة العمارة الحربية فى العصر الاسلامى فى مصر .

وقد لعبت القبة دورا هاما فى تاريخ العمارة الاسلامية ، فقد ظهرت فى بادىء الأمر صغيرة تعلو المنطقة المربعة التى تتقدم المحراب فى المساجد كما فى جامعى الأزهر والحاكم ثم أخذت فى الكبر كما فى مسجد الظاهر بيبرس وأصبحت فى العصر العثمانى تغطى رواق القبلة بأكمله كما فى مسجدى سنان ببولاق وأبى الذهب بالأزهر ثم عظمت أهمية القبة فى عصر محمد على فأخذت تغطى مساحة كبيرة فى وسط رواق القبلة وتحيطها من أربع جهات أنصاف قباب أخرى متأثرة بذلك بأيا صوفيا بالقسطنطينية .

كما وجدت القباب مفردة تعلو الأضرحة الأولى فى الاسلام فى مصر كما فى أضرحة السبع بنــات ، وكان لتطور طريقة منطقة الانتقال من المربع الى الدائرة أهمية كبرى فى التصميم ، فبينما كانت الـطريقة المتبعة فى مسجدى الأزهـر والحاكم بواسطة المحاريب الركنية التى انتقلت الى مصر عن العراق فى العصر العباسى وهذه بدورها قد انتقلت اليها عن العمارة الساسانية فى بلاد الفرس منذ القرن الثالث الميلادى .

ثم ظهرت طريقة القباب ذات المقرنصات كوسيلة للانتقال من المربع الى الدائرة فى نهاية العصر الفاطمى فى ضريحى عاتكة والجعفرى ومشهد السيدة رقية وكانت الحطات من دورين وبعد ذلك أخذ العدد يتزايد فى السنين المتعاقبة . وبعد ذلك

ظهر التأثير البيزنطي بعد الفتح العثمانى وأصبحت القباب تنشأ بطريقة المثلثات الكروية .

ولم تكن المئذنة معروفة فى أيام انشاء مسجد الفسطاط الأول الذى بنى فى عهد عمـرو بن العاص وكان هنـاك درج خارجى يصعد منه الى أعلى سطح المسجد حيث يقف المؤذن للدعوة للصلاة . ثم ظهرت مئذنة ابن طولون التى تعتبر الأولى فى مصر الاسلامية وقد تأثرت فى تصميمها عن « الملوية » وهى مئذنة مسجد سامرا بالعراق ، كما تعتبر مئذنة مسجد الجيوشى فريدة فى نوعها اذ أنها تتكون من قاعدة مربعة يعلوها منطقة مربعة تقل مساحتها عن السفلى ثم منطقة علوية مثمنة أصغر فى القطاع عن السفليتين ، وبقمة المئذنة توجد طاقية صغيرة مبنية بالطوب . وفى العصر الأيوبى ظهر النوع الخاص بالمآذن المعروف باسم « المبخرة » كمئذنة أبى الغضنفر ١١٥٧ م ومئذنة الصالح نجم الدين أيـوب ١٢٤٩ م . وأصبح التصميم السائد فى مصر بعد ذلك يقوم على أساس جعل المنطقة السفلى مربعة القطاع ، تعلوها منطقة مثمنة ثم أخرى مستديرة . ومن أجمل أمثلة هذا النوع من المآذن مئذنة مدرسة وضريح قايتباى بمقابر المماليك (١٤٧٢ــ ٧٤ م) .

وهناك بعض مآذن ظهرت فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى وبقمتها رأس مزدوج وأحيانا أربعة رءوس بأعلى القمة كمئذنة السلطان الغـورى بالجـامع الأزهر . وفى زاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين (١١٤٢هـ) فى القرن السـابع عشر الميلادى ، وجدت شرفة تعلو مدخل الزاوية وهى محمولة على عدة صفوف من المقرنصات وقد استعيض بها عن التصميم الشائع للمئذنة فيدعى من فوقها للصلاة . وقد ظهر التأثير التركى على المآذن بعد الفتح العثمانى ثم فى عصر محمد على فأصبحت تشبه « القلم الرصاص المدبب » فتنتهى من أعلاها بقمة مخروطية مدببة وأحيانا يكون البدن مضلعا أو اسطوانيا .

وفى العصر الحديث ظهرت عدة أشكال للمآذن بعضها متأثر بالطراز المملوكى والبعض الآخر بالطراز المغربى وفى الأخيرة ظهرت كالأبراج المربعة المثقوبة بفتحات رأسية ضيقة بها أشكال مفرغة ومزخرفة بأشكال هندسية جميلة ــ كما هو الحال فى مسجد حديقة الزهرية بالجزيرة بالقـاهرة .

وأختتم بحثى هذا بأن عظمة العمارة الاسلامية فى مصر لا تزال تثبت عن نفسها ممثلة فى تلك المساجد والدور الأثرية وما بقى من الأسوار الحربية والقلاع التى تسترعى أنظار السياح بعظمتها وجمال تصميمها وهى من غير شك تستحق رعاية الدولة للمحافظة على هذا التراث الخالد . وبالرغم من وجود عمارة حديثة الطراز نرجو أن يكون لنا طراز عربى خاص لمصرنا الحديثة .

المراجع العربية

١ ـ الجبرتى : عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ـ طبع بولاق سنة ١٢٩٧ .

٢ ـ بتلر : فتح العرب لمصر ـ تأليف بتلر ، وترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد « بك » .

٣ ـ حسن ابراهيم حسن « بك » ـ الدكتور : الفاطميون فى مصر ـ والمجمل فى التاريخ المصرى ١٩٤٢ .

٤ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٩٤٦ .

٥ ـ زكى محمد حسن ـ دكتور : تراث الاسلام : الجزء الثانى فى الفنون الفرعية ـ ترجمه الى العربية وشرحه الدكتور زكى محمد حسن (مطبوعات لجنة الجامعيين لنشر العلم ـ فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦) .

ـ الفن الاسلامى فى مصر (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٥) .

ـ كنوز الفاطميين (دار الكتب المصرية ١٩٣٧) .

ـ فى الفنون الاسلامية (من مطبوعات اتحاد أساتذة الرسم) القاهرة ١٩٣٨ .

ـ فنون الاسلام (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨) .

٦ ـ على بهجت والبير جابرييل ـ حفريات الفسطاط (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٧ ـ ١٩٢٨) .

٧ ـ كمال الدين سامح ـ دكتور ـ آثار الأمير عبد الرحمن كتخدا المعمارية بالقاهرة ـ رسالة دكتوراه ١٩٤٧ :

ـ تطور القبة فى العمارة الاسلامية ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ مايو ١٩٥٠ .

ـ القصور والدور فى مصر من الفتح الاسلامى حتى بداية عصر المماليك ـ (مجلة المهندسين ـ عدد أغسطس ١٩٥١) •

ـ القصور والدور فى مصر فى عصر المماليك (مجلة المهندسين ـ عدد يناير ١٩٥٢) •

٨ ـ محاضر لجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة •

٩ ـ مساجد مصر (جزءان) لوزارة الأوقاف طبعة مصلحة المساحة ١٩٥٤ •

١٠ ـ محمود أحمد ـ دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة (طبعة المطبعة الأميرية ببولاق ـ ١٩٣٨) •

المراجع الأجنبية

Butcher :

— The Story of the Church of Egypt (London 1897).

Bntler :

— The Ancient Coptic Churches of Egypt (Oxford 1884).

— The Arab Conquest of Egypt (Oxford 1902).

Corbet :

— The Life and Works of Ahmed ibn Tulun (J.R.A.S, 1891).

Defrémery (M.C.) :

— Essai sur l'Histoire des Ismaèleans de la Perse.

Fyzee (Asaf Ali) :

— A Chronological List of the Imams and Da'is (J.B.B.R.A.S. 1934).

— Isma'ilia Law and its Founder.

— Materials for an Isma'ili Bibliography (J.B.B.A.R.S. 1935).

— Qadi Nu'man (J.R.A.S. 1934).

Galtier :

— Contribution à l'Etude de la Littérature Arabe, Compte (Cairo 1905).

de Goeje :

— Mémoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides (Paris 1886).

Guyard (S.) :

— Fragments Relatifs à la Doctrine des Ismaili.

Hamadany (H.F.) :

— The History of the Ismaili Dawlat And its. Literature during the Last Phase of the Fatimid. (J.R.A.S. 1932).

Von Hammer :

— Histoire de l'ordre des Assassines (Trad. par Hellest.)

Hugh :

— The Monastries of Wadi n'Natrun (New York).

Ivanow, (W.) :

— The Alleged Founder or Ismailism.

— A Creed of the Fatimids.

— A Guide to Ismaili Literature.

— The Rise of the Fatimid.

— Studies in Early Persian Ismailism.

Lane-Poole (S.) :

— History of Egypt in the Middle Ages (London 1925).

Lewis (B.) :

— The Origins of Ismailism.

Marcel :

— Egypte, Depuis la Conquête des Arabes jusqu'à la domination Francaise (Paris 1868).

Massignon (L) :

— Esquisse d'une Bibliographie Qarmate (1922).

— Salman Pak.

O'Leary :

— A Short History of the Fatimid Khalifate (1923).

Quatremere, (N.) :

— Mémoires Historiques sur la Dynastie de Khalifs Fatimid (J.A. 1836).

Ross, (E. Denison) :

— The Art of Egypt through the Ages (London 1931).

— The Governors and Judges of Egypt (J.R.A.S. 1914).

Wiet, (G) :

— L'Historien Abul-Mahassin (B.I.E.T. XII).

— Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabierum, T.II Epyet (Le Caire 1930).

— L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptienne T. IV).

— L'Egypte Musulmane (Prècis de l'Histoire d'Egypte T.II)

— Trois Formules d'Indèpendance dans L'Egypte Médiévale (Le Caire 1942).

Zaky, M. Hassan, :

— Les Tulunides (Paris 1933).

— Moslim Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation (Bulletin of the Faculty of Arts Cairo Vol. XI 1949).

BIBLIOGRAPHY

1.—Ahlenstiel, Engel : Arabische Kunst, Breslau, 1923 ...

2.—Berchem, Van : Notes d'Archéologie Arabe dans T.A. 1891

— Tirage à part, Une Mosquée du temps des Fatimides dans M.I.F.A.O., Tome II

— A Brief Chronology, B.I.F.A.O., Tome XVI

3. Bourgoin : Précis de l'Art Arabe, Mémoires de la Mission Arch. Fr., au Caire, Tome 7, Paris 1890

4. Briggs, M.S. : Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine (Oxford 1924)..

5. Comité Reports,—1894, 1902, 1909,—1912,—etc.

6. Creswell, K.A.C. : Early Muslim Architecture (2 Vols), Oxford 1932-40

— Essay on the Muslim Period (Architecture) in Ross, E.D. Sir : The Art of Egypt through the Ages .

— A Brief Chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt to A.D. 1517. (Bulletin de l'Insitut Fr. d'Arch. Orient.), le Caire 1919

— Evolution of the Minaret, in the Burlington Magazine XIVIII

7. Coste, P. (Large Folio Drawings).

8. Devonshire, R.L. : Some Cairo Mosques and their Founders, London 1921

— Rambles in Cairo

9. Eber's Egypt

10. E.L. = Encyclopédie de l'Islam : Supplément, Leiden, (Holland), 1938

11. I.E. = Vol. II, E.K., Leyden (Holland), 1927

12. Fletcher, B. Sir : A History of Architecture, London, 1954

13. Franz Pasha ; Kairo

14. Gayet, A. L'Art Arabe, 1893

15. Glück und Diez : Die Kunst des Islam, Vol. II., Berlin, 1925

16. Hanotaux, Gabriel : Histoire de la Nation Egyptienne, Paris, 1934, Tome V (l'Egypte Turque).

17. Hassan Moh. El-Hawary : Une Maison de l'Epoque Toulounide.

18. Hassid, S. : The Sultan's Turrets, (Cairo, 1939)

19. Hautecoeur, L. : De la Trompe aux Mukarnas, dans Gazette des Beaux Arts, Juillet,.1931, p. 26-51

— op. cit., p. 37 et fig. 12

20. Hautecoeur et Wiet : Les Mosquées du Caire, Paris, 1932

21. Lane-Poole, S. : The Art of the Saracens in Egypt, London, 1886

— History of Egypt in the Middle Ages

— Lane's Modern Egyptians (1914 edition.)

22. Marçais, Georeges : L'Art de l'Islam (Larousse), Paris 1946

— Manuel d'Art Musulman, 2 Vols (Paris 1926).

23 Napoleonic «Description de l'Egypte».

24 Pauty, E. : Contribution à l'Etude de Stalacties, dans B.I.A.F.O., XXXI, 1929,

— L'Architecture au Caire depuis la Conquête Ottomane, Inst. Français d'Arch. Orient. 1936

25. Prisses d'Avennes : L'Art Arabe I. et C. «Texte Volume»

26. Rosintal, J. Pendentifs, Trompen und Stalaktiten, Berlin, 1912 étdition. française, Paris, 1928

27. Sameh, K. Dr. : The Architectural Works of Abd El Rahman Ketkhudas in Cairo (PH. D. Thesis, 1947)

— Evolution of Domes in Muslim Architecture (Arabic Edition, Bulletin) Fac. of Arts., May 1950

— Stalactites in Muslim Architecture, Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1953

— Minarets in Islam, (Birth and Evolution), Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University (1954-1955).

— Evolution of Minarets in Egypt., (Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University (1955-1956).

— Muslim Architecture, Rotary Bulletin, Cairo, June 1954

— Architecture Musulmane, Le Rotarien Français, No. 32 Février 1955

28. Schacht, Joseph. : Ars Islamica, Vol V, Pt. I «Ein Archaischer Minaret-Typ in Agypten und Anatolien»

29. Spiers, R. Phené, Honey Comb (Stalactite) Vaulting in Architecture. East and West ; p. 44-56.

— R.I.B.A. Transactions 1890.

30. Thiersch, H. — Pharos in Antike, Islam, und Occident (B.G., Teubner, Leipzig et Berlin, 1909)

31. Wustenfeld's ed. I, p. 347., quoted by Gotheil, the Origin and History of the Minaret in the Journal of the American Oriental Society, XXX, pp. 133-134.

32. Zaki M. Hassan,—Arts of Islam, «Funun Al-Islam»— (Arabic, Edition, Cairo, 1948)

— Les Tulunides ..